

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

رسالة ماجستير بعنوان :

بلاد الشام من خلال تراجم الحسن البوريني - تراجم الأعيان من

أبناء الزمان

(٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م)

دراسة تاريخية

Bilad al - Sham Al -Hassan al-Bourini's Book " Tarajem al –

A ayan as a source"1556-1615AD /963-1024AH

A Historical Study

اعداد الطالب : عاصم كريم رميض

الرقم الجامعي : ١٢٢٠٣٠٣٠٠٤

بإشراف الأستاذ الدكتور

هند غسان أبو الشعر

٢٠١٣م / ٢٠١٤م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)

سورة هود آية ٨٨

الإهداء

إلى روح والدي ووالدتي أسأل الله عز وجل أن يغفر لهما ويرحمهما
" وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا

رَبِّيَانِي صَغِيرًا"^(١)

إلى زوجتي أم زيد وأولادي .

إلى الأهل والأصدقاء .

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

عاصم كريم رميض

(١) سورة الإسراء آية (٢٤)

شكر و عرفان

انطلاقاً من واجب الوفاء ورد الجميل وإحقاق الحق ، فإنني أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بوافر الشكر الجزيل والتقدير وعظيم الإمتنان والعرفان لكل من أسهم في إخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود ، وأخص بالذكر مشرفي وأستاذي الفاضل / الدكتورة هند غسان أبو الشعر ، التي شرفنتني بقبولها الإشراف على هذه الرسالة ، وأعطتني من واسع علمها ، وخلاصة تجربتها الشبهي الكثير ، ولم تبخل عليّ بوقتها وجهدها وتوجيهاتها السديدة ، فضلاً عن تزويدي بالعديد من الملاحظات والأفكار ، وأمدتني من فيض علمها ، فجزاها الله خير الجزاء ، وجعل ذلك في ميزان حسناتها ، وأسأل الله العليّ القدير أن يديم عليها تمام الصحة والعافية ، كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الدكتور عليان الجالودي عضو الهيئة التدريسية بقسم التاريخ ، وإلى الدكتور أنور الخالدي رئيس قسم التاريخ ، لما أبدوه من ملاحظات وتوصيات .

وكل التحية والشكر والتقدير إلى العاملين في المكتبات لما قدموه من مساعدة ، وأخص بالذكر المكتبة الهاشمية بجامعة آل البيت ، ومكتبة الجامعة الأردنية .

وأقدم بالشكر والتقدير لكافة الأهل والأصدقاء وكل من ساهم معي في إنجاز هذا العمل المتواضع ، آملاً من المولى عز وجل أن أكون مُستحقاً لما بذله الجميع نحوي من جهد وعون ومساعدة ، وراجياً أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ، وأن تكون بداية لدراسات أخرى تتناول كتب التراجم مصدراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحتويات

Contents

ط	ملخص
١	المقدمة
١	أهمية الدراسة :
٢	أهداف الدراسة :
٣	منهجية الدراسة :
٣	الدراسات السابقة
٤	دراسة تحليلية لأهم المصادر
١٢	أولاً . الإدارة وأهم مرافق بلاد الشام :
٢٣	ثانياً . الأحوال الاقتصادية :
٢٦	ثالثاً . الأحوال الاجتماعية :
٤١	رابعاً . الأحوال السياسية :
٥٢	الفصل الثاني : الحسن البوريني ٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م
٥٢	مؤرخاً
٥٣	أولاً : أسمه ، نسبه ، وأسرته :
٥٤	ثانياً : شيوخ البوريني :
٦٤	ثالثاً : ثقافته :
٧٥	رابعاً : مؤلفات البوريني :
٧٩	خامساً : تلاميذ البوريني :
٩٠	سادساً : علاقات البوريني واهتمامه بأحداث عصره :
١٠٧	سابعاً : مصادر البوريني في تدوين تاريخ المرحلة :
١٢٤	ثامناً : منهجه وأسلوبه في كتابة التراجم :
١٣٤	الفصل الثالث : أحوال بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من ابناء الزمان تراجم.....

أولاً : صورة بلاد الشام وتقسيماتها :	١٣٥
ثانياً : السلاطين والأمراء :	١٣٨
ثالثاً : الأحوال السياسية في بلاد الشام وبيان أثر الفوضى على الأوضاع الاجتماعية للمجتمع، ودور السكان والقوى المحلية في ارباك السلطة	١٥٥
رابعاً : أحوال العساكر ووظائفهم :	١٧٦
خامساً : العقوبات المستخدمة في تلك الفترة :	١٧٩
سادساً : الوظائف الإدارية والفساد الإداري والمالي وبيع المناصب :	١٨١
سابعاً: الوظائف الدينية :	١٨٧
ثامناً :علاقات ولايات بلاد الشام مع القسطنطينية :	٢٠٠
الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والتعليمية والأدبية	٢٠٩
من خلال تراجم البوريني	٢٠٩
أولاً . الحياة الاجتماعية :	٢١٠
ثانيا : ثقافة العصر والتعليم والمدارس والأوقاف :	٢٥٥
ثالثاً . الحياة الأدبية وواقع الشعر ومدى تأثيره في المجتمع :	٢٦٨
الخاتمة	٢٨٠
التوصيات	٢٨٢
الملاحق	٢٨٣
المصادر	٢٨٩
المراجع	٢٩٥
المراجع المعربة :	٢٩٧
الأبحاث :	٢٩٧
الدوريات :	٢٩٨
Abstract	٢٩٩

قائمة الجداول

الصفحة	عنوان الجدول	الرقم
٦٩	ثقافة البوريني	١
٢٨٠	المدارس في بلاد الشام	٢
٢٨٢	الأوقاف ودورها في التعليم	٣

بلاد الشام من خلال كتاب
تراجم الأعيان من أبناء الزمان للحسن البوريني
٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م

دراسة تاريخية

اعداد : عاصم كريم رميض
المشرف : الأستاذ الدكتور هند غسان أبو الشعر

ملخص

جاء اختيار كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان للحسن البوريني باعتباره مصدراً مهماً في الدراسات التاريخية للفترة من ٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م .
يعد القرنان العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، اللذين أرخ لهما الحسن البوريني ، من القرون ذات الأهمية في حياة بلاد الشام ، حيث شهدت هذه الفترة الانتقالية سقوط دولة المماليك (البراكسة) في بلاد الشام سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وبداية حكم الدولة العثمانية فيها ، فكان من الطبيعي ان تدخل بلاد الشام في اطار ذلك الحكم وتعرضها إلى تدهور في حياتها الاجتماعية والسياسية على الرغم من نشاط الحركة الفكرية ، وقد أرخ كتاب تراجم الأعيان لتلك الحياة فيما ورد فيه من تراجم لعلماء بلاد الشام وأعيانها ومؤسساتها التعليمية ، وما كان فيها من نشاط علمي وتعليمي كبير ، وقد اشتملت هذه المؤسسات على عدد كبير من المدارس والمساجد ومؤسسات حكومية أنشئ معظمها في عهد المماليك الذين حكموا مصر والشام ، إضافة إلى دور القرآن والحديث ، واستمرت تلك المؤسسات بدورها وزادت خلال العهد العثماني ، وتضاف إلى هذه المؤسسات التعليمية منشآت أخرى دينية كان لها نشاط تعليمي وهي كثيرة ومتنوعة، منها الجامع الاموي وجامع منجك وغيره ، وكان نظام الدراسة في هذه المراكز يقوم على أساس تعيين عدد محدد من المدرسين والمعيرين تحددهم وثيقة الواقف التي كانت تحدد أيضاً مدة الدراسة وراتب المدرسين والمعيرين ، وكذلك الطلاب الذين يتقاضون راتباً يعينهم على الدراسة .

أما فيما يتعلق بمواد الدراسة في بلاد الشام في تلك الفترة فهي متنوعة ، منها علوم القرآن واللغة والأدب والتفسير والحديث وعلوم الفلك والرياضيات وغيرها ، وقد برع بتلك العلوم من هو من أهل الشام أو ممن وفد عليها واستقروا فيها واتخذوها موطناً وسكناً، ومنهم من كان من أهل الشام ورحل عنها إلى غير ها من المدن والأمصار الإسلامية الأخرى ، وقد اشتهر عدد من البيوتات الشامية كان أفرادها يتوارثون العلم أباً عن جد مثل بيت آل الغزي وغيرهم . هذا من

جانِب ومن جانب آخر لم يكن الحسن البوريني ٩٦٣ هـ - ١٠٢٤ هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م ، مؤلف الكتاب بعيداً عن أحداث عصره أو متسماً بالجمود ، بل كان اسماً لامعاً في التاريخ والأدب وله إنتاجه الكبير ، وعطاؤه الفكري ، وقد اهتم بأحداث عصره السياسية منها حركات تمثل قوى محلية كانت تطالب بالاستقلال والمناصب مثلاً حركات عبد الحلیم اليازجي ، وفخر الدين المعني الثاني ، وظهور السكبان الذين ألقوا الدولة ، وكان قاضياً في ركب الحج الشامي ، علماً أنه كان شافعي المذهب، مما يعطي انطباع حول قربه من السلطة الحاكمة .

وتتناول الدراسة في الفصل الأول بلاد الشام في أواخر أيام دولة المماليك " الجراكسة "، ومطلع العهد العثماني ، وتتناول الإدارة في بلاد الشام ومرافقها ، والأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية . وتناولت الدراسة في الفصل الثاني الحسن البوريني مؤرخاً (أسمه ، ونسبه ، وأسرته ، وشيوخه الذين أخذ عنهم ، وثقافته وسعة اطلاعه ، ومؤلفاته ، وتلاميذه الذين أخذوا عنه ، ووظائفه التي شغلها ، وعلاقاته واهتمامه بأحداث عصره ، ومصادره التي أفادته في تأليف كتاب التراجم ، كما تناولت الدراسة منهجه وأسلوبه في الكتابة ، وفي تدوين تاريخ المرحلة . وفي الفصل الثالث أحوال بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، مشيراً إلى صورة بلاد الشام وتقسيماتها ، ، السلاطين والأمراء ، والأحوال السياسية في بلاد الشام وبيان أثر الفوضى على الأوضاع الاجتماعية للمجتمع ، ودور السكبان والقوى المحلية في ارباك السلطة ، وأحوال العساكر ووظائفهم والوظائف الإدارية والدينية ، وعلاقتها بالأهالي والفئات الاجتماعية ، والعقوبات المستخدمة ، ودور السكبان والقوى المحلية في ارباك السلطة، والفساد الإداري والمالي في بيع المناصب والوظائف ، وعلاقات بلاد الشام مع القسطنطينية . وفي الفصل الرابع تناولت الحياة الاجتماعية ، والتعليمية في بلاد الشام كما أرخ لها الحسن البوريني من خلال الفئات السكانية ، والأسر الشامية ، وعلاقة الفئات بعضها ببعض ، وعلاقة كل منها بالسلطة الإدارية ، والتعليم والمدارس والعلوم التي تُدرس في بلاد الشام ، وعلاقات العلماء بعضهم ببعض، وعلاقتهم بالسلطة ، ودور الأوقاف في التعليم ، وعلوم العصر، والأسس المتبعة في التعيين بالمدارس وسبل الإنفاق، وأجور المعلمين وفئاتهم وعلاقتهم بالسلطة، والقضاء وعلاقتهم بالسلطة، وعلاقتهم بالتعليم والأوقاف، وتأثير هذه العلاقات على الأهالي، والمظاهر الاجتماعية حسبما رصدتها التراجم، والملابس، والأطعمة والمشروبات ، والعادات الاجتماعية والقيم المجتمعية ، ورصدت بعض التجاوزات في السلوك والأخلاق العامة ، والتصوف وانتشار ظاهرة الزوايا ، والتكايا ، والربط. وتتبع الدراسة الحياة الأدبية وواقع الشعر والأدب في بلاد الشام وفق تراجم البوريني لما لها من أهمية في تصوير الواقع الاجتماعي الذي كان سائداً ، وفي تزويد الدراسة بمعلومات قيمة وغنية

عن الفترة المحددة . وأنهى الطالب دراسته بخاتمة أورد فيها ما توصل إليه من نتائج وتوصيات ،
وملحق خرائط بلاد الشام ، ووضع قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي تم الاستعانة بها .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

ان دراسة الحياة الاجتماعية في بلاد الشام واستيفاء جوانبها في ولاية من الولايات ليس بالأمر اليسير ، خصوصاً إذا لم تتعرض الدراسات السابقة لمثل هذا الموضوع ودراسته من خلال مصدرٍ محددٍ (التراجم) بشكل مستقل . ولما كانت الدراسة الحالية تتناول الحياة الاجتماعية لبلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان للحسن البوريني ، فإن ذلك يستلزم استقصاء أهم المصادر التاريخية الأصلية والمساعدة التي تتناول موضوع بلاد الشام، للإفادة منها بالقدر الذي يحقق الأهداف المنشودة . وتأسيساً على ذلك فإن هذه الدراسة ستفيد من الكتب المتاحة بشتى فروعها.

أهمية الدراسة :

ليس من السهل أن يختار الطالب موضوعاً لدراسته ، ولكن حسن اختيار الموضوع يشكل مرحلة مهمة من مراحل الدراسة ، ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان للبوريني ، وتكمن أهمية الدراسة :

١ . دراسة تاريخ بلاد الشام في القرنين ١٠هـ - ١١هـ / ١٦م - ١٧م ، من خلال مصدرٍ محددٍ (كتب التراجم) . حيث شهدت الفترة سقوط دولة المماليك وبداية حكم الدولة العثمانية .

٢ . إبراز دور قافلة الحج الشامي لما لها من أهمية دينية - سياسية كبيرة إذ أصبحت من أهم قوافل الحجيج في تلك الفترة .

٣ . تتميز هذه الفترة بأهمية خاصة في بلاد الشام من النواحي الاجتماعية والتعليمية ومع ذلك فإن الدراسات الاجتماعية قليلة إذا ما قورنت مثلاً بالكتابات التاريخية حول شخصية ما أو حول التاريخ السياسي أو العسكري .

٤ . الحضارة العربية الإسلامية كانت حجر الزاوية في بنية الحضارة التركية وهذا التأثير العربي الإسلامي واضح من خلال كتب التراجم في تلك الفترة وهي من المصادر التي لم تأخذ حقها في الدراسات الاجتماعية والعلمية ، إذ تحتوي على معلومات مهمة من خلال استقرار دقيق لما بين السطور .

٥ . تتبع دور علماء بلاد الشام في الحياة العلمية في مختلف المدن وتحديداً في بلاد الشام والقسطنطينية .

٦ . تتبع دور حركة التصوف ومؤثراتها على بنية المجتمع في بلاد الشام فكرياً واجتماعياً .

٧ . تناول علماء بلاد الشام وأحوالهم وأدوارهم الاجتماعية والفكرية وتلاميذهم وشيوخهم وجهودهم في التأليف وفي كتابة التاريخ، ودراسة الحركة العلمية ودور التعليم والمدرسين والفقهاء في بلاد الشام وأهميته في تشكيل حراك فكري له خصوصيته في الفترة المدروسة.

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى :

١ . تناول مصدرٍ محددٍ لدراسة بلاد الشام لم يدرس من قبل في فهم وتحليل الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في تلك الفترة وهو كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان للحسن البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يمثل فترة القرن العاشر والحادي عشر الهجريين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بالإضافة إلى استخدام مصادر متنوعة مساندة .

٢ . إبراز دور علماء بلاد الشام وتأثيرهم، وبيان حركة تأليف الكتب والاهتمام بالعلوم وتأليف التراجم ، فقد برز في هذه الفترة الكثير من المؤرخين الذين عرف عنهم غزارة مؤلفاتهم، وسعتها وتنوعها خاصة في المعطيات الاجتماعية ، والفكرية مع الالتزام بالمنهجية التاريخية، والتأثر بمن سبقهم من المؤرخين من نقد للمصادر والوقائع من أمثال النعمي ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م، وابن طولون الصالحي ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ، وابن الحنبلي ت ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م، والبوريني ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م ، وعبد القادر العيروس ت ١٠٣٧ هـ / ١٦٢٨ م ، والنجم الغزي ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م ، والمحبي ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م ، ، وابن كنان الصالحي ت ١١٥٣ هـ / ١٧٤٠ م .

٣ . لم تقتصر علوم تلك الفترة على علوم الدين واللغة بل وجد تيار علمي مهم كان محوره العلوم العقلية مثل الفلك والكيمياء والحساب الذي ارتبط بعلم ديني الا وهو علم الفرائض وغيرها من العلوم مما يعكس الحراك الفكري في تلك الفترة .

٤ . يظهر من كتب التراجم ان بلاد الشام كانت تعج بعدد كبير من الشعراء وتنوع فنون الشعر وأوزانه وأسلوبه ، والتأثر بالثقافة التركية والفارسية وازدهار حركة الترجمة ، لذا فقد أفرد الطالب موضوعاً بهذا الصدد للحديث عن الحياة الأدبية وواقع الشعر من خلال التراجم.

٥ . بيان حركة العلماء وتنقلهم في البلاد العربية والإقامة بفترات طويلة أو قصيرة فمن الشام إلى الحجاز وبالمقابل ، ومن الشام إلى مصر وبالمقابل أيضا ، ومن اليمن إلى الحجاز ومن مختلف البلدان العربية المغربية إلى المشرق ومن المغرب والمشرق إلى بلاد الروم مثل القسطنطينية وغيرها، وكانت الرحلة في طلب العلم واسعة النطاق في تلك الفترة ، واقتناء الكتب وجمعها والحفاظ عليها والتجارة فيها ، وتكوين المكتبات الخاصة والعامة والأوقاف ودورها في الحركة العلمية .

٦. التعريف بالواقع الاجتماعي والأوضاع السياسية والتغيرات الإدارية وأثرها في تغيير نمط الحياة الاقتصادية .
٧. بيان حقيقة مفادها بأن بلاد الشام في تلك الفترة لم تتسم بالجمود أو انعدام في حركته الفكرية ، ولكن على العكس إذ كانت تعيش فعاليات فكرية متنوعة على الرغم من التدهور الاجتماعي والسياسي وانتشار الفساد الإداري والمالي وبيع الوظائف .
٨. تسليط الضوء على صورة الحكام في بلاد الشام بين العلماء والعامّة.

منهجية الدراسة :

أستخدم الطالب منهجية وهي كما يلي :

١. التعريف بالأعلام و الأماكن والمصطلحات والمفاهيم، وإضافة التعليقات من خلال توظيفها في الهوامش ودراسة المصادر المهمة.
٢. الصياغة في الدراسة في بعض الموضوعات ستكون على عده محاور منها :
 - أ- استنتاج النص واستقرائه بدقة وتحليل محتوى الكتاب وأهميته بالنسبة للفترة .
 - ب- تحليل صاحب الدراسة الأديب والمؤرخ ودراسته دراسة نقدية .
 ٣. تحليل ونقد المصادر المهمة للدراسة .
 ٤. استخدام الجدولة في دراسة علوم العصر والثقافة المنتشرة، وجدولة المرافق والأبنية التعليمية من مدارس، وجوامع، وأوقاف.
 ٦. الإحاطة و مراعاة ما تتطلبه الدراسة من التوثيق الصحيح للمصدر والمرجع .
 ٧. التأصيل التاريخي فيما تحتاجه بعض الموضوعات كالتصوف والأوقاف والقضاء .وقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول هي :
 - الفصل الأول : أحوال تاريخية عامة .
 - الفصل الثاني : الحسن البوريني مؤرخاً .
 - الفصل الثالث : أحوال بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان .
 - الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والتعليمية والأدبية في بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان .

الدراسات السابقة

من خلال اطلاعي على الدراسات السابقة التي تناولت كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان، لم أجد على قدر علمي إلا دراسة دكتوراه واحدة للطالب (مشهور عبد الرحمن حسين الحبازي)،

بعنوان " الحسن البوريني أديباً ومؤرخاً مع تحقيق ديوانه " وهي أطروحة دكتوراه في الآداب غير منشورة ، جامعة القديس يوسف ، كلية الآداب واللغة العربية في بيروت ، وهي دراسة تطرقت فقط إلى ديوان الشعر وتحقيقه بعيداً عن دراسة البوريني المؤرخ ودراسة الحياة الأدبية، إلا أنه تم الإفادة منها من خلال الرجوع إليها في بعض الأشعار المحققة لدراسة الحياة الأدبية وواقع الشعر في بلاد الشام في تلك الفترة ، وعن المباحثات الشعرية ما بين الأدباء وانعكاساتها على المجتمع^(١).

دراسة تحليلية لأهم المصادر

تعتبر المصادر التاريخية من أهم الأدوات التي يمكن أن يعتمد عليها الباحث في دراسة الحياة الاجتماعية في بلاد الشام ، وخاصة كتب التراجم فقد احتوت على معلومات غزيرة ، وما من شك أن كل بحث تزد من الفائدة العلمية يقتضي أن يعتمد في مسيرته وبنائه وخطته على عدد من المصادر والمراجع المختلفة ، وقد أخذت من عدد كثير من هذه المصادر التاريخية ، وغير التاريخية ، نخص بالذكر منها :

كتب التراجم :

مصدر الدراسة الرئيسي المطبوع ، وهو كتاب **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** ، للحسن بن محمد بن محمد بدر الدين البوريني ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م وهو ليس كاملاً فهناك تكملة له في ليدن بهولندا وهو من الكتب المهمة لمعرفة رجال القرن العاشر ، والحادي عشر الهجريين ، السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، فقد ترجم فيه لمن عاصره من أبناء سنة ٩٦٣ هـ / إلى سنة ١٠٢٤ هـ - ١٥٥٦ م / ١٦١٥ م ، ويعد متمماً لكتب التراجم التي سبقته مثلاً الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للنجم الغزي ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م وغيرها من كتب التراجم ، ويفيد في دراسة تاريخ بلاد الشام والبلاد الإسلامية في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر .

الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م: لقد أحتوى هذا الكتاب معلومات قيمة ومفيدة رفدت الدراسة وزودتها بمعلومات عن النشاط العلمي الذي شهدته بلاد الشام في مختلف ميادين الحياة ، ومن خلال التراجم تتبين المكانة الاجتماعية ، والأوضاع المعاشية ، ومدى العلاقة بين المترجم لهم وبين الحكام ، وقد سار فيه المؤلف على طريقة الإيجاز ، معتمداً على مصادر مكتوبة سابقة ، وعلى مصادر شفوية تلقاها ، وقد أورد الغزي تاريخ ولادة ووفاة المترجم لهم كلما أمكن ذلك ، وتحدث أيضاً عن رجال

(١) للمزيد أنظر الحبازي : مشهور عبد الرحمن حسين ، الحسن البوريني، أديباً ومؤرخاً مع تحقيق ديوانه، أطروحة دكتوراه في الآداب، غير منشورة، كلية الآداب، واللغة العربية ، جامعة القديس يوسف، بيروت ١٩٩٨ م ، والدراسة موجودة في مركز إيداع الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية .

من مختلف مدن الشام ، كدمشق ، وحلب ، ومن علماء القاهرة ، والحرمين الشريفيين (مكة ، والمدينة) ، وترجم لشخصيات حكومية ، واهتم بذكر محاسن المترجم لهم بشكل تفصيلي ، وقد التزم المؤلف فيه بذكر أسم المترجم له وأسم أبيه ، وبعض أجداده على ترتيب الحروف حسب التيسير ، ومن الواضح أيضاً أنه ذكر أسم المترجم له ، ولقبه ، وكنيته .

لطف الأسمر وقطف الثمر ، للغزي مؤلف كتاب الكواكب السائرة ، كان معاصراً لكثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية لبلاد الشام منذ تاريخ ولادته سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م إلى تاريخ وفاته سنة ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م ، ويعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ ومكماً على مؤلفه الكواكب السائرة ، وترجم فيه لأعيان بلاد الشام ، والبلاد العربية ، ويعبر المؤلف بتلك التراجم عن صورة المجتمع العربي الشامي ، وبعض صور عن المجتمع الإسلامي ، وهذه الصورة التي قدمها الغزي عن عصره ، تعد استكمالاً لما ألفه المؤرخون قبله ومنهم البوريني ، الذي كان معاصراً له .

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، لمحمد الأمين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) : يعد هذا الكتاب من كتب التراجم المهمة أو من كتب سير الرجال ، وجاء كتابه بأربعة أجزاء ولم تقتصر تراجمه على قطر محدد ، وإنما ترجم فيه لكل شخص له دور فعال وذا أثر علمي ، أو أدبي أو سياسي ، أو صوفي ، في أنحاء العالم الإسلامي ، فقد ترجم المحبي في كتابه لأبرز الشخصيات التي توفيت بين ١٠٠١ هـ - ١١٠٠ هـ / ١٥٩٢ م - ١٦٨٦ م ، وتحدث عن رجال المجتمع من مختلف مدن الشام (دمشق ، حمص ، حماة ، حلب ، بعلبك (لبنان اليوم) و نابلس ، والرملة ، وصفد ، وغزة ، وطرابلس ، وصيدا ، وغيرها كثير) والعديد من مدن الحجاز (مكة ، والمدينة ، والطائف) ، واليمن مثلاً (صنعاء ، وعدن وغيرها) ، وبلاد العجم ، والمغرب والجزائر ، وتونس ، وطرابلس ، وشخصيات من آسيا الصغرى ، والبلقان ، وبلاد البوسنة . وكان عدد الرجال اللذين ترجم لهم بحدود (١٢٨٩) سيرة . وهو مهم للدراسة عن أحوال بلاد الشام الاجتماعية .

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م ، ويعد هذا الكتاب من كتب التراجم الأدبية المهمة ، فقد شرح المؤلف فيه بعض أساليب الشعر التي كانت منتشرة ، والكتاب يشير إلى سعة إطلاع الخفاجي الأدبية ، ومعرفته بالسير النبوية فكان كثيراً ما يستند إليها في ذكر بعض الشروحات التي تفيد الموضوع ، وقد أفرد ترجمة أدبية للحسن البوريني ، أفادت الدراسة في البحث عن الحياة الأدبية وواقع الشعر وعلاقة البوريني ومكانته بين العلماء ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى عدة أقسام الأول : في محاسن أهل الشام ونواحيها وكان عدد المترجم لهم (أربع وأربعون شخصاً) ، والقسم الثاني : خاص بأهل المغرب و عدد المترجم لهم (اثنا عشر شخصاً) ، والقسم الثالث : خاص بمكة المكرمة وكان عدد المترجم لهم

(عشرون شخصاً) ، والقسم الرابع الأخير جعله المؤلف خاص بأهل اليمن وترجم لعدد منهم وكانوا (خمسة أشخاص) .

سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر ، لدرويش محمد بن أحمد الطالوي ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، ويعد من كتب التراجم والأدب المهمة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، إذ حظيت هذه الفترة بمؤلفين كثيرين كالبوريني ، والمحيبي ، والغزي ، والخفاجي ، وفي هذا الكتاب ترجم المؤلف للعلماء والأعيان اللذين صاحبهم ، أو عرفهم ، ولم يتحدث عن أحد لم يعرفه ، لذا جاء عنوان الكتاب على ذلك الشكل ، وكان مؤلفه قد عاش من سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م إلى ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، والكتاب عبارة عن مطارحات بني العصر أي في الحوار وتبادل الأحاديث والقصائد معهم في التحوار والمناظرة ، منها مثلاً مطارحات بينه وبين البوريني ، وبينه وبين الخفاجي ، وقد أفرد كل من البوريني ، والخفاجي لدرويش الطالوي ترجمة خاصة^(١) . وقد أفادت الدراسة أيضاً من كتاب **در الحبيب في تاريخ أعيان حلب** ، لأبن الحنبلي رضي الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي ت ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م ، وقد ألفه حباً لحلب الشهباء ، حيث كان بعيداً عن كتابة التاريخ بقوله " ولم أعن بشأن التاريخ أصلاً ولا رقمت به باباً ولا فصلاً إلى أن عن لي أن أبرز اسمه وأجود رسمه . بحسب ما أمكن وقدر عليه القادر ومكن ..."^(٢) ، وقد امتد تأليف الكتاب طيلة حياة المؤلف إذ ذكر حوادث جرت في الأيام الأخيرة من عمره . وترجم فيه لرجال من أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وأوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في حلب وغيرها ، وقد وضع المؤلف ذلك بقوله " وشرطي في تاريخي هذا : ذكر من عاصرتهم من أهلها أو عاصرت من عاصرهم ، وذكر من دخلها من غير أهلها ممن عاصرتهم أو عاصرت من عاصرهم ، وذكر من لم أعاصرهم ولا عاصرت من عاصرهم من الأفريقيين نادر ، إلا لأمر دعا إلى ذلك ..."^(٣) ، كما وترجم المؤلف لرجال من حماة ، وحمص ، وطرابلس ، ودمشق ، والحجاز ، ومصر والمغرب ، والروم ، والعراق ، والهند . وقد ترجم المؤلف لجميع طبقات المجتمع ، وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب من خلال التعرف إلى المنشآت التعليمية التي أنشأت في مدينة حلب ، وعلى حياة بعض علمائها ، خاصة وأنه ضمّن سيرتهم الأحداث السياسية التي عاصرها .

(١) البوريني : الحسن بن محمد ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ج ٢ ، دمشق ١٩٥٩ م ، ج ٢ ، ص ١١٥ - ٢٠١ ، وانظر الخفاجي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩ م) ، ریحانة الالباء وزهرة الحياة الدنيا ، ج ١ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، نشر مطبعة عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٧ م ، ص ٥٣ - ٧٧ .

(٢) ابن الحنبلي : رضي الدين بن محمد الحلبي (ت ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م) ، **در الحبيب في تاريخ أعيان حلب** ، ج ٢ ، تحقيق محمود حمد الفاخوري ، ويحيى زكريا عبارة ، وزارة الثقافة دمشق ط ١٩٧٢ م ، ج ١ ، ص ٩ ، وسيشار له لاحقاً ابن الحنبلي : **در الحبيب** .

(٣) ابن الحنبلي : **در الحبيب** ، ج ١ ، ص ١٧ .

الدارس في تاريخ المدارس ، للنعمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م: يعتبر هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت الحياة العلمية بدمشق ، منذ القرن الخامس وحتى القرن العاشر الهجري ، فقد أتى على ذكر أغلب المدارس ودور القرآن الكريم ، والحديث ، والزوايا ، والربط في بلاد الشام ، فاجتمعت فيه أخبار ما هو مشتت في كتب التراجم والتاريخ ، وقد لخصه مؤلفه بقوله " إنما أذكر دور الحديث ثم دور الأئمة الأربعة ، لكنني أبدأ بمدارس أئمتنا الشافعية ثم الحنفية ثم المالكية ثم الحنابلة ، ثم أذكر مدارس الطب ، ثم الربط والخوانق ، ثم الترب ثم الزوايا ، وأذكر تراجم المتصدرين بكل واحدة منها ، من حيث أنشئت واحداً بعد واحد إلى آخر وقت ما أدركته " (١) ، وبالرغم من أن النعمي من المؤرخين اللذين لم يعاصروا فترة الدراسة ، إلا أن الإفادة من كتابه جليلة ، فقد كان مصدراً مهماً فيما يتعلق بوصف الكثير من مدارس دمشق ومراكز التعليم الأخرى فيها ، كما أنه من جهة أخرى ساعد في التعرف إلى الأوقاف التي رُصدت للمراكز التعليمية ، فهو من المصادر الرئيسية التي ألقت ضوءاً واضحاً على الحياة العلمية بدمشق خلال خمسة قرون ، ولذا يعتبر من أفضل الكتب التي تناولت خطط دمشق .

كتب التاريخ العام :

مفاهمة الاخلاق في حوادث الزمان ، لشمس الدين محمد بن علي بن طولون الصالحي ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م ، ويعد من الكتب التاريخية المهمة ، تحدث فيه بشكل مفصل ودقيق عن تاريخ مصر والشام ، أي الفترة نهاية دولة المماليك الجراكسة ، ومطلع العهد العثماني في بلاد الشام ومصر ، وقد عاصر المؤلف تلك الأحداث وكان شاهداً عليها ، سواء كانت أحداث صغيرة ، أم كبيرة ، وشرح أسباب الأحداث وعواملها ، وطريقة حدوثها ، وكان يربط الأحداث التاريخية كي يحافظ على وحدة الموضوع ، وبدء تأليف كتابه بأحداث سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م وانتهى بأحداث سنة ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ، وقد أفاد الدراسة بشكل كبير بالبحث عن أحوال بلاد الشام وأخر دولة المماليك الجراكسة وسقوطها في مرج دابق على يد سليم العثماني ، فسجل تلك الأحداث المهمة التي تشكل مرحلة مفصلية في التاريخ ، بانتقال الحكم في بلاد الشام ومصر من المماليك إلى العثمانيين .

القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة ، لأبن طولون الصالحي مؤلف كتاب مفاهمة الاخلاق ، وقد أمكن من خلال هذا الكتاب التعرف إلى المدارس والمراكز التعليمية التي أنشأت بحي الصالحيّة بدمشق ، وعلى مذئني وواقفي تلك المنشآت ، ومن تصدر للتدريس فيها ، ومن نزل فيها من العلماء والمشتغلين بالعلم .

(١) النعمي : عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) ، **الدارس في تاريخ المدارس** ، ج٢ ، أعدد فهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠ م ، ج١ ، ص٥٠ . وسيشار له لاحقاً النعمي : الدارس .

الأسس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، لمجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م : يعتبر هذا الكتاب من أوسع المصنفات التي تناولت تاريخ القدس منذ فجر الخليقة وحتى سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م ، وكان هذا الكتاب حصيلة مجموعة قيمة من المصادر ، التي تناولت تاريخ القدس ، ولذلك جاء بعيداً عن الزيادات المخلة والاستنتاجات المرتجلة في أغلب الأحيان ، اعتمد المؤلف في كتابه على عدة مصادر منها كتاب (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) للمقدسي ، وكتاب (اتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى) لالسيوطي ، وغيرها ، وقد تناول الكتاب الحياة العلمية في العهد الأيوبي الذي يعد الأساس في بناء المؤسسات العلمية في بلاد الشام ، حيث وصف الكثير من المدارس والمساجد والزوايا ، وغيرها من المراكز العلمية ، كما وذكر الكثير من أعيان القدس والشام من علماء وقضاة ، وخطباء ، مضمناً تلك التراجم أهم الأحداث والأخبار المتصلة بهم ، كما وذكر هذا الكتاب المهاجرين من العلماء وطلاب العلم ، وخاصة من المغرب والأندلس ، وبين مدى مساهمتهم في الحركة التعليمية .

بدائع الزهور في وقائع الدهور ، لأبي البركات الناصري محمد بن اياس الحنفي ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م ، تحدث فيه عن تاريخ مصر وقد تطرق فيه المؤلف إلى أخبار السلاطين المماليك في مصر خاصة في نهاية المماليك الجراكسة ، ومطلع العهد العثماني وذكر صفاتهم وأهم أعمالهم ، وكان كتابه على نظام الحوليات ، وتطرق فيه للأوضاع الدينية والسياسية وغيرها من المجالات .

نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، لمرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م) من المصادر المهمة التي تناولت التاريخ الإسلامي منذ بداية عهد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والخلفاء من بعده ، ثم الدولة الأموية ، والدولة العباسية ، والدولة الفاطمية ، والدولة الأيوبية ، ، ثم الدولة التركية ، والدولة القلاوونية الصالحية ، والدولة الجركسية وصولاً إلى الدولة العثمانية الرومية إلى وفاة السلطان أحمد بن محمد سنة ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م ، وهذا المؤلف عاصر البوريني ، وقد أفاد الدراسة في النواحي السياسية والإدارية ، وبعض المرافق التعليمية ، ويتميز المؤلف بكثرة مؤلفاته وعطائه الفكري .

كذلك أفادت الدراسة من مجموعة أخرى من المصادر الهامة لا مجال لاستعراضها بالتفصيل ، ونظراً لأهميتها ستم الإشارة إليها بشكل مختصر وسريع : فقد أفادت الدراسة من كتب التاريخ المختلفة ، حيث كان لها فضل يذكر في تزويدنا بمعلومات تاريخية مهمة ، ومنها **ذيل مرآة الزمان** لقطب الدين اليونيني^(١) ، وهذا الكتاب يبتدئ بحوادث عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وينتهي بحوادث عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م ، وهو مرتب على نظام السنين ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مصنفه ، قد

(١) اليونيني : قطب الدين ابو الفتح موسى بن أحمد (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م) ، **ذيل مرآة الزمان** ، ٤ج ، دبت ، ط ٢ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

عقد ترجمات عريضة لمجموعة من علماء بلاد الشام ، ويمتاز عن غيره بالإحاطة الشاملة للشخص المترجم له ، فيتحدث عن مولده وحياته وتنقلاته وأماكن عمله وأقوال العلماء عنه وآراؤهم فيه ، إضافة إلى إنتاجه العلمي وطلاب العلم الذين درسوا عليه ، الأمر الذي جعل منه مصدراً مهماً ، غني بكثير من الشخصيات العلمية التي استقرت في بلاد الشام وساهمت في حياتها العلمية .

السلوك في معرفة دول الملوك ، للمقريزي ، أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م ، له مؤلفات عديدة منها هذا الكتاب والذي يعد دقيق المعلومات ، وواضح العبارات ، إتصف بالشمول حيث أشار خلاله إلى الكثير من التغيرات في النظم الدينية والإدارية والاقتصادية والسياسية المملوكية ، وأعمال السلاطين ، والأمراء الدينية ، منها أنه زودنا بأخبار علاقة المماليك مع العلماء ، وتطور الحالة الدينية أثناء حكم السلاطين المماليك .

أفادت الدراسة أيضاً من كتاب **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م ، وتمثلت الإفادة من هذا الكتاب في التعرف إلى إنتاج العلماء الفكري من المصنفات والمؤلفات .

ومن كتب الطبقات أيضاً وأهمها كتاب **طبقات الشافعية** ، لتاج الدين السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م .

وأفادت الدراسة من كتب **الجغرافيا والرحلات** ، وأهمها، **معجم البلدان** لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، وفي هذا الكتاب وصف الحموي العديد من الجوانب المتعلقة بأوضاع بلاد الشام ، ووصف المدن وذكر الوضع الديني لبعض المدن الشامية مثل دمشق، وفلسطين ، والعوامل الدينية المؤثرة في الأماكن المقدسة والمقامات والمزارات الدينية ، وهذا يقدم دليل أن التعمق في تلك العناصر التي تعرض لها ياقوت الحموي تعكس مدى اهتمامه ببلاد الشام فهو قد قدم دلالات واضحة عن الأوضاع الدينية لبعض المدن الشامية في عهده من حيث وصفه للمؤسسات الدينية كالمساجد والربط والخانقاوات وغيرها ، وقد أفاد الدراسة كثيراً من خلال التعريف بالأماكن والبقاع التي تم ورودها في الدراسة ، وكتاب **معجم ما استعجم** ، للبكري الأندلسي ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م لنفس الغرض وهو التعرف والتعريف بالأماكن والبقاع ، و**زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك** ، لغرس الدين خليل بن شاهين ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م ، حيث اشتمل الكتاب على معلومات إدارية تتعلق ببنابات بلاد الشام ، وما فيها من تفصيلات إدارية . ومن كتب الرحلات المهمة **رحلة ابن جبير** الرحالة المغربي الشهير الذي زار الشام وفلسطين ووصف معالمها في رحلته المعروفة " **اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك** " ذكر ابن جبير في رحلته الكثير من الجوانب المتعلقة بأوضاع بلاد الشام التعليمية والدينية ، ووصف الجوامع والمدن ، وتطرق إلى دور المهاجرين المغاربة في المجتمع

الشامي . كما وتنهت الدراسة إلى ضرورة استخدام المعاجم في التعريف ببعض المصطلحات
بالقدر الذي يخدم طبيعة الدراسة .

الفصل الأول : بلاد الشام في أواخر أيام دولة المماليك الجراكسة ومطلع العهد العثماني

- ❖ أولاً : الإدارة وأهم مرافق بلاد الشام .
- ❖ ثانياً : الأحوال الاقتصادية .
- ❖ ثالثاً : الأحوال الاجتماعية .
- ❖ رابعاً : الأحوال السياسية .

الفصل الأول

بلاد الشام في أواخر أيام دولة المماليك الجراكسة ومطلع العهد العثماني

تتميز هذه الفترة بأهمية خاصة بالنسبة لبلاد الشام ، إذ شهدت سقوط دولة المماليك الثانية (الجراكسة) التي كانت تحكم مصر والحجاز إضافة إلى بلاد الشام ما بين سنة (٧٨٤هـ - ٩٢٢هـ / ١٢٥٠م - ١٥١٧م)^(١) وكان عدد سلاطين هذه الدولة (٢٢ سلطاناً وحكموا مدة ١٤٨ سنة)^(٢) ، كان أولهم السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤هـ - ٧٩١هـ / ١٣٨٢م - ١٣٨٩م) ، وآخرهم السلطان طومان باي (٩٢٢هـ - ٩٢٣هـ / ١٥١٦م / ١٥١٧م)^(٣) . لقد كانت بلاد الشام في تلك الفترة على ارتباط وثيق بمصر كونها مركز السلطنة . ولكي نفهم أوضاع بلاد الشام في هذه الفترة لا بد من تناول ما يأتي:

أولاً : الإدارة وأهم مرافق بلاد الشام .

ثانياً : الأحوال الاقتصادية .

ثالثاً : الأحوال الاجتماعية .

رابعاً : الأحوال السياسية .

أولاً . الإدارة وأهم مرافق بلاد الشام :

قسم المسلمون الأوائل بلاد الشام إلى خمسة أقسام^(٤) :

القسم الأول : فلسطين ومن مدنها ايليا (بيت المقدس) ، وعسقلان ، واللد ، و نابلس ، وحبرون أي

الخليل .."

القسم الثاني : جند الأردن ومدينتها الكبرى طبرية .

(١) الكرمي : مرعي بن يوسف (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م) ، نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، تحقيق أميرة دبابسة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعه النجاح ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٠٥ . وسيشار له لاحقاً الكرمي : نزهة . وللمزيد انظر ابن تغري بردي: جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (ج ١ ، - ج ٦) ، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دار الكتب ، مصر ، دبط ، ج ٧ ، ص ١٨٤ . وسيشار له لاحقاً ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، وابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن علي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، (ج ١ ، - ج ٨) دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٤م ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ . وسيشار له لاحقاً ابن العماد : شذرات الذهب .

(٢) الكرمي : نزهة ، ص ٢٣٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٤) البلاذري : ابي العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) : فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ١٦٥ - ٢٣٦ ، وسيشار له لاحقاً البلاذري فتوح ، وانظر كرد : محمد ، خطط الشام ، ج ٦ ، مكتبة الانوري - دمشق ، د . ط ، د . ن ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، وسيشار لاحقاً كرد : خطط .

القسم الثالث : جند دمشق .

القسم الرابع : جند حمص .

القسم الخامس : جند قنسرين ومدينتها الكبرى حلب .

أما دولة المماليك^(١)، وتسمى دولة المماليك الجراكسة البرجية^(٢)، فقد عملوا على تقسيم البلاد التي سيطروا عليها إلى قسمين اثنين جنوبي وشمالى ولكل من القسمين حاكم، أو والي، أو أمير الأمراء وهذا اللقب يعني هنا فقط (والي)، أو الكافل وهو لفظ مأخوذ من الكفالة، بمعنى الضمانة، أو أنه منحوت من الكفل، بمعنى المثل ولعله الصواب، فالكافل لقب أطلقه الأيوبيون ومن بعدهم المماليك على نائب السلطنة في العاصمة^(٣) ويقوم أمير الأمراء أو الكافل في دمشق في القسم الجنوبي ويسمى كافل الممالك الشامية، وهناك أمير للأمراء في حلب في القسم الشمالي يسمى كافل الممالك الحلبية^(٤)، وكان القسم الجنوبي (نيابة دمشق) من أقوى النيابات الستة التي كانت وهي

(١) هم الرقيق الأبيض غالباً الذين دأب الحكام المسلمين على احضارهم من اقطار مختلفه وتربيتهم تربية خاصة، تجعل منهم محاربين اشداء سيطروا على الحكم في بلاد الشام ومصر والحجاز قرابة ثلاث قرون ما بين (٦٤٨ هـ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠م - ١٥١٧م) للمزيد انظر العسقلاني : شافع بن علي الكاتب المصري (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م) **الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٨م، ص ٢٥ و ٢٦، وسيشار له لاحقاً العسقلاني : **الفضل المأثور**. وانظر المنصوري : **بيبرس الدوادار** (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥م)، **ألتحفة الملوكية في الدولة التركية** (تاريخ المماليك البحرية في الفترة ٦٤٨ هـ - ٧١١ هـ، نشره و قدم له ووضع فهرسه عبد الحميد صالح حمدان ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٢٥ وسيشار له لاحقاً المنصوري : **التحفة الملوكية**. اما لغة جمع مملوك وهو الرقيق الذي يباع ويشترى ومملوك اسم مفعول من الفعل ملك واسم الفاعل مالك والمملوك هو عبد ماله وسموا رقيقاً يرقوا لمالكهم ويذلون ويخضعون، للمزيد انظر ابن منظور : **محمد بن مكرم** (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م)، **لسان العرب**، ج١٥، ط١، دار صادر، بيروت، ج١، ص ١٢٤. وسيشار له لاحقاً ابن منظور : **لسان العرب**.

(٢) أصلهم من بلاد الكرج (جورجيا)، وهي البلاد الواقعة بين البحر الاسود وبحر قزوين، سموا البرجية لان المنصور قلاوون فرض عليهم أن يمتثلوا بأبراج القلعة حتى لا يختلطوا بغيرهم من طوائف المماليك والأهالي ودمرور الزمن سمح لهم الأشرف خليل الانزول من القلعة ويعودوا إليها قبل المغرب للمبيت، انظر المكي العاصمي : **عبد الملك بن حسين بن عبد الله الشافعي** (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩م) **سمط النجوم العوالي**، تحقيق، عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م. ج٣، ص ٥٣٣. وسيشار له لاحقاً العاصمي : **سمط النجوم**، وانظر الأشقر: **محمد عبد الغني أتابك العسكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة** (٧٨٤ هـ - ٩٢٣ هـ / ١٣٨٢م - ١٥١٧م). مكتبة مدبولي، مصر ٢٠٠٣م، ص ٢١. وسيشار له لاحقاً الأشقر : **أتابك العسكر**.

(٣) الخطيب : **مصطفى عبد الكريم**، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٤٣، ٣٦٠، وسيشار له لاحقاً الخطيب : **معجم**، وأبو الشعر : **هند غسان**، **مجتمع دمشق**، أو آخر أيام الدولة المملوكية من خلال المذكرات المعروفة **بالتعليق**، (يوميات ابن طوق) شهاب الدين أحمد بن طوق ٨٨٥ هـ - ٩٠٨ هـ / ١٤٨٠م - ١٥٠٢م المعروفة بـ (التعليق)، مصدرأ، ط١، ٢٠١٢م، نشر جامعة آل البيت (ع) ط١، ٢٠١٢م، ص ٣٤، وسيشار له لاحقاً أبو الشعر : **مجتمع دمشق**.

(٤) للمزيد انظر العمري : **أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي شهاب الدين ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م** : التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط١، ١٩٨٨م ص ٢٣٢ - ٢٣٧ وسيشار له لاحقاً العمري : **التعريف**، والقلقشندي : **أبي العباس أحمد القلقشندي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م**، صبح الأعشى في صناعة الأنثى ج١٤، دار الكتب السلطانية القاهرة ١٩١٨م د ط، ج٢، ص ٤٢٨، وسيشار له القلقشندي : **صبح الأعشى**، وكرد : **خط الشام** ج٢، ص ٢٢٧.

(دمشق ، حلب ، حماة ، طرابلس ، صدد ، الكرك) (١) ، وكان لدمشق أربع صفقات غربية (الساخلية ، والقبلية ، والشمالية ، والشرقية) ، ففي الأولى عشرة نيابات وخمس ولايات . فأما النيابات فمنها غزة والقدس ، والولايات فمنها ولاية الرملة ، واللد ، وقاقون ، وبلدا الخليل ، ونابلس . وأما القبلية وهي الصفقة الثانية ففيها نيابات وثمانية ولايات ، والنيابات منها نيابة قلعة صرخد ، ونيابة عجلون ، وأما الولايات ، فالأولى ولاية بيسان وولاية باندياس ، وقلعة الصبيبية ، والشعراء ، وإذرعان ، وحسبان ، والصلت ، وبصرى (٢) ، أما الصفقة الشمالية ، ففيها نيابة واحدة هي بعلبك وثلاثة ولايات (البقاع البعلبكي ، وولاية بيروت ، وولاية صيدا) (٣) .

أهم مرافق بلاد الشام :

يرتبط بالجوانب الإدارية لبلاد الشام أهمية مرافقها وتطورها وخاصة الدينية ، والتعليمية ، والتجارية من أسواق وقيساريات وخانات ، فهي استمرار لما كان في الفترة الأيوبية وقد طورها وزاد عليها المماليك ثم العثمانيين ، فقد شهدت بلاد الشام في العهد الأيوبي نشاطاً ملحوظاً في الحياة الدينية ، والحركة العلمية والفكرية (٤) ، وقد أشار الرحالة ابن جبير إلى تلك الإسهامات الدينية من خلال وصفه الأوقاف الخاصة للمؤسسات الدينية والتعليمية في بلاد الشام (٥) . وقد حرص منشئوا هذه المراكز التعليمية على توفير مصدر دخل ثابت لتأمين مصاريفها من خلال الأوقاف (٦) .

وانتشرت في مدن وأحياء بلاد الشام الأسواق والمساجد الكبرى والحمامات العامة الرئيسية والأنشطة التجارية والحرفية ، وانتشرت في كل حارة أزقة شيدت عليها أبنية شعبية تفتقر إلى أبسط الشروط الصحية ، انطلقت جميعها من شارع الحارة الرئيسي المعروف (بالسويقة) الذي يحوي

(١) العمري : التعريف ص ٢٣٢-٢٣٧ ، الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ، ص ٢٤٠-٢٤١ ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، ص ١٧٦ ، ٢٠٠-٢٠١ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٣٤ .

(٢) العمري : التعريف ص ٢٣٢-٢٣٧ ، والفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٥٢-٢٥٣ ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ، ٢١٢ ، وكرد : خطط الشام ، ج ٢ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٣٤-٣٥ ، وحتى : فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق دار الثقافة بيروت ط ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ وسيشار له لاحقاً حتى : تاريخ .

(٣) الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ، وكرد : خطط الشام ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٤) الاصفهاني : عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) : **الفتح القسي في الفتح القدي** . تحقيق محمد محمود دبط ، القاهرة ١٩٦٥ م . ص ١٣٧ و١٣٨ ، وسيشار لاحقاً له الاصفهاني : **الفتح القسي** ، وانظر أبو شامة : شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن ابن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) ، **الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، ٥ ج ، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين ، دبط دار الكتب العلمية . بيروت لبنان ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، وما تلاها . وسيشار له لاحقاً أبو شامة : **الروضتين** .

(٥) للمزيد انظر ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الاندلسي (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، **رحلة ابن جبير** . دار صادر ، بيروت ، ص ٢٣٤ وما تلاها ، وسيشار له لاحقاً ابن جبير : **رحلة** .

(٦) الاسيكي : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، ١٠ ج . تحقيق محمود محمد الطناحي ، و عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ١ ، هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢ . ج ٤ ، ص ٢٢٢ . وسيشار له السبكي : **طبقات** .

الحمام العام ، والفرن، والمسجد، والحوانيت التجارية والحرفية^(١) ، كما وانتشرت الشوارع الرئيسية التي كانت بشكل عام شوارع ضيقة منذ نشأتها ولم تتطور، خصص وسطها للفرسان وأطرافها للمشاة، وفيها أدياء متلاصقة انتشرت فيها المحلات^(٢). لقد شكل الحي وحدة إدارية مستقلة على مستويين حكومي ومحلي ، فمن حيث التصميم الهندسي، بعضها ترتفع جدرانها إلى أكثر من طبقة والبعض الآخر يشبه الأكواخ إن لم يكن عبارة عن مجموعة من الأكواخ المظلمة يتسرب إليها الهواء عبر الأزقة وممرات منخفضة معتمة^(٣) ، وتمركزت أدياء دمشق على شارع رئيسي مستقيم في وسطها يربط بين بابي : الشرقي شرقاً والجابية غرباً ، ومنه تفرعت شوارع أخرى رئيسية مستقيمة ينتهي كل واحد منها بباب وهي " الصغير ، كيسان، الشرقي ، توما ، السلامة ، الفراديس ، أفرج ، الجديد ، أجناز ، ألبابية"^(٤) ، وعلى الصعيد الإداري المحلي، فقد ترأس الحي شيخ يعينه نائب السلطان المملوكي في نيابة دمشق من أجل حسن سير الأعمال المنوطة بالحي كحفظ النظام ، وتمثيل الحي في المناسبات العامة التي تقتضيها الدواعي السياسية والاجتماعية في المدينة ، ومساعدة الشرطة في تنفيذ مهامها، أو تولي هذه المهام بنفسه، كجمع الضرائب القانونية وغير القانونية مثل " الرمي أو الطرح " ، وهو أن ترمى على حارة معينة مبالغ من المال لصالح السلطان أو نائب دمشق ، أو لاقتراف أحد أبناء الحي جرماً أو جريمة أو اتهامه بإحدهما، وذلك بعدما تمكن الحكام المماليك من انتزاع فتاوى شرعية بشأن الرمي والطرح وما شابههما^(٥) لأن الأحياء قد انتظمت في مناطق منعزلة ومنطوية على ذاتها لا يتمكن الغرباء من الدخول إليها، ولا سيما أنها كانت متداخلة فيما بينها في حياتها العادية ، كما أنها تتأزر إبان الاضطرابات العسكرية وتدافع جميعها بعضها عن البعض الآخر، إذا تعرض أحدهما لأي اعتداء خارجي ، وكل حيان غلق على نفسه فقط اجتماعياً وسكانياً إبان الاضطرابات العسكرية والفتن الداخلية ، وشهدت دمشق المملوكية تطوراً ملحوظاً على هذه المستويات . فعلى صعيد الأبنية

(١) لايبديوس : إيرامرفين ، مدن الشام في عصر المماليك ، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ١٩٨٥م ص ٨١ ، وسيشار له لاحقاً لايبديوس مدن الشام ، وانظر عزب : خالد ، الأدياء السكنية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٢٧، ص ٨٦-٩١. وسيشار له لاحقاً عزب : الأحياء السكنية .

(٢) لايبديوس : مدن الشام، ص ٨١- ٨٤

(٣) نصار : أندريه طانيوس ، العامة بدمشق المملوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب الفرع الثاني - الفنار ص ٢٢ . وسيشار له لاحقاً نصار : العامة.

(٤) ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الصالحي (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦م) الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية، مطبعة الترقى، دمشق، ص ١٧ . وسيشار له لاحقاً ابن طولون : الشمعة المضية، وأكرم حسن العلي ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ص ٤٩-٥٠. وسيشار له لاحقاً العلي : دمشق.

(٥) للمزيد انظر ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ٢٢٧، ٢٤٩، ٣٠٩، ٣٦٣، ٣٦٦ ، وسيشار له لاحقاً ابن طولون : مفاكهة، ولايبديوس : مدن الشام ص ١٥٢ .

الحكومية ، تم بأمر من السلطان بيبرس بناء القصر الأبلق غربي المدينة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٠م^(١) وشيد نائب دمشق عز الدين ايدمر المدرسة الظاهرية بالقرب من الجامع الأموي بناء على رغبة السلطان السعيد بركة خان وفق ما ذكره المقرئزي^(٢) كما شيّد نائبها تذكر سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩م مدرسة خارج سور المدينة لتعليم الحديث النبوي الشريف^(٣) وانتشرت أسماء جهات عديدة شيّدت المباني وأوقفت عليه الأوقاف ، مما يدل على ازدياد عدد السكان من خلال انتشار الأبنية الخاصة والحكومية خارج أسوار المدينة وفي داخلها ، ويوضح هذه الأمور تطور دمشق المملوكية سكانياً وعمرانياً بشكل ملحوظ ، إذ زادت حاجات الناس للسلع المختلفة ، مما أدى إلى اتساع الأسواق وما عادت قادرة على استيعاب الطلب فنشأت أسواق خارج المدينة كسوق الخيل ، وتبعه أصحاب بعض حوانيت الخضار والمواد الأساسية^(٤) إن هذا التطور الواضح لم يرافق دمشق المملوكية عبر كل تاريخها فقد تعرضت لأزمات متعددة أحياناً متسارعة وأحياناً أخرى متباينة ، نتيجة التكوين الاجتماعي من جهة ، أو بسبب اعتداء خارجي من جهة ثانية^(٥) . وتدلنا العمارة الأيوبية والمملوكية خاصة الدينية على مدى الأهتمام بالنواحي الدينية والتعليمية في بلاد الشام ، وبقي كثير منها يؤدي دوره التعليمي حتى نهاية الفترة المملوكية^(٦) ، إذ كانت المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات الدينية ، مراكز رفيعة المستوى للعلم والتدريس ، وكان الفقهاء والعلماء وليس رجال السلطة والأمراء هم القيمون على المؤسسات التعليمية^(٧) ، وكان تمويل هذه المؤسسات يعتمد في الأساس على ما تدره الأوقاف ، لكي يضمن الممالك دخلاً ثابتاً للمؤسسات التي يندشونها ، فكان يوقف عليها أوقافاً تكفي للإنفاق على المدرسين والطلبة^(٨) ، وقد ذكر ابن خلدون أن الأوقاف كثرت على المدارس والزوايا والرباطات في دولة المماليك^(٩) ، وتوسعت تلك الأوقاف حتى أن النعمي يصفها بأنها لا يمكن حصرها لكثرتها بقوله في إحدى المدارس : "..... لا يمكن حصره ومن جملته : العشر من البقاع (جزء من لبنان اليوم)" ، من القمح ستون غراره ومن الدراهم خمسة آلاف للاغنم

(١) ابن طولون، مفاكهة، ص ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٦٧، ٢٨٧، ٣٦٣، ٣٦٦ و ٣٧٧ ، انظر أيضا ابن طولون، أعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤، ص ٨٩ ، وسيشار له لاحقاً ابن طولون : أعلام الوري .

(٢) المقرئزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٣٦-١٩٥٦م، ج ١، القسم الثاني، ص ١٦٢ .

(٣) نصار : العامة بدمشق ص ٩ ، ١٠ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٠ ، ونصار : العامة بدمشق ص ١٠ ، ١١ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٢، ١ ، ص ٢٣٩ وما تلاها .

(٦) اليونيني : ذيل ، ج ١، ص ٧١ .

(٧) الحجي : حياة ناصر ، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك ، ط ١ ، دار للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٢ ، ص ١٣٥ . وسيشار له لاحقاً الحجي : صور .

(٨) للمزيد انظر النعمي : الدارس ، ج ١، ص ١٥ .

(٩) وللمزيد انظر ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) ، مقدمة ابن خلدون ج ١ ، ط ٥ ، نشر دار القلم بيروت لبنان، ١٩٨٤م ، ص ٧٧٨ و ٧٧٩ ، وسيشار له لاحقاً ابن خلدون : مقدمة .

في شهر رمضان ، ومما رأيناه وسمعنا به من مصالحتها الخبز لكل واحد من المنزلين فيها رغيان ، وللشيخ الذي يقرأ القرآن أو يدرس ثلاثة أرغفة ، وهو مستمر طول السنة والقمصان في كل سنة لكل طالب ومدرس قميص ، والسراويل لكل واحد سروال ، ويُطعمون اللحم وينوع لهم يوم الجمعة العدس وزبيب ويفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر من القرآن ، ويوزع عليهم الصابون ، ووعاء يسخن فيها الماء في الشتاء لغسل من احتلم ، ويوزع عليهم كعك بعسل في ليلة العشرين من رمضان وكنافة ليلة العشر الأول من رمضان ويعطون قنديل يشعل طول الليل في المقصورة للمدرسة ، وأضحية في عيد الأضحى ، وطعام في عيد الفطر ولحم وهريسة ورز وحلو^(١) ، ولم تكن الأوقاف على هذا النحو فمنها أوقاف أبضية ومزارع وقرى وبساتين ، إذ وقف على أحد دور الحديث ضياع وقرى وبساتين ومصالح كثيرة^(٢) واشتمل وقف أحد المساجد : " مصالح المسجد والمئذنة والتربة وعمارته وفرشه وتنويره وعلى الإمام والمؤذن والقيم به مال جزيل"^(٣) ، وحتى في مجال تأليف الكتب فهناك أوقاف خاصة على التأليف ويُعطى منه كل من ألف كتاباً على مذهب الإمام أحمد^(٤) : وأهم هذه المؤسسات :

الكتاتيب (مكاتب السبيل): انتشرت في معظم بلاد الشام في العهد المملوكي واختصت بالأيتام وألحقت بالمساجد أحياناً^(٥) ، وشرط في المعلم شروط منها حفظه للقرآن وحسن الخلق ، وقد احتوت الكثير من الجوامع على مثل تلك المكاتب^(٦) ، وتسمى الكتاب أو المدرسة ولم تكن هناك مكاتب خاصة يتلقى فيها التلاميذ العلوم الدينية بانتظام ، إذ لم تنشأ المدرسة قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وكانت أول مدرسة تحمل ذلك المعنى هي المدرسة البيهقية في نيسابور^(٧) ، والمدرستان اللتان أسسهما الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي وزير السلطان ملكشاه ، وهي نظامية بغداد ، ونظامية نيسابور^(٨) ، وكان هدف هذه الكتاتيب ينحصر في المقام الأول في تربية الأطفال على الفضائل وتعليمهم قراءة القرآن وحفظه إضافة إلى مبادئ القراءة والكتابة والخط والإملاء وبعض الشعر وأصول الحساب ، وكانت الكتاتيب تؤهل الأطفال لدخولهم المدارس^(٩) ، وعرفت الكتاتيب في المصادر الإسلامية بالمكتب ، وأكثر من كان يلتحق به كانوا من الأيتام ،

(١) النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٨٧ .

(٢) النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٤٠٤ ، ٢٧١ ، ٢٢٦ ، وابن طولون : مفاكهة ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) النعيمي : الدارس ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٦) الحجى : حياة ناصر ، صور من الحضارة ، ص ١٨٨ وما تلاها .

(٧) حسن : إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤ ج ، ط ١ ، ج ٤ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٩٦م ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، وسيشار له لاحقاً حسن : تاريخ الإسلام .

(٨) الطوسي : حسين الملقب بنظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) ، سير الملوك او سياست نامه ، ترجمه عن الفارسية يوسف بكار ، نشر وزارة الثقافة - عمان - الاردن ، ص ٢١ وما تلاها .

(٩) النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٨ ، ١٢ ، ١٦٩ ، والحجى : صور من الحضارة ١٨٧ - ١٩٠ .

وكان يوقف عليهم الأوقاف الغزيرة في سبيل استمراره في أداء مهمته الدينية والتعليمية على أتم وجه^(١) وذكر النعيمي الكثير من تلك المكاتب (الكتاتيب)^(٢).

الجوامع: حظيت الجوامع باهتمام كبير من قبل السلاطين والأمراء ، فهي إضافة إلى مهمتها الدينية فلها أهمية خاصة من النواحي التعليمية للوعظ ، ودراسة القرآن والحديث ، والفقه ، واللغة والأدب وعلوم التفسير ، وغيرها من العلوم^(٣) ، ومنها المسجد الأقصى ، ومسجد قبة الصخرة^(٤) . أما عن مساجد دمشق التي كانت من أهم حواضر بلاد الشام ، فقد أورد ابن طوق أسماء الكثير منها^(٥) ، ويأتي الجامع الأموي على رأسها لأهميته الدينية والتعليمية^(٦) ، واشتمل الجامع الأموي في العهد المملوكي على تسعة أئمة يُصلون فيه الصلوات الخمس : الخطيب وإمام في مقصورة الحنفية ، وإمام في مقصورة الحنابلة ، وإمام في الكلاسة ، وإمام في مشهد زين العابدين علي (رضي الله عنه) ، وإمام في مشهد أبي بكر (رضي الله عنه) ، وإمام في مقصورة الكندي ، وفيه لإقراء القرآن في ذلك العهد الكثير لا يمكن حصرهم^(٧) ، وذكر النعيمي المساجد الموجودة في بلاد الشام وكانت كثيرة ، ففي دمشق وحدها أكثر من سبعمائة مسجد ، منها مسجد المؤيدية الذي بناه الملك المؤيد سنة ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م تحت القطعة بالمؤيدية وهي نفس السنة التي شرع في بناء المدرسة المؤيدية (بالقاهرة المعزية) ^(٨) ، إضافة إلى مساجد أخرى في بلاد الشام ومنها الجامع الذي أنشأه الأمير مكي بن حيوط قبلي قبر عاتكة على الجانب الغربي والشمال من مصلى العبيدين ، ويصف ابن طولون ذلك الجامع بقوله : " ... وهو جامع حسن نزه أخذه من بيته وجعله جامعاً

(١) النعيمي : الدارس، ج ١، ص ٨، ١٢، ١٦٩ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٨، ١٢، ١٦٩ .

(٣) للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج ٢، ص ٢٨٥ وما تلاها ، وللمزيد انظر ابن خلدون : مقدمة ، ص ٢١٩ و ٢٢٠ . وانظر حسن : تاريخ الإسلام ، ج ٤، ص ٣٩٩ إلى ٤٠١ ، ٤٢١ وما تلاها .

(٤) للمزيد انظر العليمي : مجير الدين (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ج ٢ ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد ، مكتبة دنيس عمان د ط ١٩٩٩ م ، ج ٢، ص ٨٩ وسيشار له لاحقاً العليمي : الانس الجليل ، وانظر الفراني : عبد الحميد جمال ، الحياة العلمية في القدس من خلال كتاب الانس الجليل للعليمي ، بحث مقدم الى وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، مسابقه القدس الثقافية الاولى ٢٠١١ م ، ص ١- ٤٩ وسيشار له لاحقاً الفراني : الحياة العلمية .

(٥) ابن طوق : شهاب الدين أحمد بن طوق ت ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م ، يوميات شهاب الدين أحمد ابن طوق ٨٣٤ هـ - ٩١٥ هـ / ١٤٣٠ م - ١٥٠٩ م ، التعليق ، مذكرات كتبت بدمشق في أواخر العهد المملوكي ٨٨٥ هـ - ٩٠٨ هـ / ١٤٨٠ م - ١٥٠٢ م ، ج ٤ ، تحقيق الشيخ جعفر المهاجر ، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ج ١، ص ٢٥ ، ٦١ ، ٤٩٠ ، ١٠ ، ١٠٥ ، ١٣٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ١٠٦ ، ١٤٢ ، ٣٦٨ ، ٤٣٢ ، ١٧٦ ، ج ٣، ص ١٥١٣ ، ج ٤، ص ١٩٠٦ وسيشار له لاحقاً ابن طوق : التعليق ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٣٨-٣٩ .

(٦) النعيمي : الدارس، ج ٢، ص ٢٨٥ وما تلاها . وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٦ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٥ .

(٨) النعيمي : الدارس، ج ٢، ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

ووقف عليه جهات عديدة...^(١) ، كما واشتهرت حلب وبعظبك بالمساجد ومنها مسجد الحنابلة^(٢) ، ومما لا شك فيه إنها ساهمت في المحافظة على التراث الإسلامي والثقافة الدينية وشاركت في إحياء الحركة الفكرية من خلال مواظب ودروس العلماء والفقهاء ، وإقامة حلقات العلم ، ومن المساجد الأخرى المهمة مسجد الرملة في فلسطين حيث يصف المقدسي هذا المسجد بقوله : " ... ليس في الإسلام أبهى من جامعها ، أبهى وأرشق من جامع دمشق (الأموي) ، يسمى المسجد الأبيض ، ليس في الإسلام أكبر من محرابه ، ولا بعد مذبر بيت المقدس أحسن من مذبره ، وله منارة بهية .."^(٣) ، وقد جدده المماليك مرات عديدة إضافة إلى وجود مساجد أخرى في الرملة إلا أن هذا المسجد كان أهمها ، وكانت الأموال تصرف عليها على أتم وجه^(٤) .

المدارس : لعبت المدارس دوراً مهماً إلى جانب المساجد في بلاد الشام وتنافس السلطين والأمرء على إنشائها منها مدارس في دمشق^(٥) وفي كافة أنحاء بلاد الشام وهناك مدارس للمذهبين المالكي والحنبلي^(٦) والشافعي والحنفي^(٧) . وكانت المدارس لا تخلو من وجود خزائن تحوي مختلف الكتب في شتى صنوف المعرفة حتى في الطب^(٨) ، ولا يخفى على أحد عظم مسؤولية المدارس ودورها الكبير في نشر العلوم ، فقد سهلت لعدد من الطلبة الحصول على المعرفة خلال العهد المملوكي . وإلى جانب ذلك الدور التعليمي فإنها أيضاً أقيمت فيها الشعائر الدينية ، واتخذت كمساجد تقام فيها الصلوات المفروضة ، وصلاة الجمعة والعيد ، ولذلك كان دورها أقرب ما تكون إلى دور المسجد ، إلا أنها تميزت عن المساجد بوجود مساكن للطلبة والمدرسون خاصة الغرباء ، وجرت العادة أن يكون بها مدفن واقفها^(٩) ، ذلك أن كثير من الواقفين حرصوا على أن يدفنوا بعد موتهم في مدارسهم التي بنوها لكي يحفظوا بثواب قراءة القرآن والترحم عليهم من الطلبة

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٠ ، ٢١ ، وللمزيد أنظر المقدسي : ابو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، قدم له محمد مخزوم، بيروت دار احياء التراث ١٩٨٧م ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، وسيشار له لاحقاً المقدسي : احسن التقاسيم .

(٢) للمزيد انظر ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ٤٤٨ م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٦ ، تحقيق محمد عبد المعيد ، نشر مجلس دائرة المعارف الهند ، ط ٢ ١٩٧٢ م ، ج ١ ، ص ١٢٤ وسيشار له ابن حجر : الدرر ، وانظر الصفدي : صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ / ١٠٧١ م) ، الوافي بالوفيات ، ج ٢٩ ، تحقيق أحمد الارنؤوط ، وتركي مصطفى ، ط ١ ، دار احياء التراث بيروت ٢٠٠٠ م ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، وسيشار له لاحقاً الصفدي : الوافي ، وانظر العلي : اكرم حسن : خطط دمشق ، ط ١ ، دار الطباع دمشق ١٩٨٩ م ، ص ٣٢٣ وسيشار له العلي : خطط .

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤) العليمي : الانس الجليل ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢١ ، و ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٣٩ - ٤١ .

(٦) للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج ٢ ، ص ٣ - ص ٩٤ ، وانظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، ج ٨ ، ص ١٩١ .

(٧) النعيمي : الدارس، ج ١ ، ص ٩٦ - ص ٤٩٩ . وانظر عبد المهدي : عبد الجليل حسن ، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ج ٢ ، ط ١ ، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨١ م ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٨) للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٩) العليمي : الانس الجليل ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

والصوفية ، حيث كان ذلك ينص عليه في شروط الواقف^(١) ، كانت بعض المدارس مختصة بتدريس علم بذاته (كدار الحديث) التي انتشرت في أرجاء بلاد الشام ، تخصصت في تدريس علم الحديث ، فكان بمنطقة الصالحية بدمشق عدد ضخم من المدارس التي أنشئت في العصرين الزنكي والأيوبي^(٢) ، واستمرت في أداء دورها في الجهود التالية ، إضافة إلى مدارس مختصة بعلم القرآن^(٣) ، كما ومثلت المدارس مختلف المذاهب فقد ذكر النعيمي العديد منها مدارس للأحناف ، ومدارس للشافعية ، ومدارس للحنابلة ، ومدارس للمالكية^(٤) .

الخانقاوات : مفردها خانقاه ، وهي كلمة فارسية تعني محلاً للتعبد والزهد والبعد عن الناس ، ودخلت هذه الكلمة إلى العربية منذ انتشار التصوف ، وهي تشبه الدير عند النصارى^(٥) ، وكانت مؤلفة من عدة أقسام وأجنحة بعضها للعبادة والآخر للطعام والنوم ، وقد حُبست لأجلها الأوقاف الكثيرة من بساتين ومحلات تجارية لخدمة وتعليم المقيمين فيها^(٦) وكانت تعقد فيها الدروس الفقهية والعربية ، والتصوف ، والحديث ، ويعود الفضل في إنشائها إلى صلاح الدين الأيوبي^(٧) وتوزعت على كافة أنحاء بلاد الشام^(٨) .

الزوايا والمقابر والتراب:

الزوايا : الزاوية كلمة تطلق على كل مسجدٍ صغيرٍ فيه أحد الرجال المشهورين بالتقوى والصلاح والعبادة ، يقوم على الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه ولا يوجد فيه مذبح ولا ماذنه وقد يحتوي على محراب^(٩) وقد تكون في ناحية من نواحي المساجد الكبرى^(١٠) وانتشرت في أغلب مدن بلاد الشام كدمشق^(١١) ، وحلب ، والقدس ، والخليل ، ونابلس^(١٢) .

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٢) النعيمي : الدارس ٣٦ - ٨٥ .

(٣) نفس المصدر، ص١، ٧-١٣ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٩٦-٣٥٨ ، ٣٦٢ - ٤٩٩ ، ج٢، ص ٣-٨ ، ٢٣-٩٤ .

(٥) دهمان : محمد أحمد، معجم، الألفاظ التاريخية، دار الفكر دمشق ط١، ١٩٩٠م، ص ٦٦ . وسيشار له لاحقاً دهمان : معجم، .

(٦) الخطيب : معجم،، ص ١٥٧ .

(٧) للمزيد انظر الحجي : صور من الحضارة ص١٦٠، وإبراهيم : عبد المجيد إبراهيم، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي، رسالة دكتوراه غير منشورة معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، اتحاد المؤرخين بـغداد سنة ٢٠٠٠ ، ص ٧٤ .

(٨) للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج٢، ص ١٠٩ - ١٤٨ . وابن طولون : مفاكهة، ص ٤٣ .

(٩) دهمان : معجم،، ص ٨٥ .

(١٠) حسن : تاريخ الإسلام ص ٤٠١ و٤٠٢ .

(١١) ابن طوق : التعليق، ج١، ٤٨٣، ٤٨٨، ١٧٥، ١٩٩، ٤٤، ٨٢، ١٠٩، ٧٣، و ابو الشعر : مجتمع دمشق،، ص ٥٣-٥٥ .

(١٢) النعيمي : الدارس، ج٢، ص ١٥٣ إلى ١٧٣ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٨ و ص ١٢ .

أما المقابر والتراب : فهي مكان مخصص لدفن الموتى ، وهي كثيرة أيضاً وهناك مقابر متخصصة لفئة معينة من الناس مثلاً مقبرة للصوفية^(١) ، ومقابر أخرى للمسلمين كثيرة منها في دمشق مثل مقبرة الفراديس^(٢) ، وغيرها من المقابر^(٣) ، وأما التراب فمكان لدفن الموتى أيضاً إلا أنه مدفون خاص يعلوه طربال (القبة العظيمة)^(٤) ، وقد انتشرت هي الأخرى في أنحاء بلاد الشام مثل دمشق والقدس لارتباطها ببعض المظاهر مثل الصوفية والفقراء والمدارس ، وقد سجل ابن طوق الكثير منها في دمشق^(٥) وتبين المصادر العدد الكبير منها في بلاد الشام في العهد المملوكي^(٦)

الحمامات : إن كثرة حمامات بلاد الشام وخاصة مدينة دمشق تشير إلى كبر حجم تلك المدينة^(٧) ، وقد ارتبط بتلك الحمامات الأنهر والقنوات التي كانت تمر بدمشق مثل نهر بردى ، ونهر المنشية ، ونهر داعية ، ونهر عقربا وغيرها^(٨) ، وكانت بعض النساء يعملن في تلك الحمامات ، وقد اهتم بعض المماليك بشراء وامتلاك الحمامات ومنهم الأمير قرقماس الذي قام بشراء حمام الزنجيلي وتجديده لاستثماره^(٩) وكانت بعض الحمامات وفقاً كحمام بين النهرين^(١٠) .

الأبواب (أبواب دمشق) : تمثل مدينة دمشق تراكماً حضارياً كبيراً ، فقد تمركزت أحياء دمشق على شارع رئيسي مستقيم في وسطها يربط بين بابي : الشرقي شرقاً ، والجابية غرباً ، ومنه تفرعت شوارع أخرى رئيسية مستقيمة ينتهي كل واحد منها بباب ، وقد سجل ابن طوق أسماء العديد من تلك الأبواب التي تشير إلى سعة وكبر المدينة ، ويمكن حصر أهم تلك الأبواب التي ذكرها (كيسان ، الفرع ، الفراديس ، البريد ، الجابية ، باب شرقي ، جيرون ، المزابل ، الحلبية ، حمام القاضي ، العذار ، الأصغير ، الحنبلي ، سريجة ، بيسان ، البصل ، وباب مشهد الزيالغ) ، وكان هناك بوابات خاصة ، إضافة إلى هذه الأبواب مثل بوابة تاج الدين أو البوابة التاجية ، وكان

(١) نفس المصدر، ج١، ص٨١ ، وأبو الشعر : مجتمع دمشق،، ص ٥٤ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة، ص ٩ ، وأبو الشعر : مجتمع دمشق،، ص ٥٤ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة، ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) دهمان : معجم، ص ٤٤ .

(٥) ابن طوق : التعليق، ج١، ص٤٥ ، ٩٣ ، ١٦٦ ، ٤٢٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ج٣، ص١١٤ ، ج٤، ص١٧٨١ ، ١٥٥٣ ، ١٦٢٢ وأبو الشعر : مجتمع دمشق،، ص ٥٣ - ٥٥ .

(٦) انظر النعيمي : الدارس، ج٢، ص ١٧٥ - ٢٣١ ، وابن طولون : مفاكهة، ص ٥٠ ، ٨٢ .

(٧) انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٩٥ ، وأبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٣٧-٣٨ .

(٨) ابن طوق : التعليق، ج١، ص١١٦ ، ٤١ ، ١٦٠ ، ٧١ ، ١٧٧ ، ١٣٤ ، ١٢٩ ، ج٤، ص ١٧٧٠ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق،، ص ٥١ .

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٣٨ ، ٣٥٢ ، ٥٥٠ ، ٥٢٨ ، ٣٢٢ ، ١١٤ ، ج٢، ص ٨٣٧ ، ج٤، ص ١٥٩٨ ، ١٦٦٩ ، ١٨٨٩ ، ١٦٦٢ ، ١٧٩٠ ، وانظر نفس المرجع، ص ٥٠ .

(١٠) ابن طولون : مفاكهة، ص ١١ .

خارج هذه البوابات مناطق واسعة وأسواق تقام خارج تلك الأبواب ، واتسعت المهن كالحدادين والخطارين ، وكانت هذه الأبواب تغلق في حالة حصول مشاكل محلية خاصة بين الحارات ، مثلاً باب توما الذي تم غلقه لمنع دخول جماعة الباب الشرقي حين حصل بين الحارتين قتال^(١) .

الأسواق والقيساريات والخانات :

لقد ازدهرت بلاد الشام بالأسواق التجارية وانتشرت في عمومها^(٢) ، وكانت كل فئة من التجار في قسم من أقسام هذه الأسواق^(٣) وقد شهدت الأسواق نمواً سريعاً مع التغيرات والتحويلات السياسية^(٤) ، وزادت الأسواق وما يتعلق بها من فعاليات وكانت هناك أسواق مؤقتة^(٥) ، وأسواق صغيرة أو (سويقات) ، وتنوعت فهناك أسواق متخصصة في سلعة محددة كسوق الذهبين أو سوق الصاغة ، وسوق الحديد ، والطيب ، وسوق الحرير ، وسوق الوراقين، وسوق الكتبيين الذي تباع فيه الكتب ، وسوق السكرين ، وسوق الصابونيين^(٦)، وسوق العنبرانيين عند باب الجامع الأموي ، وسوق الكوافين الذي يصنع فيه (القبعات والعمائم) ويقع عند باب البريد ، وغيرها كثير^(٧)، كما شهدت ارتفاعاً في الأسعار واحتكاراً للمواد الأساسية^(٨) ويرتبط بتلك الأسواق ، القيساريات^(٩) ، والخانات^(١٠) أو الوكالات^(١١) التي كان لها دور في الأعمال التجارية وألحق بها بعض الزوايا خاصة للفقراء والغرباء والرحالة الذين يؤون إليها حيث شهدت مختلف الفعاليات التجارية من بيع وشراء وعلاقات بين التجار من مختلف الأقطار^(١٢) .

-
- (١) ابن طوق : التعليق، ج١، ص١٩٣، ج٤ ص١٥٤٥، ١٥٥١، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٣٧ ، ٣٨ ، والعلبي : دمشق، ص ٤٩ ، ٥٠ .
- (٢) ابن العماد : شذرات ج ٨ ص ١٩١ ، وأبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٤٢ .
- (٣) حسن : تاريخ ص ٣٩١ .
- (٤) مبيضين : مهند أحمد ، مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر الميلادي : مجلة المنارة ، مج ١، ٤ العدد ٢٠٠٨م ص ٥١ .
- (٥) مبيضين : مظاهر ص ٥١ .
- (٦) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ١٩٠٤، ٢٨٤، ٤٨٨، ٥٠٠، ج٣، ص١٤٥٦، ج٤، ص١٧٤٨، ١٧٥١، ١٧٥٧، ١٨٨٢، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٤٣ ، ومبيضين : مظاهر ص ٥١-٥٣ .
- (٧) ابن طوق : التعليق، ج٤، ص ١٥٦٠، ١٥٦٧، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٤٤ .
- (٨) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٠٨، ٣١٦، ٣٤٨ .
- (٩) القيسارية : الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار ، انظر دهمان : معجم، ص ١٢٦ .
- (١٠) الخان : لفظ فارسي دخل اللغة العربية في العصر الإسلامي : بمعنى المنزل الكبير او الفندق الذي ينزل فيه التجار ويعرضون بضائعهم فيه ، وهي كثيرة منتشرة في البلاد العربية ، وخان عند الاثراك بمعنى شيخ أو رئيس قبيله ثم تطور في زمن العثمانيين وتم اضافته الى القابهم السلطانية دلالة على الاحترام . انظر : الخطيب، معجم، ص ١٥٧ و١٥٨ .
- (١١) الوكالة : اسم للخان كما هو معروف عند المصريين والدمشقيين ويسمى قيسارية ، انظر المحبي : محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) خلاصة الاثر، في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ٤، دت ، دط ، ج ٤، ص ٣٥٧ . وسيسار له لاحقاً المحبي : خلاصة الاثر ، .
- (١٢) حسن : تاريخ الإسلام ج٤، ص ٣٩١-٣٩٥ ، ومبيضين : مظاهر، ص ٥٤ .

ثانياً . الأحوال الاقتصادية :

لقد عانت بلاد الشام من أزمات اقتصادية وقلة الموارد المالية التي تصل خزينة الدولة بسبب تلف الأراضي الزراعية وتعرضها لسوء المناخ ، وسوء الإدارة المملوكية وسياسة الاحتكار ، فكانت التقلبات المناخية تعيق حركة المجتمع وتؤثر على الاقتصاد خاصة في دمشق ، وتتسبب في ارتفاع الأسعار كأسعار السكر الذي كان يسبب قلقاً للناس ، مما دفع بالأعيان التدخل لغيرض ضبطها وعدم رفعها^(١) ، واللحوم بما فيها السمك والدجاج ، والقمح والشعير ، والخبز ، والفواكه والخضار . ولم يقتصر الأمر على تغير أسعار تلك السلع ، بل حتى على أسعار الكتب ، والذهب ، وأسعار الجوارى والرقيق شهدت تغيراً فيها ، وتدهورت الاقطاعات الزراعية^(٢) . إضافة إلى ذلك فقد مارست السلطة الاحتكار مما أدى إلى ارتفاع الأسعار فعاش الناس ظروفاً قاسية بحيث أصبحوا لا يستطيعون شراء المواد الغذائية الأساسية^(٣) ، مع انتشار الأمراض^(٤) وهذا يعني بطبيعة الحال عدم وجود إدارة قوية ومراقبة للتجار ومنعهم من رفع الأسعار والتلاعب بها ، مع فساد وظيفة المحتسب^(٥) ، كما وكثر التلاعب في جباية الضرائب ، وتدهورت المؤسسات الإدارية والدينية ، بسبب انتشار الرشوة وبيع الوظائف^(٦) ، واستنزفت خزينة الدولة بسبب حروبها الداخلية والخارجية وتراجعت التجارة الخارجية الأمر الذي فرض على الممالك إيجاد طرق مختلفة في جمع الأموال ، منها بيع المناصب الدينية والسياسية كمنصبي القضاء والإفتاء^(٧) ، من خلال تقديم مبلغ من المال إلى الأمير أو الحاكم كي يمنحه الوظيفة التي يرغب بها^(٨) ، ومن الجوانب التي أثرت على الأحوال الاقتصادية هي تدهور الأمن لاسيما على الطرق المهمة لإيصال تلك السلع ، بسبب خراب البلاد من قبل نواب السلطنة من الأمراء^(٩) ، وأشار ابن طوق إلى مسألة الأمطار خاصة في دمشق وما لها من أهمية على الوضع الاقتصادي في تلك الفترة ، وكان يطلق على المطر مصطلح (الرحمة)

(١) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ٥٥٣ ، ٢٨٠ ، ٥٥٤ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٧٢ - ٧٩ .
(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٦ ، ١٤٣ . وللمزيد انظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، من ص ٥٩ إلى ١١٥ .
(٣) للمزيد انظر طرخان : إبراهيم ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٢٥٤ ، وابن طولون : مفاكهة ، ص ٣١٥ .
(٤) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٤٨ .
(٥) للمزيد انظر اليوسفي : موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٩٤ - ٢٩٧ وسيشار له لاحقاً اليوسفي : نزهة ، وانظر ابن طولون : اعلام الوري ، ص ٢٠٥ .
(٦) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
(٧) للمزيد انظر ابن حجر : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ٢ ج ، دت ، ط ١ ، نشر دائرة المعارف الهندية ١٩٦٨ م ، ج ٢ ، ص ٣٦٠ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة ، ٢٥٣ و ٢٧٠ .
(٨) للمزيد انظر المقرئزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ .
(٩) للمزيد انظر ابن طولون : مفاكهة ، ص ٢٣ ، ١٠٥ .

في إشارة واضحة لأهمية سقوط المطر على بلاد الشام ، التي تعتمد عليه المواسم الزراعية^(١) أو تعرض بعض المزروعات إلى الصقيع أو البرد أو الكوارث الطبيعية مما يؤدي إلى رفع الأسعار^(٢)، وتذبذب مياه الأنهار بزيادتها أو نقصانها أو تنظيم إطلاقها وتأثير هذا على العلاقات بين الحارات أو القرى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وخاصة نهر بردى في دمشق^(٣) ، فالمعلومات التي يقدمها ابن طوق خاصة في موضوع المياه والأنهار تمكننا من معرفة الأنهار التي تصب في نهر بردى وتعزّل المياه من قبل العمال ، والمشاكل التي يتعرض لها النهر خاصة في فصل الصيف^(٤) ، وكان يفرض على الحارات دفع أجور العمال الذين يتولون تعزّل الأنهار بدمشق وتنظيفها ، ولم تقتصر معلومات ابن طوق على الأمطار والأنهار بل ربط بينها وبين سقوط الثلوج ، وكذلك الجفاف وقلة الأمطار فيقول في أحداث يوم ٩ / ٣ / ٨٩٠ هـ / ٤٨٥ م : " كان الماء متقلص جداً ، بحيث أن أهل البلاد في شدة عظيمة والزرع غالبه أشرف على الهلاك ولم يجئ في هذه السنة في النهر زيادة لأثر الأمطار والثلوجات ، مع كثرتها ، ولم تمطر في المدينة ، ولا في ضواحيها في آذار قطرة واحدة إلا ما ذكر عن حوران^(٥) ، وقد أثار مسألة تقسيم المياه مشاكل كبيرة بين القرى أو الحارات ، اقتضت تدخل القضاة الأربعة والحاكم أو النائب ، ففي يوم ٧ / ٦ / ٨٨٦ هـ / ٤٨١ م ، حاول أمير الأمراء يساعده قضاة ثلاث لحل مشكلة بين جماعة في غوطة دمشق من أهل قرية داعية^(٦) وقرية المنيحة بشأن نهر داعية ، وهو أحد فروع نهر بردى ، ويتفرع منه عند باب توما ووصلت المشكلة إلى دمشق في دار السعادة^(٧) ، علماً أن أهل المنيحة كانوا قريبين من الحاكم أو النائب وأن أهل داعية كان الحق لهم فيما يدعون^(٨) ، إلا أن النائب وتدخله في توزيع المياه لم يحل المشكلة، بل زادت المشاكل ففي يوم ١١ / ١ / ٨٨٧ هـ / ٤٧٣ م ، حصلت مشكلة على نهر ثورا بسبب قيام أمير الأمراء وجماعة من بلد عذرا بأخذ حصة أهل البلد الذين يشربون من نهر ثورا، واشتكى هؤلاء للشيخ ابن قاضي عجلون^(٩) بأن أمير الأمراء تعدى

(١) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٣٥، ٤١، ١٢٤، ١٥٤، ٣٩٧، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢١٠ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة، ص ١٣، ١٦، ١٨ .

(٣) للمزيد انظر الاحصائية التي توصلت إليها د هند أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢١١ - ٢١٤ .

(٤) انظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢١٥ .

(٥) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٤٥٦ ، وانظر ابو الشعر ، ص ٢١٥ .

(٦) داعية : وردت عند الحموي بانها اقليم بدمشق وفيها منطقة كَفَر بَطْنَا ، أو جزء من قرية الغوطة ، انظر الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) **معجم البلدان** ٥ ج ، دار صادر، بيروت ١٩٧٧ م ، ج ٢، ص ٤٣٣ . وسيشار له لاحقاً الحموي : معجم .

(٧) دار السعادة : كانت دارا للملك الامجد الايوبي صاحب بعلبك ثم امتلكها الملك الاشرف وفي العهد للملوكي اصبحت مقرا لنواب دمشق وفي العهد العثماني انتقل الاسم الى بلاد الاتراك فسميت بعض قصور الاسلاطين بدار السعادة واطلق على استنبول دار السعادة، انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٨، ودهمان : معجم، ص ٧٢ .

(٨) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٧١، ١٢٩، ١٣٠ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٩) ابن قاضي عجلون : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابو الفضل نجم الدين ابن قاضي عجلون ت ٨٧٦ هـ / ٤٧٢ م ، فقيه شافعي دمشقي المولد والمنشأ سكن القاهرة وولي الافتاء والتدريس في جامع ابن طولون مات ودفن

على حقوقهم مما أضّر بهم^(١) ثم حلت المشكلة وتم تثبيت الأمر على أخذ حصة المياه فقط ثلاثة أيام لا غير بسبب قلة المياه أصلاً لقلة المطر وكثرة الجفاف. هذه المعلومات الخاصة بالمطر والأندهار مهمة لارتباطها بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية، وتلقي الضوء على الدور الذي قام به الشيخ ابن قاضي عجلون من حلّ للمشاكل أو تدخل في تنظيف الأنهر .

وقد شهدت البلاد العربية فيما بعد خاصة بلاد الشام تحولات اقتصادية كبيرة كجزء من تطور اقتصادي عالمي ، فقد كانت بلاد الشام كولاية تابعة للدولة العثمانية آنذاك ومركزها دمشق مرشحة لأن تشهد نشاطاً تجارياً ملحوظاً، وتبادل فعلي في حجم السلع بينها وبين الأقاليم المجاورة كالعراق ومصر، وقد تعزز ذلك النشاط مبكراً من جهتين ، موقع المدينة المتوسط بين حواضر عرفت بدورها التجاري كحلب، والقدس، ومدن الساحل الفلسطيني، ومدن الحجاز جنوباً من جهة، وباعتبارها آخر محطة لدرب الحرير من جهة ثانية ، وتطور التبادل التجاري وتنوعت السلع^(٢) فتسارع النمو العمراني والاقتصادي لبلاد الشام خاصة في دمشق^(٣) ، وكان لقافلة الحج الشامي أهمية خاصة نظراً للدور الذي لعبته من خلال تجمع القوافل في بلاد الشام ، إذ أن تجمع أعداد كبيرة من الحجاج سنوياً في محيط المدينة كان له أثراً هاماً، لما يحملونه معهم من بضائع ومنتوجات ، يقيمون خلالها سوقاً موسمياً ، بل إن أهمية ذلك كانت تتعاظم مع استقرار عدد من المسلمين في الأحياء الخارجية للمدينة على امتداد الطريق المؤدية إلى جنوب دمشق، ولم يكن تأثير القافلة مقصوراً على الناحية السكانية فقط ، بل أن تجمع الحجاج من أقاليم شتى، ساهم في انتعاش أسواق وساحات أخذت تتحول مع مرور الوقت وفي كل عام إلى أسواق موسمية كبرى^(٤) ، إضافة إلى ما توفره تلك العمليات من فرص للعمل كنقل البضائع ، وسقاية الحجاج ، وتجهيز الخيول ومراقبة خيام الحجيج وغيرها .

لقد تعرضت بلاد الشام لمشكلات مالية في مطلع العهد العثماني ، فقد تم إرهاب الفلاحين بالضرائب من قبل الإقطاعيين والسباهية^(٥) والجند ، مما اضطر الفلاحين إلى الهجرة تاركين أراضيهم فضلاً عن ارتفاع أسعار الحبوب كالقمح والشعير^(٦)، وبرزت مواقف العلماء تجاه هذه

بالقاهرة ، له مؤلفات عديدة ، انظر الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ٨ ج ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، ج ٦ ص ٢٣٨ . وسيشار له لاحقاً الزركلي : أعلام .

(١) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٢١٦ ، ٢٢٠ .

(٢) مبيطين : مظاهر ص ٤٩ .

(٣) رافق : عبد الكريم ، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية عدد ٦ ذي الحجة ١٩٨٠ ص ٥ إلى ٢٨ .

(٤) مبيطين : مظاهر ص ٥٠ .

(٥) اللفظ في الأصل سباهي ، نسبة الى سياه جند ، وهم فئة من الجنود الفرسان العثمانيين وهم على درجات ولهم اقطاعات عسكرية وهو يشبه الزعامه ، وهم في وقت الحرب يساهمون مع الامراء في حماية تخوم المملكة وفي السلم يشتغلون بالزراعة وتحسين الطرق ، دهمان : معجم ، ص ٨٨ .

(٦) ابن طولون : مفاكحة ، ص ٣٤٨ .

الإجراءات المتمثلة بكتابة فتاوى في الهجرة والخلاص من الاضطهاد وغدت كتابات المؤرخين تصور حالة الفلاحين السيئة ، مثلاً كتاب "نصرة الفلاحين عن الأوطان على الظلمة وأهل العدوان للمؤلف ياسين بن مصطفى الحنفي" (١).

ثالثاً . الأحوال الاجتماعية :

كان مجتمع بلاد الشام في تلك الفترة أو آخر أيام الدولة المملوكية (٢) يتألف من سكان المدن ، والريف ، والبدو ، وأهل الذمة (٣) ، فلم تقتصر على السكان المسلمين ولا على سكان الحضر أو الريف أو البدو (٤) شهدت بلاد الشام تنوعاً اجتماعياً كبيراً من الأجناس المختلفة التي قطنت بلاد الشام للتجارة والحج ومن هذه الأجناس (اليمينيون والمغاربة (٥) ، والفرس والأروام و الأكراد (٦) ، والمصريون (٧) ، والعبيد الحبش (٨) ، ومن شعوب آسيا الوسطى والهند وبلاد غرب أفريقيا وأسبانيا ، يدلل على ذلك ما يأتي :

أولاً: مجتمع المدينة : تعرض المجتمع الشامي إلى أزمات بسبب فرض ضرائب وغرامات التي أرهقتهم ، وطالت الضرائب الأوقاف والترب والمدارس ، كما وتدهورت أحوال العلماء من قبل الحكام وعساكرهم (٩) وانتشر بيع الأوقاف ، وفرضت أكثر من ضريبة لتمويل الحرب ، أو تعمير القلاع ، وتم جباية الأموال لصررها على قتال العثمانيين (١٠) وتعرضوا للقهر والتعسف ، وقد أشار ابن طولون الذي كان معاصراً لتلك الأحداث ان الناس وأعيان المدينة اختفوا هرباً من الخاصكي (١١) حتى لا يستولي على أموالهم .ومما زاد الأمر سوءاً أن المماليك في آخر فترة حكمهم

(١) مبييضين : مظاهر ص ٥٧ الى ٦٢ .

(٢) حكم الجراكسة من (٧٨٤هـ - ٩٢٢م / ١٢٥٠م - ١٥١٧م) انظر الكرعي ، نزهة ص ٢٣٣ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٢٨ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٤ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣١ ، ٦٥ ، ٨٩ .

(٦) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٩١ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٣٨ .

(٧) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ٣٧٣ ، والمرجع نفسه ص ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٨) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٧٥ ، ومبييضين : مظاهر ص ٤٧ .

(٩) للمزيد انظر نفس المصدر ، ١٠١ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٢٣٤ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ١٢١ ، ٧٧ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، هناك فصل خاص عن العثمانيين ص ٢٤٨ - ٢٦٥ .

(١١) الخاصكي : لفظ مملوكي ، الخاصكية وهم الذين يلزمون السلطان في خلاواته ويسوقون المحمل ويجهزون في المهمات الشريفة والخاصة وهم من المماليك الاجلاب اللذين يدخلون في خدمة السلطان وهم صغار ويصبحوا من حرسه الخاص ، انظر العمري : التعريف ، ص ١٠٣ ، وابن شاهين : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتدى بتصححه بولس راويس ، طبع في باريس ١٨٩٣ م ، ص ١١٦ وسيشار له لاحقاً ابن شاهين : زبدة كشف ، وانظر أيضاً دهمان : معجم ، ص ٦٦ .

قربوا قطاعي الطرق والحرامية ، والحرافيش^(١) وكانت هذه الفئات الاجتماعية تحتكم لرئيس يدير شؤونها يسمى " سلطان الحرافيش"^(٢) وكان هناك علاقة بين سلطان حرافيش مصر، و سلطان حرافيش دمشق وكانوا عبارة عن جماعة تشارك الترك في الاحتفالات الرسمية بالطبل والزرمر ، مما أعطاهم حضوراً أمام عامة الناس وكانوا يخرجون مع كافل دمشق (الحاكم) في المناسبات ، وكانوا يستقبلون المسؤولين الذين يأتون من الباب العالي من بلاد الروم كالخاصكية وتقرّبوا إلى السلطة أكثر في فترة ضعفها على حساب أعيان المدينة^(٣) وكان سلطان الحرافيش قريباً من السلطان وسمي بعد ذلك شيخ الشيوخ احتشاماً^(٤) ويضربون على الطبل والزرمر خاصة في مواسم الحج أو استقبال الخاصكية ، وكان لهم كبير هو ابن شعبان^(٥) ، الذي تمكن من التقرب من السلطة لاسيما النائب والحاجب ، حتى انه تعين في وظيفة الإشراف على المارستان بدمشق خلفاً لخليل الصمادي الذي تنازل لكبير الحرافيش عن وظيفته ، بل أن ابن شعبان لم يكتفِ بهذه الوظيفة و هدد بنت خليل الصمادي وتوعدها كي يؤخذ تلك الوظيفة كاملةً ، وأرسل إلى السلطان في مصر كتاباً يشرح فيه وضعه في دمشق ، مما دفع بالسلطان لطلب الأعيان من دمشق ، في إشارة إلى ان ابن شعبان كان يثير الرعب والشغب بين الأهالي بدمشق^(٦) ، وكان الحرافيش قريبين من القضاة ويمشون أمامهم حين تعيين أحد القضاة من قبل السلطان المملوكي^(٧) ومهما يكن من أمر فقد كان الرأي العام يرفض أعمال ابن شعبان^(٨) خاصة في تقربه وسفره إلى سلطان مصر وكانت أعماله بعيدة عن الحرافيش فقد استمروا في الاحتفالات ولم تؤثر عليهم تصرفاته وهذا يعني ان أعماله كانت شخصية ولتحقيق مصلحة^(٩).

(١) الحرفوش : هو الذي ليس له صنعه او حرفه ، ولا دكانا وتعني الفقير ، وجمعها حرافيش او حرافشة وهم ادنى طبقات المجتمع ، دهمان : معجم، ص ٦٠
(٢) سلطان الحرافيش : لقب اطلق في العصر المملوكي على من كانت له مشيخة الحرف والصناعات ، الخطيب : معجم، ص ٢٥٦.
(٣) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١١٤ ، ٣٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٩٨ ، ج ٣، ص ١٢٩٥ ، ١٤٨٧ ، ج ٤، ص ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٦٠ ، ٤ ص ١٨٨٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ .
(٤) ابن طولون : اعلام الورى ص ٢٧٧ .
(٥) ابن طوق : التعليق، ج ١ ، ٤٩٨ ، ج ٢ ، ص ٦٢١ ، ج ٣ ، ص ١١٩٧ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٠ ، ١٨١ ،
(٦) ابن طوق : التعليق، ج ١ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، ج ٢ ، ص ٨٥٠ - ٨٥١ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٧٩ ، ١٨٣ ،
(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ١٧ .
(٨) الغزي : نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) ، الكواكب السائرة ، باعيان المائة العاشرة ٣ ج ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط ١ ، ١٩٩٧ م ، ج ١ ، ص ٢٧ وسيشار له لاحقاً الغزي : الكواكب ، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٣ .
(٩) ابن طوق : التعليق، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٣٥٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٣ .

شكلت فئة الزعر أو الاوباش مصدر قلق للحكومة والناس، في بلاد الشام خاصة بدمشق^(١)، وهم فئة من الناس سيئوا الخلق ومفسدون ، وقد ورد أول ذكر لهم عند ابن طوق في ٢١ / ١٠ / ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م^(٢) وهم جماعات تزداد قوتهم مع ضعف السلطة القائمة يقومون بأعمال القتل والسرقة والتعدي على الحارات ، ويصف ابن طولون ذلك بقوله : ".... وبات أهل دمشق في خوف عظيم من هؤلاء الزعر". وقد استمروا بأعمال الشغب حتى انهم تعدوا على القضاة وقاموا بقتل بعضهم والتعدي على الأهالي كما حدث مع أهل الصالحية فقد تعرضت الصالحية في أواخر سنة ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م إلى مشكلة كبيرة حين قام الزعر فيها مع جماعة من (بني عطا) المساندين للزعر ، بقتل حاكم الصالحية المدعو عبد القادر في سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م ، وكانت إجراءات النائب قاسية دفعت أهل الصالحية للهرب خوفاً منه^(٣) ، وقد أكد ابن طوق بأنهم انتقلوا من مكانهم فأرسل النائب منادياً لهم بالأمان^(٤) ، فانتشر الرعب والخوف بين الأهالي من قوة الزعر وتجاوزاتهم حتى ان ابن طوق سجل وفاة أحد الأشخاص بسبب خوفه من الزعر ، وشكلوا قوة في الحارات لا يستهان بها ، وكانوا يُثيرون المشاكل بين الحارات^(٥) ، مثل حارة الشاغور ، والقببيات^(٦) ، كما وقطعوا درب الصالحية^(٧) مما دفع النائب للتحرك عليهم فقتل جماعة منهم بعد ازدياد قوتهم وتخويفهم للناس بالتهب والقتل والسلب وقطع الطرق ، في الحارات^(٨) ، ولم يكتفي الزعر بذلك فقد استمروا على تهديد الأهالي فرجعوا إلى الصالحية بعد غياب نائبها كونه ذهب إلى محاربة عرب بني لام^(٩) ، وسبى منهم وصادرهم^(١٠) . فكان المماليك يقربون الزعر ويجعلونهم أصحاب رأي ومشورة على حساب الأعيان^(١١) ، إلا ان هذا لا يعني انهم كانوا غير مشاركين في الحياة

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٢٠٢ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) ابن طوق : التعليق، ج ٤، ص ١٦٣٢ ، ١٦٣٥ ، ١٦٤٢ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦١ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٠ ، ١٦١ .

(٥) ابن طوق : التعليق، ج ٣، ص ١٥١٥ ، ج ٤، ص ١٧٣٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٦) القببيات هي محلة خارج دمشق في طرف الميدان الفوقاني وفيها تربة لدفن الموتى ، انظر البوريني : تراجم ج ١، ص ٤٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٧) الصالحية في اطراف دمشق ، وهي كبيرة ومهمة فيها مرافق مهمة مدارس وزوايا ومساجد منها المدرسة السليمية وزاوية الداودية كما احتوت على مزارات مثل مزار محي الدينين عربي للمزيد انظر البوريني : تراجم ج ١، ص ٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٧٩ .

(٨) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٩) بني لام : عشيرة أنبتت عن طيئ السكان القدامى لمنطقة شمال نجد وأصبحوا في العصور الوسطى قبيلة قوية كانت غزواتهم تصل الى شواطئ البحر الميت وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي هاجروا نحو الشرق وعبروا بلاد الرافدين ووصلوا حتى اعتاب لورستان وما زالوا حتى اليوم قبيلة كبيرة ، انظر أوبنهايم : ماكس فراهير فون وآخرون : البدو ، ج ٤ ، ترجمة محمود كيبوب ، وتحقيق ماجد شبر ، دار الوراق للنشر والتوزيع - لندن ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، ج ٣ ، ص ٦٥٤ ، وسيشار له لاحقاً أوبنهايم : البدو .

(١٠) ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦١ .

(١١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٩٧ و ٢١٧ ، وابن طولون : اعلام الورى ص ٢٧٧ .

الاجتماعية فقد كانوا يشاركون في الاحتفالات والمناسبات ، وكانوا قريبين من الحاكم بل ويمشون أمامه في الموكب ، وكان حاكم دمشق يستند عليهم أمام أهالي الحارات^(١) ، وقد وصل تمادي هؤلاء إلى الأعيان فقد أورد ابن طولون انه في يوم الثلاثاء ٤ صفر سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ، تم قتل أحد الأعيان في الصالحية ، وتم الهجوم على حارة الاقباعية وقتل ثلاثة أشخاص وسرقة أموالهم^(٢) ، فكان الزعر منتشرون في كل الحارات ، وكان نائب دمشق يستغلهم في أمور سياسية لضرب نائب حلب ودوا دارها في إشارة إلى تدخلهم في السياسة وقربهم من السلطة^(٣). لقد تكررت الأفعال السيئة التي كان يقوم بها الزعر من إرهاب للناس ونهبهم^(٤) ، وخاصة الزعر في حارة المزابل ، وحارة الشاغور^(٥) المنسوبة إلى عائلة الذهبي بصالحية دمشق^(٦)، وشكل هؤلاء سلطة كبيرة أقوى من الحرامية أو قطاع الطرق ولهم كبير يأمرون بأمره ، مما دفع بالنائب إلى اتخاذ إجراءات رادعة ضدهم لطمأنة الأهالي فأمر في يوم ٣٠ / ١ / ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م بإعدام بعض الزعر بالتوسيط^(٧)، لكن في يوميات ابن طوق المعاصر لتلك الأحداث لم يشير إلى إجراءات متابعة هؤلاء ، ولكن ذكر انه تم اتخاذ تدابير احترازية منها تعليق الفوانيس على البيوت والمرافق وذلك لطمأنة الأهالي^(٨)، وكان من الزعر شخصيات معروفة بالأسماء منهم عبد السلام ، ومن الزعر المعروفين (أولاد الحموي) ، وابن الشدودي الأزعر، والأزعر الشمعة ، الذي قتل أحد المغاربة فشنقه نائب الشام في سنة ١٥ / ٥ / ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م وسجلت اعتداءات على غير المسلمين من قبل الزعر حيث قُتل شخص نصراني من حارة النصارى مما دفع ذلك نائب الشام لشنق ثلاثة منهم^(٩).

وقسمت مدن بلاد الشام إلى حارات كثيرة بل وحارات خاصة بفئة معينة من الناس مثل حارة اليهود وغيرها من الحارات^(١٠)، وقد شهدت تلك الحارات صراعات داخلية فيما بينها وهذا يشير إلى أن لكل حارة زعيماً خاصاً بها ، ولها أعيانها، وكانت بعض الصراعات لأسباب عشائرية ، مما

(١) ابن طوق : التعليق ، ج ٤ ، ص ١٦٣٥ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) ابن طوق : التعليق ، ج ٤ ، ص ١٥٣٢ ، ج ٣ ، ص ١٤٧٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١٨٩ .

(٥) حارة الشاغور : في أطراف دمشق وفيها من الأسر المشهورة مثل أسرة أحمد بن عبد القادر الشاغوري واولاده وهم من الأعيان وهي محلة عظيمة دافعت فيما بعد عن نفسها ضد هجمات الاسكبان ، للمزيد انظر البوريني : تراجم ج ١ ، ص ٦١ ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٦) ابن طوق : التعليق ، ج ٣ ، ص ١٥١٥ ، ابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١٨٧ .

(٧) التوسيط : شكل من أشكال الإعدام في العصر المملوكي ، وطريقته بأن يعرى الشخص من الثياب ، ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض ويضرب بالسيف تحت سرتة بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتتهدأ أمعاؤه إلى الأرض ، انظر دهمان : معجم ، ص ٤٨ .

(٨) ابن طوق : التعليق ، ج ٤ ، ص ١٦٣٣ ، ١٦٣٧ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١٩٠ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ١٨٣٠ ، ونفس المرجع ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(١٠) ابن طوق : التعليق ، ج ٤ ، ص ١٥٤١ ، ١٩٠٤ ، ١٩١٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٦٠ ، ونفس المرجع ص ١٤٩ .

دفع السلطة المملوكية إلى التدخل لفضها^(١)، ولم تقتصر تلك الصراعات بين الحارات فقط ، بل شهدت تلك الفترة صراعات بين الحارات وبعض القرى^(٢)، وهذا بطبيعة الحال أضرّ بالمدينة وأسواقها وأزقتها فقد كانت المحلات التجارية تغلق أبوابها عند حصول المشاكل أو عند الاعتراض في دفع الضرائب الإضافية خاصة (درهم الجيش)^(٣)، أو جباية الأموال من المساجد قسراً من قبل دودار^(٤) السلطان والخاصكي^(٥) بل وصل الحد بالخاصكي إلى مصادرة الإرث وتعطيل الحقوق الشرعية والتجاوز على القضاة^(٦)، وكانت أطراف دمشق لا تخلُ أيضاً من صراعات مع السلطة ، فقد دخلت صالحية دمشق في صراع ليس هذه المرة مع القرى أو الحارات وإنما مع السلطة بسبب اعتراضهم على الموالي الجديد الذي قرب إليه الزُعر وقطاع الطرق وأهمل أهل المدينة وأعيانها^(٧) ، وقد شهدت الفترة الأخيرة من العهد المملوكي توسعاً للخلافات بين الحارات نتيجة التدهور في الأمن وانعدامه ، منها الخلاف بين أهل ميدان الحصى، وأهل حارة الشاغور، مما دفع الأعيان إلى التحرك لحل تلك الخلافات، وتحقيق الصلح وفق اتفاق أبرم بين الطرفين كي لا يُعاودوا الكرّة، ومنْ نكث فإن حارته تكون عرضة للنهب^(٨).

ولم تقتصر أفعال الزعر على دمشق فقد شهدت حماة أعمال تخريب ونهب وسلب من قبل هؤلاء، مما دفع نائبها إلى القبض على جماعة منهم فهذأت أحوالها مما كان له الأثر في استقرار مناطق أخرى كالصالحية^(٩)، في إشارة إلى قوتهم وانتشارهم ، ويصف ابن طولون الوضع بقوله: " ..وبات أهل دمشق في خوف عظيم من هؤلاء الزعر.. " وقد استمروا بأعمال الشغب حتى انهم تعدوا على القضاة وقاموا بقتل بعضهم ، وكان للزعر كبير في كل حارة فمثلاً كان كبير الزعر من حارة الشاغور ، وكان بعضهم من المشاة والبعض الآخر من الفرسان ، وكانت هناك إشارة إلى (مشاة الزعر) في الاحتفالات والمناسبات ، وقربهم من السلطة فقد استغلهم نائب دمشق عندما ثار عليه نائب حلب فذهب هؤلاء إلى الشيخ ابن قاضي عجلون ، وشرحوا له أن النائب أرسل إليهم كي يساعده ، إلا ان الشيخ اعتذر منهم وأخبرهم بقوله : "مالي غرض في شيء ، وإنما الغرض أن

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٧ ، ٤٠ - ٤١ .

(٢) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٤٨٨، ٤٨٧، ٤٨٩ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٥٢ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٢٠ ، ج ٢، ص ٧٧٥ ، ونفس المرجع ص ١٥٤ .

(٤) الدوادار : هو الذي يحمل دواة السلطان او الأمير ، ويتولى امرها مع ما ينضم لذلك من الامور اللازمة لهذا المعنى ، انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٧٠ ، ٨٥ ، ودهمان : معجم، ص ٧٧ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ٦٧ ، ٧٧ ، ٨٠ - ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠ .

(٦) نفس المصدر، ص ٩٢ ، ٩٤ .

(٧) ابن طوق : التعليق، ج ٢، ص ١٠٥١ ، ٧١٣ ، ج ٤، ص ١٦٣٢ ، ج ٣، ص ١٢٠٠ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٨) ابن طوق : التعليق، ج ٣، ص ١٥٠٨ ، ١٣٦٦ ، ج ٤، ص ١٥٣٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٩) ابن طوق : التعليق، ج ٤ ص ١٧٣٩ ، ١٧٥٩ ، ١٧٧٢ - ١٧٧٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦١ .

يطلق المحابيس ، وأنا أرحل من هذه المدينة ..."^(١) ، وقد سجل ابن طولون العديد من أعمال القتل والسطو والنهب مع تزامن ارتفاع الأسعار كأسعار اللحوم والحبوب بقوله : " .. فزاد وقوف الحال الكائن من كثرة الظلم .."^(٢) ، ويذكر في غير موضع كثرة قتل الأنفس بقوله : " ... وفي أواخر هذا الشهر قد كثر قتل الأنفس ."^(٣) ، فقد قُتل أحد المدرسين في المدرسة الشامية البرانية^(٤) ، بقوله : " .. سقط بخلوته بالمدرسة الشامية البرانية مقتولاً وفيه نحو العشرين ضربة بالسكين"^(٥) ، ويذكر ابن طولون أيضاً أنهم نهبوا بيوت المسؤولين وتعدوا على القضاة بقوله : " ... ثم نهبوا بيت دودار السلطان ... وفي هذا اليوم ذهبت الزُعر إلى القاضي الحنفي ابن يونس وراموا قتله ، فاختمت منهم ، فأرادوا الهجوم على بيته ، فرجعهم حريمه عنه بدفع عدة دراهم إليهم ."^(٦) في إشارة إلى قوتهم وإثارتهم الخوف والذعر في البلاد من خلال القتل وظلم الناس ونهبهم^(٧) .

كما وأجبرت السلطة الأهالي على القيام بأعمال ترهقهم وتضيع وقتهم كتزيين المدن في عدة مناسبات منها شفاء السلطان أو الانتصار في حرب أو تسلم مقاليد الحكم وغيرها^(٨) ، وترتب على ذلك أن أضرت بالأهالي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية وتزامن ذلك مع سوء الوضع الصحي وانتشار الأوبئة والأمراض كالربو ، والكبد والطاعون وغيرها^(٩) ، على الرغم من وجود الأطباء والمستشفيات فان الأمراض حصدت أرواح الأهالي وبلغ عدد المتوفين بمرض الطاعون خلال الفترة من يوم ١٠ / ٩ / ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م إلى يوم ٦ / ١٢ / ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م بحدود ٢١٤ شخص ما بين ذكر وأنثى كبير السن وصغير^(١٠) .

أما الفقرا الذين اختلف حالهم عن الزعر والحرافيش ، فقد زاد اهتمامهم بقراءة القرآن واعتبروا أنفسهم حماة للدين من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد انتشار الحشيش والمنكرات وازدياد الفساد بين الشباب وانتشرت الخمارات^(١١) ، خاصة في دمشق^(١) فكان للفقرا زاوية خاصة

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٣ - ١٩٣

(٢) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٢٥١ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٢٥٦ .

(٤) المدرسة الشامية البرانية: في محلة العوينة ، بالعقبة بناها والده الملك الصالح أسماعيل ، او ست الشام الخاتون اخت الملك الناصر صلاح الدين والعدل توفيت ودفنت بالشامية الجوانية ثم نقلت الى الشامية البرانية وهي وقف للشافعية ، انظر النعمي : الدارس، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٢٦ ، والبوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٩ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٦٤ .

(٦) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٣٧ .

(٧) نفس المصدر، ص ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٢٩٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ - ٣٣٧ .

(٨) نفس المصدر، : ص ١٣٥ .

(٩) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٨٦ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ٤٩ ، ج ٤، ص ١٧٢٣ ، ١٧٢٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(١٠) للمزيد انظر الاحصائية التي توصلت اليها دكتورة هند ابو الشعر بالاستناد الى يوميات ابن طوق المسماة التعليق، نفس المرجع ص ١٢٥ - ١٣٧ ، وانظر فيليب : حتي تاريخ العرب ص ٧٩٠ .

(١١) انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٢١٨ ، ٢٣٢ .

بهم اسمها زاوية الشيخ العداس^(٢)، وكانت أعمالهم تقوم على منع بيع الحشيش والخمر، إلا ان السلطة لم ترضَ بذلك وسجنت شيخهم ، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد (الغوغاء) التي أثاروها^(٣) ، وقد تزايد دورهم بسبب غياب السلطة المتمثلة بالمحتسب ، وقاموا بأعمال منها منع انتشار محلات الخمر وبيع الحشيش الذي كان يبيعه شائعاً في خان الهجانة و خان المهندس ، وكان الفقرا أقوياء ، ويلاحظ بروز دور القوى المحلية كرجال الدين ، إذ كانوا يحتمون بسلطة شيخهم وبالمتصوفة ، إلا أن المتصوفة لا يتدخلون في تلك الأعمال وكانت السلطة المملوكية لا تتدخل بالأعمال التي يقومون بها^(٤) وتؤيد ذلك العمل ولا تعترض لما يريده الناس^(٥)، وكانت هناك مواقف احتجاجية مستمرة بسبب انتشار الخمر والحشيش^(٦) كغلق إحدى المدارس مثل مدرسة الشامية^(٧) بدمشق ومنعت الصلاة في جامع التوبة^(٨)، وكان شيخ الفقرا يكتب باستمرار كتاباً إلى حاكم دمشق يشير فيه إلى تلك المحرمات^(٩) ، وقد استطاع ومعه الفقرا من إزالة تلك المنكرات وأعيد فتح المؤسسات التي تم إغلاقها احتجاجاً وهي المدرسة الشامية وجامع التوبة، كما وتزعم الفقرا إضافة إلى وجود الشيخ ابن قاضي عجلون ، شيوخ آخرين قاموا مع الفقرا بمتابعة منع الخمر والحشيش الذي كان على شكل معجون ، ومنع استيراده من خارج دمشق خاصة من قرية معروفيا ، ومطاردة المماليك الذي يرتكبون مثل هذه الأعمال^(١٠).

المهن والحرف والوظائف:

المهن والحرف :

تمتاز الفترة المملوكية المتأخرة ومطلع العهد العثماني ، بأنواع متعددة من الحرف والوظائف ، يدل على ذلك وجود الكثير من الحرف وأسماء الوظائف التي لم تقتصر فقط على المسلمين دون

- (١) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ١٢٤، ٢٩، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٣.
- (٢) زاوية للفقرا وشيخهم عبد القادر النحاس ، وكانت أعمالهم تقوم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ابن طولون : مفاكهة، ص ١٢.
- (٣) نفس المصدر، ص ١٢ ، ٢١.
- (٤) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٣٦ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩.
- (٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ٥٧.
- (٦) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٧.
- (٧) النعيمي : الدارس، ج١، ص ٢٠٨ - ٢٢٦ ، والبوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٩.
- (٨) جامع التوبة : بالعقبيية ، أنشأه الملك الأشرف ابو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م ويعرف قديماً بخان الزنجاري ، انظر النعيمي : الدارس، ج٢، ص ٣٢٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٩.
- (٩) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ٦٧١ - ٦٧٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٦٨.
- (١٠) ابن طوق : التعليق، ج٣، ص ١١١٥ ، ١١٩٧ ، ونفس المرجع ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ وما تلاها.

غيرهم^(١)، حيث رصد ابن طوق من خلال الأحداث التي حصلت في مجتمعه العديد من أسماء المهن والحرف^(٢)، فذكر أصحاب تلك الأعمال في أسواق دمشق الكبيرة وأسماء المهن والحرف، ومواقع الحوانيت والدكاكين وأماكن سكنهم، مما كان له الأثر على الحراك الاجتماعي والاقتصادي تزامناً مع تدهور حالة بلاد الشام في أواخر العهد المملوكي كغلاء الأسعار واحتكار السلع والمواد الغذائية الأساسية، وانتشار الأوبئة كالطاعون، وانتشار الكوارث كالجراد بصورة متكررة كما ورد عند ابن طولون^(٣) وازدياد عمليات القتل من قبل الزعر، وتعرض المحلات إلى الحريق^(٤)، ومن تلك المهن والحرف، المعماريين، وشيوخ السوق كشيخ سوق الدراع، وشيخ سوق الصالحية، وهؤلاء كانت مهمتهم حل المشاكل التي تحصل بين أرباب الحرف في السوق، وشيخ الدباغة، وتم ذكر الكثير من الحرف الأخرى كالفلولاذي، أو الحداد كما عند ابن طولون^(٥)، والصناع^(٦)، والفحامة المختصين ببيع الفحم^(٧)، والدباغ لدبغ الجلود ودباغة الفراء^(٨)، والصيرفي الخاص بالأموال أو الصيارفة^(٩)، ومهنة الدلالة الخاصة ببيع وشراء العقارات حيث فصل ابن طوق بذكر أنواع، منها خاص بدلالة الخشب، ومنها خاص بدلالة الأملاك، والجواري، والسماصرة^(١٠)، كسمسار الغلات، ومنها خاص بدلالة المواشي، وبعض المهن اختصت في محلة محددة مثلاً مهنة الثلاجة كانت مقتصرة على قرية منين^(١١) التي تشتهر ببقاء الثلوج في أعلى جبالها، وكانوا ينقلون الثلج ويعملون على تأمينه وقد أشار ابن طوق إليهم كثيراً في يومياته^(١٢)، كما اختصت بعض العمارات بمهنة محددة مثلاً عمارة الصاغة الجديدة التي كانت وفقاً للجامع الأموي، وتعرضت للحريق مع الجامع كونها ملاصقة له وتم تعميمها من أوقاف أخرى موقوفة على الجامع^(١٣)، وأمين القيسارية، وناظر المدرسة، والأطباء، والكحالون، والجرائحي، والحريري، والحائك، والخياط، والنداف وهي خاصة بالأقمشة الحريرية والصوفية، كما وحدد

(١) ابن طولون: مفاكهة، ص ٢٣، ٢٨، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) ابن طوق: التعليق، ج ١، ص ٢٩٦، ٥٨، ٤٩٤، ٢٧٩، ج ٢، ص ٨١٨، ١٠٥١، ج ٤، ص ١٥٩٥، ١٥٨٣.

(٣) ابن طولون: مفاكهة، ص ٨٨، ٨٩، ٩١.

(٤) نفس المصدر، ص ٩، ١٠، ١٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٦، ١٩٠، ١٩٤، ٢١٩، ٢١٠، ٢١١.

(٥) ٣١٦، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٦٢-٢٠٤.

(٦) ابن طولون: مفاكهة، ص ٢٣، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٩٦.

(٧) ابن طولون: مفاكهة، ص ٢٧.

(٨) نفس المصدر، ص ٣٣.

(٩) نفس المصدر، ص ٤١.

(١٠) نفس المصدر، ص ٤٤، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٩٧.

(١١) ابن طولون: مفاكهة، ص ٤٩، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٩٧.

(١٢) قرية منين: قرية في جبل سنير من أعمال الشام، وقيل من أعمال دمشق، انظر الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢١٨.

(١٣) ابن طوق: التعليق، ج ١، ص ٢٩٦، ٥٨، ٥٠٦، ٤٩٤، ٨٥، ٢٧٩، ٧٥، ج ٢، ص ٨١٨، ١٠٥١، ١٨٦، ج ٤، ص ١٥٩٥، ١٧٠٢، ١٥٨٣، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٩٨، ٢٠١.

(١٤) ابن طولون: مفاكهة، ص ٤٩.

ابن طوق بعض المهن والحرف الخاصة بعدد من الشخصيات كالطباخ ، واللاحام ، والحاق ، والوراق ، والهجان ، وتاجر الرقيق ، والبيطار ، والغنام ، والجمالة ، والطحانيين ، والنحاس ، والنجار ، والعمار ، والفقاعي الذي يبيع الفقاع ، وهو مشروب شعبي متداول على الموائد^(١) ، وذكر ابن طوق مهن خاصة بالماء مثلاً حارس الماء ، والوكاء أي الذي يشرف على توزيع المياه على الأقبية ، والصابوني ، كما وأورد مهن خاصة للنساء كالمرأة الناسخة وعرفت بحسن الخط ، والخياطة والخاطبة ، ومن المهن أيضاً التي استمرت إلى عهد العثمانيين مهنة الشعال في الجامع الأموي^(٢) وذكر ابن طوق باعة اللبن ، والباعة المتجولون ، والاسكافيين ، والعمال ، والخطاطين ، والمعاجيني أي الذي يعمل عجين الحشيشة وغيرها^(٣) ، فكان هناك مهن خاصة بالمأكولات ، والمشروبات ، والأبنية ، والأسواق والتجار الذين كانوا يتقربون إلى السلطة ولديهم تأثير واضح حتى انهم تمكنوا من إطلاق أحد التجار المسجونين ، وكانوا لا يحترمون القضاة ويتطاولون عليهم^(٤) ، ويبدو من هذا التنوع وضع الفئات الاجتماعية الدمشقية في تلك الفترة ، فقد كانت دمشق مدينة جاذبة لمختلف فئات المجتمع ، وخاصة الفلاحون الذين اعتادوا المجيء إلى دمشق ، وبعضهم حاول الاستقرار بها حتى أنها صارت ظاهرة هددت أهالي دمشق، مما دفعت السلطة للتدخل لمنع هؤلاء الفلاحين من ترك أراضيهم والسكن في المدن ، ويلاحظ من أشارات ابن طوق قلة اهتمامه بالبدو والعلاقات التجارية معهم ، وهو بذلك يعكس نظرة عصره لهؤلاء من خلال خوف المدن والأرياف منهم بسبب تعدي البدو على الأهالي وقطع الطرق ، عند حصول الجفاف وصعوبة الحياة ، وسجل ابن طوق ، وابن طولون الكثير من تعديات العرب على الأهالي وترويعهم^(٥) .

الوظائف الرسمية :

تطلعنا المصادر المعاصرة على الوظائف التي عرفت بها بلاد الشام ، ومن اللافت للانتباه مسألة الوظائف الكثيرة في مرحلة انتقالية خطيرة، فقد رصدت يوميات ابن طوق أسماء أصحاب الوظائف الرسمية ، وكذلك ابن طولون الذي ذكر العديد من الوظائف اعتماداً على ابن طوق، فذكر ابن طوق أسماء العديد من تلك الوظائف ، منها أمير الأمراء^(٦) أو الكافل^(١)، وحاجب الحجاب^(٢) ،

(١) ابن طوق : التعليق، ج ٣، ص ١٣٤٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٩٩ .

(٢) البوريني : تراجم ج ٢، ص ١٧٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٠٠ .

(٣) للمزيد انظر ابن طوق : التعليق، ج ٤ ص ١٦٤٤ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٩٧ - ٢٠٢ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة، ص ٩ ، ١٣ .

(٥) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، وابن طولون : مفاكهة، ص ١٩٥ ، ١٩٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٠٣ .

(٦) أمير الأمراء مرتبة من مراتب التشريف استحدثت في العصر العباسي الثاني كان يشرف على شؤون الدولة ورئاسة الجيش وغيرها استبد هؤلاء بالحكم واستمروا حتى سقط المماليك الجراكسة سنة (٩٢٤هـ / ١٥١٧م) انظر الخطيب : معجم، ص ٤٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٣٢ .

وناظر الجيش^(٣)، ونائب القلعة^(٤)، ووجود القضاة^(٥)، والمفتي أو شيخ الإسلام^(٦)، والمحتسب وكان وكان التعيين فيها من قبل حاكم دمشق ويلبس الخلعة^(٧)، ومعلم دار الضرب، وكاتب الخزنة، وكاتب السر، وكاتب نسخ، ونقيب الأشراف^(٨)، وموظفي ركب الحج الشامي، وأجناد الحلقة^(٩)، وترجمان الإفرنج مما يشير إلى انفتاح دمشق على باقي البلدان وخاصة بلاد المغرب وغيرها^(١٠). أما ابن طولون فقد أورد عدد كبير من الوظائف بعضها يشبه الوظائف التي ذكرها ابن طوق، ومنها القضاة الأربعة والنائب وجيشه الذي كان يستعرض أمام المصطبة^(١١)، وقاضي القضاة الحنفي بطرابلس، وذكر الخليفة العباسي كمنصب ديني وله مرتب^(١٢)، ووظيفة قائد الألوف الذي تحت أمرته ألف جندي وذكرت هذه الوظيفة كثيراً وكان هذا القائد أحياناً يتولى ركب الحج الشامي^(١٣)، وأمير البهار وهي وظيفة رسمية لتنظيم تجارة البهار في إشارة إلى أهميتها وكانت تثير عدة مشاكل بينه وبين ناظر الجيش، وكان السلطان هو الذي يعين في وظيفة البهار من يريد فقد عين عليها أحد الفرنجة المسلمين كي يعمل على ترتيب أمور التجارة مع الفرنجة^(١٤)، ونائب قلعة صغد ونقيب القلعة^(١٥)، وناظر الجوالي أو نظر الجوالي (المختص برواتب العلماء والفقهاء

(١) النائب الكافل في الحضرة السلطانية تعني رئيس الوزراء في وقتنا الحاضر وكثير ما يصير بعد خلع السلطان أو قتله سلطاناً بدلاً عنه كما ان كثير من نواب دمشق ارتقوا الى الملك في العصر المملوكي : فهو سلطان مختصر أو السلطان الثاني ، دهمان : معجم، ص ١٤٩ .

(٢) حاجب الحجاب منصب مملوكي صاحبه يقوم مقام النائب في اوليات ، واليه يشير السلطان واليه يرجع عرض الجند فهو يتصف بين الامراء والجند تارة ، وتارة بمراجع نائب السلطان واليه تقدم العروض ، انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٥ ، ودهمان : معجم، ص ٥٩ .

(٣) ناظر الجيش : هو الذي يتحدث في امر الجيش وضبطها ، ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٥ ، ودهمان : معجم، ص ١٥٠ .

(٤) نائب القلعة : لقب موظف من العهد المملوكي مقره قلعه دمشق او قلعه القاهرة كان يتبع للسلطان مباشرة ولا يتبع نائب دمشق او نائب القاهرة له صلاحية فتح بابها او غلقه وتفقد اسوارها وابراجها واليه ترفع المحاكمات بين اهلها استمرت هذه الوظيفة حتى العصر العثماني ويسمى آغا القلعه ، ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٥ ، وانظر الخطيب : معجم، ص ٤٢٠ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ٨ .

(٦) شيخ الإسلام من القاب التشريف المركبة معناه : شيخ علماء الإسلام وهم الفقهاء والمجتهدين ، ولم يطلق على صاحب منصب الا في العهد العثماني اذ كانت مشيخة الإسلام اعلى المناصب الدينية في الدولة ويكون حنفي اي تابع لمذهب الدولة الرسمي ومقره بالقسطنطينية وله صلاحيات فهو مستشار للسلطان في الامور الشرعية ، وينافس الصدر الاعظم ، انظر الخطيب : معجم، ص ٢٧٩ .

(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٥ ، ٣٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٩٤ .

(٨) نفس المصدر، ص ٢٨ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٩٥ .

(٩) أجناد الحلقة : هم جنود المرتزقة من غير ممالك السلطان ، ولكل أربعين جندياً يُقدم عليهم واحد منهم ، ليس له حكم إلا إذا خرجوا الى الحرب أو السفر فحينئذ يقودهم مُقدمهم ، انظر دهمان : معجم، ص ١٢ .

(١٠) ابن طوق : التعليق، ج ٢، ص ٧٨٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٩٤ - ١٩٦ .

(١١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٨ .

(١٢) نفس المصدر، ص ٩ .

(١٣) نفس المصدر، ص ١٢، ١٦، ٣٣، ٥٩، ٩٦ .

(١٤) نفس المصدر، ص ١٣، ١٤، ١٠١ .

(١٥) نفس المصدر، ص ١٤، ١٦، ١٧، ٢٥ .

وكانت من أموال أهل الذمة^(١)، والخاصكي الذي يلزم السلطان في خلواته والمهمات ، والحاجب الكبير أو حاجب الحجاب الذي كانت علاقته سيئة مع الأهالي^(٢) ، ووظيفة الكاتب ، وكاتب الخزانة ، وإفتاء دار العدل بالنيابة^(٣) ، والدوادر الكبير الذي يحمل دواة السلطان ويتولى أمرها^(٤) ، وقد سجل ابن طولون تغييرات كثيرة في الوظائف مما يشير إلى ارتباك الوضع في بلاد الشام مع تزامن تتبع تحركات ابن عثمان وتدهور حالة الشام وانتشار النهب والسلب^(٥) ، ووظيفة استيفاء الأوقاف ، مع ازدياد بيع الوظائف وخاصة وظيفة القضاء من قبل قضاة السوء وخوف القضاة من بعضهم البعض ، حتى أن احدهم كان يتمنى هلاك الآخر ، ومما يلفت النظر انهم كانوا يتزوجون من نساء مصريات ، في إشارة إلى تقربهم من السلطة إذ كانوا يسافرون كثيراً إلى مقر السلطنة المملوكية في مصر^(٦) ، وتم ذكر لوظيفة الخطباء ، ومعلمي دار الضرب^(٧) ، ووظيفة نيابة السادة الأشراف الذين تميزوا بلبسهم العمامة الخضراء^(٨) ، ووظيفة أمير سلاح ويشغلها أحد أفراد العائلة الحاكمة إذ كانت لابن أخت السلطان قايتباي ٨٧٢ هـ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ م - ١٤٩٥ م^(٩) ، وقد ورد أيضاً ذكر لوظيفة المؤقت الذي يحدد رمضان والعيدين^(١٠) ، وموظفي المارستان^(١١) ، ومع تعدد تلك الوظائف ، فقد شهدت تلك الفترة انتشاراً للرشوة والفساد بين فئات الموظفين^(١٢) .

ثانياً: البدو: يتنقل البدو في مختلف أنحاء صحارى بلاد الشام ، فقد شهد طريق الحج الصحراوي الممتد على طول البادية تحركات مستمرة وواسعة ، بسبب مرور طريق القوافل التجارية والحج ، فعمل المماليك على التقرب من البدو تارة وتارة توجيه ضربات قوية إليهم لتأديبهم^(١٣) ، وقد اشتهرت سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م خروج البدو على السلطة المملوكية في منطقة الحمراء شرق قرية ضمير شرقي مدينة دمشق ووصف ابن طولون البدو بأنهم : " .. وحوش الأدميين.." ^(١٤) ، وقد ساءت علاقة البدو مع السلطة ، إذ قام نائب الشام باهانة أحد شيوخ العرب

(١) نفس المصدر، ص ١٨ ، ٢٥ .

(٢) نفس المصدر، ص ١٨ ، ٢٥ ، ٥٤ .

(٣) نفس المصدر، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٣٠ .

(٤) نفس المصدر، ص ١٩ .

(٥) نفس المصدر، ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ١٠١ .

(٦) نفس المصدر، ص ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٧٤ ، ٩٤ .

(٧) نفس المصدر، ص ٣٧ .

(٨) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٤٠ .

(٩) قايتباي : الملك الأشرف ابو النصر قايتباي الظاهري المحمودي نسبة الى محمود الخواجا جالبه وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة والحادي والاربعون من ملوك الترك ، انظر الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٢٠ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠) ابن طولون : مفاكهة ص ٨٢

(١١) نفس المصدر، ص ٩٤ ، ٩٥

(١٢) نفس المصدر، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(١٣) العمري : التعريف ص ١١١ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٤ ، ١٨ .

(١٤) ابن طولون : مفاكهة، ص ٨ .

بالشتم والسب ، مما دفع بعض الأمراء إلى التدخل كي لا يعاقب ذلك الشيخ ، وكان تبريرهم للنائب بأن لا يجوز معاقبته مع الوضع المزري للبلاد داخلياً وخارجياً^(١) ، كما وقام البدو بقتل نائب حماة ومعه أمير كبير كونه سبق وقتل من أهلها نحو مائتي شخص^(٢) ، كما وهاجم البدو قافلة عراقية قاصدة بلاد الشام تتألف من ٣٠٠٠ آلاف جمل^(٣) ، وقد حاول السلطان التقرب من بعض شيوخ البدو بسبب قوتهم ومنهم سيف العاصي أمير الشام ، حيث جهز له السلطان خلعة و حاول التقرب منه كي يكسبه ويؤمن شره ، و حاول بعض الأكراد التوسط بين المماليك والبدو^(٤) في إشارة إلى قوتهم ومقدرتهم على إرباك السلطة ، فقد كانوا يتعرضون لركب الحجيج كما جاء في أحداث سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م^(٥) ، مما دفع بالسلطة المملوكية إلى اتخاذ تدابير منها إرسال قوات عسكرية لحماية القوافل من الأخطار ، أو بإعطاء الأموال للبدو ، وكانت العربان (البدو) تكرر هجماتها على قوافل الحجيج^(٦) ، كما وقد تعامل المماليك مع البدو بقسوة وشدة ولدت رد فعل من العربان ، فكثرت القتل والنهب^(٧) ، وكان بعض الأمراء حين تسوء علاقتهم بالسلطة يلجأون إلى البدو إشارة إلى قوتهم من وجهة نظر الأمراء المماليك^(٨) ، وقد تكررت هجمات البدو على دمشق ونواحيها مما أقلق السلطة فكانت توجه لهم الضربات لردعهم^(٩) ، وكانت علاقة النائب بهم سيئة وتمكن من حبس جماعتهم ودخل بهم دمشق (قتلاً وقطعاً وضرباً وربطاً) ، فشنق جماعة منهم وقطع رؤوس جماعة آخرين وأخذ منهم جمال كثيرة^(١٠) ، وأستمر بعض البدو يهددون اقتصاد دمشق ، فكانوا يمارسون أعمال سلب ونهب لممتلكات الأهالي أدى إلى خلق مشاكل بين القبائل أنفسهم^(١١) ، وكان البعض من البدو يغيرون بين حلب وحماة ويسرقون ويقتلون جماعات ذاهبة إلى دمشق مما دفع السلطة القبطية على (كبيرهم البدوي) ، مع تكرار قطع الطرق وهجومهم على أطراف دمشق واستمرار السلطة بمطاردتهم^(١٢) .

(١) ابن طولون : مفاكهة ، ص ١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥ ، ١٦ ، ٤٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٣٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٦٤ ، ٣١٥ .

(٧) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٧٥ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٥١ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٦٢ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

(١١) نفس المصدر ، ص ٨٣ .

(١٢) ابن طولون : مفاكهة ، ص ١٠٥ ، ١٩٥ ، ١٩٨ .

ثالثاً : الفلاحون : لم يختلف وضع الفلاحين عن باقي فئات المجتمع الشامي فقد تعرضوا أيضاً إلى الضرائب والاضطهاد والتعدي من قبل الإقطاعيين وأعوانهم^(١) وتعرضوا إلى غزوات البدو المتكررة^(٢) وهذا يعني ان سكان القرى كانوا يعانون من اضطهاد من قبل السلطة والبدو^(٣)، فمثلاً سكان قرية داريا التي تقع جنوب غرب دمشق ، ساءت علاقتهم مع النائب قانصوه اليدياوي فحين قُتل أحد الفقهاء بقريتهم ، حبس النائب جماعة منهم إلا أن نائب قلعة دمشق أطلق سراحهم ، فغضب نائب دمشق منه وزجره وهدد بتعذيبه بالتوسيط إذا لم يتم إرجاع الفلاحين من أهل قرية داريا ، وقد أكد ابن طولون بأنه تم ألقاء القبض عليهم مرة أخرى لإرضاء المشتكين^(٤)، ورافق ذلك انتشار قطاع الطرق في القرى وقيامهم بالذهب والسرقة^(٥)، وكان للقرى بدمشق دور بارز في رفض تجاوزات السلطة ، فكانوا حين يشعرون بأنهم مظلومون كانوا يكبرون في الجوامع احتجاجاً ، ويهجمون على بيوت المسؤولين للتعبير عن رفضهم للظلم ولإرجاع حقوقهم^(٦) ، وتزامن ذلك مع سوء الأحوال الداخلية والخارجية ، يصف ابن طولون ذلك بقوله : (حتى أن بعضهم لم يحج ... " بسبب خراب البلاد^(٧) ، وساءت أحوالهم أيضاً مع دوا دار السلطان حتى تدخل أحد القضاة لحل الإشكال وقد رافق ذلك الوضع صراعات بين القرى ، كانت تؤدي إلى القتل والذهب والاسبى وإحراق لبعض القرى مع فساد النائب ودوا داره ، فقد كانوا يأخذون المال من تلك القرى بحجة حل المشاكل العالقة بينهم^(٨) ، وأيضاً كانت المشاكل تتكرر بين الفلاحين وبعض الموظفين ، فقد قُتل أحد الموظفين الكبار من قبل بعض الفلاحين فقام النائب بشنق الجماعة الذين قتلوا الموظف ، من إشارة إلى أن السلطة كان ردها قاسياً في معاقبة الفلاحين^(٩) ، ومع تلك الأحوال المتدهورة ، كانت مزروعاتهم هي الأخرى تتعرض إلى ظروف قاسية كالبرد والصقيع مما يضرّ بهم من الناحية الاقتصادية^(١٠) وأحياناً هجوم الجراد على مزروعاتهم^(١١) ، مع وجود فساد مالي وغش في الأوزان وخلل في البيع والشراء^(١٢)، وتدهور في أسعار المحاصيل الزراعية الأساسية كالقمح والشعير حتى أنه انعكس سلباً على المدينة ، فقد أثر على حجم رغيف الخبز ، بسبب ارتفاع الأسعار وفساد

(١) نفس المصدر، ص ٧٩، والعلمي : الانس الجليل ، ج ٢، ص ٤٩٣ .

(٢) العلمي : الانس الجليل ج ٢، ص ٤٧٤ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة، ص ١٥ ، ١٦ ، ٣٣٥ .

(٤) نفس المصدر، ص ١٥ ، ١٦ .

(٥) نفس المصدر، ص ٢٤ .

(٦) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٦٠ .

(٧) نفس المصدر، ص ٦٩ .

(٨) نفس المصدر، ص ٧٩ .

(٩) نفس المصدر، ص ١٠٧ .

(١٠) نفس المصدر، ص ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ١٣ ، ٣٢ .

(١١) نفس المصدر، ص ١٨ .

(١٢) نفس المصدر، ص ١٤ .

المحتسب حتى أنه أجبر أصحاب المحلات على فتح الدكاكين وإلا فسوف يشنق كل من يرفض فتح دكانه^(١)، وقد سجل ابن طولون معلومات تفيد بأن الأسعار مع تلك الظروف القاسية كانت ترخص في رمضان كالبطيخ الأصفر، والأخضر، والعنب الداراني والزيني، والدراق، والخبز، والزيت^(٢).

رابعاً. أهل الذمة : تميزت فترة نهاية العصر المملوكي بعلو شأن أهل الذمة وهناك إشارات وردت عند المؤرخ ابن طولون الصالحي بأن أحد اليهود^(٣)، كانت له مكانة مميزة بأنه كان مستلم دار الضرب، وكان لرئيس دار الضرب اليهودي في دمشق علو منزلة وله خلة سلطانية زمن السلطان قانصوه الغوري سنة ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م / ٩٢٢هـ - ١٥١٦م^(٤)، وكان له موكب أمير يمحيطه جماعات من (المسلمين والمنافقين) كما أورد ابن طولون^(٥)، وكان لهم دور في التلاعب بالعملة مما أثر على الاقتصاد في بلاد الشام في تلك الفترة^(٦). وكان للنصارى الحرية في ممارسة طقوسهم الدينية في عيد القيامة، وكان تعدادهم كبيراً ولهم كبير ذابهة عظيمة وقد تمكنوا من كسب ثقة السلطان قانصوه الغوري، من خلال تقديم الهدايا النفيسة^(٧)، ولقد أبدى المسلمين اعتراضهم على تلك المعاملة وتقديم التسهيلات لهم من قبل المماليك، وتبدوا لاعتراضات واضحة على لسان ابن طولون بقوله: ".....وأراح البلاد والعباد من حكام السوء مما حل بالإسلام والمسلمين. إنا لله وإنا إليه راجعون"^(٨)، وحين طلب ابن حاكم الحبشة من السلطان قانصوه الغوري السماح له بزيارة القدس وإقامة الشعائر وافق السلطان وأرسل معه أحد خاصكيته، وتم ممارسة الشعائر في القدس الشريف مما ولد اعتراض لدى الناس وحصلت قتلى بين الطرفين وصل عددهم تقريباً إلى (٨٠٠ شخص)^(٩)، وأورد العليمي أن النصارى سيطروا على أماكن مهمة في القدس الشريف^(١٠). ويرتبط بما ذكر بعض المظاهر الاجتماعية خاصة تلك التي تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات لاسيما بين المسلمين والنصارى والاحترام المتبادل في

(١) نفس المصدر، ص ٧٠، ٧٢.

(٢) نفس المصدر، ص ٨٢، ٨٣.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨.

(٤) قانصوه الغوري: بن عبد الله الجركسي السلطان الملك الأشرف سماه ابن طولون جنذب، ترقى في المناصب حتى صار سلطان في آخر الدولة المملوكية حكم من سنة (٩٠٦هـ / ١٥٠٠م إلى ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) اذ حكم (١٦ سنة تقريباً) للمزيد انظر ترجمته في الغزي: الكواكب السائرة، ص ٢٩٥ - ٢٩٨، وانظر الكرمي: نزهة الناظرين، ص ٢٢٦ - ٢٣٠.

(٥) ابن طولون: مفاكهة، ص ٢٨٣.

(٦) نفس المصدر، ص ٣١٨.

(٧) نفس المصدر، ص ٣٦، ٣١٨.

(٨) ابن طولون: مفاكهة، ص ٣٦.

(٩) ابن طولون: مفاكهة، ص ٣١٨.

(١٠) العليمي، الانس الجليل ج ٢، ص ٤٧٨.

مسائل العبادات والأعياد والمناسبات منها خميس البيض^(١) ، وقد سجل ابن طوق في يومياته المسماة بالتعليق بعض العادات السائدة في حالات الفرح ، أو المرض ومناسبات العيدين وعيد السنة الهجرية ، عند المسلمين ، إضافة إلى أعياد اليهود والأعياد المسيحية^(٢) ، كما وترتبط بعض عادات الأطعمة والاشربة في بلاد الشام بتلك الفئات والتأثير المتبادل بينهم ، وكانت المناسبات لها أطعمة خاصة ، مثلاً في زواج أحدهم يتم تقديم الزبادي ومعه السكر المذاب وبقسماط^(٣) ، ولحم بعجين وشعرية وقطائف ، وعسل وطحينة وغيرها^(٤). أما المرأة والنساء فكان لهن دوراً كبيراً في مجتمع بلاد الشام وأحوالهن في الزواج والطلاق والحمل والإنجاب ، ومشاركتهن في الاحتفالات ، وعملهن في الحمامات الخاصة بهن، هذا من جهة ومن جهة أخرى سجل ابن طوق معلومات بأنهن منعن من دخول الجوامع بأمر حاكم دمشق بسبب تزايد عددهن في جامع ابن منجك^(٥) ، ومسجد الأقباب^(٦) ، وهذا يعني عدم الالتزام بالأوامر الصادرة من الحكومة ، كما تم تنصيب شيخة من النساء في حديقة إحدى المدارس وربما هي شيخة صوفية^(٧) ، كما برز نشاطهن في أعمال أخرى منها الخطابة ، والدلالة خاصة في سوق الجوارى ، وكانت أحدهن صاحبة الحمام كفاطمة التركمانية (فاطمة الحمامية) ، وبائعة في السوق مع الرجال ، وناسخة ، وخياطة^(٨) ، أما فيما يخص الزواج والطلاق فإن حالات الطلاق كانت قليلة إذا ما قورنت بحالات الخلع ورجوعها إلى بيت زوجها^(٩) ، وكانت نفقة المطلقة إذا ما حصل الطلاق الكسوة وأجرة السكن ويضاف لها الصابون والحمام والزيت ، وكانت المرأة تقوم بعدة زيارات وحضور الأعياد منها عيد خميس البيض ، وزيارة قبر الست (السيدة زينب عليها السلام) ، وزيارة المقامات ، وكان لبعض النساء ألبسة أثارت حفيظة المحتسب فكان ينادي بمنع بعض ألبسة النساء الضيقة والأحذية العالية^(١٠) ،

(١) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١٢٣ ، ١٤٥ ، ٧٨ ، ٤٥٧ ، ج ٢، ص ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ج ٤، ص ١٨١٩ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .

(٢) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٣٢٠ ، ٣٥٨ ، ١٥٣ ، ٤٧٠ ، ج ٢، ص ٨٣١ ، ١٠٩٥ ، ج ٣، ص ١٤٨٦ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٣) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١١٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٢٥ .

(٤) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١٥١ - ١٥٨ ، ج ٤، ص ١٧٧٧ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٥) جامع ابن منجك : عند جسر الفجل وآخر ميدان الحصى ، أنشأه الأمير العوني الهمامي إبراهيم ابن الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري وتعرضت الى الحريق في فترة تيمور لئك وجددها الناصر محمد ابن ابن أخيه إبراهيم ، انظر النعمي : الدارس، ج ٢، ص ٣٤٢ .

(٦) مسجد الأقباب : لم يذكر النعمي من بنائه أولاً ولكن أشار الى أنه كان خربة فعمره ناصر الدين بن منجك وبناه جامعاً كبيراً ، انظر نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣١ .

(٧) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٥٠٤ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٣٠ .

(٨) ابن طوق : التعليق، ج ٤، ص ١٧٣٦ ، ١٥٤٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٩) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١٣٧ ، ج ٢، ص ١٣٢٢ ، ج ٣، ص ١٤٢٩ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٣١ .

(١٠) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

وكانت النساء يرغبن باقتناء الحلي والمجوهرات ، ومنها غطاء الرأس المرصع باللؤلؤ^(١). وعلى الرغم من كل تلك الأوضاع التي كان الناس يعيشونها ، إلا أنهم مارسوا حياتهم الاجتماعية من زواج وأعياد ومناسبات وتبادل للزيارات .

رابعاً. الأحوال السياسية :

لقد جاء في نهاية فترة حكم المماليك سلاطين ضعفاء سياسياً وإدارياً ، فكان منهم الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب^(٢)، وكانوا منشغلين بالترف والمبالغة في إقامة المراسيم التي كانت تُظهر هيبة السلطان واهتمامه بالأبهة والعظمة حتى في خروجه للحرب^(٣)، وقد تَمَادَى بعض السلاطين في قهر الناس وقتلهم ومصادرة أموالهم ، ومنهم السلطان محمد بن قايتباي ٩٠١ هـ - ٩٠٤ هـ / ١٤٩٥ م - ١٤٩٨ م^(٤) الذي انشغل بنفسه وبالأموال مما أثر على وضع الدولة داخلياً وخارجياً أدت إلى مقتله على يد الدوادار الثاني طومان بأي ، بإشارة من خال السلطان محمد بن قايتباي قنصوه سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، فكان مسرفاً في تبذير الأموال التي جمعها والده السلطان قايتباي^(٥) ، ومما يلفت النظر في هذه الفترة تزايد ظاهرة الانقلابات السلطانية والمؤامرات ، مما كان لها أسوأ الأثر في تدهور الوضع الداخلي للدولة . فبعد وفاة السلطان قايتباي تولى ابنه محمد الحكم وحكم في بداية الأمر مدة ستة أشهر ، ثم جاء مملوك والده قنصوه واستلم الحكم منه لمدة (١١ يوم) ، ثم رجع مرة أخرى السلطان محمد بن قايتباي للحكم فحكم تقريباً سنة ونصف وبقيت الانقلابات مستمرة إلى أن وصل إلى الحكم السلطان قانصوه الغوري^(٦)، ومع ذلك كان السلطان الغوري خائفاً من تولي الحكم بسبب معرفته أنه سيفتل من قبل مَنْ يُنصبه وقد شرط عليهم حتى يقبل السلطنة ألا يقتلوه^(٧)، إضافة إلى ذلك استخفاف الأمراء القرانص^(٨)

(١) ابن طوق : التعليق، ج١، ص ٥٣٤ - ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٨٣١ وانظر نقولا زيادة : دمشق في عصر المماليك ، مكتبة لبنان ١٩٦٦ م ، ص ١٤٣ .

(٣) ابن طولون : اعلام الورى ص ٢٧٧ ، ابن طولون : مفاكهة، ص ١١ .

(٤) محمد ابن قاتباي : الملك الناصر محمد أبو السعادات ابن قايتباي بويغ بالسلطنة بمرض والده وهو في سن البلوغ حكم مرتين الاولى سنة شهور ويومين ثم خلع نفس السنة وبويغ السلطان الملك الاشرف قانصوه مملوك والده ، ثم خلع هذا ورجع محمد مرة ثانية وأقام الى أن قتل سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، انظر الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة، ص ١٦٧ .

(٦) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٠٥ الى ص ٢٢٦ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٣٧ ، ١٦٧ .

(٧) الكرمي : نزهة الناظرين ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٨) هم من الأمراء الكبار المماليك ، لهم قوة وخبرة عسكرية (للمزيد انظر ابن زنبيل : أحمد الرمال (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٥ م) ، وقعة السلطان الغوري مع سليم الثاني أو آخر المماليك ، تحقيق عبد المنعم عامر ، اشرف عبد الرحمن عبد الله الشيخ الهيئة العامة المصرية ١٩٩٨ ص ١٠٠ وسيشار له لاحقاً ابن زنبيل : آخر المماليك) .

وأرباب السيوف^(١) بالسلطين المماليك، بسبب منحهم الصلاحيات ، وكانوا لا يطبقون التعليمات الصادرة^(٢) ، من خلال مزاحمتهم للسلطان في الإدارة والتصرف بالأموال حسب أهوائهم بل وتجروا على القيام بمراسيم لهم خاصة بالسلطان منها ما قام به متسلم دمشق في الصلاة بمقصورة السلطان بالجامع الأموي ، ويقول ابن طولون عن هذه المقصورة بأنه لا يدخل إليها سوى السلطان في إشارة إلى قوة وسطوة بعض الموظفين^(٣) ، كما وتدخل مقامي الألو^(٤) من الأمراء في شؤون الدولة الخاصة ، وكان أهل المشورة هم حاشية السلطان الذين من حوله أو من الأجناد المرتزقة^(٥) ، الذين أخذوا يتدخلون في شؤون السلطنة ، كما اتسمت السياسة الداخلية للمماليك بظاهرة انتزاع بعض الملكيات الشخصية مثلما قام به أحد خاصكية السلطان بمصادرة إرث المتوفين وظلم الورثة ، من خلال تحويل المال إلى السلطنة^(٦) في إشارة إلى تعطيل جوانب الشرع ، وقد وقع السلطان قانسوة الغوري في مشكلة الفخامة والقوة من خلال فتحه عدة جبهات سواء كانت مع العثمانيين أو مع جيرانه من الدول^(٧) ، في وقت كان منشغلاً في حرب البرتغال الذين هددوا الاموانى الجنوبية للجزيرة العربية حتى أنهم وصلوا إلى شمال البحر الأحمر ، فقام الغوري بتهيئة الجيش لقتال السلطان سليم^(٨) إضافة إلى ذلك أن السلطان الغوري كان يعتمد على المنجمين في اتخاذ القرارات المهمة ورفضه نصائح بعض الأمراء مثلاً خاير بك ، حين اقتنع بما قاله له أحد المنجمين بأن الدولة ستزول على يد شخص اسمه يبدأ بحرف السين وهو سييبي نائب الشام ، وقد أهمل قضية زواله على يد سليم^(٩) . وهنا لا بد من ذكر دور العساكر ، فقد كان لهم دوراً كبيراً في تراجع السلطة المملوكية ، فتوزيع الاقطاعات مثلاً وتوفر المال كان مقتصرًا على فرقة الفرسان المماليك دون غيرهم مما خلق فروقات اقتصادية^(١٠) ، أما فرقة المشاة فكانت تتألف من عامة الناس من المدن ، والقرى (الفلاحين) ، والبدو (العربان) ، وكان أمر تجهيزهم يقع على عاتق المناطق التي يخرجون

(١) هم اصحاب الوظائف العليا في الدولة مثل كبار الامراء ، والنواب ، والولاة قريبين من السلطان انظر العمري التعريف، ص ١٠٢ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة، ص ٩٠ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة ، ص ١٨١ .

(٤) الأمير الذي يكون مسؤول عن ١٠٠٠ ألف جندي وكان عددهم ٢٤ أمير ولكل أمير ١٠٠ جندي مملوك لذلك يسمى مقدم الف أمير مائة ، انظر ابن شاهين : زبدة كشف ص ١١٣ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٥٩ ، وانظر الغزي : الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ١٤٩ ، ودهمان : معجم، ص ١٢ .

(٦) ابن طولون : مفاكهة، ص ٩٢ .

(٧) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ .

(٨) الغزي : الكواكب السائرة ، ج ١ ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٩) ابن طولون : اعلام الورى ص ١٩٢ - ٢٣١ ، وانظر الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٢٦ الى ٢٣٢ .

(١٠) طرخان : ابراهيم النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٦٥ ، ٦٦ . وسيشار له لاحقاً طرخان : النظم الاقطاعية .

منها^(١) ، إضافة إلى سوء العلاقة بين العسكر والاهالي في بلاد الشام خاصة سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م ، إذ يورد ابن طولون أن الناس حين جاء العسكر السلطاني خافوا منهم لانهم سبق وقتلوا ثلاثة أشخاص ، وعاثوا في الأرض الفساد^(٢) ، إضافة إلى سوء علاقة المماليك مع بعض الأهالي سواء من أهل المدن ، أو القرى فقد خرجت قرى عديدة ومناطق على السلطنة المملوكية خاصة أرض حلب فقد كتب بعض أمراء المماليك للسلطان الغوري بصعوبة الموقف هناك وأن أرض حلب سقطت بيد ابن عثمان ، فأصبح اسمه يذكر على المنابر ، وينقش على النقود^(٣) ، وقد نقل ابن طوق معلومات مهمة حول الوضع الداخلي لبلاد الشام، مثلت نبض الشارع في تناقل أخبار آل عثمان وكان أول خبر يرد عنده سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م^(٤) ، ومنها موت ابن عثمان السلطان محمد بن مراد سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م ، وتولى مكانه أحد أولاده وكان مقيماً في مدينة توقات بالأناضول مع اضطراب الوضع في القسطنطينية والتنازع على السلطة مما كان له الأثر على الشارع الدمشقي وتزامن ذلك سوء الوضع الداخلي لبلاد الشام وشاعت أخبار بأن الفرنجة وصلوا بيروت ودار قتال هناك ، ويذكر ابن طوق أخباراً تشير أن النصارى أخذوا القسطنطينية ، إلا أنه عاد ونفى الخبر ، إضافة إلى لجوء جم بن مراد الذي يسميه ابن طوق " جمجمة " إلى حلب داخل حدود السلطنة المملوكية هارباً من أخوته وذلك يوم ٢٨ / ٢ / ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م ، وهي إشارة إلى لجوءه إلى السلطان المملوكي^(٥) ، وتتبع ابن طوق أخبار تقدم العثمانيين فقد أورد خبراً في آيار سنة ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م أنه جاءت كتب تشير بأن عسكر ابن عثمان وصل أوله إلى أطراف هذه المملكة إلى جانب مخاوف الأهالي وتزايد بعض الأشاعات^(٦) ، وتتبع ابن طوق الأخبار في مجتمع دمشق حول أحد الجواسيس من عرب صعيد مصر ، فقد جاء إلى دمشق جاسوساً لابن عثمان وقبض عليه المماليك وتمت عقوبته أمام الأهالي في إشارة إلى خطورة الموقف في تلك الفترة تخوف المماليك من توسع نفوذ ابن عثمان الذي أخذ يجند الجواسيس استعداداً للحملة العسكرية^(٧) ، وانشغل الأهالي بمسألة الاستعداد العسكري لمواجهة ابن عثمان حتى أنهم شاركوا مرغمين في جمع أموال المشاة (درهم المشاة) لمواجهة جيش ابن عثمان ، فقد اعترضت بعض المحلات على هذا الإجراء حتى أنهم هجموا على بيت كاتب الخزانة ، ولم يهدأ الأمر إلا بعد تدخل القاضي الشافعي ومعه أهالي من

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٨٠ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٧٩ .

(٣) ابو نحل : جانبردي ص ٥٧ .

(٤) انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٦٤ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٤٨ .

(٥) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ١٥٠ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٤٩ .

(٦) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٥٩ - ٦٢ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٧) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٥٢٩ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٥١ .

حارة المزابل^(١)، ثم زادت السلطة المملوكية من فرض الضرائب وجمع الاموال، حتى دفع ذلك أحد الأعيان السفر إلى القسطنطينية لغرض الصلح بين ابن عثمان والسلطان المملوكي الا أنه فشل^(٢)، وقد تتبع ابن طوق محاولات الصلح ففي يوم ٦ / ٢ / ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م أكد أنه حصل الصلح الا أن السلطة المملوكية استمرت بجمع درهم المشاة مما خلق اضطراباً وغوغاء على حد وصفه، ففي يوم ١٣ / ٧ / ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م، حصلت غوغاء في ميدان الحصار بدمشق بسبب درهم المشاة^(٣)، لقد أدت تلك الحالة المتدهورة مع ممارسات السلطة جمع الأموال إلى استغلال الأهالي والفلاحين، حيث كان يُجمع من الفلاحين دراهم إضافية^(٤)، وتتبع ابن طوق أخبار القلعة لأنها تؤشر على وضع العسكر بانتصاراته وهزائمه^(٥)، حيث ترقب مجتمع دمشق بكافة فئاته أخبار العسكر فقد تابع ابن طوق انتصار العسكر، وظلت أخبار العسكر تصل إلى دمشق مع المشاة العائدين^(٦)، وقد سجل ابن طوق معلومات مهمة ففي يوم الأربعاء ٢٥ / ٦ / ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م ان بعض الأهالي قاموا بمراسلة (ابن عثمان) ويطلبونه للمجيء الا ان السلطة كشفتهم فكانت عقوبتهم بقوله: (وحشاهم تبنياً ونودي عليهم)، في محاولة لردع الأهالي^(٧)، وتكررت المعلومات عند ابن طوق في تتبع أخبار ابن عثمان، منها انه تقدم ووصل الحدود فزادت السلطة المملوكية من جمع درهم المشاة وتم حبس بعض التجار وأصحاب الأموال، فكان له أثر كبير على تخوف أهل دمشق ويصف ابن طوق ذلك بقوله: "...الناس في أمر مريخ وأنا في شدة عظيمة من ضيق اليد وخصوصاً في هذه الأيام..."^(٨)، وقد تتبع ابن طولون المعاصر لتلك الأحداث أخبار ابن عثمان، فقد ورد أول خبر عنده أن شخصاً من الفرنج من أهل قبرص أتى إلى بيروت وقال بأن صاحب رودس يريد أن يُعلمكم بأن ابن عثمان نزل بأسطول إلى البحر مكون من (٥٠٠ سفينة) ومنهم في البر وكانت هذه الأخبار تأتي من بيروت^(٩)، وقد تتبع ابن طولون محاصرة رودس وتبدو هنا ميولاً واضحة لابن طولون تجاه ابن عثمان من خلال دعائه لهم بالنصر بقوله: "...بأن السلطان ابن عثمان معسكر على رودس يحاصرها وقد أحاط بها، ظفره الله بها"^(١٠)، وذكر أنه معسكر على

(١) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٦٢٢-٦٢٦، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٥٤، ٢٥٥.
(٢) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٧٤٨، ٧٥٧، ٧٦٥، ٧٨٦، ٧٩١، ٧٩٣، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٥٨.

(٣) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٩٨٨، ج ٣، ص ١١٧٧، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٦٣.

(٤) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٧٨١، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٥٨.

(٥) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٨٧١، ٨٧٦، ٨٧٧، ٩٣٧، ٩٣٨، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٦٠.

(٦) ابن طوق: التعليق، ج ٢، ص ٩٧١، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٨، ٩٨٦، ٩٨٣، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٦١.

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٦٦، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٦٠.

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٣٧، ٩٣٨، وابو الشعر: مجتمع دمشق، ص ٢٦٠.

(٩) ابن طولون: مفاهمة، ص ١٠، ١١.

(١٠) نفس المصدر، ص ١٦.

رودس بـ (٦٠٠ سفينة)^(١) ، وتتبع ابن طولون أحوال أهل حلب حيث طلبوا للخدمة العسكرية وطلب منهم المال ، مما دفع الأهالي إلى الثورة وقتلوا المسؤول على ذلك وحرقه تحت القلعة يصف ذلك ابن طولون بقوله : ".... وأراح الله العباد والبلاد منه..."^(٢) ، بل إن الكثير من الأخبار التي أوردها ابن طولون مشابهة لما ذكره ابن طوق منها تتبعه أخبار وفاة أحد السلاطين في القسطنطينية^(٣) ، وتتبعه خروج محمد جمجمة ابن عثمان ودخوله داخل حدود السلطنة المملوكية وتم تجهيزه بجيش من قبل السلطان قايتباي حتى يأخذ الملك من أخيه وفعلاً تمت المواجهة وانهزم جمجمة إلى بلاد الفرنج فأرسل السلطان العثماني اليهم مالأً كي يسلموه اليه يقول ابن طولون : "... وهذا كان السبب في معاداة ملك الروم لسلطان مصر ... " وقد أكد ابن طولون تلك العدواة بقوله : "...مع أن ملك الحبشة أرسل له هدية لها قيمة كثيرة ، منها سنجق بقصبة ماس يساوي مجموعها ثلاثين ألف دينار ، فغار منها سلطان مصر ، فأهداها له ، ولم يهنئه بالملك قبل ذلك ، ومات أخوه ولم يرسل يعزيه في موته فتأكدت العدواة"^(٤) ، كما وأكد ابن طولون دخول محمد جمجمة بعد ذلك إلى دمشق فأرسل السلطان المملوكي أوامر بإكرامه وتجهيزه للحج (بأبهة عظيمة)^(٥) ، وتزامن ذلك مع فرض ضرائب كبيرة على الأهالي من قبل النائب^(٦) ، وسوء الأوضاع الأمنية في بلاد الشام بسبب سيطرة الزعر على الشوارع وقتلهم للناس ، ويذكر ابن طولون واصفاً الحدث بقوله : "... ثم داروا في البلد وقتلوا جماعات ، منهم ابن الحنبلية فقتلوه في بيته ثم نهبوا بيت دودار السلطان والحاجب وغيرهما .." كما أشار ابن طولون الى نهب الحارات من قبل الزعر ، والتعدي على القضاة^(٧) . وقد ربط ابن طولون بين تعديت الجيش المملوكي على الأهالي وبين قتال ابن عثمان ففي أحداث سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م يقول ابن طولون : "...وفيه دخل أول المماليك السلطانية من مصر إلى دمشق قاصدين ابن عثمان ، ونودي بها بالاحتفاظ على الأولاد والنساء منهم ، فإنهم قد قتلوا في مرة ثلاثة أنفس وعاثوا في الطريق وغيره..."^(٨) ، وقد أكد الخبر بأن حاكم الشام حذر الناس من الجيش السلطاني القادم من مصر ، وهي إشارة إلى قوة هؤلاء و سطوتهم وتعديهم على الأهالي^(٩) ، ولم ينزلوا دمشق بل حلب وصارت فيها فتنة بسبب المماليك السلطانية فأخرجهم الأهالي منها، وقد وصف ابن طولون الهيئة التي دخل بها العسكر المصري إلى دمشق بقوله : "...

(١) ابن طولون : مفاكهة ، ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) نفس المصدر، ص ٣٧ .

(٤) نفس المصدر، ص ٤٢ .

(٥) نفس المصدر، ص ٤٧ .

(٦) ابن طوق : التعليق، ج ١، ص ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٤ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٧٧ .

(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٨) نفس المصدر، ص ٧٩ .

(٩) نفس المصدر، ص ٨٦ .

مدخلاً حافلاً ، بثقل كثيرة للتجربة على ابن عثمان..^(١) ، حتى ان العسكر المصري انتشر في دمشق بقوله : "...وقد امتلأت دمشق من العسكر المصري ... حتى غلقت حوانيت كثيرة .." ، وكانت حتى الخيول وأغنام العسكر تأكل البساتين ، وقد فككت الأبواب للاستفادة من حطبها^(٢) ، في إشارة إلى صعوبة الوضع وتدهوره مما كان له أسوأ الأثر على الأهالي ، ويذكر ابن طولون أخباراً أخرى تشير إلى سوء الوضع ، منها بأن الطريق بين مصر ودمشق كان محفوفاً بالمخاطر من خلال تكرار الهجمات على قوافل التجار^(٣) ، وصار يُضغَط على الأهالي بتجهيز العساكر وتم تعيين موظفين خاصين لهذا الغرض ، فكانت هذه التعليمات تصيب الناس بالارتباك بسبب سوء الوضع الاقتصادي وتدهور المزروعات لقلة المطر يصف ذلك ابن طولون بقوله : "...وفي يوم الأثنين نودي من جهة النائب بالتجريدة ، فاغتم الناس لذلك لشدة وقوف الحال لقلة المطر .." ، وارتفاع الاسعار حتى أجبر البعض إلى بيع كتبه ومنهم ابن قاضي عجلون فقد باع كتباً كثيرة^(٤) ، وأورد ابن طولون خبراً بأن الجيش المملوكي خرج من مصر لملاقاة ابن عثمان^(٥) ، الا ان ابن عثمان كمن لهم وحصل قتال في البحر (وغرق من الفريقين آخرون...^(٦)) ، وهذه الظروف جعلت البعض يستغل الناس من خلال رفع الاسعار عليهم مما أضر بالأهالي ، فقد قام الأهالي بحرق أحدهم حاول التربح بالقمح ومعه مرسوم سلطاني^(٧) ، في إشارة إلى الفساد الإداري والمالي وفساد المحتسب فزادت رغبة الأهالي بأي قوة تخلصهم من الوضع المزري الذي يعيشونه^(٨) ، فلقد احس الأهالي بما تمر به الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام من الضعف والانشغال في الأوضاع داخلياً وخارجياً كقتال ابن عثمان ، والتصدي لهجمات البدو المتكررة وسوء الأوضاع سياسياً واجتماعياً ، إضافة إلى حروب المغول والصليبيين وما أتبعه من زلازل ومجاعات وما صاحب الدولة المملوكية من الضعف ، بحيث أصبح الغوري لا يعرف مواطن خلل دولته مع كبر سنه إذ بلغ عمره ثمانون عاماً حين عزم السلطان سليم على أخذ بلاد الشام ومصر مركز سلطنة الجراكسة^(٩) وصار يعتمد على العرافين بان نهايته ستكون على يد شخص يبدأ اسمه بحرف السين (سبياي) فصار عنده عقدة نفسية من هذا الحرف^(١٠) ، فعمت حالة الفوضى والاضطراب في مؤسسات الدولة في المرحلة الاخيرة من عمر المماليك ، وجمع الاموال وقهر الناس مع تزايد عدد

(١) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٩٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٠١ ، ١٠٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٩٣ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٨٠ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

(٥) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٨٠ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٨٢ .

(٧) نفس المصدر ، ص ٨١ .

(٨) ابن طوق : التعليق ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ص ٤٦ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ٢٤٨ ، ٢٦٥ .

(٩) كرد : خطط ج ٢ ، ص ٢٠٦ .

(١٠) نفس المرجع ص ٢٠٦ .

المتصلين بالعثمانيين^(١)، فأصبح الأهالي يتطلعون إلى أي قوة تخلصهم من المماليك ومن عسكرهم^(٢)، نتيجة تدهور الاوضاع وارتفاع الاسعار وفساد المحتسب^(٣)، وتدهور الاقطاعات الزراعية وزاد فرض الضرائب وجمعها ، وانتشرت الرشوة وبيع الوظائف واحتكار السلع الضرورية للسكان، وانتشار الأمراض كالطاعون ، ورافقت ذلك الوضع تزايد حركات الزعر والحرامية ، وتعرض الفلاحين إلى الاضطهاد والتعدي عليهم من قبل الاقطاعيين^(٤).

كما وعملت المؤامرات عملها في إضعاف سلطة المماليك ، فقد اتهمت بعض المصادر جان بردي الغزالي^(٥)، وخاير بك^(٦) بالتآمر على المماليك^(٧)، وبأنهما كانا سبباً في سقوط الجراكسة^(٨)، ومقتل آخر سلاطينهم وهو طومان باي^(٩)، حيث يفهم من المصادر الاخيرة من تاريخ السلطنة المملوكية اتهام عدد من الامراء بالخيانة والتواطؤ لحساب العثمانيين عند دخولهم بلاد الشام ومصر بين عامي ٩٢٢ هـ - ٩٢٣ هـ / ١٥١٦م - ١٥١٧م ، فأما جان بردي الغزالي، فقد كان يشغل مناصب عدة في الدولة المملوكية كمنصب أمير عشرة^(١٠) ، ومحتسباً للقاهرة ، ثم حاجباً كبيراً لعدة سنوات^(١١) ثم عين نائباً على صند ثم حماة ، واستمر بهذا المنصب إلى هزيمة المماليك بحلب في مرج دابق^(١٢) ثم عين باتفاق بعض الأمراء الجراكسة بعد الهزيمة في حلب حاكماً على دمشق ، وقام بممارسة بعض الصلاحيات كتعيين شخصين من قبله أحدهما على حمص والثاني على حماة ، الا أنهما هربا ورجعا إليه وأخبراه أن " ملك الروم " قد عين بدمص وحماة شخصين من قبله ، فانزعج الغزالي وأحس بأنه مغلوب ، فجهز نفسه وأهله وبقية الأمراء إلى مصر ، وكان بها طومان باي آخر المماليك الجراكسة ، وبعد ذلك ذهب إلى غزة ، فسافر الوزير سنان باشا إلى غزة لقتال

- (١) ابن طوق : التعليق ، ج ٣، ص ١٢٣٧ ، ١٤١٥ ، وابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) كرد : خطط ج ٢، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
(٣) ابن طولون : مفاكهة، ص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .
(٤) ابن طوق : التعليق ، ج ١، ص ١٠٥ ، ٨٧ ، ج ٣، ص ١١١٦ ، ج ٤، ص ١٧٦٢ ، ١٦١٢ ، ١٨١٨ ، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق، ص ٥٩ - ١١٥ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ١٢٠ ، ١٥٢ ، وكرد خطط ، ج ٢، ص ٢٠٥ .
(٥) جان بردي : بن عبد الله الجركسي ، الشهير بالغزالي ، كان كافل حماة ثم دمشق ، في دولة الجراكسة ولما دخل سليم العثماني مصر ولاه نيابة الشام ، ثم تمرد وقتل من قبل العسكر العثماني سنة (٩٢٧ هـ / ١٥٢١م) ، للمزيد انظر ابن العماد : شذرات الذهب ج ٨ ص ١٥٠ - ١٦٠ ، وايضا للمزيد حول اشكالية ذلك الاتهام انظر أبو نحل : جان بردي ص ٥٦ - ص ٨٦ .
(٦) خاير بك الجراكسي : هو أول من تولى مصر من الباشات ، وأصله من أمراء السلطان الغوري مات سنة (٩٢٨ هـ / ١٥٢٢م) ودفن بجامعة المشهور الذي بناه في القاهرة ، الكرمي : نزهة ص ٢٢٩ .
(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٨ .
(٨) ابو نحل : جانبردي ص ٥٦ - ٨٦ .
(٩) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ وما تلاها .
(١٠) أمير عشرة : رتبة عسكرية في الجيش المملوكي ونصيب كل منهم في الحرب امرأة عشرة فرسان ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة ، انظر دهمان : معجم ، ص ٢٢ .
(١١) حاجب الحجاب : منصب مملوكي كان صاحبه يقوم مقام النائب في الولايات واليه يشير السلطان واليه يرجع عرض الجند وما شابه ذلك والبع تقدم العروض ، ابن طولون : مفاكهة، ص ٢٢٤ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، و دهمان : معجم ، ص ٥٩ .
(١٢) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

الغزالي ويورد ابن طولون عدة أقوال في ذلك : " ...سافر الوزير الاعظم سنان باشا ، قيل باربعة آلاف فارس ، قيل إلى غزة ، ثم قيل للسعي في الصلح وقيل للقتال .. " ، ومهما يكن من سبب فقد تمت سيطرة العثمانيين على بيت المقدس وغزة وهرب الغزالي ، وبعدها تجهزت الجيوش العثمانية لأخذ مصر وتم أخذها وهزيمة " طومان باي " وجماعته في يوم ٥ محرم سنة ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م^(١) ، فتغيرت معاملة الغزالي مع العثمانيين بعد انتصارهم في مصر ولما دخل سليم إلى مصر لم يقتل الغزالي بل عينه نائباً على الشام ، بحيث فوض السلطان نيابة الشام إليه ، وجعله قائداً عسكرياً في جانب الميسرة للجيش سنة ٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م ، وأصبح مقرباً من السلطان وألبسه الخلعة ، وصار يتوسط لبعض الخارجين على السلطان ، حتى انه صار متولياً على الجامع الاموي بأمر السلطان ، على عادة الجراكسة ، حتى انه أبطل من مؤذنيه حوالي ثلاثين شخصاً ، ومنع بعض المدرسين من روايتهم خاصة الذين تعينوا ولم يباشروا في وظائفهم ، وصار يشنق كل من سرق من خزانة النيابة^(٢) ، في اشارة إلى ممارسته صلاحيات واسعة من قبل السلطان ، ومما تجدر الاشارة اليه انه تمكن من تحقيق الامن والاهتمام بالأمر العامة ، مثلاً لقاء ركب الحجيج ومطاردة بعض العربان الذي كانوا يهددون قوافل الحج والتجارة ، وقد شهد الحج أماناً في أيام الغزالي ووصف ابن طولون ذلك قائلاً : " ...وصلت كتب الحاج وفيها ان هذه الحجة كانت طيبة لحصول الرخص والأمان بالطريق ومكة المشرفة " ، كمل عمل الغزالي على مطاردة الحرامية والزعر في دمشق والصالحية^(٣) ، وهذه المعلومات تشير إلى حصول الغزالي على ثقة السلطان مع انه سبق له ودخل الحرب في غزة ضد العثمانيين^(٤) وكان للغزالي علاقات سيئة مع بعض النواب والفقهاء ، فمنهم نائب دمياط الرومي الذي يصف الغزالي بانه مُشوش الأفكار أي يُسبب الأضطراب يذكر ابن طولون ذلك بقوله: " ...فقال له نائب دمياط المذكور : لعل نائب الشام (الغزالي) شوش عليك) ، وكذلك بعض الفقهاء يقول ابن طولون : " ..واستطال النائب (الغزالي) على ابن حامد كعاداته في حق الفقهاء ، ولم يوقره لعلمه واعتقاد الناس فيه .."^(٥) ، وقد أشارت بعض المصادر المعاصرة ان الغزالي كان يعلن صراحة في المحافل الدينية محبته للسلطان الأشرف قايتباي^(٦) ، في اشارة إلى علو منزلته عند العثمانيين حتى انه صار يدخل إلى دمشق بأبهة عظيمة تشابه أبهة السلاطين ، وقد طغى وتكبر حتى انه قتل أعيان نابلس وكل أقارب مقدم نابلس المعزول ، بسبب قتله محمد ابن ناظر الجيش الشهير بابن بليبل الجلجولي ، وكثرت عمليات الاعدام بالأعيان شنقاً ، وقام بتعيين

(١) نفس المصدر، ص ٣٤٧، ٣٤٨ - ٣٧٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٥٠.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥.

(٤) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٧٨ ، ٣٨١.

(٥) نفس المصدر، ص ٣٩٢.

(٦) نفس المصدر، ص ٣٩٧.

جانبلاط نائباً على غزة^(١) وبعد وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م عظم شأن الغزالي أكثر وقام بعزل الأمير سنان الرومي من بلاد البقاع، فساعت علاقته به، فحذر سنان الرومي الناس في القلعة من غدر الغزالي، فتم غلقها بوجهه، وأراد دخولها (بالمخادعة فلم يمكنه)، ثم حاصرها وملكها بالحيلة والخداع، وسيطر على الأروام فيها، ونهب بيوت الناس ودكاكينهم ولبس ملابس الجراكسة وألغى لبس الأروام وأبطل التكية التي أقامها السلطان سليم عند مزار محيي الدين ابن عربي^(٢) وصادر الأموال والمواد الغذائية، في إشارة إلى اعلانه العصيان على الأروام من خلال تنصيب نفسه سلطاناً وتلقب (بالمملك الأشرف)، مما دفع الجيش في التحرك عليه ودخل في حرب معه سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م فهزمته القوات ورجع إلى دمشق ثم حصلت حرب أخرى معه سنة ٩٢٧هـ / ١٥٢١م وتم قتله وتنصيب شخص من الأروام من قبل السلطان سليمان القانوني^(٣).

وأما خاير بك، فقد شغل مناصب عديدة في دولة الجراكسة منها " نقيب قلعة دمشق " وهو الذي ينوب عن نائبها في غيبته، وبعد انهزامه إلى مصر، إلى جانب المماليك شغل وظيفة دودار نائب مصر، وكانت له زيارات إلى دمشق في هذه الفترة الحرجة^(٤)، ويصف ابن طولون دخوله إلى دمشق بعد الهزيمة في مرج دابق بقوله: ".... وفي يوم الجمعة تاسع عشره دخل دمشق خير بك، المعزول عن حلب وهو مخلوق للحية، وعليه لبس العثمانية..." وهي إشارة مهمة إلى دخول خير بك إلى جانب العثمانيين مباشرة بعد الانتصار في حلب ولم يتم قتله بل انه صار قريباً من نائب الشام الجديد يونس باشا وتم تعيينه فيما بعد نائباً على مصر وصار يرسل الهدايا للسلطان^(٥).

أما الأحوال الخارجية فهي لا تقل أهمية عن الأحوال الداخلية، فمن جانب تدهور الحالة الداخلية لبلاد الشام في نهاية العصر المملوكي من عدة جوانب كما مر سابقاً منها الكوارث الطبيعية والأمراض، والظروف الاقتصادية السيئة واحتكار الحكام للأسلحة المهمة والفساد في مؤسسات الدولة المختلفة وانتشار بيع الوظائف، وطغيان الاقطاعيين في الأراضي الزراعية وسوء حالة الفلاحين، والصراعات الداخلية بين الحارات خاصة في دمشق أو بين القرى والحارات، والصراع على السلطة والمؤامرات والعظمة والتفخيم وسوء علاقة المماليك مع الاهالي. فقد كان لها أثر على المماليك ومكنت العثمانيين من الوصول إلى بلاد الشام، إذ كانت سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٧م

(١) نفس المصدر، ص ٤٠١، ٤١٢.

(٢) محي الدين بن عربي: محمد بن علي بن محمد الاندلسي (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) فيلسوف له عدة مؤلفات في التصوف وغيرها منها كتاب الفتوحات المكية، تحقيق عثمان يحيى، ١٤ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م، ط ٢، وانظر الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٨ ج، دار العلم للملايين، ط ١، ٢٠٠٢م، ج ٦، ص ٢٨١-٢٨٢، وسيشار له لاحقاً الزركلي: أعلام.

(٣) ابن طولون: مفاكهة، ص ٤١١-٤١٤، وابن العماد: شذراتالذهب ج ٨ ص ١٥٠-١٦٠، وبيات: فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ط ١، بيروت ٢٠٠٧م ص ١٣٧، وسيشار له لاحقاً بيات: الدولة العثمانية.

(٤) ابن طولون: مفاكهة، ص ٣٨١.

(٥) نفس المصدر، ص ٤٠٠، ٤١١.

صعبة على السلطان الغوري ففيها انتهت دولة المماليك وماتت زوجته^(١)، حيث أصيبت الدولة بانهيار على كافة الأصعدة ، وكان سليم خان مُصراً على اسقاط دولتهم^(٢)، وتكالبت عليها المخاطر داخلياً وخارجياً ، وأصبحت تواجه دول قوية منها الدولة الصفوية ، والدولة العثمانية ، والبرتغاليين^(٣) ، وتعرضت تجارة المماليك إلى التدهور في عدة جوانب ، منها سيطرت العثمانيين على تجارة الرقيقمن خلال شرائهم من أسواق البحر الأسود ليتم نقلهم إلى مصر^(٤) ، وفي أوائل سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، وصلت الأخبار إلى القاهرة بان آل عثمان في القسطنطينية مستعدين لحرب المماليك ، فشرع الغوري بأن عليه الخروج لملاقاتهم عند حلب في بلاد الشام ، فقام بأرسال الرُسل إلى العثمانيين يريد الصلح معهم ، الا ان سليم رفض ذلك وأخبر الرسول ان على قانصوة الغوري لقاءه عند مرج دابق بحلب^(٥) ، وهي داخل الاراضي المملوكية في بلاد الشام .ففي يوم ٢٤ رجب من سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م ، تمكن العثمانيون من انتهاء حكم المماليك الجراكسة في موقعة مرج دابق شمال حلب، وتم دخول سليم إلى الشام بحرب واحدة ودخل إلى حلب^(٦) ، ووجد في قلعة حلب الاموال والزينة والسلاح واستقر الوضع فيها ، ثم دخل حماة وحمص ، وطرابلس والقدس ، ومن ثم دمشق وخطب في الجامع الاموي للسلطان العثماني وكان النائب الذي تم تعيينه من قبل السلطان العثماني يونس باشا^(٧) ، واتخذ السلطان سليم^(٨) ، عدة اجراءات منها تعيين الأمير فخر الدين المعني الأول سلطاناً على أمراء البر ، وضرب المكوس على الناس ، وتغيرت الاحكام الشرعية^(٩)، وزاد التعدي على العلماء ومنهم قاضي القضاة زين الدين زكريا ، شارح الروض والبهجة^(١٠) .

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢١ .

(٣) نوار : عبد العزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة دت ص ٧٩ ، وسيشار له لاحقاً نوار : تاريخ .

(٤) ايفانوف : نقولاي ، الفتح العثماني للاقطار العربية ، ط١ ، ترجمة يوسف عطا الله ، راجعه مسعود ظاهر، دار الفارابي بيروت ١٩٨٨ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٥) الكرمي : نزهة ص ٢٢٩ ، وابن طولون، مفاكهة ، ص ٣٣٤ .وابو نحل : جانبردي ص ٥٩ .

(٦) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٥ ، وانظر الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٢٩ وما تلاها .

(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، وكرد : خطط ج٢، ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٨) للمزيد انظر ترجمته في الغزي : الكواكب السائرة ، ج١، ص ٢٠٩ وما تلاها ، وانظر الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٣٣ وما تلاها .

(٩) الكرمي : نزهة الناظرين ٢٣٣- ٢٣٦ ، وكرد : خطط ج٢، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(١٠) للمزيد عنه انظر القصة التي اوردها البوريني ، تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣ و٤ و٥ و ٦ ، ويقال انها وغيرها من القصص سبب في زوال ملك الجراكسه ، ومثلها أيضاً قصة أخرى أوردها البوريني حول قاضي القضاة اليرهان ابن ابي الشريف الذي أفتى بحقن دم أحدهم الا ان السلطان الغوري لم يقبل ذلك فقتل المتهم إمام باب قاضي القضاة للاهانة ، وانظر أيضا الغزي : الكواكب السائرة ، ج١، ص ١١٦ او ٢٧٦ و ١٠٣ ، ترجمة تقي الدين ابن عجلون ، وترجمة علي ابن ميمون ، وترجمة إبراهيم بن محمد بن أبي شريف ويقول الغزي : (... وكانت هذه الواقعة سبباً لتكدر دولة الغوري وتبادي انحلال ملكه ..).

كما ولعبت عدة قوى محلية دوراً مباشراً أو غير مباشر من خلال الوقوف موقف الحياد من ذلك الصراع ، ومنهم الأمير فخر الدين المعني الأول حين قال لجماعته : " .. دعونا لننظر لمن تكون الذصرة فنقاتل معه)^(١) وهذا الموقف شبيه لموقف حفيده الأمير فخر الدين المعني الثاني الذي أورده البوريني في كتابه تراجم الأعيان، من خلال رفضه المشاركة في قتال الاسكبانية^(٢) مع الوزير مراد باشا ، وكان موقفه الحياد^(٣) ، ولعب الجيش الانكشاري (الينكجارية)^(٤) دوراً كبيراً في تحقيق الانتصارات ومعهم فرقة السباهية^(٥) .

وخلاصة القول ان أحوال بلاد الشام في تلك الفترة كانت صعبة على الأهالي ، وعلى السلطة المملوكية من جميع النواحي الاجتماعية والصحية ، والاقتصادية ، والسياسية ، من خلال تولي الحكم سلاطين ضعاف ، وطغيان بعض الأمراء وممارستهم صلاحيات واسعة ، وانشغال الدولة بالحروب وجباية الضرائب وطغيان الموظفين ، وسوء الوضع الصحي وانتشار الأمراض المعدية كالطاعون ، وارتفاع أسعار السلع الضرورية كالقمح والشعير والسلع الأخرى الضرورية ، وتزامن ذلك مع تحركات ابن عثمان (سليم) ودخوله بلاد الشام وقيامه بإجراءات زادت من الوضع السيئ للأهالي كفضض الضرائب والتعدي على الأعيان.

(١) الشهابي : حيدر أحمد ، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي ، ج ٤ ، ج ٣ ، علق عليه مارون رعد ، اشراف نظير عبود ، بيروت ١٩٩٣ ص ٧٣٨ وسيشار له لاحقاً الشهابي : تاريخ.

(٢) الاسكبانية : وهو لفظ فارسي الاسك وتعني الكلب بلغتهم ، وبان تعني صاحب او حامي وهي تكون بمعنى صاحب الكلب او حامي الكلب ، وقت الصيد ثم صار الاسم لمن كان موصوفاً بالبطالة ، والفراسة ، والاسكبانية عبارة عن طائفه كان وضعهم ان الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقود الكلب في ساجوره ويمشي إمام الأمير او الكبير ، حين يسير الى الصيد للمزيد انظر ترجمة عبد الحليم اليازجي ، انظر البوريني : تراجم ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٩ أي مدرب الكلاب .

(٣) البوريني : تراجم ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

(٤) الينكجارية او الانكشارية : وهم الجيش الجديد بالتركية وتتالف من يني بمعنى جديد او محدث وتشري بمعنى جيش او جند ، وكان هؤلاء الجنود يشكلون في الاصل عنصر المشاة وحدهم وكانوا متمركزين في العاصمة ثم عم اللفظ على الجيش ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ٢٨٧ ، و دهمان : معجم ، ص ١٥٨

(٥) السامرائي : أحمد محمود علو ، والدليمي : محمد حمزة حسين ، الانكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة (١٨٢٦م) ، مجلة التربية والعلم ، مج ١ ، ٧ ، العدد ٢ ، ٢٠١٠ ، ص ٧٠ - ٨٥ .

الفصل الثاني : الحسن البوريني ٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م -

١٦١٥م

مؤرخاً

- ❖ أولاً : أسمه ، نسبه ، أسرته .
- ❖ ثانياً : شيوخه .
- ❖ ثالثاً : ثقافته .
- ❖ رابعاً : مؤلفاته .
- ❖ خامساً : تلاميذه .
- ❖ سادساً : الوظائف التي شغلها وعلاقاته الخاصة بالأعيان حكماً ومدكومين واهتمامه باحداث عصره .
- ❖ سابعاً : مصادره في تدوين تاريخ المرحلة .
- ❖ ثامناً : منهجه وأسلوبه في كتابة التراجم .

أولاً : اسمه ، نسبه ، وأسرته :

هو الحسن بن محمد بن محمد بن حسن بن عمر بن عبد الرحمن الصفوري الأصل دمشقي الأديب المؤرخ المفسر الشاعر^(١)، الملقب بدر الدين البوريني الشافعي^(٢)الأشعري القادري^(٣)، ولد سنة ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م في قرية صفورية^(٤)، كانت أمه من صفورية وأبوه من بورين^(٥) وقطنوا فيما بعد في محلة ميدان الحصا خارج دمشق^(٦).

تربى البوريني في حجر والده محمد الذي كان عطاراً، حيث سافر والده سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٦م وأخذ عائلته معه من ميدان الحصا جنوب دمشق^(٧) إلى الصالحية في شمالها^(٨)، وكان عمر البوريني قد تجاوز العشر سنوات^(٩)، وكانت بلاد الشام وخاصة دمشق ملاذاً لأهل فلسطين نتيجة تصاعد الضغط الافرنجي على أهلها، إذ كانت أول هجرة لأهل فلسطين إلى دمشق سنة ٥٥١هـ / ١١٥٦م بقيادة فقيهاها أحمد بن قدامة المقدسي، ثم تتابعت هجراتهم بعد ذلك ولم تنقطع وكان استقرارهم في مدينة الصالحية^(١٠) فهجرة والد البوريني كانت طبيعية بسبب الظروف القاسية، كان والده محمد يحثه على تحصيل العلوم ويرسله إلى جامع منجك ليقرأ القرآن ويدرس الفقه ويتعلم العربية^(١١) ثم انتقل من جامع منجك إلى المدرسة العمرية^(١٢) في الصالحية وقد اهتم والده به كثيراً فكان يشجعه على تحصيل العلوم وخاصة القرآن الكريم^(١٣)، وفي سنة ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م أصاب دمشق قحط فسافر والده محمد ومعه ابنه الحسن إلى بيت المقدس وبقوا هناك إلى سنة ٩٧٩هـ /

(١) المحبي: خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١، وكحالة: عمر بن رضا بن محمد (ت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) : معجم المؤلفين، ج ١٣، مكتبي المثني بيروت - دار احياء التراث العربي بيروت د ط . ج ٣، ص ٢٨٩ وسيشار له لاحقا كحالة : معجم، .

(٢) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١ .

(٣) كحالة : معجم، ج ٣، ص ٢٨٩ .

(٤) صفورية : في فلسطين اليوم ، كانت كورة وبلدة من نواحي الاردن بالشام وهي قرب طبرية ،كانت تابعة إلى صنجق صفد ، وكانت قديماً من الحصون الكفرية التي افتتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب الكردي الابويبي ، وفيها قلعة جدرانها (قائمة متينة..). انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٩. وانظر الحموي : معجم، ج ٣، ص ٤١٤ .

(٥) بورين : من بلاد نابلس ، انظر الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٥٥ وما بعدها ، والزركلي : أعلام، ج ٢، ص ٢١٩ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٥٥ وما بعدها .

(٧) ميدان الحصا : محلة خارج دمشق من الجنوب ، أنظر البوريني ، تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٨ .

(٨) صالحية دمشق : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق ، وأكثر أهلها من أهل المقدس على مذهب أحمد ابن حنبل ، انظر الحموي : معجم البلدان ، ج ٣، ص ٣٩٠ ، والمحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣٠٤ .

(١٠) للمزيد أنظر ابن طولون : القلائد الجوهريّة ، ص ٧ ، ٨ وما تلاها .

(١١) الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٥٦ .

(١٢) المدرسة العمرية : أنشأها أبو عمر المقدسي محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، في سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م بصالحية دمشق ، للمزيد انظر النعيمي : الدارس ، ج ٢، ص ٧٧-٨٧ .

(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٠ ، ١١ ترجمة أحمد الطيبي الكبير .

١٥٧٢م^(١) ، الا أن البوريني يذكر انه عندما كان بدمشق التقى سنة ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م بأحد شيوخه وهو أحمد العيثاوي ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م^(٢) ، كما أورد البوريني معلومات تفيد بأنه سافر مع والده إلى القدس ورجع منها سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٣م^(٣) ، وفي القدس لم يتركه والده بل دفعه للاتصال بالشيوخ للقراءة عليهم ومنهم الشيخ محمد ابن أبي اللطف^(٤) ، ولما رجعوا إلى الشام سكنوا في الخانقاه الشميصاتية^(٥) ، واتصل بالشيوخ وكانوا على مستوى رفيع كالشيخ البدر الغزي^(٦) ، والشهاب الطيبي الكبير وابنه الشهاب الطيبي الأوسط والمفتي أحمد العيثاوي وغيرهم كثير^(٧) وهذا بطبيعة الحال أثر على ثقافته ، إذ استفاد البوريني من علماء عصره ومن العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة حتى أنه صار عارفاً باللغات الثلاثة المشهورة في تلك الفترة وهي " العربية والفارسية والتركية " وكان يترجم الأشعار الفارسية والتركية^(٨) .

ثانياً : شيوخ البوريني :

ان المتتبع لتراجم البوريني واتصالاته بالشيوخ يجد انه منذ نعومة أظفاره بدأ والده يدفعه للاتصال بالشيوخ للقراءة عليهم والتعلم منهم ، وقد ظل مثابراً على تحصيل العلوم طيلة حياته ، ويبدو ان ذلك كان سمة علماء ذلك الزمن ، وقد ساعده على ذلك حبه للعلم وازدياد النشاط العلمي في بلاد الشام زمن البوريني ٩٦٣ هـ - ١٠٢٤ هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م بجهود رجال عاصره البوريني منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وهكذا انصرف البوريني إلى أخذ العلوم وخاصة علوم الشريعة والأدب واللغة العربية من عدد كبير من العلماء في ذلك العصر وهم :

أولاً : الشيخ فزيحة^(٩) قرأ عليه القرآن في جامع منجك في محلة ميدان الحصاص^(١٠) .

- (١) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(٢) أحمد العيثاوي : أحمد بن يونس العيثاوي الشافعي ، عالم فقيه مفتي دمشق وخطيبها مات بعد البوريني بسنة (١٠٢٥ هـ / ١٦١٦م) ، ورد أبوه من قرية عيثا وهي من قرى بقاع العزيز من نواحي دمشق ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٣ - ٤٧ ، وانظر الغزي : لطف السمر ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٢٤ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤٣ .
(٤) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(٥) الخانقاه الشميصاتية : او السميساطية نسبة للسميساطي ابي القاسم علي ابن محمد من اكابر الرؤساء بدمشق وهي قلاعه على الفرات بين قلاعه الروم وملطية ، للمزيد انظر النعيمي : الدارس ، ج ٢ ، ص ١١٨ وما تلاها ، ووردت عند البوريني كثيرا للمزيد انظر تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ، ٣٥ ، ٦٩ ، ٣١٥ .
(٦) الغزي : نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١م) لطف السمر ، وطف الثمر ، ج ٢ ، تحقيق محمود الشيخ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق ، ج ١ ، ص ٣٥٦ . وسيشار له لاحقا الغزي : لطف السمر
(٧) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٢ ، ص ٥١ وما تلاها وانظر البوريني تراجم احمد الطيبي الاكبر ج ١ ، ص ٧ ، وأحمد العيثاوي ج ١ ، ص ٤٣ وانظر الفصل الثاني شيوخ البوريني .
(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ٣١٨ ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .
(٩) لم أعثر على ترجمة له على حد استطاعتي .
(١٠) الغزي : لطف السمر ، ج ١ ، ص ٣٥٦ .

ثانياً : أبي بكر الذباح الحنبلي إمام المدرسة العمرية قرأ عليه (الإذكار)^(١) للنووي^(٢) وكان الذباح إماماً في المدرسة العمرية في الصالحية سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م وكان للبوريني حجرة فيها^(٣) ، وذكر أنه أطلع على مجموع أو مؤلف بخط الذباح الحنبلي في العلم الروحاني ، وكان يعتقد به بأن له كرامات بل يشهد على ذلك أنه رأى له كرامة^(٤) كما وكتب العديد من النسخ في الفتوحات المكية لمحبي الدين بن عربي^(٥) .

ثالثاً : أحمد بن أحمد الطيبي الكبير الشافعي ت ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م قرأ عليه القرآن الكريم وقراءة المنهاج^(٦) للنووي إلى باب صلاة المسافر^(٧) وقد شغل هذا الشيخ العديد من الوظائف كالخطابة والتدريس والأفتاء ، وعمل بوظيفة كاتب أوقاف ، وكان (خطه حسناً) وعنده العديد من الطلاب من الشام وخارج بلاد الشام ، وألف الكتب ومنها (مناسك الحج ، وأشكال المنطق الأربعة ، والمفيد في علم التجويد ، وله ديوان خطب)^(٨) ، وكانت علاقته بالطلاب جيدة فكان لا يقسو عليهم^(٩) ، على عكس والده الطيبي الأكبر الذي كان يستخدم القسوة مع التلاميذ^(١٠) .

رابعاً : أحمد شهاب الغزي الشافعي ت ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م^(١١) ابن البدر الغزي الشافعي ت ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، قرأ عليه شرح الورقات في الأصول لابن خطيب الكاملية الشافعي^(١٢) ، وكان مصدره في نقل قصة ابن الشيخ إسماعيل حول قطع رزقه ، وقام أحمد الشهاب الغزي بتنظيم الشعر لما سمع بتوبة ابن اسماعيل وهو :

تبنا الى الله وكل امرئ يتوب قد بورك في رزقه^(١٣)

-
- (١) الأذكار من كلام سيد الأبرار ، للمزيد انظر آل جبعان : ظافر بن حسن : ترجمة الإمام النووي ، سلسلة التراجم (١) النشرة الأولى ٢٠٠٧ م ص ١١ وما تلاها وسيشار له لاحقاً آل جبعان : ترجمة .
- (٢) العلامة محي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف النووي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) له العديد من المؤلفات للمزيد انظر آل جبعان : ترجمة ص ٧ ، ١١ وما تلاها .
- (٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
- (٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .
- (٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .
- (٦) المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج ، أو المنهاج في مختصر المحرر ، للمزيد انظر آل جبعان : تراجم ، ص ١١ .
- (٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٩ ، ١٦ ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج ١ ، ص ٩١ .
- (٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٠ - ١٥ ، ٢٧٦ .
- (٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٠ .
- (١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٧ ، ٨ .
- (١١) أحمد شهاب الدين الغزي : ابن بدر الدين الغزي العامري القرشي ، نشأ في حجر والده وهو من عائلة عُرفت بالعلم ، شغل وظائف عديدة منها التدريس ولما توفي صلى عليه أمير الأمراء جعفر باشا بالجامع الأموي ، انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧ وما تلاها .
- (١٢) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشافعي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) : شرح الورقات في أصول الفقه تحقيق عمر غني سعود العاني ، دار عمار ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- (١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٩ و ٢٠٧ .

وهو مصدره أيضاً في نقل شعر والده البدر الغزي الذي نظمه لوالده (جد الشهاب الغزي)^(١)، وكان الشهاب الغزي فقيهاً وعالمياً بمواد التفسير وشاعراً ، وشغل وظائف منها التدريس في عدة مدارس وله علاقة طيبة مع السلطة^(٢) .

خامساً : البدر الغزي الشافعي ، محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي ت ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م^(٣)، لازمه البوريني في الحجرة الحلبية مدة أربع سنوات، يقول عنه البوريني : "... وكان صحيح الجسم والحواس .." على الرغم من كبر سنه^(٤)، وكان البوريني يحضر دروس شيخه البدر الغزي في المدرسة التقوية^(٥) ، والجامع الأموي ، كما حضر ختم كتابه (فتح المغلق ، في تحرير الخلاف المطلق)^(٦) وقد وصف البوريني كتاب (التفسير المنظوم) الذي ألفه البدر الغزي انه كان يثير مشكلة حول تفسير كلام الله بالشعر ، وأعطى البوريني رأيه في كتاب التفسير هذا ، منها انه لو كان الكتاب نثراً وليس شعراً لانتشر بين الناس بقوله : "... ولتناقلته الرواة في البلاد..."^(٧) ، وتولى الشيخ البدر الغزي عدة وظائف كالتدريس والأفتاء وبقي يفتي بدمشق على المذهب الشافعي مدة ستين سنة ، وكان بعيد عن الحكام على عكس ابنه الشهاب الغزي ، فلم يتردد إلى الحكام والأمراء بل هم الذين كانوا يتقربون إليه ، وكانت علاقته تمتد خارج بلاد الشام خاصة مع مفتي القسطنطينية فكان حين يحضر إلى الشام يزور البدر الغزي^(٨) ، وللبدر الغزي العديد من المؤلفات^(٩) ، وقد اعتمد عليه البوريني في بعض المعلومات التي تخص ترجمته^(١٠) ، وكان الحسن البوريني والتلاميذ يستفتونه في مسائل عديدة شرعية وأدبية^(١١) ، وكان يحترمه كثيراً ويصف البوريني هيبته شيخه ومكانته لديه ، فحين أراد قصيدة كتبها البدر الغزي ولم يستطع أن يطلبها منه ، فطلبها من

(١) للمزيد انظر الشعر الذي أورده البوريني ، وفيه شكوى البدر الغزي إلى الله من القوم الذين ظلموه ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٣ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) الزركلي : أعلام، ج ٧ ص ٥٩ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٩٨ .

(٥) المدرسة التقوية : من أجل مدارس دمشق داخل باب الفرديس شمالي الجامع شرقي الظاهرية والاقباليتين ، بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م ، انظر النعيمي : الدارس ، ج ١، ص ١٦٢-١٦٩ .

(٦) الكتاب من تأليف البدر الغزي ، للمزيد انظر ترجمة ابو البركات الغزي (البدر الغزي)، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩٣ الى ١٠٥ ، وانظر الغزي : الكواكب السائرة ج ٣، ص ٣ - ١٠ .

(٧) نسخته واحده فقط وليس له نسخته ثانية حسب ما سمعه البوريني ، وهو من تأليف البدر الغزي وهو تفسير القرآن الكريم من خلال الشعر ، وقد اثار حوله مشكله فمنهم من منعه ومنهم من أجازه ، للمزيد انظر نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٩٧ .

(٩) انظر الغزي : الكواكب السائرة ج ٣، ص ٣ - ١٠ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٩٣ .

(١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٤ .

ابنه الشهاب الغزي ، لرفعة مكانة البدر ، يقول البوريني : " .. رفعة مقامه ، و عزة مرامه فطلبتها من ولده شيخنا شهاب الدين.."(١)

سادساً : المحقق العماد الحنفي السمرقندي الدمشقي ، محمد بن محمد ابن كمال الدين محمد ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م^(٢) ، وهو من دمشق أصلاً ومن العلماء ، وشغل وظائف منها الافتاء والتدريس^(٣) ، وقرأ عليه الشرح المطول في البلاغة^(٤) للمؤلف سعد الدين التفتازاني^(٥) ووصل فيه إلى الفصل والوصل بسبب وفاة العماد الحنفي^(٦) ، وكذلك شرح التلخيص المختصر (شرح تلخيص المفتاح)^(٧) وكان العماد الحنفي قريباً من الوزير الأعظم حسن باشا^(٨) ، وهو سبباً بتعرف البوريني بالوزير حسن باشا والتقوا به وكان معهم في اللقاء الحسين الحافظ التبريزي ، والحسين المذهب الشيرازي^(٩) ، وكانوا في حجرة بدار الامارة^(١٠) ، ويذكر البوريني السبب الذي دفعه للقراءة عليه فقد كان معه جماعة يتدارسون العلوم ، منها قواعد الإعراب فتم الاحتكام إليه في الجامع الاموي ، ثم قال له العماد الحنفي كما ذكر البوريني " .. أين مكانك) فأجابه البوريني فقال له : " .. في خانقاه الشميصاتية^(١١) ، فعرض عليه السكن في المدرسة الناصرية الجوانية وفيها حجر للطلاب ، ويتكفل بمساعدته علمياً ومعاشياً ، وسكن البوريني في الحجرة وهي الوسطى من الصف الشرقي ، وأخذ يقرأ عليه الشرح المختصر على التلخيص للمولى السعد التفتازاني ، بسماع أحد أصحاب البوريني وهو الملا علي الشيرازي الكاتب ، وقد أتم الكتاب كله سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، وعمل له ختم أو احتفالية في الجامع الأموي^(١٢) وكان عنده الكثير من التلاميذ للقراءة عليه في علم العربية^(١٣)

(١) للمزيد انظر الشعر الذي يصور حياة البدر الغزي مع القوم ويطلب من الله اخذ حقه منهم ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤ ضمن ترجمة أحمد القابوني وص ٩٤ ضمن ترجمة أحمد العناياتي ، و ص ٢٦١ ضمن ترجمة أبو الجود البتروني ، وورد ذكره أيضا نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٨ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ٣٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ١١١ ، ١١٨ .

(٥) سعد الدين التفتازاني : مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) من علماء العربية والمنطق له العديد من المؤلفات منها المطول في البلاغة ، والمختصر (اختصر به شرح تلخيص المفتاح) و شرح الاربعين النووية ، وحاشية الكشاف وغيرها ، للمزيد انظر الزركلي : **الأعلام** ، ج ٧ ص ٢١٩ وكان السلطان سليمان القانوني معجب به وبالسيد الشريف الجرجاني علما انهم لم يعاصروه بل عاصروا المماليك البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٤١ وما تلاها .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٩ .

(١٠) دار الامارة : في دمشق وهي منزل حاكم دمشق انظر نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ .

سابعاً: الشيخ المفتي نجم الدين البهنسي الحنفي ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م^(١)، تخرج على يده الكثير من العلماء الأحناف ومنهم شيخ البوريني السابق الذكر العماد الحنفي ، وتولى العديد من الوظائف كالخطابة والتدريس والافتاء، وخطب بالجامع الاموي وأفتى بدمشق^(٢)، وكان بارعاً في الفقه الحنفي^(٣)، وعنده العديد من التلاميذ ، منهم الحسن البوريني^(٤)، وكان للعلماء فيه اعتقاد أنه إذا دعى لأحد بالشفاء فانه يعالج بإذن الله بل وأكد الغزي ذلك بأن العلاج يتم بعد فترة قصيرة^(٥).

ثامناً: الشيخ المفتي إسماعيل النابلسي الشافعي ت ٩٩٢ أو ٩٩٣هـ / ١٥٨٤م أو ١٥٨٥م^(٦) وهو عالم وقرأ عليه البوريني كتاب (جمع الجوامع للسبكي)^(٧) في الاصول وشرحه للمحقق المحلي^(٨)، وحضر عنده محاضرات (شرح المفاتيح) للسيد المدقق الشريف الجر جاني^(٩) في جامع درويش بمحلة باب الجابية بدمشق^(١٠)، وللشيخ إسماعيل النابلسي العديد من التلاميذ^(١١) منهم ابنه الشيخ عبد الغني النابلسي^(١٢) الذي أخذ المدرسة الدرويشية من البوريني بمساعدة قاضي قضاة دمشق المولى مصطفى أفندي الشهير (ابن بستان)^(١٣)، وشغل وظائف عديدة كالتدريس والقاء المحاضرات وكانت له محاضرات بالاموي ، والافتاء حتى انه كان يفتي مع وجود البدر الغزي^(١٤)، وبعد وفاة البدر الغزي انفرد إسماعيل الشافعي بالافتاء ، وكان قريباً من السلطة من سواء كانوا حكاماً أو قضاة ، ومقبول الوساطة (الشفاعة) ، ودرس على عدد كبير من الشيوخ ، ودرس عنده عدد كبير

(١) محمد بن محمد بن رجب البهنسي الشافعي له مصنفات منها (شرح على كتاب منتهى الارادات لم يكمله) للمزيد انظر ترجمته في الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣، ص ١٢، ١٣، ١٤ .

(٢) الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣، ص ١٢، ١٣ .

(٣) نفس المصدر، ج٣، ص ١٢، ١٣، ١٤ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٣٤ .

(٥) نفس المصدر، ج٣، ص ١٣ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٧١ .

(٧) كتاب جمع الجوامع في أصول الفقه الشافعي للمؤلف تاج الدين عبد الوهاب بن علي الديبكي (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، علق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٢ ٢٠٠٣م ، ص ٧. أما الشرح فهو من تأليف المحلي وانظر أيضا البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٨، ١١٠، ٢٩٦، ج٢، ص ٣٣٠ وهناك كتاب تحت اسم نظم جمع الجوامع فهو للمؤلف والد البدر الغزي رضي الدين أما شرحه فهو للبدر الغزي للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٩٥ .

(٨) له عدة مؤلفات منها شرح جمع الجوامع للمزيد انظر المحلي : جلال الدين محمد ابن شهاب الدين أحمد الشافعي ت ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م ، شرح الورقات في أصول الفقه ، تحقيق محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط١، ٢٠٠٣ ص ١٣٩ وسيشار له لاحقاً المحلي : شرح .

(٩) السيد الشريف الجر جاني : علي بن محمد بن علي ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م له العديد من المؤلفات منها الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (علوم البلاغة) ، علق عليه رشيد أعرضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط١، ٢٠٠٧م ص ٨-٩ ، ومنها شرح مواقف الايجي للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٥ ص ٧

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٤٨، ج٢، ص ٦١، ٦٢، ٦٣، ٩٦، ١٠٠ .

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٠، ٣٤٥ .

(١٢) عبد الغني ابن اسماعيل (ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م) تولى التدريس في الدرويشية الشافعية لانها وقف وصارت له بعد وفاة والده ، للمزيد انظر ترجمته عند المحدي : خلاصة الاثر ، ج٢، ص ٤٣٣ وانظر ترجمته ايضا عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٧١ وما تلاها .

(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٧١ .

(١٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٦٨ .

من التلاميذ ، وله عدد من المصنفات منها (طبقات المفسرين) ، إلا ان البوريني ذكر أنها مفقودة، وكانت علاقاته جيدة مع الطلبة ، ويملك العديد من الكتب (مكتبة) ولا يدخل عليهم بها يقول البوريني : "....انها كتب نفيسة الخط ، نفيسة الضبط . وكان كريماً باعرتها لا يرد طالباً . ولا يمنع منها راغباً...." (١) ، وقد حصلت له مشاكل عديدة وسجن خلالها ظملاً (٢) ، وهو من شيوخ البوريني الإذكياء فقد كان يتقن اللغات الثلاث الشائعة وهي العربية ، والفارسية ، والتركية ، كما انه كان يهتم بالأبهة والوجاهة والحضور في مجالس الأعيان (٣) .

تاسعاً : حسن الصلتي الشافعي ت ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م (٤) ، شيخ البوريني في القراءات (٥) كان عنده الكثير من التلاميذ (٦) وكان يعمل بمهنة نسج القطن ، درس على عدد كبير من الشيوخ ، وتنوعت علومه منها في قراءات القرآن الكريم (٧) .

عاشراً : أحمد بن أحمد بن أحمد الطيبي الصغير الشافعي ت ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م ، قرأ عليه البوريني الارشاد في فروع الشافعية الذي اختصر فيه كتاب (إخلاص الناوي في شرح إرشاد الغاوي إلى مسالك الحاوي للقزويني) (٨) ، وشغل وظائف عديدة كالخطابة والتدريس والافتاء تولاها بعد أبيه الطيبي الكبير ، ودرس على البدر الغزي ، ويذكر عنه البوريني انه عالم ، وفقهه ، ومحدث ، ومفسر ، وقد نشأت بينه وبين البوريني صداقة ، يقول البوريني : ".... ولازمته سنين عديدة ليلاً ونهاراً وأحبني وجذبني إليه وكان يصحبني في نزهته .." (٩) ، وبينه وبين البوريني مكاتبات شعرية ومباحثات ، ودعوات على وجبات طعام ، وكان يحب الزراعة حتى أنه زرع بجانب بيته أشجار من الفواكه (١٠) .

حادي عشر : الحسين الحافظ التبريزي ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م ، كان هذا الشيخ يحب الشام خاصة دمشق فقد استقر بها بعد مجيئه بنية الحج من تبريز فأعجبته فنقل زوجته وأولاده إلى دمشق يقول هذا الشيخ عن دمشق على لسان البوريني : ".... رأيت الأرض كلها الا قليلاً ، فما رأيت أحسن من

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٤) حسن بن محمد بن نصير شيخ القراءات الصلتي الاصل الدمشقي المنشأ والدار له كتاب الارشاد ، للمزيد انظر الغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

(٦) الغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

(٧) النجم الغزي : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله الشافعي ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م له مؤلفات عديدة منها الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة ، انظر الغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ١٢٥ ، وكحالة : معجم ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٨) للمؤلف إسماعيل بن أبي بكر ابن المقرئ اليمني الشافعي ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، له عدة مؤلفات للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٦ - ١٧ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ٩٦ ، والزركلي : أعلام ، ج ١ ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٦ ، ١٧ .
(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

دمشق .." (١)، وقد استكمل البوريني منه تعلم الفارسية (٢)، وكان عارفاً بالتاريخ الخاص بالعراق ،
والعجم وملوكهم ، وله دور في تعليم البوريني الكتابة على أسلوب العجم ، وذكر البوريني أنه كان
ضمن الوفد الذي ذهب للقاء الوزير حسن باشا (٣) ، لشرح أحوال السكبان وما تعرض له الأهالي
من التدهور ، وكان معهم أيضاً الشيخ العمادى الحنفي ونفهم من هذه الحادثة المكانة الاعتبارية
للتبريزي (٤) ، وكان شاعراً ينظم الشعر باللغة الفارسية وقد نقل الحسن البوريني بعضاً من شعره (٥)
، ويبدو أن علاقته بالبوريني كانت وثيقة فأصبح أحد أصحابه وصار الاستاذ يسأل التلميذ عن
مسائل فقهية في الحج والزكاة (٦) ، وصار هذا الشيخ فيما بعد تلميذاً عند البوريني وقرأ عليه
الأربعين النووية (٧) ، وقصص الأنبياء وبعض مؤلفات البيضاوي (٨) ، يقول البوريني عن تلك
الصحة : ".... ولقد كنت ألفت هذا الرجل إلى أن كنت أزوره فأمكنث عنده في حجرته ثلاثة أيام
بلياليها ، ليلاً ونهاراً على المذاكرة والمحاضرة" (٩) ، وعرف عنه قرابه من السلطة ، وعادة
يمدح البوريني أمامهم ، وحصل على رواتب من خلال قرابه منهم (١٠) يقول البوريني : ".... وكان
رحمه الله تعالى محباً لي مشفقاً عليّ مجتهداً في نشر ذكري بين الخاص والعام ، وكان دائماً ينوه
بأسمي عند الحكام" (١١) .

ثاني عشر : الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن تقي الدين الأيدوني الشافعي ت ٩٩٨ هـ /
١٥٩٠م ، من أهالي صالحية دمشق ، قرأ عليه القرآن والفقه والتفسير وكان عارفاً بالفارسية ،
يصفه البوريني بانه (عالم ، فقيه ، ومفسر) (١٢) ، وشغل وظائف منها التدريس في الاموي ، وكان
يدرس الحديث فيه أيضاً ، ومن شيوخه الطيبي الكبير ، والبدر الغزي وهما من شيوخ البوريني .

ثالث عشر : الشمس محمد ابن المنقار الحلبي الحنفي ت ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦م ، من العلماء ،
تولى التدريس في عدة مدارس منها المدرسة القصاعية (١٣) ، وأفتى في دمشق على المذهب

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٧ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٦ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥٢ .

(٣) انظر الفصل الثالث من البحث نفسه أحوال بلاد الشام السياسية من خلال كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٥٩ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٥ .

(٧) انظر شيوخ البوريني .

(٨) عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين البيضاوي ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م ، مفسر علامة تولى قضاء شيراز له عدة
مؤلفات منها التفسير المذكور (مطبوع) ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٤، ص ١١٠ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٦٦ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٦٧ .

(١٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٦٠ .

(١٣) المدرسة القصاعية : بدمشق من مدارس الحنفية أنشأتها خطبلسي (فاطمة) خاتون بنت ككجا في سنة ٥٩٣ هـ
/ ١١٩٧م) وهي مشروطة لاعلم علماء الحنفية للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج ١، ص ٤٣٤ ، وعند البوريني

الحنفي^(١) ، جاء الى دمشق سنة ٩٦١ هـ / ١٥٥٤ م^(٢) ، وقرأ عليه العديد من التلاميذ ومنهم الحسن البوريني^(٣) حيث قرأ عليه (المغني بحاشية الأشموني)^(٤) ، وذكر الخفاجي في ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا انه اشتهر بالافتاء في بلاد الشام كلها وكان له ولد اسمه عبد اللطيف اشتغل بالأدب وبرع به^(٥) ، ودرس على عدد من شيوخ البوريني منهم الشهاب الغزي ابن البدر الغزي ، وإسماعيل النابلسي، والعماد الحنفي ، وشغل وظائف عديدة منها التدريس في المدارس، والوعظ في الجامع الاموي^(٦) ، وعنده عدد كبير من التلاميذ ، منهم عبد الرحمن العمادي ابن العماد الحنفي^(٧) ، وقد انتقده المحبي كونه ادعى بأن الذي لا يقرأ عنده لا يعد من العلماء ، وكانت بينه وبين بعض العلماء خلافات بسبب الاجدال والمخاصمة^(٨) ، منهم النجم الغزي مؤلف الكواكب السائرة الذي انتقده لأنه كان يحب الابهة والجاه والتفاخر، ومحمد بن محمد بن داود المقدسي^(٩) ، وأحمد العيثاوي^(١٠) ، ويبدو أن المشاكل استفحلت بينه وبين العلماء ، مما دفع بقاضي القضاة للتدخل لحلها وتسببت تلك الخلافات بوفاة^(١١) .

رابع عشر: المحدث الفقيه الشمس محمد بن محمد بن داود المقدسي الشافعي ت ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م^(١٢) ، شيخ المحدثين وقرأ عليه البوريني علوم الحديث^(١٣) ، شغل وظائف كالتدريس والافتاء بداية في القدس وسافر إلى مصر لطلب العلم والدراسة على عدد من العلماء المصريين منهم الخطيب الشربيني^(١٤) ، والشمس الرملي^(١) ، ثم جاء الى دمشق ودرس على عدد من علمائها

من مدارس الشافعية والحنفية فقد تولى التدريس فيها علماء شافعية وعلماء احناف للمزيد انظر نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦٧ ، ج ٢، ص ٣٤٥ .

(١) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٥ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩٦ .

(٣) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٥ .

(٤) المغني بحاشية الشمني : هو كتاب شرح الشمني على مغني اللبيب للمؤلف محمد بن ابي بكر الدماميني (ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م) ، ج ٢، علق عليه احمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان ط ١، ٢٠٠٧ ، ج ١، ص ٧ وما تلاها ، وانظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١١١ .

(٥) الخفاجي : ريحانة الالبا ، ج ١، ص ١٢٨ - ١٣١ .

(٦) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٥ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣١٨ ، وانظر المحبي : خلاصة ج ٤، ص ١١٦ ، وانظر الخفاجي : ريحانة الالبا، ص ٢٢١ - ٢٢٧ .

(٨) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٦ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩٦ ، والمحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(١٠) نفس المصدر، ج ١، ص ٤٣ - ٤٧ ، ج وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١١٧ .

(١١) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(١٢) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر، ج ٤، ص ١٤٥ - ١٥٢ .

(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩٦ .

(١٤) الخطيب الشربيني : محمد بن أحمد الشربيني الشافعي القاهري ت ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م ، له مؤلفات عديدة منها مغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي في الفقه الشافعي (مطبوع) للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٦ ص ٦ .

من شيوخ البوريني مثل البدر الغزي ، وإسماعيل النابلسي ، ودرس العربية ، والفقه ، والحديث ، والسيرة النبوية حتى انه قرأها كلها ، وكان فقير الحال الا أن شيوخه إسماعيل النابلسي الذي كان قريباً من السلطة ، توسط له في بعض الوظائف كالتدريس والوعظ في الاموي ، والتدريس بالمدارس بدمشق والصالحية ، وكان عنده عدد من الطلبة ، وقد بالغ البوريني في مدحه كثيراً على عادته في مدح شيوخه^(٢) وكان سبب موته دعوى قضائية من قبل أحد قضاة دمشق فقال له : "... لا تكتب على الفتوى بعدها فحصل له غيظ وانزعاج ومرض) ، وقد أبدى بعض المؤرخين كالمحبي صاحب كتاب خلاصة الأثر ، استياءه من تصرفات بعض القضاة ، فسامهم (قضاة الشام) ، وصادف ذلك موت أحد أصحابه فزاد قهره ومات^(٣) .

خامس عشر: محمد التنوري الشافعي ت ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م^(٤)، قرأ عليه البوريني الحساب^(٥)، وبرع هذا الشيخ في علم الفرائض ، والحساب ودرس على عدد من الشيوخ ، كما ودرس عنده عدد من التلاميذ من دمشق وخارجها ، وأراد دراسة الكيمياء على أحد الشيوخ المصريين ، الا انه لم يفلح لحاجته الى أموال مما أضرت به ، وأفلسته على حد قول المحبي : " . فما سمح له بشيء سوى بعض مبادئ الكيمياء فأتلف ما كان يملكه ولم يحصل منها على شيء"^(٦) ، ويذكر البوريني معلومات عن هذا العلم تشابه ما ذكره المحبي بأن علم الكيمياء يحتاج إلى مال كثير^(٧) .

سادس عشر: الشيخ نبهان ابن عم الشيخ أحمد الشهير بابن عبد الهادي الشافعي ت ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م^(٨)، قرأ عليه القرآن في زاويتهم الشهيرة في صفورية^(٩) .

سابع عشر: الشيخ ابراهيم ابن الأحدث الشافعي ت ١٠١٠هـ / ١٦٠١م ، نزيل دمشق ، وشيخ حلب في الفرائض والحساب والنحو ، يقول عنه البوريني انه في الأصل من قرية الزبداني^(١٠) من نواحي دمشق وأسرتة معروفة هناك ومشهورة^(١١) ، واشتغل بالتدريس وتعليم الأطفال وتخرج على

(١) شمس الدين الرملي : محمد بن أحمد بن حمزة المصري الشافعي ت ١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م ، له مؤلفات عديدة منها نهاية المحتاج الى شرح المذاهج لاناوي ، للمزيد انظر كحالة : معجم ، ج ٨ ص ٢٥٦ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٨ .

(٢) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص ١٥٢ .

(٤) محمد التنوري : محمد ابن ابراهيم الفرضي الميداني الشافعي احد مشاهير دمشق بالحساب وعلم الفرائض ، للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٩ من المقدمة .

(٦) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ترجمة احمد الجوهري ج ١ ، ص ١١١ .

(٨) للمزيد انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ولم أجد معلومات أخرى عن الشيخ نبهان على قدر استطاعتي .

(١٠) الزبداني : بفتح الزاي والبدال المهملة نسبة الى ناحية من نواحي دمشق سميت بأسم أحد قراها ، وهي مشهورة بطيب هوائها وترتها وبزراعه التفاح (الزبداني) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

يديه عدد من التلاميذ إضافة الى الحسن البوريني^(١)، وقرأ عليه بعض مقدمات في النحو والفرائض^(٢)، وكان الشيخ ابراهيم محدثاً، ودرس على عدد من الشيوخ منهم ابن طولون الصالحي^(٣) وشيوخ البوريني البدر الغزي، والشهاب الطيبي الصغير، وتنفق في أطراف الشام بين دمشق، وحلب والصالحية، وكان قاضي القضاة يحترمه ويجله حتى انه حضر جنازته حين توفي، يقول البوريني: "... وكانت جنازته عظيمة جداً. حضرها قاضي القضاة عبد الرحمن بن سليمان قاضي دمشق ومنْ دونه"^(٤).

ثامن عشر: أحمد بن يونس بن عبد الوهاب بن أحمد شهاب الدين العيثاوي الدمشقي الشافعي ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م^(٥)، قرأ عليه المنهاج في الفقه الشافعي تقسيماً^(٦) مع التلاميذ وأجازة^(٧) بالفتوى سنة ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٢ م^(٨)، شغل وظائف عديدة كالافتاء، والتدريس، والوعظ، والإمامة، اشتهر بدمشق بالفتوى وكان الأهالي يرجعون إليه في الأمور الشرعية، درس على عدد من الشيوخ منهم والده يونس العيثاوي^(٩)، وشيخ البوريني الطيبي الكبير، والشمس محمد ابن طولون، والبدر الغزي وابنه الشهاب الغزي، كان أكثر الطلبة انتفاعاً بتلقيه العلوم على البدر الغزي، ويهتم بشؤون الناس ويصلي بهم صلاة الاستسقاء حتى ينزل المطر، قد تنوعت قراءاته فقرأ القرآن، والفقه وأجازة البدر الغزي بالفتوى على المذهب الشافعي^(١٠)، درس عليه عدد كبير من الطلبة منهم البوريني^(١١)، والنجم الغزي وقرأ عليه تقسيماً وأفراداً علوم متنوعة فقهية وأدبية. وقد التزما به إلى وفاته وكانت علاقته جيدة مع الطلاب يعاملهم كأنهم أولاده^(١٢)، يصف النجم الغزي ذلك الالتزام والتعامل الحسن بقوله: "... لم أكن أكثر من غيري قراءة على الشيخ العيثاوي....." (فقال له

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٠٤، وانظر المحبي: خلاصة الاثر، ج ١، ص ٣٦.
(٢) للمزيد انظر ترجمة ابراهيم ابن الأحذب عند المحبي: خلاصة الاثر، ج ١، ص ٣٦، وانظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٣٠٤، ص ٩ من مقدمة المحقق.
(٣) ابن طولون الصالحي: محمد بن علي بن أحمد ابن طولون الصالحي شمس الدين ت ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦ م مؤرخ وفقهه وعالم بالتراجم له العديد من المؤلفات منها القلائد الجوهريّة بتاريخ الصالحية (مطبوع) للمزيد انظر ابن طولون: الفلك المشحون في سيرة محمد بن طولون، وانظر الزركلي: أعلام، ج ٦، ص ٢٩١.
(٤) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٣٠٤.
(٥) مات بعد البوريني بسنة انظر الغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٣٠٨، ٣٢٤.
(٦) تقسيماً: يقصد به انه يقسم المنهاج الى اجزاء وفصول كل تلميذ يقرأ فصل، وهناك ايضاً الانفراد: وهو ان يقرأ التلميذ المنهاج وحده دون مشاركة احد للمزيد انظر الغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٣١١.
(٧) الاجازة: عند المحدثين الاذن بالرواية لفظاً او كتابة او مناولة واركابها المجيز والمجاز ولفظ الاجازة، انظر دهمان: معجم، ص ١٢.
(٨) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤٣-٤٤.
(٩) يونس العيثاوي: يونس بن عبد الوهاب بن احمد الشافعي (ت ٩٧٦ هـ / ١٥٦٩ م) مؤلفاته عديدة في فقه الشافعية للمزيد انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤٣-٤٧، والغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٣١٠، و الزركلي: أعلام، ج ٨، ص ٢٦٢.
(١٠) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤٥، والغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٣١٠، ٣١١.
(١١) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤٣، ٤٤، ٤٥.
(١٢) الغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.

أحدهم) ... أتحسب أن الشيخ يقرئك كما يقرؤ غيرك ؟ إنما يفرغ الشيخ عليك إفراغا ، وصدق فإنه رحمه الله كان يعاملنا أحسن من معاملة الوالد لولده ..."^(١) ، وكان يدربه على كيفية إلقاء الخطبة في المسجد ، حتى انه ارتبط بأحد تلاميذه وهو النجم الغزي بمصاهرة فزوجه العيثاوي أحد بناته ، فلما توفيت بالطاعون سنة ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م ، تزوج أختها^(٢) ، وكان مرض الطاعون وغيره كثيراً ما ينتشر في بلاد الشام منذ أيام المماليك^(٣) ، حتى ان البوريني أشار له في وفاة أحد الموظفين سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م^(٤) ، وكان النجم الغزي له اعتقاد بالشيخ العيثاوي ، وهو أمر انتشر في تلك الفترة من خلال انتشار فكر الكرامات أو خوارق العادات^(٥) ، وللشيخ أحمد العيثاوي مؤلفات منها (الحبيب في فقه الشافعية) وقد شرحه وسماه (الخبب في التقاط الحبيب)^(٦) .

تاسع عشر: غانم المقدسي الضرير نزيل دمشق وقرأ البوريني عليه النحو والفرائض والحساب^(٧) ، والمعلومات عن هذا الشخص قليلة حتى ان البوريني ، والمحبي ، والغزي ، والخفاجي لم يفرّدوا له ترجمة خاصة .

ثالثاً : ثقافته :

ان الدارس لتراجم البوريني تتوضح لديه حقيقة عن سعة ثقافته من خلال قائمة الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ، وأخذ عنهم العلوم الشرعية والأدبية واللغوية ، فتعلم التركية والفارسية وترجم الأشعار من الفارسية إلى العربية^(٨) ، في إشارة واضحة على معرفته الواسعة في هذه اللغة وهذا يعني انه اطلع على المصنفات باللغة الفارسية واتقنها حتى تمكن من الترجمة منها إلى العربية ، وقرأ القرآن على الشيخ قزيحة في جامع منجك^(٩) والنحو والفرائض والحساب على البرهان إبراهيم ابن الاحدب والشيخ أبي بكر الذباج والشيخ غانم المقدسي ، ودرس في بيت المقدس على الشيخ محمد ابن أبي اللطف ، ثم رجع الى دمشق وأخذ عن كثير من العلماء منهم الشهاب الطيبي الكبير وولده الشهاب الطيبي الأوسط وعن البدر الغزي وولده الشهاب أحمد^(١٠) ، قرأ المعقولات على الشيخ أبي الفداء اسماعيل النابلسي والعماد الحنفي والشمس محمد ابن المنقار والنجم محمد

(١) نفس المصدر، ج١، ص٣١٣ .

(٢) الغزي : لطف السمر ، ج١، ص٣١٣ ، ٣١٤ .

(٣) ابن طوق : التعليق ، ج١، ص١٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ج٢، ص٤٧٢ ، وانظر أبو الشعر : مجتمع دمشق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص٣٣٨ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص٣١٧ .

(٦) الغزي : لطف السمر ، ج١، ص٣٢٠ ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج١، ص ٢٧٦ ، وكحالة : معجم ، ج٢، ص ٢١٥ .

(٧) المحبي : خلاصة الاثر ، ج٢، ص ٥١ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٦ .

(٩) الغزي : لطف السمر ، ج١، ص ٣٥٦ .

(١٠) المحبي : خلاصة الاثر ، ج٢، ص ٥١ وما بعدها .

ابن البهنسي خطيب دمشق ، وأخذ الحديث عن الشمس محمد الداودي وعن الشيخ أحمد العيثاوي ، وعمل مدرساً في المدرسة الناصرية الجواندية والشامية البراذية والعدلية الصغرى والفارسية والمدرسة الكلاسة ، وله بقعة تدريس في الجامع الأموي ، واشتغل بالوعظ في جامع السلطان سليمان بدمشق^(١)، فثقافته واسعة فهو مؤرخاً أديباً شاعراً له علاقات مع الشعراء ، وله معهم مخاطبات ومباحثات ، كان كثير القراءة ، وتأثر بعدد من المؤرخين أمثال الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وابن شاكر في عيون التواريخ ، وابن خلكان في وفيات الأعيان وغيرهم من العلماء^(٢)، وكان قريباً من السلطة وله معرفة مع صاحب الدفاتر السلطانية الذي شجعه على تأليف ترجمته^(٣). إن الدارس لتراجم البوريني تتضح لديه حقيقة غزارة ثقافته وعمقها وتنوعها، من خلال شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومؤلفاته التاريخية ، والدينية ، والأدبية، والرحلات، فأصبح العالم الذي يشار إليه بالبنان ، والمورد الذي يستقي منه طلاب العلم الراغبين بالتعلم، يقول المحبي : " كان عالماً محققاً ذكي الطبع فصيح العبارة طليق اللسان متين الحفظ حسن الفهم عذب المفاكحة ..."^(٤) ، وكان نشيطاً وشغل وظائف كالتدريس في المدارس، والجامع الأموي، وذكر المحبي وصفاً له : ".... حسنة أردان بها الدهر أزدان الوجنات وتاهت به الأيام إذ كان لها من الحسنات ..."^(٥) ، فكان منذ شبابه مهتم بتحصيل العلوم.

والجدول أدناه يبين بشكل واضح العلوم التي قرأها ، أو التي وصفها وأعطى رأيه بها :

جدول رقم (١) : ثقافة البوريني		
الملاحظات	ج ، ص	العلوم التي قرأها البوريني واطلع عليها وأعطى رأيه بها
قرأه على الشيخ قزبيحة ^(١) ودرسه لتلاميذه .	ج ١، ص ٩ من مقدمة المحقق ج ٢، ص ١٦٧	١ القرآن الكريم ومناجاة موسى عليه السلام .
وردت معلومات ضمن ترجمة ابو اليمى البتروني ^(٢) مفتي الأحناف في حلب .	ج ٢، ص ١٦٧ ، ٢٦٥	٢ معرفته بعلم الحديث ^(٣) ومنها الأربعين النووية ^(٤)

(١) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥٢ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٦ وما تلاها من المقدمة .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٥ .

(٤) المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٥٢ .

(٦) للمزيد انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني .

(٧) للمزيد عن علوم الحديث انظر النيسابوري : ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ /

١٠١٤م) : معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه ، تحقيق أحمد بن فارس السلوم ، دار ابن حزم بيروت - لبنان، ط ١،

٢٠٠٣ م .

(٨) انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني ، وانظر آل جبعان : ترجمة ، ص ١٢ .

(٩) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ .

٣	قراءة المنهاج (القسم الأخير من حصة البوريني منهاج النوي).	ج ١، ص ١١ و ٤٣ و ٤٤	قرأه على أحمد الأوسط بن الكبير وقرءه تقسيما على أحمد العيثاوي.
٤	تصنيف في أشكال المنطق الأربعة أو ايساغوجي ^(١) .	ج ١، ص ١٢ ، ١١٧	تأليف أحمد بن أحمد الطيبي الكبير ويقول عنه البوريني بانه تأليف حسن كما ودرسها البوريني لتلاميذه .
٥	تصنيف في المفيد في علم التجويد .	ج ١، ص ١٢	تأليف أحمد بن أحمد الطيبي الكبير ويقول عنه البوريني انه تأليف حسن .
٦	ديوان خطب .	ج ١، ص ١٢	تأليف أحمد بن أحمد الطيبي ويقول عنه البوريني انه تأليف حسن .
٧	اطلاعه على دفاتر الأوقاف .	ج ١، ص ١٣	كتبها أحمد بن أحمد الطيبي ويقول عنه البوريني انه خط حسن.
٨	الارشاد في فروع الشافعية أختصر فيه كتاباً خلاص النوي في شرح ارشاد الغاوي الى مسالك الحاوي للقرظيني ^(٢)	ج ١، ص ١٧	قرأه على أحمد الطيبي الصغير.
٩	المحمدية في أحوال الفقراء السعدية .	ج ١، ص ٤٢	وجد فيه ما نقل عن كرامات تخص صاحب الترجمة .
١٠	موضوعات العلوم أو مفتاح السعادة.	ج ١، ص ٧٣	للمؤلف أحمد أفندي الشهير طاش كبري زاده ووصل الكتاب إلي دمشق الشام مع ابنه كمال الدين محمد حين جاء قاضياً إليها.
١١	الشفائق النعمانية (الشفائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية).	ج ١، ص ٧٦	للمؤلف أحمد أفندي الشهير طاش كبري زاده ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦٠ .
١٢	جمع الجوامع للسبكي ^(٣) وشرحه للمحلي ^(٤)	ج ١، ص ١١٠ و ٢٩٦ ، ج ٢، ص ٦٢ ، ٣٣٠	في الاصول درسها البوريني لتلميذه أحمد العمادي الشافعي ، كما ووقف عليه البوريني ووجد توضيح للقراءة التي وصل اليها أبو بكر المقدسي على بدر الدين الغزي ^(٥) كما وقرءها البوريني على شيخه اسماعيل النابلسي .
١٣	شرح المواقف .	ج ١، ص ١١٠	للعامة السيد علي الجرجاني درسها البوريني لتلميذه أحمد العمادي الشافعي .
١٤	موقف المقدمات ^(٦) وموقف الجواهر ^(٧) .	ج ١، ص ١١٠	قرأها البوريني اثناء تدريسه لأحمد العمادي الكردي الشافعي .

(١) للمزيد عن أشكال المنطق الأربعة : انظر التقريب لحد المنطق: تأليف أبي محمد بن أحمد بن سعيد ابن حزم الاندلسي ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ص ١٧ - ١٩١ .
(٢) للمؤلف إسماعيل بن أبي بكر ابن المقرئ اليمني الشافعي ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، له عدة مؤلفات للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ١، ص ٣١٠ ، ٣١١ .
(٣) للمزيد انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني .
(٤) للمزيد انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني .
(٥) انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني .
(٦) مقدمات ابن رشد : للمؤلف أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد المالكي ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، له عدة مؤلفات منها المقدمات ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٥ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٧) موقف الجواهر (جواهر الكلام) : للمؤلف عضد الدين الايجي عبد الرحمن بن أحمد ت ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، وله مؤلفات عديدة للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٣، ص ٢٩٥ وهذا الكتاب مختصر لكتابه المواقف في علم الكلام .

١٥	المقدمة الأجرومية في علم العربية ^(١) .	ج ١، ص ١١٧، ٢، ٣٠٥، ٣٧٥	درسها البوريني لتلاميذه وكانت صعبة الفهم على الطلاب .
١٦	قواعد الاعراب الكبرى ^(٢) .	ج ١، ص ١١٧، ٢، ٣٠٥	درسها البوريني لتلاميذه .
١٧	شرح البهاء ابن عقيل الحنبلي على الفية ابن مالك ^(٣) .	ج ١، ص ١١٧	درسها البوريني لتلاميذه .
١٨	شرح المولى عبد الرحمن الجامي ^(٤) .	ج ١، ص ١١٧	درسها البوريني لتلاميذه .
١٩	شرح التلخيص في البلاغة (التلخيص المختصر) وشرح المطول ^(٥) .	ج ١، ص ١١٨، ٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٧	يصف البوريني قراءة الكتاب انها توصل الى الكمال في العلم والعلاقات الاجتماعية ويحوي انواع الاستعارة .
٢٠	كتاب المثنوي .	ج ١، ص ١٢٢	للمؤلف جلال الدين البلخي الرومي ^(٦) ترجمه من الفارسية إلى التركية أحمد بن رجب ^(٧) وواضح من وصف الترجمة ان البوريني قد اطلع عليه وواضح انه يعرف التركية .
٢١	لغات العصر العربية والفارسية والتركية .	ج ١، ص ١٢٣، ٢٣٨، ٢٢٤	مثلا نقل البوريني شعراً بالتركية والفارسية لأحمد بن رجب الحنفي وأوضح السبب وهو التحريض على شرب قهوة البن وكان عارف بالاشعار التركية الكثير ، وذكر تاريخ تولية السلطان أحمد بالتركية، وترجم كتابه السلطان سليمان الى طهماسب شاه .
٢٢	أحمد الخالدي الصفدي صنف في العروض	ج ١، ص ١٢٥	عرضه عليه فكتب البوريني قصيدة مدح فيها الكتاب وتدل على سعة اطلاعه .

(١) المقدمة الأجرومية : ألفها أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ولد ومات بفاس ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وقد شرحها الكثيرون ، انظر متن الأجرومية ، نشر دار الصميعة - الرياض ط ١، ١٩٩٨ م، والزركلي : أعلام، ج ٧ ص ٣٣ .

(٢) قواعد الإعراب الكبرى : ألفها جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الانصاري ولد ومات بمصر ت ٧٦١ هـ / ١٣٦٠ م ، من علماء العربية له مؤلفات عديدة منها الإعراب عن قواعد الإعراب (قواعد الاعراب الكبرى) ، للمزيد انظر مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ت ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧ م ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ٢ ، دار أدياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٩٤١ م ، ج ١، ص ١٢٤ ، وسيشار له لاحقا حاجي خليفة : كشف الظنون ، والزركلي : أعلام، ج ٤، ص ١٤٧ .

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ألفها ابن عقيل عبد الله العقيلي الهمداني المصري ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م ، تحقيق محمد محيي الدين ، ج ٤ ، ط ٢٠ ، دار التراث - القاهرة ١٩٨٠ م ، وله عدة مؤلفات للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٤، ص ٩٦ .

(٤) عبد الرحمن الجامي : عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ت ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م ، وهو من المفسرين وله مؤلفات وشروح عديدة منها شرح فصوص الحكم لابن عربي وشرح الكافية لابن الحاجب ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٣، ص ٢٩٦ .

(٥) للمزيد انظر نفس الفصل، شيوخ البوريني .

(٦) جلال الدين البلخي : محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين ت ٦١٢ هـ / ١٢٧٣ م، المثنوي، ج ٦ ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ١٩٩٦ ج ١، (الكتاب الأول)، ص ٧ وما تلاها .

(٧) للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢١ - ١٢٣ .

٢٣	الروض العاطر فيما تيسر من أخبار القرن السابع إلى ختام القرن العاشر ^(١) .	ج ١، ص ١٥٩	من مصادر البوريني في تأليف كتاب تراجم الأعيان .
٢٤	كتاب المطول في البلاغة ^(٢) شرح المطول في البلاغة.	ج ١، ص ١٦٢ ج ٢، ص ١٠٨، ج ٢، ص ١١١، ٣٠٣-٣٠٤	مصدر البوريني في مباحثاته مع العلماء وهولمولى سعد الدين التفتازاني قرأه البوريني على شيخه العماد الحنفي ، ودرسه لتلاميذه ومنهم الأديب درويش محمد ابن طالو ^(٣) .
٢٥	مباحث الاستعارة وبيان اقسامها وتحقيق المجاز والحقيقة.	ج ١، ص ١٦٣	ألّفها أحمد ابن المنقار (ت ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣ م) ^(٤) وقد قرأها البوريني .
٢٦	الحساب والفرائض .	ج ١، ص ٣٠٤	قرأه البوريني على الشيخ محمد التنوري ^(٥) والشيخ إبراهيم ابن الأحدث الشافعي نزيل الصالحية ^(٦)
٢٧	تفسير القرآن للمفتي أبي السعود أفندي (ت ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م) ^(٧)	ج ١، ص ٢٤١	راجع البوريني وقرأه ، ودرسه لتلاميذه في درس التفسير في الجامع الأموي ، فيقول " .. وغالب تحقيقه وقع في أوائله . واما النصف الثاني فغالبيه عبارة البيضاوي ، ولا يزيد غالبا الا بعض النكت المتعلقة بالبلاغة ، وتفرد فيه انه يتقيد غالبا باعتماد الوجه الذي يناسب سياق النظم الكريم وسباقه ، ويسلك غالبا ايضاح المعاني "
٢٨	الشعر ، فقد كان شاعرا أدبيا وحافظا لشعر غيره .	ج ١، ص ٢٦٨ ، ج ٢، ص ١٨٤ - ٢٢٥ ، ١٨٥	حين وصف البوريني كتابة أبي الطيب الغزي لتفسير القرآن لأبي السعود أفندي قال : " ... يكتب تفسير المولى ابي السعود كتابة صحيحة مليحة الى الغاية من غير نقصان ولا تبديل " فمدحه الشعراء بسبب ذلك وكان البوريني حافظا لشعرهم . كما وذكر اشعار الشريف الرضي ^(٨) الا انه مال الى الاختصار فذكر مطلعها ثم قال " . والى آخره وهي في ديوانه " . والشعر عند البوريني يجسده قوله " ... وعلمنا ان الشعر من املح الفنون حسنا ، وارفعها مرتبة ، وأرجحها وزنا ... " كما وان الشعراء اقسام منهم حسب قوله " فمنهم من اسفر له عن محاسنه وقابله بالابتسام ، ومنهم من عبس في وجهه فتولى ولم ينل منه غاية المرام ، ومنهم من نهج فيه منهج البلاغة وتغافل عن الانسجام ، ومنهم من شرد وتاه في ببدائه على ضامرة بغير لجام ، ومنهم من أخرجه بغلاضة طبعه عن الهيئة الحسنة والبسه الثياب الرثة الخشنة ... "

(١) الروض العاطر فيما تيسر من أخبار القرن السابع إلى ختام القرن العاشر (مخطوط) للمؤلف موسى بن يوسف بن أحمد الايوبي الشافعي ت ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٢ م ، له عدة مؤلفات منها نزهة الخاطر وبهجة الناظر (مطبوع) ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٧ ص ٣٣٢ .

(٢) لسعد الدين التفتازاني للمزيد انظر الفصل نفسه ، شيوخ البوريني .

(٣) درويش بن محمد الطالوي الرومي الدمشقي ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، أديب له كتاب مطبوع اسمه سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر ، ج ٢ ، تحقيق محمد مرسى الخولي ، عالم الكتب ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٣ م . للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .

(٤) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٧٧ ، وكحالة : معجم ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٥) للمزيد انظر نفس الفصل ، شيوخ البوريني .

(٦) للمزيد انظر نفس الفصل ، شيوخ البوريني .

(٧) للمزيد انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٤ ، وانظر الزركلي : أعلام، ج ٧ ص ٥٩ .

(٨) الشريف الرضي : محمد ابن الحسين بن موسى ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، عالم أديب له مؤلفات عديدة منها ديوان شعر كبير في أربع مجلدات ، للمزيد انظر كحالة : معجم ، ج ٩ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

			، وكان البوريني يعرف الشعر لمن يعود أو من نظمه أولاً .
٢٩	الفتوحات المكية ^(١) .	ج ١، ص ٢٨٠ - ٢٨١	وصف البوريني الكتاب وما يحويه وما أثاره مؤلفه من جدل حول جواز تدريس كتب محيي الدين ابن عربي وكان الفيروز آبادي ^(٢) مؤيداً للأفكار ابن عربي ولكراماته رغم بعد الزمن بينهم .
٣٠	أشعار الأديب أبو اسحاق الصابي ^(٣)	ج ١، ص ٢٩٤	درسها البوريني لتلاميذه ، وكان يحفظ اشعاره .
٣١	كتاب الدرر والغرر ^(٤)	ج ٢، ص ٢٩	كتاب مشهور بين فقهاء الأحناف وقد اطلع عليه البوريني .
٣٢	المغني بحاشية الشمسي ^(٥)	ج ٢، ص ٢١ ، ص ١١١	في مذهب الامام أبو حنيفة ، وقد ابدى البوريني نقده على الأسلوب المتبع عند بعض العلماء في الشرح عن طريق النظم الشعري وهذا يدل على سعة اطلاع البوريني على المذاهب الاخرى . قرءه البوريني على شيخه الشمس ابن المنقار ^(٦) .
٣٣	شرح المفتاح ^(٧) .	ج ٢، ص ٢٤ ، ٦٢	وقال فيها البوريني "..... وهو في الحقيقة من محاسن الآثار ، ولطائف الاسفار ...".
٣٤	تفسير المنظوم .	ج ٢، ص ٩٤ - ١٠٣، ٩٥	للبدد الغزي يصفه البوريني بأنه يحتوي على أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مئة الف بيت شعري مرجز ، مع الالتزام في الابتعاد عن الحشو ، ومنهم من جوز هذا التفسير ومنهم من لا يجوزه ومنهم من انكره أصلاً ، ورأيه يقول ".... وعندي انه لو تركه لكان أولى ، لان مقام كلام الله من مقام الشعر أعلى) ويقول ايضا البوريني ".... ثم انك إذا تأملت التفسير فانه قد نظم محصل (تفسير الكشاف) ^(٨) ،

(١) للمؤلف محيي الدين ابن عربي : محمد بن علي بن محمد الاندلسي ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م ، فيلسوف له عدة مؤلفات في التصوف وغيرها ، منها الفتوحات المكية ، تحقيق عثمان يحيى ، ١٤ ج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م ، ط ٢ ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج ٦ ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب بن محمد ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م ، له مؤلفات عديدة منها **القاموس المحيط** في مجلد واحد ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ط ٨ ، ٢٠٠٥ م ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج ٧ ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٣) ابو اسحاق الصابي : إبراهيم بن هلال بن إبراهيم ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م ، أديب وأسلافه مشهورون بالطب وشغل وظائف عديدة ز من العباسيين وهو ليس بمسلم بل من الطائفة الصابئة ، له مؤلفات منها ديوان شعر ، ورسائل الصابي للمزيد انظر الزركلي : أعلام ، ج ١، ص ٧٨ .

(٤) الدرر والغرر : هو كتاب الدرر الحكام في شرح غرر الاحكام ، للمؤلف القاضي محمد بن فرامرز بن علي المعروف ملا خسرو أفندي الحنفي ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م ، عالم فقيه حنفي تولى التدريس في مدينة بروسة ز من السلطان محمد بن مراد (للمزيد عن هذا السلطان انظر الفصل الثالث من البحث) وله مؤلفات عديدة منها الكتاب المذكور ٢ ج ، نشر مير محمد كتبخانه آرام باغ كراحي ، وقد عمر مساجد في القسطنطينية ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج ٦ ص ٣٢٨ .

(٥) للمزيد انظر نفس الفصل شيوخ البوريني .

(٦) للمزيد انظر نفس الفصل شيوخ البوريني .

(٧) للمزيد انظر نفس الفصل شيوخ البوريني .

(٨) تفسير الكشاف : للمؤلف محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٤ م ، له مؤلفات عديدة منها الكشاف في تفسير القرآن ، ١ مج ، اعتنى به خليل مأمون شياحا ، نشر دار المعرفة بيروت - لبنان ط ٣ ، ٢٠٠٩ م ، وانظر الزركلي : أعلام ، ج ٧ ص ١٧٨ .

و(تفسير البيضاوي) ^(١) وزاد بعض اوجه وبعض نكت منقولة في الكتب غالباً ، يشهد بذلك من شاهده وتأمل معناه .. " ويعطي البوريني رأيه مرتين ، الأولى يقول لو تركه أولى ، والثانية لو جعل مكانه تفسيراً بسيطاً منثوراً يوضح فيه بعض مشكلات القاضي عبد الله البيضاوي بجعله حاشية لكان خيراً " ... تاجا على مفرق الزمان) .			
اطلع البوريني على الشرح في هذه الرحلة وقد افاد منه كمصدر .	ج ٢ ، ص ٩٩	رحلة القاضي محب الدين الحموي ^(٢) .	٣٥
له معرفة بالكتاب .	ج ٢ ، ص ١٠١	فتح المغلق ، في تحرير الخلاف المطلق ^(٣) .	٣٦
لبدر الدين ابن مالك ^(٤) وقد درسها البوريني لتلاميذه الشافعية والاحناف .	ج ٢ ، ص ١١٣ ، ٣٠٥	شرح الفية ابن مالك .	٣٧
من الواضح اطلاع البوريني على فكر افلاطون فهو يبرر تناول شيخه العماد الحنفي للافيونيقوله " لاجل ما نقل من منافعه عن أستاذ الحكماء افلاطون ... "	ج ٢ ، ص ١١٩	استاذ الحكماء افلاطون	٣٨
في الفقه للامام البيضاوي من العلوم التي درسها البوريني لتلاميذه ومنهم الحسين الحافظ التبريزي ، الذي على يديه تمكن البوريني من اتقان الفارسية .	ج ٢ ، ص ١٦٦ - ١٦٧	الغاية القصوى .	٣٩
للمؤلف الحسين الشيرازي ^(٥) أحد اصحابه وهذا الكتاب اسلوبه على اسلوب العرب في الرجز لان كل بيت بقافيتين ولذلك يسمونه المثنوي ، وهذا يعني ان البوريني حلل اسلوب الكتاب ، كما وان الكتاب يتعلق بغزوات أمراء السلاطين ولكن الكتاب يقول عنه البوريني باسم الوزير السردار حسن باشا ^(٦) أي ان هذا الوزير طلب من الحسين الشيرازي تاليفه تقليدا لمن سبقه من الحكام في تاليف سياسة نامه ، كنظام الملك الطوسي ^(٧) ونصائح الملوك للغزالي ، ويحتوي الكتاب كما قال البوريني على حكايات او قصص للحكام السابقين من باب النصائح ، ومن الواضح اطلاع البوريني على هذا الكتاب وغيره	ج ٢ ، ص ١٧٣ - ١٧٥	كتاب او نظم شاه نامه ^(٥)	٤٠

(١) تفسير البيضاوي : ويعرف بأسم أنوار التنزيل وأسرار التأويل للمؤلف عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين البيضاوي ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م ، وهو مفسر علامة تولى قضاء شيراز له عدة مؤلفات منها التفسير المذكور ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احدياء التراث العربي - بيروت ط ١ ، ١٩٩٧ م ، وانظر الزركلي : أعلام، ج ٤ ، ص ١١٠ .

(٢) وهي رحلة معروفة بأسم (بوادي الدموع العندمية بوادي الديار الرومية) من دمشق إلى الاستانة سنة ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م ، للمؤلف الرحالة محب الدين ابن تقي الدين الحموي، ت ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م ، وله رحلة ثانية من نجد إلى مصر ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٣) للمزيد انظر نفس الفصل، شيوخ البوريني .

(٤) بدر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م الشهير بابن المصنف وقد خطأ والده في مواضع كثيرة ، وعلى هذا الشرح تم تأليف الكثير من الشروح ، للمزيد انظر حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ١ ، ص ١٥١ - ١٥٤ .

(٥) شاه نامه : لفظ فارسي مركب شاه معناه ملك دخل إلى العربية وأضيف إلى بعض الأسماء العربية والفارسية ، مما تعني الكلمة المركبة سير الملوك أو سياسة الملوك ، للمزيد انظر الطوسي : سير الملوك ، ص ٢٧ ، والخطيب : معجم، ص ٢٦٧ .

(٦) الحسين الشيرازي : حسين بن قنبر الشيرازي الدمشقي ، المذهب الشافعي ت ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م ، اشتغل في صناعة الذهب ، له نظم على الطريقة الفارسية أسمه (شاه نامه) وهو أحد اصحاب البوريني ، للمزيد انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٥ .

(٧) للمزيد عن الوزير حسن باشا ، انظر الفصل الثالث ، الحياة السياسية وفق تراجم البوريني .

(٨) تم التعريف به وبالكتاب انظر الفصل الاول التمهيدي فقرة مرافق بلاد الشام (فقرة ١ الكتابيب) .

<p>من الكتب التي على نفس الشاكلة ودليله قوله : " ... وعادة من ينظم في مثل هذا الأسلوب انه كلما ذكر موت احد من سلاطينهم او من شجعانهم المذكورين يذكر عقب ذكر ذلك فصلا يتعلق بدم الدنيا وعدم وفائها ، ويذكر في ذلك بعض من مضى من الملوك السالفين ، إلى أن يذكر في آخر المبحث بيتين يتعلقان بطلبه السقيا من الساقى الصهباء " .</p>		
<p>للشاعر الحسين ابن عبد النبي^(١) وهذه قصيدة غريبة عجيبة حسب وصف البوريني وهي بمدح أحد القضاة بدمشق سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩م، وشرحها البوريني وبين معانيها والفاضها واعرابها، (لغة ، واعراب ، ومعنى) علما بانأحد اصحاب البوريني وهو ابو بكر العمري سبق وقام بشرحها^(٢)، واستخدم البوريني الاختصار والتلخيص في بيان هذه القصيدة حتى (لا يمله السمع) ، وحتى يحصل لسامعها المفاكحة ، وتعجب البوريني من خلال شرحه للقصيدة بقوله " ... يا مسلمين ، يا أمة الدين ، هل طرق مسامعكم مثل هذه المعاني الغلاظ ؟ ، إنا لله وإنا إليه راجعون.. " ، واورد حديث للنبي محمد (ص) (ان من الشعر لحكمة ... " وقد شرح معنى الحديث وكان بمناسبة شرح هذه القصيدة .</p>	<p>ج ٢، ص ١٧٩ - ١٩٤</p>	<p>٤١ القصيدة القر محشدية .</p>
<p>اهتم البوريني بالحصول على هذه الكتب فاتصل بالقاهرة وكان القاضي بمصر والقاهرة درويش باشا^(٣) يطلب فيه شرحاً على المنهاج من الشروح الثلاثة، وقد تاخر درويش باشا في تزويد البوريني بواحد منها كونها لم توجد مكتوبة في حينها.</p>	<p>ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠</p>	<p>٤٢ شرح ابن حجر^(٣)، وشرح الخطيب الشربيني^(٤)، وشرح شمس الدين الرملي^(٥)</p>

(١) الحسين بن عبد النبي بن عمر الرومي الاصل الدمشقي ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨م ، تولى إمامة جامع الاموي بواسطة بعض القضاة وقد نقل المحبي هذه القصيدة ويبدو انه نقلها من البوريني ، للمزيد انظر القصيدة وشرحها عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٧٩ - ١٩٤ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) أبو بكر بن منصور بن بركات العمري الدمشقي الأديب الشاعر ت ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨م ، له رحلات فسافر الى مصر عدة مرات للمزيد انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٨٨ - ٢٩١ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج ١، ص ٩٩ - ١١٠ .

(٣) ابن حجر : أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المصري ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٦م ، له مؤلفات عديدة منها تحفة المحتاج لشرح المنهاج للنووي في فروع الفقه الشافعي ، للمزيد انظر كحالة : معجم، ج ٢، ص ١٥٢ وانظر الغزي : الكواكب السائرة، ج ٣، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٤) الخطيب الشربيني : محمد بن أحمد الشربيني الشافعي القاهري ت ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠م ، له مؤلفات عديدة منها مغني المحتاج في شرح منهاج الطالبين للنووي في الفقه الشافعي ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٦ ، ص ٦ .

(٥) شمس الدين الرملي : محمد بن أحمد بن حمزة المصري الشافعي ت ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦م ، له مؤلفات عديدة منها نهاية المحتاج الى شرح المنهاج للنووي ، للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٣، ص ٣٤٢ - ٣٤٨ ، وكحالة : معجم، ج ٨ ص ٢٥٦ .

(٦) درويش محمد : تولى قضاء القدس وما يتبعها من غزة و نابلس و صفد و اللاجون و عكا وكفر كنا وتولى قضاء مكة ثم مصر والقاهرة جاء الى دمشق سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١م ، وكانت له علاقة طيبة مع البوريني ، للمزيد انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

٤٣	شرح على تفسير الاماناصر الدينالبياضوي ^(١) و شرح ديوان ابن الفارض ^(٢) .	ج ٢، ص ٢٠٠	للحسن البوريني نفسه وكان قاضي مصر درويش باشا راغباً بشدة قراءة هذه الكتب وطلب منه ارسالها له الى مصر.
٤٤	سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر لدرويش الطالوي ^(٣) .	ج ٢، ص ٢١٣	وقد وصف البوريني الكتاب بانه يحتوي على أغلب مراسلات الاديب درويش الطالوي مع ابناء عصره من الادباء.
٤٥	حاشية الكشاف ^(٤) .	ج ٢، ص ٢١٣	للسعد التفتازاني وهو في الادب وكان من جملة كتب الاديب درويش الطالوي ولما توفي اشترى البوريني ذلك الكتاب وهو من كتب الادب.
٤٦	حاشية الموافق ^(٥) .	ج ٢، ص ٢١٣	من الكتب التي كانت موجودة في مكتبة الاديب درويش الطالوي وقد اشتراه البوريني بعد وفاته وهو من كتب الادب.
٤٧	قصائد ابن ابي الحديد ^(٦)	ج ٢، ص ٢١٣ - ٢١٤	قصائد السبع العلويات وهي خاصة بمدح النجوم العوالي آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويصفها البوريني بقوله ان درويش الطالوي كان يحب تلك القصائد.
٤٨	ديوان شعر ابن التعاويذي ^(٧) .	ج ٢، ص ٢٥٧	وقد ملكه البوريني سنة ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م قرأه ووجد فيه ملاحظات سبق وتم تسجيلها حين زار قرية بيروود ^(٨) سنة ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م لاستحصال ريعها للمدرسة الناصرية الجوانية ^(٩) من النقش ففي الديوان عبارة (منه ومن أماله)، ولم يستطيع معرفة الشعر الا بعد تملكه الديوان فوجد البوريني اختلاف بين الابيات الواردة في الديوان والابيات المنقوشة على الباب في قرية بيروود و من خلال الديوان عرف البوريني لمن تعود الابيات الشعرية المنقوشة في اشارة الى تحريه للمعلومات.

(١) شرحه البوريني وسماه حاشية على أنوار التنزيل ، انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١ ، والغزي : لطفالسم ج ١، ص ٣٥٥ - ٣٨٦ ، والزركلي : أعلام، ج ٤، ص ١١٠ ، انظر كحالة : معجم، ج ٣، ص ٢٨٩ .

(٢) عمر ابن الفارض : عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري المولد والدارت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥م، اشتغل بفقهاء الشافعية وهو شاعر صوفي له ديوان شعر مطبوع وشرحه كثيرون منهم البوريني وسماه البحر الفائض في شرح ديوان ابن الفارض، وعبد الغني النابلسي ، للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٥١ ، والزركلي : أعلام، ج ٥، ص ٥٥ ، وانظر كحالة : معجم، ج ٣، ص ٢٨٩ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢١٣ ، والخفاجي : ريحانة الألبا ، ص ٥٣ - ٧٧ .

(٤) للمزيد انظر نفس الفصل، شيوخ البوريني.

(٥) للمزيد انظر نفس الفصل، شيوخ البوريني.

(٦) ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني العراقي ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م ، له مؤلفات منها شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١، ١٩٥٩م، والقصائد السبع العلويات للمزيد انظر كحالة : معجم، ج ٥ ص ١٠٦ ، والزركلي : أعلام، ج ٣، ص ٢٨٩ .

(٧) ابن التعاويذي : محمد بن عبيد الله ابو الفتح سبط ابن التعاويذي ت ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، شاعر العراق وله ديوان شعر انظر البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢٥٧ ، والزركلي : أعلام، ج ٦، ص ٢٦٠ .

(٨) قرية بيروود : وهي بين حمص وبعبلبك وفيها عين جارية ، من نواحي دمشق للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢٥٦ ، والحموي : معجم البلدان، ج ٥ ص ٤٢٧ .

(٩) المدرسة الناصرية الجوانية : من مدارس الشافعية داخل باب الفراديس شمال الجامع الاموي وتقرّب منها العديد من المدارس، انشأها الملك الناصر يوسف بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وتعرف بالناصرية البرانية، للمزيد انظر النعيمي : المدارس، ج ١، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وعند البوريني فان المدرسة الناصرية البرانية تقع في صالحية دمشق والجوانية تقع في دمشق انظر نفس المصدر، ج ١، ص ٩٩ ، ١١٠ ، ٢٧٦ ، ج ٢، ص ٣١ ، ٣٥ ، ٣٠٢ .

٤٩	ابو الطيب المتنبى شاعر كنده ^(١) .	ج ٢، ص ٢٩٢	كان مصدر له في ذكر مناسبة حول مطاردة الاشقياء من قبل الوزير مراد باشا ^(٢) .
٥٠	كتب منوعة .	ج ٢، ص ٣١٢-٣١٣	كانت للقاضي عبد الرحمن أفندي الفروري ^(٣) وقد اطلع عليها البوريني .
٥١	شرح نظم متن التلخيص.	ج ٢، ص ٣١٧	المتن للعلامة المجتهد الفهامة الشيخ السيوطي ^(٤) ، وشرحه المفتي في مكة عبد الرحمن المرشدي ^(٥) وقال عنه البوريني شرحا لا بأس به .
٥٢	المعاني والبيان ^(٦) .	ج ٢، ص ٣٣٠	لم يحدد اسم المؤلف وهو في العربية قرأه البوريني على الشيخ العماد الحنفي .
٥٣	الالغاز العلائية ^(٧) .	ج ٢، ص ٣٣٥	وهي عبارة عن اسئلة تتعلق ببعض المشكلات والالغاز في القراءات العشر ووصف البوريني عدد ابياتها ٢٦ بيتاً يقول البوريني ولم يبحث عنها احد .
٥٤	رسالة الامام القشيري ^(٨)	ج ٢، ص ٣٤٧-٣٤٨	كان البوريني يستند اليها في كتاباته الشعرية.
٥٥	كتاب من تصانيف ابن طولون الصالحي ولم يحدد اسمه وربما قصد القلائد الجوهرية بتاريخ الصالحية ^(٩) .	ج ٢، ص ٣٥٠-٣٥١	وصف البوريني الكتاب انه رأى بيد الشيخ عبد اللطيف الحنبلي وقال البوريني " ...فيه ذكر من كان بالصالحية من العلماء الاعلام" .
٥٦	مقامات الحريري رواية الحارث ابن همام عن ابي زيد السروجي ^(١٠) .	ج ١، ص ٧٨	درسها البوريني لتلاميذه .

- (١) أبو الطيب المتنبى : احمد ابن الحسين بن عبد الصمد ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، ولد في محلة تسمى كنده في الكوفة ، له ديوان شعر معروف للمزيد انظر الزركلي : **أعلام**، ج ١، ص ١١٥ .
- (٢) تم التعريف به للمزيد انظر الفصل الثالث الحياة السياسية ، وانظر فقرة أحوال بلاد الشام مع السكبان نفس الفصل أيضاً .
- (٣) عبد الرحمن ابن قاضي القضاة ولي الدين ابن الفرور دمشقي ت ٩٩١هـ / ١٥٨٣م ، شغل عدة وظائف بسبب والده الذي كان قريباً من السلطان سليمان القانوني ، تولى الخطابة والقضاء للمزيد انظر ترجمته البوريني: تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣١١-٣١٧ .
- (٤) السيوطي : عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) له مؤلفات كثيرة للمزيد انظر الزركلي : **أعلام**، ج ٣، ص ٣٠١، ٣٠٢ .
- (٥) عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الحنفي مفتي مكة ت ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م ، تولى التدريس والافتاء وكان موته قتلاً ، للمزيد انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣١٦، ٣١٧ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٣٧٥ .
- (٦) للمزيد عن هذه الكتب انظر حاجي خليفة : كشف الظنون، ج ٢، ص ١٧٢٧، ١٧٢٨ .
- (٧) الالغاز العلائية : للمؤلف علي بن محمد الطرابلسي الاصل الدمشقي الحنفي ت ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م ، عالم بالقراءات له مؤلفات منها الالغاز العلائية في القراءات العشرة للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٣٥ . والزركلي : **أعلام**، ج ٥ ص ١٣ ، وانظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر، ج ٣، ص ١٨٦، ١٨٧ .
- (٨) الرسالة القشيرية : للمؤلف عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م ، كان قريب من السلطان ألب أرسلان السلجوقي له مؤلفات منها هذه الرسالة في التصوف ، للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٤٧، ٣٤٨ ، وانظر الزركلي : **أعلام**، ج ٤، ص ٥٧ .
- (٩) القلائد الجوهرية : للمؤلف محمد بن علي بن أحمد ابن طولون ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م مؤرخ وفقه و عالم بالتراجم له العديد من المؤلفات منها القلائد الجوهرية بتاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط ٢ ١٩٨٠م ، والزركلي : **أعلام**، ج ٦ ص ٢٩١ .
- (١٠) مقامات الحريري : للمؤلف القاسم بن علي بن محمد الأشافعي البصري ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، له مؤلفات عديدة منها مقامات الحريري وسماها مقامات أبي زيد السروجي وهو كتاب ادبي ترجم الى اكثر من لغة اوربية ، للمزيد انظر الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م : **سير أعلام النبلاء** ج ٢٥

٥٧	شرح الشذور ^(١) في العربية .	ج ١، ص ٢٨٤	درسه البوريني لتلاميذه .
٥٨	الروضة الوردية في الرحلة الحلبية ^(٢) .	ج ١، ص ١٨٥	كانت مصدراً مكتوباً للبوريني .
٥٩	الحافظ ابو بكر البغدادي المؤرخ ^(٣) .	ج ١، ص ٥، ٦	استند اليه البوريني لتأكيد رأي بخصوص احترام العلماء فإذا احترمت العلماء في دولة استمرت وطالت وإذا أهينت العلماء سقطت وزالت وفيها أيضا إشارة حول زوال سلطان الجراكسة بسبب اهانتهم للعلماء .
٦٠	أبو العلاء المعري ^(٤)	ج ١، ص ١٢٥	استند الى اشعاره البوريني لمدح بعض القضاة .
٦١	شعر الامير أسامة بن منقذ ^(٥) .	ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٧	رجع الى شعره في مناسبة اخلاقية بين غلام وشيخ.
٦٢	المؤرخين السالفين ابن كثير ^(٦) ، وابن الاثير ^(٧) وابن خلكان ^(٨) ، وابن شداد ^(٩) ، وابو شامة ^(١٠) ، وابن حجر ^(١١) .	ج ١، ص ٣، ٤ من مقدمة البوريني	وهم مؤرخين اطلع على كتبهم وعلى منهجهم في التدوين ومنهم من الف في التراجم مثل ابن حجر.

، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦م ط ١١ ج ١٩، تحقيق شعيب الارنؤوط ص ٤٦١ - ٤٦٤ وسيفشار له لاحقا الذهبي : سير، وانظر الزركلي : أعلام، ج ٥ ص ١٧٧، ١٧٨ ، وانظر كحالة : معجم، ج ٨ ص ١٠٨ .

(١) شرح الشذور : للمؤلف عبد الله بن يوسف بن أحمد جمال الدين ابن هشام المصري ت ٧٦١هـ / ١٣٦٠م ، عالم بالعربية له مؤلفات عديدة ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٤ ص ١٤٧ .

(٢) للمؤلف أحمد بن محمد بن علي الحصفكي الشافعي ت ١٠٠٣هـ / ١٥٩٥م ، له مؤلفات منها الروضة الوردية في الرحلة الحلبية ، وكانت مصدراً مكتوباً للبوريني انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٨٥ ، وكحالة : معجم، ج ٢، ص ١٣٣ .

(٣) ابو بكر البغدادي : محمد بن يحيى بن عبد الله ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م ، من علماء الادب والتاريخ له مؤلفات عديدة ادبية وتاريخية ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج ٧ ص ١٣٦ .

(٤) المعري : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م ، شاعر أديب له مؤلفات أدبية وديوان شعر ثلاثة أقسام اللزوميات ، وسقط الزند ، وضوء السقط ، ومن مؤلفاته الأخرى الأيك والغصون ، وتاج الحرة وغيرها ، انظر الاشبيلي : ابو بكر محمد بن خير بن عمر ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م : فهرسة ابن خير الاشبيلي ، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط ١ ، ١٩٩٨م ، ، والحموي : معجم، الأدباء ج ٣، ص ١٠٧ - ٢١٧ ، وانظر الزركلي : أعلام، ج ١، ص ١٥٧ .

(٥) أسامة بن منقذ : الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني ابو المظفر ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، من العلماء الشجعان له مؤلفات في الأدب والتاريخ والشعر منها كتاب الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائي، نشر دار الأصاله للثقافة والنشر والاعلام عمان - الأردن ١٩٨٧م ، ص ٤٥ ، وانظر الحموي : معجم الأدباء، ج ٢، ص ١٨٨ - ٢٤٥ ، والزركلي : أعلام، ج ١، ص ٢٩١ .

(٦) ابن كثير : اسماعيل بن عمر ابن كثير البصري دمشقي ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م مؤرخ حافظ ، له مؤلفات عديدة منها كتابه المشهور البداية والنهاية ، انظر الزركلي : أعلام، ج ١، ص ٣٢٠ .

(٧) ابن الاثير : علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م مؤرخ واديب ونسابة ، له مؤلفات عديدة منها الكامل في التاريخ ، انظر المرجع نفسه ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٨) ابن خلكان : أحمد بن محمد بن إبراهيم ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م مؤرخ اديب له مؤلفات كثيرة منها في كتب التراجم وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان للمزيد انظر المرجع نفسه ج ١، ص ٢٢٠ .

(٩) ابن شداد : يوسف بن رافع بن تميم الموصلية بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م مؤرخ وقاضي كبير ، له مؤلفات منها النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، انظر المرجع نفسه ج ٨ ص ٢٣٠ .

(١٠) ابو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م مؤرخ محدث باحث ، له مؤلفات منها الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، انظر المرجع نفسه ج ٣، ص ٢٩٩ .

(١١) ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني ابن حجر السقلائي ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م عالم ومؤرخ له مؤلفات كثيرة منها في التراجم كتاب الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، للمزيد انظر المرجع نفسه، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

ومن خلال ما تم ذكره يمكن تصنيف ثقافة البوريني بأنها كانت ثقافة دينية وأدبية ، وتاريخية،
وكما يلي :

دينية : القرآن الكريم وتفسيره ، والتفسير المنظوم، والحديث النبوي منها الأربعين النووية،
والعلوم الفقهية ومنها كتاب الارشاد في فروع الشافعية ، وجمع الجوامع للسبكي وشرحه للمدلي،
وشرح المواقف، وكتاب الدرر والغرر في الفقه الحنفي ، وشرح المفتاح ، وفتح المغلق في تحرير
الخلاص المطلق، والغاية القصوى، واطلاعه على شروح فقهية لابن حجر، والخطيب الشربيني،
وشمس الدين الرملي، وشرح متن التلخيص ، والألغاز العلانية في القراءات .

أدبية : اعتمد فيها على أشكال المنطق الأربعة ، وموقف المقدمات وموقف الجواهر،
والأجرومية في علم العربية ، وشرح التلخيص في البلاغة ، وقواعد الاعراب الكبرى، وشرح ألفية
ابن مالك ، وكتاب المطول في البلاغة ، ومباحث الاستعارة ، وأشعار الأديب ابو اسحاق الصابي ،
والقصيدة القرمحشدية ، وديوان عمر ابن الفارض ، وكتاب سانحات دمي القصر في مطارحات
بني العصر للطالوي ، وحاشية الكشاف للسعد التفتازاني ، وحاشية المواقف ، وقصائد ابن أبي
الحديد ، وشعر ابن التعاويذي ، وأبو الطيب المتنبي ، والمعاني والبيان في العربية ، وشرح الشذور
في العربية ، وأشعار أبو العلاء المعري ، وأدب أسامة بن منقذ .

تاريخية : مثلاً الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، والروض العاطر فيما تيسر من
أخبار القرن السابع إلى ختام القرن العاشر ، والفتوحات المكية ، ورحلة القاضي محب الدين
الحموي ، والقلائد الجوهريّة بتاريخ الصالحية ، والروضة الوردية في الرحلة الحلبية ، ومؤلفات
الحافظ ابو بكر البغدادي المؤرخ ، وابن كثير ، وابن الأثير ، وابن خلكان ، وابن شداد ، وابو شامة
، وابن حجر.

اللغتين الفارسية والتركية: ومنها كتاب المثنوي لجلال الدين البلخي ، وكتاب شاه نامه ، إضافة
إلى الاشعار الفارسية والتركية والترجمة منها إلى العربية وبالعكس .

رابعاً : مؤلفات البوريني :

لم يشتغل الحسن البوريني فقط بالوظائف الدنيوية كالتدريس ورئاسة ركب الحج الاشامي أو
الوعظ بالجامع الاموي ، وانما توج ذلك بالكتابة والتأليف في التاريخ ، والتفسير ، والأدب
والرحلات ، وقد أغنى المكتبة العربية والاسلامية بعدد من المؤلفات التاريخية والأدبية والاسلامية
، مما يدل على غزارة عطائه الفكري ، وقد وصفه المحبدي بقوله : ".... ذكره كثير من المؤرخين

وأرباب الآداب وأثنوا عليه وكان فرد وقته في الفنون كلها وكان يحفظ من الشعر والآثار والأخبار والاحاديث المسندة والأنساب ما لم ير قط مَنْ يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو والسير والمغازي " (١) ، ويقول عنه الغزي : ".... بل مباحثته صافية نظيفة لا تخلو من فائدة ولا تنتهي الا بعائدة ... " (٢) ، ومن مؤلفاته ما يشابه تأليف كثيرة شائعة في تلك الفترة مثل كتب التراجم والشروح والحواشي ، وقد وصلت اليها مؤلفات البوريني على الرغم من وجود بعضها مطبوع والبعض الآخر مخطوط وهي كما يأتي :

أولاً في التاريخ : كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، من المؤلفات المهمة وهو المصدر الرئيسي لهذه الدراسة ، ترجم فيه لرجال منذ ولادته سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦م إلى وفاته تقريباً سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥م في نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وهو مصدراً مهماً لدراسة بلاد الشام من النواحي السياسية والاجتماعية والتعليمية والدينية والاخلاقية ، وهو مصدراً رئيسياً لعدد من المؤرخين كمحمد الأمين المحبي صاحب كتاب " خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر " (٣) ونقل عنه المحبي ت ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١م حرفياً في عدة مواضع (٤) وهذا الكتاب لم يصل اليها كاملاً بل فقد منه جزءاً على حد قول كرد علي (٥) ، وهناك قطعة منه في مكتبة ليدن بهولندا . وقد وصل اليها كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان (المطبوع) عن طريق جامعه وهو فضل الله بن محب الله بن محمد الدمشقي والد محمد الأمين المحبي (٦) ، حيث تم جمعه من سبعة مجاميع ، وترجم لعدد من مشاهير عصره من سلاطين وعلماء وأمرء محليين وأتراك ووزراء وغيرهم وحتى الموظفين (٧) ، ويبدو أن علاقته بالسلطة ورجال السياسة ساعدته على نقل الأحداث التاريخية المهمة حتى الخاصة بالسلطين وأولادهم .

ثانياً في التفسير : حاشية على أنوار التنزيل على تفسير البيضاوي (٨) في تفسير القرآن الكريم (١) ، وهو بمثابة تحريرات وتعليقات على هذا التفسير (٢) ، وهو مخطوط (٣) .

(١) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(٢) الغزي : لطف السمر ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .
(٣) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٢ ، ص ٥١ ، وانظر كحالة : معجم ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ ، والزركلي : أعلام ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
(٤) المحبي : خلاصة الاثر ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ٣٦ ، ج ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ ، وانظر ترجمة زكريا اليقاعي نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .
(٥) كرد علي : محمد ، تراجم الأعيان ، للبوريني (مخطوط نادر) مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٢٣ ، ٤ ، مجلدات (٨ ج) ج ٧ ، ص ٨ ، ١٩٣ - ٢٠٣ وسيشار له لاحقاً كرد : تراجم الأعيان .
(٦) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ - ٢٨٦ .
(٧) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ج ٢ ، الفهارس ، وكرد : تراجم الأعيان ، ج ٧ ، ص ٨ ، ١٩٦ ، وانظر رشاد : عبد اللطيف ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الجامعة العربية ، مج ٤ ، ج ١ ، ص ١٩٥٨ م ، ج ١ ، ص ١٥٣ - ١٦٤ وسيشار اليه لاحقاً رشاد : تراجم الأعيان ، .
(٨) انظر نفس الفصل ، الجدول ثقافة البوريني .

ثالثاً في الأدب : وله عدة مؤلفات هي :

أ- حاشية على المطول في البلاغة^(٤) كان مهتماً بهذا الكتاب ووضع له حاشية ودرسه للتلاميذ^(٥) وهو مخطوط^(٦).

ب- شرح ديوان عمر ابن الفارض^(٧)، وهو من أشهر تأليفه ويسمى (البحر الفائنض في شرح ديوان ابن الفارض) وهو مطبوع^(٨)، درسه الحسن البوريني لتلاميذه ومنهم درويش ولي المستاري^(٩)، حين جاء الى دمشق والتقى بالبوريني.

ج- السبع السيارة وهي سبع مجاميع أدبية^(١٠) مخطوطة^(١١) وهي ليست جديدة من ناحية الصيغة في التأليف، فقد كانت مثل هذه التوايف شائعة ومتنوعة منها أدبية، ونحوية، وفقهية^(١٢).

د- رسائل أدبية متنوعة وهي كثيرة على حد قول المحبى^(١٣)، مخطوطة^(١٤) منها رسالة (مزج الصواب بالمجون في حل سلسلة المجنون) وهي شرح القصيدة القرمشدية للشاعر الحسين الشامي^(١٥)، ومنها رسالة أرسلها البوريني إلى أسعد بن معين الدين التبريزي وهي مخطوطة^(١٦).

هـ- ديوان شعر : وهو مهم في معرفة البوريني الأديب ويسهم في الاطلاع على مطارحاته مع أبناء عصره وتم تحقيقه بدراسة خاصة^(١٧) وقد ذكره الخفاجي صاحب كتاب ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا^(١).

(١) للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج٢، ص٢١٩، وانظر المنجد : صلاح الدين : معجم المؤرخين الدمشقيين دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ط١، ١٩٧٨م ص ٣١٢ وسيشار له لاحقاً المنجد : معجم، .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٠٠، المحبى : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٥١، كحالة : معجم، ج٣، ص ٢٨٩، الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩.

(٣) للمزيد انظر الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩، وانظر المنجد : صلاح الدين : معجم المؤرخين الدمشقيين، دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ط١، ١٩٧٨م، ص ٣١٢ وسيشار له لاحقاً المنجد : معجم، .

(٤) المحبى : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٥١، وانظر المنجد : معجم، ص ٣١٢ .

(٥) للمزيد انظر نفس الفصل، الجدول ثقافة البوريني .

(٦) المنجد : معجم، ص ٣١٢ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٠٠.

(٨) للمزيد انظر نفس الفصل، الجدول ثقافة البوريني، والمحبى : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٥١، كحالة : معجم، ج٣، ص ٢٨٩.

(٩) مستار قسبة في اقصى ارض الروم ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢٢ وانظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢٢.

(١٠) المحبى : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٥١، وانظر كرد : تراجم الأعيان، ص ١٩٤، والزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩.

(١١) المنجد : معجم، ص ٣١٢.

(١٢) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون، ج٢، ص ٩٧٧، ٩٧٨، وانظر السبع العلويات فقرة علوم البوريني

(١٣) المحبى : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٥١، وانظر الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩.

(١٤) المنجد : معجم، ص ٣١٢.

(١٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٧٩ - ١٩٤، وانظر الجدول ثقافة البوريني .

(١٦) نفس المصدر، ج١، ص ٢١ من مقدمة المحقق .

(١٧) تم تحقيق الديوان من خلال الدراسة التي قام بها مشهور عبد الرحمن حسين الحيازي سنة (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م) : الحسن البوريني أديباً ومؤرخاً مع تحقيق ديوانه ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعه القديس

رابعاً في الرحلات :

أ- الرحلة الطرابلسية وهي مخطوط تسمى (المنازل الانسية في الرحلة الطرابلسية) قام بها سنة ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م ثم رجع إلى دمشق^(٢) ، وفيها معلومات حول ما صدر بين القاضي عبد النافع الحموي الحنفي الذي عرف بلسانه السيئ حتى مع الحسن البوريني^(٣) وكذلك مع مفتي طرابلس^(٤) ويصف البوريني سوء العلاقة بين عبد النافع والمفتي بانها كادت تؤدي (إلى الملاكمة... " حسب وصفه^(٥) ، وكان السبب في قيام هذه الرحلة هو شوقه إلى مدينة طرابلس والألتقاء بأصحابه^(٦) .

ب- الرحلة الحلبية قام بها سنة سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م^(٧) وهي مخطوط^(٨) ، وقد أورد البوريني السبب الداعي لهذه الرحلة وهو الاحداث السياسية التي حصلت في دمشق واطرافها بعد دخول الأمير علي بك ابن جانبلاط ومعه السكبان ومعه الأمير فخر الدين المعني الثاني ، ودخولهم نواحي دمشق ، كالصالحية ، وقبر عاتكة ، والشويكة ، وباب المصلى ، والقبيبات ، والشاغور وكلها في أطراف دمشق أي خارجها^(٩) . فحين اتفق أهل دمشق على ارسال الأعيان الى الوزير الأعظم مراد باشا^(١٠) المعسكر في حلب ، ذهب البوريني مع أحد شيوخه وهو الشيخ أحمد العيناوي الشافعي ، إلى حلب بعد استتباب الأمن فيها ، لغرض افهام الوزير الأعظم مراد باشا بكل الذي حصل في نواحي دمشق ، ووعدهم بأنه سوف يعيد الأمن إلى أطراف دمشق^(١١) ، وتؤشر هذه الرحلة على دور العلماء في مجتمع بلاد الشام ، وتأثيرهم على رجال الدولة ، كما وألتقى هناك بالوزير سنان باشا^(١٢) وتعاهدا على الصلحة والاخوة^(١٣) ، في اشارة إلى دور السفارة الذي قام به البوريني واهتمامه بأحداث عصره وبما يتعرض له الأهالي ، وهذه الرحلة أوردتها العديد من المؤرخين منهم المحبي^(١٤) وهي مخطوطة ، وذكرها كحالة^(١) ، والزركلي^(٢) ، والمنجد^(٣) .

يوسف كلية الآداب واللغة العربية بيروت ١٩٩٨م وهذه الدراسة عنوانها يختلف عن مضمونها فقد احتوت على دراسة البوريني أدبيا وتحقيق لديوانه ولم تتضمن البوريني مؤرخا .

(١) الخفاجي : ريحانة الألباء، ص ٤٣ - ٥٢ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٣٤٠، ٣٦٠، وانظر المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥١، وانظر الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩ .

(٣) عبد النافع ابن عمر الحموي الحنفي (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٧م) تولى الوظائف مثل الكتابة بمحكمة حماة وترقى إلى الإفتاء وله مؤلفات للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٩ - ٣٤٤ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٠ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٠ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٢٩ .

(٨) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥١ ، وانظر الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩ .

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٨ و٢٧٩ .

(١٠) تم التعريف به انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية .

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩١ .

(١٢) للمزيد انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية .

(١٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٠ .

(١٤) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥١ .

خامساً : تلاميذ البوريني :

قصده الطلبة من كل مكان وكان لهم الدور في توسع فكره ، وتكاثر تلامذته على مدى سني عمره الستون تقريباً ، وقد درس عليه عدد من الطلبة تنوعوا في تخصصاتهم ، فمنهم القاضي ، والفقير ، والمدرس ، وتنوعوا في أصولهم فمنهم العربي والفارسي والتركي ، وقد ترجم البوريني لعدد من تلاميذه في كتابه تراجم الأعيان من ابناء الزمان وهم :

أولاً : أحمد جليبي بن اسكندر الرومي الحنفي الذي جاء الى دمشق سنة ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م ، وكان عارفاً متقناً للغات الثلاث المتداولة وهي العربية والتركية والفارسية^(٤)، شغل وظائف منها نيابة القضاء والكتابة بسبب خطه الحسن ، قرأ عليه مقامات الحريري رواية الحارث بن همام عن أبي زيد السروجي^(٥) وأجازه^(٦) وقرأ حصة من أوائل الشرح المختصر للمحقق التفتازاني على متن التلخيص^(٧) وتنوعت قراءات أحمد ليس فقط على البوريني بل على غيره من العلماء ودرس عليهم علم الهيئة^(٨) ، وشغل الوظائف منها التدريس في دمشق ، وكان يخوض في مسائل انتقده عليها البوريني بخصوص محيي الدين بن عربي^(٩) ، وعمر ابن الفارض^(١٠) منها قوله كما نقله البوريني: "..... ان ابن الفارض وابن عربي ومن حذا حذوهما قد حاد في عبارته عن طريق الحق والصواب ، وخالف الحق فيما اعتقده من صفات رب الأرباب ..."^(١١) ويرى البوريني ان رأيه هذا أدى به إلى بغض أهل الشام له وصار بعيداً عن القلوب ثم يقول البوريني : "..... ولكن الأولى لمثله ومثلي من المقصرين ان يسلم للقوم الواصلين (ابن عربي ، وعمر ابن الفارض)"^(١٢) .

ثانياً : أبو بكر بن أحمد بن محمد الجوهري الاصفهاني الاصل الدمشقي المولد والنشأة ت ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١ م^(١٣) ، وكان أصله من بهرام آباد من قرى أصفهان^(١٤) وهو من أصحابه ايضاً وكان تلميذاً مجتهداً، عمل في التجارة مع شقيقه الذي كان بمصر ، وقد أعجب به البوريني لأنه

(١) كحالة : معجم، ج٣، ص ٢٨٩ .
(٢) الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩ .
(٣) المنجد : معجم، ص ٣١٢ .
(٤) انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٧٧-٨٤ .
(٥) انظر ثقافة البوريني .
(٦) الإجازة عند المحدثين الاذن بالرواية لفظاً أو كتابة أو مناولة ، وأركانها المجيز والمجاز ولفظ الإجازة ، انظر دهمان : معجم، ص ١٢ .
(٧) للمزيد انظر نفس الفصل، شيوخ البوريني .
(٨) علم الهيئة : وهو علم يعرف منه أحوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها وقد ألفت فيه الكتب مثل هيچ الغرام الى البلد الحرام للشيخ محي الدين محمد ابن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ، نفس المصدر، ج١، ص ٧٨ و ٨٠ وانظر حاجي خليفة : كشف الظنون، ج٢، ص ٢٠٤٧ .
(٩) انظر نفس الفصل ثقافة البوريني .
(١٠) انظر نفس الفصل ثقافة البوريني .
(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٧٩ .
(١٢) نفس المصدر، ج١، ص ٧٩ .
(١٣) المحيي : خلاصة الأثر، ج١، ص ٦٨ ، ٧٠ .
(١٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١١٢ .

يعمل ويدرس في نفس الوقت ، وقرأ على البوريني علوم العربية والفنون الأدبية وكان شاعراً^(١) ، كما وسافر إلى مصر وأخذ العلوم من علمائها ، وكان غدياً بسبب ميراث جاءه من أسلافه ، وله اهتمام بالشعر نقل المحبي نماذج منه في كتابه خلاصة الاثر ورجع في ذلك إلى ما كتبه الخفاجي بقوله : "... انه شاعر عذب الكلمات ، حسن الذات والسمات .."^(٢) وجمع له ديوان^(٣) ، وقد تحدث المحبي عن أسرة الجوهرى بأنهم من بيت كبير بدمشق ، وان جدهم الأعلى كان " قاضي عسكر " عند أحد ملوك العجم ، بعد ذلك جاء أسلافه إلى دمشق سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، وجلبوا معهم الجواهر والذهب فأشتهروا بدمشق ببيت الجوهرى وسكنوا في محلة الذهب بدمشق^(٤) ، وكان للبوريني اعتقاد بوالد أبو بكر وهو أحمد الجوهرى^(٥) ، بأن له كرامات وخوارق عادات يقول عنه البوريني : "... وله كرامات وخوارق عادات ، تدل على انه من أهل الولاية ، وأنه وصل من الكمال الى النهاية .."^(٦) ، ولما دخل السلطان سليم الى دمشق^(٧) ، تقرب أسلافه من هذا السلطان يقول المحبي عن ذلك : "... ولما دخل السلطان سليم الى الشام أستقبله الجوهرى (جد ابو بكر) ، وكانت له عنده الرفعة التامة ... " وكان لهم أملاك كثيرة بدمشق^(٨) .

ثالثاً : أحمد بن يحيى بن محمد نجم الدين بن محمد البهنسي ت ١٠٥٦ هـ / ١٦٤٦ م^(٩) كان جده نجم الدين البهنسي الحنفي ت ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م أحد شيوخ البوريني ، وهو الذي طلب منه ان يدرس عند البوريني^(١٠) ، كان محترماً من قبل الناس خاصتهم وعامتهم ، قرأ على عدد من الشيوخ منهم والده يحيى ، قرأ عليه النحو ، كما قرأ على البوريني العديد من العلوم الفقهية والأدبية ، وقرأ على الشمس ابن المنقار^(١١) ، درس عنده عدد من الطلبة ، وسافر إلى القسطنطينية مع والده وشقيقه ، وحصلوا على رواتب من دار السلطنة^(١٢) شغل وظائف عدة كالتدريس والخطابة^(١٣) ، بالجامع

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٤ ، وانظر الخفاجي : ربحانة الالبا، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦٨ .

(٢) الخفاجي : ربحانة الالبا، ص ١٦٧ ، والمحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦٩ .

(٣) المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦٨ ، والخفاجي : ربحانة الالبا، ص ١٦٧ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٠ ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٦ .

(٥) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٢ - ١١٦ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٦ .

(٧) انظر الفصل الأول ، أحوال تاريخية عامة .

(٨) المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٧٠ .

(٩) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٦٦ .

(١٠) محمد بن محمد بن رجب البهنسي الشافعي له تأليف منها (شرح على كتاب منتهى الإرادات لم يكمله) للمزيد انظر ترجمته في الغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، وانظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(١١) انظر نفس الفصل ، شيوخ البوريني، وانظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٧ ، ١١٨ ، والمحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٦٦ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٨ ، والمحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٦٦ .

(١٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٧ - ١١٨ .

الاموي والافتاء بعد شيخ البوريني العماد الحنفي مفتي الحنفية وتولى التدريس في عدة مدارس بدمشق^(١).

رابعاً : الأديب أحمد بن شاهين الرومي الاصل الشهير بالشاهيني ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣م أديب ولد بدمشق ، ودخل سلك العسكرية^(٢)، وحين كان عسكرياً وقع في الأسر ، فقرر ترك سلك الجيش والاهتمام بدراسة الأدب ، وكان له معرفة بالفارسية إضافة الى التركية التي تعلمها من والديه وصارت عنده لغات ثلاث^(٣) ، وشغل وظائف منها نيابة القضاء بدمشق ، كما وتولى وظيفة رئيس ركب الحج الشامي سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢١م ، بعد وفاة البوريني بست سنين لذا لم يذكر البوريني معلومات حول وظائفه^(٤) ، ألا أن وظائفه سحبت منه بسبب مزاحمة أحدهم عليها ، وكان له اهتمام بالكيمياء الا أنه صرف عليها الأموال ولم يستحصل منها شيئاً ، كما ألف الكتب في اللغة والشعر^(٥) ، وقد لزم البوريني فترة طويلة يقول البوريني : " .. ولزمني مدة مديدة ولزمته وطلب العلم عندي في أعوام عديدة ..."^(٦) ، كان له قرب من مفتي السلطان ، وكثير مدحه لقضاة دمشق الأحناف ، برع في البلاغة ووصفه البوريني بانه : ".... حتى صار فارس العربية وحامل لواء البلاغة في المملكة الشامية"^(٧) ، وقد بالغ البوريني في مدحه ونقل قصيدة له طويلة في كتابه تراجم الأعيان على الرغم من انه صرح في مواضع عديدة انه يميل الى الاختصار وانه لا يرغب في الاطالة^(٨) في اشارة إلى رغبة البوريني بابرار فنون بعض تلاميذه خاصة في الشعر ، ويقول عنه الخفاجي في الريحانة : " .. أديب حديثه الحسن كقطع الروض . تتسابق ألفاظه ومعانيه إلى القلوب والإذان .. وله نظم ونثر أرق من دمع الصب..."^(٩).

خامساً : تاج الدين القر عوني الشافعي نسبة إلى قر عون في لبنان اليوم^(١٠) ، شغل وظيفة الخطابة في جامع السقيفة خارج باب توما^(١١) ، حفظ القرآن الكريم ، وتولى إعادة الدرس عند البوريني وقرأ عليه دروس في الفقه الشافعي كشرح المنهاج للمحقق المحلي^(١٢) ، وقرأ عليه شرح

(١) المحيي : خلاصة الأثر، ج١، ص ٣٦٦ .
(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٣٩ ، والخفاجي : ريحانة الالباء، ص ٢٢٨ - ٢٣١ ، والزركلي : أعلام، ج١، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .
(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، الزركلي : أعلام، ج١، ص ١٣٥ .
(٤) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ١٣٩ - ١٥٥ ، والزركلي : أعلام، ج١، ص ١٣٥ .
(٥) الخفاجي : ريحانة الالباء، ص ٢٢٨ ، والزركلي : أعلام، ج١، ص ١٣٥ .
(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٣٩ .
(٧) نفس المصدر، ج١، ص ١٣٩ .
(٨) نفس المصدر، ج١، ص ١٤٠ - ١٤٣ ، ج٢، ص ٢٢٥ .
(٩) الخفاجي : ريحانة الالباء، ص ٢٢٨ .
(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١١٣ .
(١١) جامع السقيفة : خارج باب توما بناه خليل الطوغانى أحد الموظفين بدار السعادة بدمشق سنة (٨١٤ هـ / ١٤١١م) ، للمزيد انظر النعيمي : الدارس، ج٢، ص ٣٣٢ .
(١٢) انظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني .

الفية ابن مالك لبدر الدين ابن مالك^(١) ، وكانت له علاقة طيبة مع الاعيان ، ولهم فيه اعتقاد كونه من الصوفية ، وكان يلبس العمامة الصوف التي تسمى المأزر ، يقول البوريني : ".... ولا هل دمشق فيه اعتقاد عظيم ، وحب جسيم ، يمر بالسوق فيقوم اليه غالب أهله ويقبلون يده .."^(٢) ، ولم أعر على ترجمة لوفاته علما ان البوريني حين ترجم له كان على قيد الحياة^(٣).

سادساً : من تلاميذه أيضاً من هم على مستوى رفيع بين الناس منهم جمال الدين الفروري ت ٩٩٥ هـ / ١٥٨٧ م الحنفي ابن عبد الرحمن ابن قاضي القضاة ولي الدين ابن قاضي القضاة شهاب الدين الفروري ، وهو من بيت الفرور الشافعية المشهور بالقضاء في دمشق منذ سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م الى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م أي انهم بقوا يتولون القضاء الشافعي إلى أن انتهت دولة المماليك سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م في مرج دابق^(٤) ، وواضح ان جمال الدين الفروري أعتنق المذهب الرسمي للدولة " الحنفي " كي يحقق بعض مصالح ذاتية^(٥)، وهذا ما أكده البوريني من خلال ما ذكره من رحلات لجمال الدين الى دار السلطنة ، حيث حاول الاتصال هناك بمعلم السلطان وبعض الأمراء للحصول على مكاسب شخصية وأستمر الى أن مات في القسطنطينية يقول البوريني : "..... وكانت وفاة الجمال بدار السلطنة قسطنطينية ..ودفن هناك غريبا ، ولم ينل مما طلبه من المناصب نصيباً"^(٦) ، وقد أشار البوريني الى ان المؤرخين السابقين له دونوا معلومات حول أسلافه القضاة وتوليمهم للقضاء منذ أيام المماليك ، ومصدره في ذلك ابن طولون الصالحي^(٧) ، في اشارة إلى ابن طولون يعد مصدرا أساسياً ومكتوباً للبوريني ، الا أن البوريني لم يصرح بأسم الكتاب ، ولكن واضح ان المقصود هنا كتاب ابن طولون المسمى (مفاكهة الخلان في حوادث الزمان) فقد أورد معلومات واسعة حول أسرة الفرور وتوليمهم للقضاء فترات طويلة في زمن المماليك الجراكسة^(٨) ، وأورد البوريني أيضا معلومات عنهم في تقلدهم القضاء داخل وخارج بلاد الشام ، حتى أنهم صاروا قضاة في بلاد الروم ومصر ، ولهم أوقاف كثيرة في دمشق وصيدا^(٩) ، وقد شغل جمال الدين الفروري الحنفي ووظائف سنة ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م منها وظيفة" كاتب عرض " ^(١٠) ومستشار لقاضي القضاة بدمشق في الشرائع ، وصار عالم بالفلسفة والنحو ،

(١) انظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٤ .

(٤) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٦٢ ، ٩٦ ، ١٦٤ ، ٣٣٤ ، وانظر الفصل التمهيدي أحوال تاريخية عامة .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٣ ، وابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٣٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٧) انظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني .

(٨) للمزيد انظر ابن طولون : مفاكهة من سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م الى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(١٠) كما عرفه البوريني (معناه في اصطلاح قضاة الاروام وحكامهم ان كل صاحب منصب من إمارة أو قضاء أو وكالة عن حضرة السلطان ان يكون له كاتب عارف بالإنشاء والكتابة بلغة الرومية يكتب له المهمات التي يلزم

والموسيقى يقول البوريني : (تارة يسلك طريق العلماء الاعلام وتارة يمشي على سنن أحكام الحكام .."^(١) ، ودرس على عدد من الشيوخ إضافة إلى البوريني وله مكاتبات شعرية ونثرية ومباحثات نقل منها البوريني^(٢) .

سابعاً : الحسين الحافظ التبريزي ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م ، وهو من شيوخه وأصحابه في الوقت نفسه ، فقد تعلم البوريني منه لسان الفارسية بل ان البوريني صرح علانية بقوله : ".... ومنه تعلمت لسان الفارسية ، وكنت أعرفه قبل صحبتته في الجملة ، لكن ما استكملت تعلمه الا منه"^(٣) ، وقرأ على البوريني الأربعين النووية ، ومناجاة موسى عليه السلام ، وحصة من الغاية القصوى في الفقه للامام البيضاوي^(٤) .

ثامناً : درويش ولي المستاري^(٥) ، وهو أحد أصحابه ومن تلاميذه ، لم أعثر على معلومات أكثر عنه ، كما ان البوريني لم يترجم له سوى عدد قليل من الأسطر ، ولا أعرف تاريخ وفاته ، وقرأ درويش المستاري على البوريني أحد مؤلفاته وهو (شرح ديوان عمر ابن الفارض)^(٦) ، ولما سافر درويش المستاري إلى الحج أخذ معه أحد كتب البوريني (لم يذكر أسم الكتاب) الا ان البوريني ذكر أن الكتاب رآه أحد اليمينيين فاعجب به ، في اشارة إلى أن البوريني يبدوا انه كان لا يقصد أن يترجم لدرويش المستاري فقط لأنه أصلاً لم تتجاوز الترجمة عدد أصابع اليد ، بقدر أنه أراد الاشارة إلى نفسه بأنه شخص معروف ، وصيته مشهور بين البلدان ومنها مكة واليمن^(٧) ، وهذا تكرر عنده في مواضع منها في علاقته مع نقيب الأشراف السيد زين نقيب الأشراف ببلدك الذي أرسل مكتوباً إلى البوريني حين جاء من الحج^(٨) .

تاسعاً : الفقيه الشافعي زكريا بن خضر البقاعي^(٩) ، العيتنيتي^(١٠) ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ، جاء إلى دمشق سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م أو ٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م كما ذكر البوريني^(١١) ، والمحب^(١٢) ، قرأ

إرسالها الى عتبة حضرة الملك لتعرض على عتبه العلية ويمضي فيها ما تقتضيه آراؤه السلطانية من عزل وقبول ورد.....ويكتبون في غوائلها ألفاظا مفخمة تليق بجانب السلطنة العثمانية) ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٧ و٧٨ ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٣) للمزيد عن وظائفه وقربه من السلطة انظر شيوخ البوريني ، وانظر نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٤) للمزيد انظر نفس الفصل ، شيوخ البوريني ، ونفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٧ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٦) انظر نفس الفصل ، مؤلفات البوريني .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٨) انظر ترجمه السيد زين نقيب الأشراف ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٩) البقاع : جمع بقعه موضع يقال له بقاع كلب قريب من دمشق وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق فيها

قرى كثيرة ومياه ، انظر الحموي : معجم ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(١٠) قرية من قرى شوف الحرادين في جبل لبنان ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(١٢) المحب : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

على البوريني علوماً متنوعة فقهية في المذهب الشافعي ، وقرأ العربية عليه أيضاً ، وسافر الى مصر لآخذ الاجازة بالفتوى على المذهب الشافعي^(١)، تولى اعادة الدرس بعد شيخه البوريني في المدرسة الناصرية الجوانية^(٢) ، وشغل وظائف منها التدريس في المدرسة النحاسية^(٣) خارج دمشق قرب مقبرة مرج الدحاح^(٤) وبقي على ذلك الى أن مات يقول عنه البوريني : "..... ولم يزل يفيد ويستفيد ، ويبدئ ويعيد الى أن توفاه مولاه..."^(٥).

عاشراً : عبد الرحمن بن محمد عماد الدين ابن محمد بن محمد العمادي الحنفي الدمشقي ت ١٠٥١ هـ / ١٦٤١ م^(٦) ، من العلماء المشهورين في الشام وهو ابن شيخ البوريني العماد الحنفي الذي أوصى أن يقرأ عليه أولاده عبد الرحمن وأحمد ، شغل عبد الرحمن وظائف عديدة منها الافتاء على المذهب الحنفي بدمشق ، كما وتولى تدريس عدة مدارس بدمشق والصالحية^(٧) منها المدرسة السلطانية السليمية بصالحية دمشق^(٨) ، قرأ على عدد من الشيوخ داخل بلاد الشام منهم والده العماد الحنفي^(٩) ، والبوريني والشمس ابن المنقار^(١٠) ، وتعددت مرجعياته فدرس خارج بلاد الشام في المدينة المنورة حين ذهب اليها حاجاً سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، حيث قرأ العلوم^(١١) ، وكان قريباً من القضاة الأراوم ، وبقي يتقلب في وظيفة التدريس والافتاء والقاء المحاضرات حتى أن محاضراته كان يحضرها أعيان الشام من خطباء ومفتين وعلماء وقضاة . ومنهم الحسن البوريني الذي كان يحضر تلك المحاضرات ، يقول البوريني : "... وكان كاتب الحروف الفقير الحقير ، المعترف بالمقصود والتقصير ، الحسن بن محمد البوريني حاضراً للدرس..."^(١٢) ، وقد انتقد المحبي ، البوريني لأن الأخير لم يترجم لعبد الرحمن العمادي بما يستحق ولم يعطه حقه ، يقول

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٣) المدرسة النحاسية : أنشأها محمد بن أبي بكر بن إسماعيل النحاس الدمشقي شمس الدين (ت ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨ م) منشئ الخانقاه النحاسية بدمشق والعامه تسميها مدرسة النحاسية ، انظر النعيمي : المدارس ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ، والزركلي : أعلام ، ج ٦ ص ٥٨ .

(٤) مرج الدحاح : وهي في دمشق مقبرة عامة يدفن فيها العالم والموظف والمملوك ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٨ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ج ٢ ، ص ٧ ، ٨٥ ، ١٢٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٦٩ ، ٢٢٧ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٨) المدرسة السلطانية السليمية أو جامع السلطان سليم : في الصالحية بناها السلطان سليم الفاتح المنتصر على المماليك في مرج دابق ، وكانت وقف ، ونفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ١٨٠ ، ٢١٤ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٣ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨١ .

(٩) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، الخفاجي : ريحانة الالبا ، ص ١٣٣ .

(١٠) انظر نفس الفصل شيوخ البوريني ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، والخفاجي : ريحانة الالبا ، ص ١٢٨ .

(١١) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٣٨١ .

المحبي : " .. وذكره البوريني في تاريخه (تراجم الأعيان) ، ولم يوفه حقه ، وذكره والدي (فضل الله المحبي) فأطال في ترجمته وأطاب .." (١) . أما شقيقه أحمد ابن العماد الحنفي فهو أيضاً من تلاميذ الحسن البوريني ، وقرأ عليه مختلف العلوم الفقهية والأدبية ، إلا أنه لم يكمل بسبب وفاته وكان عمره عشرين سنة (٢) .

حادي عشر : ومن تلاميذه أيضاً مصطفى بن أحمد بن منصور بن محب الدين دمشقي الشافعي ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م قرأ على البوريني ، وكان أديباً مشهوراً حصل العلوم الأدبية والشرعية في بلاد الشام ومصر ، فقد سافر إلى مصر مرتين الأولى سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م والثانية سنة ١٠٣٩ هـ / ١٦٢٩ م ، وكان يلقي الدروس في الجامع الأزهر ، ثم رجع إلى دمشق وصار له عدد من التلاميذ في الجامع الأموي (٣) .

ثاني عشر : وآخر التلاميذ الذين أوردتهم البوريني في تراجمه هو عبد الرحيم ابن الخواجا (٤) تاج الدين الشهير بابن محاسن دمشقي ، وكان هذا قريباً جداً من البوريني يقول عنه : " .. وعبد الرحيم هذا سبط كاتب الحروف الفقير الحسن بن محمد البوريني وقد تربى عندي ، وكانت ولادته عندي في منزلي بزقاق النحاسين بدمشق ... " (٥) ، قرأ عليه العربية وخاصة الأجرومية في علم العربية وكانت صعبة عليه ولم يستطع فهمها إلا بعد اعادة مرتين ، يقول البوريني : " .. فابتدأ في قراءة الأجرومية في أوائل سنة (١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م) ، وختمها بحمد الله تعالى . ثم قرأها ثانياً وختمها بحمد الله تعالى . والحمد لله ثم الحمد لله على انه فهمها فهما حسناً... " (٦) ، وكان يذهب معه في نزواته إلى البساتين مع العلماء وينظم الشعر (٧) .

سادساً : الوظائف التي شغلها وعلاقاته واهتمامه بأحداث عصره :

الوظائف التي شغلها :

ان تعدد ثقافة البوريني وعمقها ، أهلاته للوظائف المتنوعة ، فتولى التدريس والوعظ بالجامع الأموي وجامع السلطان سليمان (٨) ، والخطابة في جامع جراح (١) ، بعد ما كان قليل الحظ بالوظائف

(١) نفس المصدر ، انظر ترجمته عند البوريني من ص ٣١٨ - ٣٢٤ وكلها تقريبا أشعار وانظر ترجمته عند المحبي فقد قدم معلومات غنية عنه ص ٣٨٠ - ٣٨٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ و ٣٠٥ .

(٣) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٤) الخواجا : لفظ فارسي ومعناها السيد ورب البيت والتاجر الغني والحاكم والمعلم ، ويقال خواجكي بإضافة الكاف للمبالغة والتعظيم ، دخل العربية في نهاية العصر الإسلامي ومنذ العصر العثماني طرقت عليه تبدلات فأصبح يطلق كلقب من ألقاب التشريف على النصاري ، للمزي انظر الخطيب : معجم ، ص ١٦٨ ، ودهمان : معجم ، ص ٦٩ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٦) للمزيد انظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني ، ونفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٨) جامع السلطان سليمان : بدمشق بناه السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) ويسمى العمارة السليمانية بالميدان الأخضر بدمشق مكان القصر الابلق ، انظر البوريني : تراجم ج ١ ، ص ١١٨ ، ج ٢ ، ص ٣١١ ،

، يقول النجم الغزي عنه : "...وكان الشيخ حسن في أول أمره قليل الحظ في الوظائف ، حتى ولي خطابة جامع جراح سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م ، وكان يخطب من انشائه .." (٢) ، وتولى الامامة في جامع منجكفي محلة ميدان الحصار (٣) ، ثم تركها بسبب انشغاله بالعلم في الجامع الاموي (٤) ، وصار يلقي الدروس الفقهية فيه (٥) ، خاصة الدروس في الفقه الشافعي (٦) ، بعد ذلك تولى تدريس الطلبة في عدة مدارس هي :

أولاً : المدرسة الدرويشية (٧) شغلها البوريني في أواخر سنة ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م (٨) ، بعد وفاة شيخه إسماعيل النابلسي ت ٩٩٢ أو ٩٩٣ هـ / ١٥٨٤ م أو ١٥٨٥ م (٩) ، يقول النجم الغزي : ".....ولما مات الشيخ اسماعيل النابلسي وجه الى الشيخ حسن تدريس الشافعية بالدرويشية (١٠) ، وكانت هذه المدرسة محط أنظار المدرسين ، فكثر الطلب عليها حتى تعين بها البوريني من قبل قاضي القضاة بدمشق (١١) .

ثانياً : المدرسة الشامية البرانية (١٢) ، تولى البوريني تدريس الطلبة الشافعية فيها وكانت وقف لأعلم علماء الشافعية (١٣) ، وهذه المدرسة على مستوى رفيع ، إذ تباهى فيها البوريني أمام بعض الشيوخ بقوله : " .. لاني مدرس الشافعية بالشامية البرانية ، وهي مشروطة لاعلم علماء الشافعية فلو لم أكن اعلمهم لما توليتها.." (١٤).

-
- والأنصاري : نزهة الناظرين، ص ٢٧٠ ، ٢٧٤ ، والمحببي : خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥٢ ، والغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٥٥ ، ٣٥٨ .
- (١) جامع جراح : يقع خارج باب الصغير ، بالشاغور ، في درب الجراح بمحلة سوق الغنم كان يعرف بمسجد الجنائز تهدم وقام بتجديده (جراح المضحي) وقد جدد أيضا سنة (٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م) ، للمزيد انظر الدارس : النعمي ج ٢، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، والغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٦١ ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٣٥ ، ج ٢، ص ٦٥ ، ٣٤٩ .
- (٢) الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٦٠ ، ٣٦١ .
- (٣) انظر البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٠ ، ١٢٣ ، ٢١٥ ، ٣٠٧ ، ١٣ ، ٣١٥ ، ٥١ ، ٣٠٨ ، ج ٢، ص ٢٢٧ ، والنعمي : الدارس، ج ١، ص ٤٦١ ، ج ٢، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .
- (٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣١٦ .
- (٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٥ .
- (٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٢ .
- (٧) المدرسة الدرويشية : خارج دمشق في محلة باب الجابية بناها والي الشام درويش باشا وهي جامع درويش وكانت حافلة في تنوير الطلبة بالعلوم ودرس فيها العديد من العلماء والشيوخ منهم شيخ البوريني إسماعيل النابلسي وورد ذكرها كثيرا لأنها منارة للعلم والعلماء للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٣ ، ٧٩ ، ١٩١ ، ج ٢، ص ١١١ ، ١١٣ ، ٣٣١ .
- (٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٣ ، وقد أخذها بعد شيخه إسماعيل النابلسي ج ٢، ص ١١٣ .
- (٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٧١ .
- (١٠) الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٦٢ .
- (١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧١ .
- (١٢) انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٥ ، والمحببي : خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥٢ وللمزيد عن هذه المدرسة النعمي : الدارس، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٢٦ .
- (١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٥ .
- (١٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥ .

ثالثاً : المدرسة الناصرية الجوانية وهي من مدارس الشافعية تولى البوريني التدريس فيها وتقع داخل باب الفراديس بدمشق^(١) ، وكان لها وقف قرية ببيرود^(٢) .

رابعاً : المدرسة العادلية الكبرى^(٣) ، وتولى التدريس فيها عدد من العلماء ، من مختلف المذاهب فلم تقتصر على مذهب معين ، فقد تولى التدريس فيها شيوخ من المذهب الحنفي ، كما وتولى التدريس فيها الحسن البوريني الشافعي ، وأحد شيوخه وهو إسماعيل النابلسي الشافعي^(٤) .

خامساً : المدرسة العادلية الصغرى^(٥) فقد ذكر المحبي في ترجمته للحسن البوريني انه تولى التدريس في هذه المدرسة^(٦) ، كما وذكرها النعمي من مدارس الشافعية^(٧) ، أما عند البوريني فهي لم تقتصر على مدرسين من المذهب الشافعي ، بل تولى التدريس فيها مدرسون من المذهب الحنفي ، وهذا يعني ان الدولة غيرت من بعض تخصصات المدارس حسب المذهب الرسمي للدولة ، فكما هو معروف ان العثمانيين اعتنقوا المذهب الحنفي ، وهذا دفع بالكثير من العلماء لتغيير مذهبهم إلى المذهب الحنفي لتحقيق مصالح ذاتية كالتعيين في المدارس والقضاء^(٨) ، وهذا ما أكده الحسن البوريني من خلال حديثه عن أحد العلماء الأحناف الذي تولى تدريس مدرسة موقوفة على أعلم علماء الشافعية فقد أبدى البوريني استغرابه بقوله ".....درس بالشامية البرانية ، مع انه حنفي ، والمدرسة المذكورة مشروطة لأعلم علماء الشافعية ..."^(٩) وقد سجل البوريني معلومات مهمة وهي أن هذه المدرسة صارت لهذا العالم الحنفي بقوة المال بقوله : "..... و بالله لقد أرسل إلي بعض توابعه يخاطبني على ان يدفع لي أربع مئة غرش وافرغ له عن المدرسة فما قبلت"^(١٠) .

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٤٥، ج ٢، ص ٣١، ج ٢، ص ٥٠، ص ١٢٣، ج ٢، ص ١٧٦، ٢٢٧. والمحبي : خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥٢، والغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٣٦١

(٢) وهي من قرى نواحي دمشق وكان ريعها وقف المدرسة الناصرية الجوانية ، وهي قرية قديمة وصفها البوريني من خلال مشاهدته الشخصية للقرية ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٦ .

(٣) المدرسة العادلية الكبرى : داخل دمشق شمال الجامع بغرب وشرق الخانقاه الشهابية أول من أنشأها نور الدين محمود زنكي ولم يكملها ثم جاء الملك العادل سيف الدين ولم يكملها أيضا حتى جاء ولده الملك المعظم وأتمها وأوقف عليها عدة قرى. للمزيد انظر النعمي : الدارس، ج ١، ص ٢٧١ ، والبوريني : تراجم ج ٢، ص ٣١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣١ ، ٧٣ .

(٥) المدرسة العادلية الصغرى : بدمشق وهي قرب دار الحديث الاشرفية قرب قلعه دمشق من مدارس الشافعية عند النعمي داخل باب الفرج شرقي القلعة قبلي الدماغية والعمادية أنشأها زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ووقفت عليها أوقاف كثيرة ، انظر النعمي : الدارس، ج ١، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٦) المحبي : خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥٢ .

(٧) النعمي : الدارس، ج ١، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٨) البوريني : تراجم ج ١، ص ١٠ ، ١١٨ ، ج ٢، ص ٢٦٥ ، ٢٩٧ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٤٦ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٤٦ .

سادساً : المدرسة الفارسية^(١) ، تولى الحسن البوريني التدريس فيها وأشار الى ذلك المحبي ، وهي من مدارس الشافعية عند النعيمي^(٢) وعند البوريني حالها نفس حال المدرسة العادلية الصغرى ، فلم تقتصر فقط على المدرسين من المذهب الشافعي ، وانما درس فيها أيضاً مدرسون من المذهب الحنفي في اشارة إلى تحول عدد من المدارس ، واصبحت مشتركة^(٣) .

سابعاً : مدرسة الكلاسة^(٤) ، وقد ذكرها المحبي من جملة المدارس التي تولى البوريني التدريس فيها^(٥) ، وهي من المدارس الشافعية كما ذكر ذلك النعيمي في تاريخه^(٦) ، درس بها عدد من المدرسين من المذهب الشافعي^(٧) .

لم تقتصر وظيفة الحسن البوريني على الخطابة والوعظ والتدريس في المدارس بل تجاوزت إلى الافتاء وإلى القضاء وإلى رئاسة ركب الحج الشامي^(٨) ، وبخاصة في الفترة من سنة تقريباً من سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م إلى ١٠٢٢ هـ / ١٦١٤ م ، وكان أبو الطيب الغزي^(٩) صاحب البوريني يتمنى أن يكون في ركب الحج الشامي برئاسة البوريني^(١٠) . وفي الحج التقى البوريني مع عبد الله المغربي رئيس ركب الحج المغربي وتصاحب معه وزوده المغربي بمعلومات حول اصله ووظيفته^(١١) ، وكان العلماء يزورونه حين يقدم من الحج ، وهم من مختلف المذاهب خاصة الأحناف والشافعية^(١٢) ، لشوقهم اليه ، حيث كان السفر الى الحج يأخذ اشهرأ واياماً فكان ركب الحج الشامي في سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ، لما استكمل الشعائر وسافر وصل في السنة التالية ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م^(١٣) ، وكان العلماء يفرحون حين يستلم البوريني رئاسة الركب ويكون قاضيا

(١) المدرسة الفارسية : وفيها تربة وتقع غرب الجوزية الحنبلية تجاه الخارج من باب الزيادة واقفها الأمير سيف الدين فارس الدوادار التذمي في سنة (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) وهي وقف انظر النعيمي : الدارس، ج١، ص ٣٢٤ ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٦٣ ، والمحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥٢ .

(٢) النعيمي : الدارس، ج١، ص ٣٢٤ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٦٣ .

(٤) المدرسة الكلاسة : بدمشق بجانب الجامع الأموي وفيها دار الحديث الفاضلية وهي من مدارس الشافعية عند النعيمي عمرها نور الدين الشهيد سنة (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) وتعرضت للحريق ثم أعيد ترميمها بالكلس فسميت كلاسة ، انظر البوريني : تراجم ج١، ص ٣٣ ، ٢٩٤ ، والنعيمي : الدارس، ج١، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، والمحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥٢ .

(٥) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥٢ .

(٦) النعيمي : الدارس، ج١، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٣ ، ٢٩٤ .

(٨) للمزيد عن وظيفة ركب الحج الشامي انظر الفصل الثالث .

(٩) أحد أصحابه وهو ابن أحد شيوخه البدر الغزي ، انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٦٦ - ٢٧٣ .

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧٠ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٢٩ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٦ .

(١٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٧ .

في الركب الشامي ، ففي سنة ١٠٢٠هـ / ١٦١١م حين حج ابراهيم الحلبي الشهير بابن الملا^(١)، كان البوريني قاضيا ، وله معه مكاتبات ورسائل ، وأشارت الأبيات الشعرية الى ذلك المنصب منها^(٢) .

فيا حسنا في حالتيه ومحسنا بعدل وفضل صرت للحج قاضيا

وقد فرح البوريني بذلك الشعر وقال انه يحمل معنيان الأول : فريضة الحج في الاسلام أو قضاء النسك ، والثاني : القضاء بين المتخاصمين في ركب الحج الشامي ، وكلها اختصرتها عبارتين (بعدل ، بفضل)^(٣) . ومما يؤكد شغله تلك الوظيفة ، ما ذكره البوريني عن نفسه حين التقى بشريف مكة ، وقد مدحه البوريني بقصيدة تضمنت عتاباً من البوريني ، على الشريف بسبب تأخر صرف راتب البوريني المعتاد لقضاء ركب الحج الشامي كونه متولياً القضاء في تلك السنة^(٤)، مما دفع بشريف مكة الى ارسال هدية كبيرة للبوريني يقول: .. فارسل إلي إلى المخيم الشامي بباب المعلى نحو عشرين رأساً من الغنم ، وقنطارين من الدسمن الا صفر البقري المليح .."^(٥)، كما حج البوريني سنة ١٠٢١هـ / ١٦١٢م^(٦)، ذلك من خلال ترجمته لأحد الاشراف الذي أرسل إليه مكتوبا ومعها أبيات شعرية ، يقول البوريني : "... أرسل لي مكتوبا عند قدمي من الحج الشريف وزيارة ذلك البيت المنيف ، وذلك سنة (١٠٢١هـ / ١٦١٢م)...."^(٧) ، وكان يتبادل الزيارات أثناء الحج مع أصحابه ، فأحدهم أعطاه وردة حمراء للترحيب وقد تفائل بها البوريني ، ولم يكن أحد قد رأى الورد في تلك البلاد في ذلك الوقت ، يقول البوريني : "... فتفاءلت بها وعلمت ان أمورنا على خير وسداد .."^(٨) ، ذكر المحبي انه ترأس ركب الحج سنة ١٠٢٢هـ / ١٦١٤م^(٩) ، وأما الغزي فقد تعجب من توليه تلك الوظيفة مما يدل على قربه من السلطة بقوله : "... ومع ذلك ترقى عندهم لفضله ولسانه وهيبته وطيلسانه ، حتى صار قاضياً بالركب الشامي مع أنه شافعي ، وحج قاضيا سنة (١٠٢٢هـ / ١٦١٤م) ..."^(١٠) ، ويبدو من جملة هذه الوظائف التي جمعت بين التدريس ، والافتاء ، والوعظ ، والقضاء ، ورئاسة ركب الحج الشامي ، وتحمل دلالات كبيرة على كفاءة البوريني وحسن ادارته ، بحيث قرب به الحكام والأعيان سواء في بلاد الشام ، أو في الحجاز عند الأشراف . وهذا يعني أن العثمانيين كانوا لا يعينون في هذه الوظيفة الا من كان مذهبه حنفياً ،

(١) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٤ - ٢٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٧ .

(٣) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٨ .

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٦ و٨٧ .

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٦ .

(٦) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٦ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٣ ، وعلى الأغلب ان البوريني بقي متولياً على ركب الحج الشامي أكثر من عام ، وربما منذ عام (١٠٢٠هـ / ١٦١١م) ، للمزيد انظر نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٧٠ .

(٩) والمحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٥٢ ، والغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٧٧ .

(١٠) الغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٧٦ .

ويبدو أن البوريني تقرب بشكل كبير من السلطة وخاصة الأمراء ، وهذا ما أكده البوريني نفسه حين أورد معلوماتبأنه سحب الوزير سنان باشا المعروف " كجك سنان" (١) بقوله : "....ومد يده (كجك سنان) الي وقال عاهدني على الاخوة الكاملة الصادقة : فمددت يدي اليه وعاهدته عهد الله على أن يكون أخاً لي في الدنيا والآخرة ، وقرأنا الفاتحة على ذلك)(٢) ، وأكد الغزي موقع البوريني من السلطة بقوله : ".... بحيث كان مقبول الخاصة والعامة : فانه كان مقدماً عند القضاة والأكابر يصلونه ويبرونه...."(٣) ، ومما يؤكد أيضاً موقعه وقربه من السلطة ، اختيار أهل دمشق له لمهمة حيث أرسلوه الى حلب للقاء السردار (قائد العسكر) المعين لقتال السكبان، في إشارة إلى قربه منهم ويستطيع إيصال صوت الأهالي وشكواهم ، مما أصاب المحلات في أطراف دمشق من نهب ودمار ، وكان ذلك السبب الرئيسي في رحلته الحلبية(٤)

سادسا : علاقات البوريني واهتمامه بأحداث عصره :

لقد أحب البوريني العلم ، فانصرف اليه خلال حياته تدريساً وتأليفاً ، مما مكنه أن يبلغ بواسطته مكانة اجتماعية رفيعة ، وأحاطته فئات المجتمع بالتقدير والتبجيل ، وكان البوريني مؤمن بهذه القيم الكبيرة لاهل العلم ، وقد حافظ على تحصيل العلوم والتدريس ، ورغم ان البوريني لم يتقلد منصباً سياسياً أو إدارياً ، واهتم بالأمر السياسية وشارك في أحداث عصره ومجتمعه ، فالبوريني شخصية فاعلة اتسمت علاقاته بالجميع بالمودة والتسامح ، فلم تكن علاقته بالسلطين والأمراء سيئة أو متوترة ، بل كانت ودية وحسنة ، فيها تقدير لمكانته العلمية والاجتماعية ، حتى أنه كان مشهوراً بحسن أفندي(٥)البوريني ، وبلقب " أفضى القضاة " حسبما وصفه معاصروه(٦) ، فكان كثيراً ما يترحم على السلطين حين يتم ذكر أحد منهم كالسلطان مراد بن سليم(٧) ، والسلطان أحمدبن محمد ، وكان يكثر من ذكر محاسن هذا السلطان وقد أطل في ترجمته له(٨) ، وبالغ

(١) كجك : قصير القامة انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٤ .

(٢) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٣٠ .

(٣) الغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٧٥ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٢٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ .

(٥) أفندي : لفظ يوناني دخل التركية مع التحريف وهو بمعنى السيد شاع استعماله في العصر العثماني بين طبقه المثقفين كلقب للتشريف انظر الخطيب : معجم ، ص ٣٦ .

(٦) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٢٤ ، ج٢ ، ص ١١٩ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٢٣ - ٢٣٣ ، ج٢ ، ص ٢٧٢ .

البوريني بالدعاء للدولة العثمانية بقوله : ".... والله سبحانه يديم هاتيك الدولة العلية الأحمدية .
 بجاه سيد الأنام ، عليه من الله تعالى الف الف صلاة وال الف الف سلام"^(١) .
 ومما يلاحظ عليه انه كان يميل الى السلطة والعساكر وكثيراً يدعو للعساكر بالنصر^(٢) ، الا انه
 ذكر بعض من سياسات العثمانيين الظالمة وخاصة مع أبناء السلاطين ، فقد اورد البوريني ترجمة
 أبي زيد وهو ابن السلطان سليمان القانوني الذي قضى حتفه خنقا حتى الموت هو وأولاده بطلب من
 أبيه السلطان سليمان القانوني^(٣) ، ذلك انه لما طال مدة حكم والده السلطان سليمان تحرك الأخوة
 الثلاثة (مصطفى ، وسليم ، و ابي زيد) كل واحد منهم الى السلطنة ، فقام مصطفى بأخذ خزينة
 مصر وهي في طريقها من مصر إلى بلاد الروم لاعتقاده أنها نفقة أمه . وأما السلطان أبي زيد فقد
 تحارب مع أخيه السلطان سليم ، ولجأ إلى سلطان العجم ، فلما علم والده سليمان بذلك أرسل إلى
 ملك العجم بقتل ابنه ، الا أن الشاه رفض ذلك بقوله : " .. لا أقتله ويديقى لك علي دم سلطان عظيم
"^(٤) ، وقال له إذا اردت قتله فأرسل له من يقتله ، وفعلا أرسل سليمان جماعة قاموا بخنقه وخنق
 أولاده الأربعة^(٥) ، وحين وصل الخبر إلى السلطان سليمان سأل عن لباس ولده أبي زيد ، فقالوا له
 كان لباسه الصوف فبكى سليمان وقال : ".....أما كان يوجد عنده ثوب مذهب يلبسه لولدي .."^(٦) ،
 وعكست أخبار البوريني أخلاق أبو زيد مع ملك العجم ، حيث كان الشاه ملك العجم يعامل أبي زيد
 مثل ابنه (ويقدم له الفواكه) ، الا أن أبي زيد كان لا يتواضع معه يقول البوريني : " ... فأرسل أبو
 زيد يقول له (لملك العجم) : أما التواضع فشيئ ما دخل بيتنا ولا نعرفه الا مع الله تعالى ..."^(٧) ،
 وقد نقل البوريني معلومات عن سلاطين آل عثمان ، بقتل الأخوة وأبنائهم ، حيث كان من عادات
 ملوك آل عثمان عندما يتولى سلطان ما الحكم فانه يقدم على قتل أخوته وأبناء أخوته ، ومنهم محمد
 بن مراد بن سليم بن سليمان القانوني^(٨) تولى الحكم من سنة ١٠٠٣ هـ الى ١٠١٢ هـ / ١٥٩٦ م الى
 ١٦٠٣^(٩) ، وكالعاده قام بقتل اخوانه التسعة عشر ، وتولى في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م الامارة في
 زمن والده مراد^(١٠) وكان عمره لا يتجاوز السبعة عشرة سنة^(١١) ، ومنهم من خالف عادات أسلافه

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٠١ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٦٧ ، ٢٢٣ - ٢٣٤ .

(٣) انظر ترجمة أبي زيد نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٤ - ٢٣٩ .

(٤) البوريني ، تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٦ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٧ .

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٧ .

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٥ .

(٨) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الأثر، ج٤، ص ٢١٦ .

(٩) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٧٧ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر، ج٤، ص ٢١٦ ، وانظر فريد : تاريخ

ص ١١٧ .

(١٠) المحبي : خلاصة الأثر، ج٤، ص ٢١٦ .

(١١) المحبي : خلاصة الأثر، ج٤، ص ٢١٦ ، وفريد : تاريخ ص ١١٧ .

بعدم قتل اخوته أو أبناءهم منهم مثلاً السلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان القانوني ، تولى الحكم بعد والده سنة ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م^(١) فهو كان لا يريد أن يدخل في قتال مع اولاده كما فعل أسلافه^(٢). ومنهم السلطان أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان^(٣) ، تولى الحكم من سنة ١٠١٢هـ الى ١٠٢٦هـ / ١٦٠٣م الى ١٦١٧م وحكم أربعة عشر سنة وأربعة اشهر^(٤)، لقد خالف هذا السلطان عادات أسلافه فلم يقتل أخاه مصطفى بل أمر بحجزه ، وتزامن ذلك مع أوضاع الدولة المتدهورة داخلياً وخارجياً بسبب الحروب مع القوى المحلية المطالبة بالاستقلال والمناصب ، والحروب الخارجية مع النمسا وشاه عباس ملك العجم^(٥) ، وعندما حضر الموت السلطان محمد والد السلطان أحمد أراد قتل أخاه الأصغر يقول البوريني : " .. وكان للسلطان محمد ولد أصغر من السلطان أحمد فلما حضرته الوفاة قالوا لولده السلطان احمد : لا تقتل أخاك حتى يصير لك ولد يصلح ان يكون سلطاناً.." ^(٦).

وكان البوريني قريباً من الوزير سنان باشا^(٧) ، فقد تعاهدا على الصحبة بقوله : (في الدنيا والآخرة)^(٨) ، وقد نقل المحبي معلومات على احترامه من قبل الأمراء ، حتى ان أحد الأمراء قبل يد والد البوريني حين كان البوريني حاضراً يقول المحبي : " ... ان بعض وزراء الشام أقبل عليه واتخذة نديم مجلسه ، وكان يببالغ في توقيره وتعظيمه .."^(٩) ، ومما يدل على علو منزلته عند الحكام شغله وظيفه الخطابة في جامع السلطان سليمان . ولم تكن علاقته مقتصرة على الحكام بل حتى الموظفين الكبار مثلاً محمد أمين الدفتري صاحب الدفاتر السلطانية يقول البوريني : (المسؤول على جميع الأموال وهو منصب كبير عندهم كل الأموال تدخل تحت قلمه، وهو أمين على أموال الخزينة)^(١٠) ، اجتمع به البوريني في مطلع سنة ١٠٠٨هـ / ١٥٩٩م ، وتناقش معه في أمر تأليف كتاب التراجم فسانده الدفتري وشد على يده^(١١) ، وقد اشتهر الدفتري بمحبته للعلماء والأدباء ،

(١) كرد : خطط ج ٢ ، ٢٢٩ .

(٢) حيث دخل السلطان سليم في قتال مع والده بايزيد بسبب قوته ودخول الجيش الى جانبه ، للمزيد انظر الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٤٥ ، وانظر فريد : تاريخ ص ١١٣ .

(٣) للمزيد انظر ترجمته عند الغزي : لطف الأسمر ، ج ١ ، ص ٢٧١ وما تلاها ، للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٣ وما تلاها .

(٤) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٩ ، ٢٨١ .

(٥) لقب هذا الشاه بالكبير وتولى الملك بعد محمد مرزا سنة (١٥٨٥م) ، وانتصر على قبائل الازبك وعلى الترك وارجع المدن التي أخذها الأتراك وتمكن من طرد البرتغاليين من مضيق هرمز ، حكم مدة ٤٣ سنة وتعد فترة حكمه فترة حكمة وسداد ، للمزيد وانظر الغزي : لطف السمر ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ، انظر فريد : تاريخ ص ١٢٩ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٧) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٤ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٨) انظر ترجمة سنان باشا حاكم دمشق البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٤ .

(٩) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥ ، ٦٣ ، ٣١٩ ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢٩٧ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥ من مقدمة البوريني .

وكان الأدباء يمدحونه ويثنون عليه ، منهم الأديب درويش الطالوي^(١) فقد نظم قصيدة يصفها البوريني بقوله : (وهي في الحقيقة أنيقه ..."^(٢)) ، وكان للبوريني مباحثات مع صاحب الدفاتر واجتمعا بمنزله في دمشق فتذاكروا بعض تفسير من الآيات القرآنية^(٣)، وله صحبة مع أحد التجار وكان يقوم بأكثر مصاريفه قبل ان يشغل الوظائف ، وكان لهذا التاجر علاقات كبيرة مع الحكام و(الأكابر) ، مما كان له دور في تعرفهم عليه وكان يمدحهم^(٤).

ويبدو أن موقع الحسن البوريني وتوليه الوظائف جعله محط أنظار الحاسدين ، فعندما توفي تسارع المدرسون لاقتسام وظائفه ، يقول الغزي : " .. وقالوا نجتمع الى القاضي ونطلب توزيع وظائف البوريني علينا ... " وقد أورد الغزي أسماء أولئك الشيوخ^(٥) أما المحبي فقد أورد نفس عبارة الغزي الا انه أضاف إليها كلمة " الباشا " : " .. ونذهب الى القاضي والباشا نطلب توزيع وظائف البوريني علينا ..."^(٦) .

كما تعرض البوريني في حياته لحالات من الحسد والتشكيك بنسبه إلى بورين ، وانه لا يعرف أهلها ولا سكانها ، مما دفع بالشيخ أسد الدين التبريزي^(٧) بكتابة بيتين من الشعر رداً على هؤلاء وهما^(٨) :

بورين طولي على البلدان واقتخري	على الممالك من شام ومن يمن
فكيف لا تفخرين الأرض قاطبة	بالفاضل المقتدى في فعله الحسن
وفي المقابل كتب له البوريني هذه الابيات ^(٩) :	
تبريز طولي على البلدان واقتخري	بعالم فاق كل الناس تبريزا
مولى الورى اسد الدين الذي سعدت	ايامه فحسبنا الكل نوروزا
لا زال يرقى الى اوج العلا شرفا	ونال في الدهر تكريما وتعزيزا

وقد سجل البوريني معلومات بشأن ما حصل بينه وبين القاضي عبد اللطيف الحموي الحنفي ، يقول : " وسلم علي كان بيننا برودة ، بسبب تدريس المدرسة المتقدم ذكرها ..."^(١٠) ، إذ أن البوريني لما تعين مدرساً بالمدرسة الشامية البرانية وكانت وقفاً لأعلم علماء الشافعية ، أراد

(١) تم التعريف به انظر نفس الفصل ثقافة البوريني ، وانظر ترجمته نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٠١ .

(٢) للمزيد انظر قصيدة درويش الطالوي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢١٥ الى ٢١٧ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٣ .

(٤) الغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٥٧ .

(٥) للمزيد انظر الغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٨٤ .

(٦) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٦١ .

(٧) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٤ - ٤٨ .

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٤٧ .

(٩) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٤٧ .

(١٠) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٤٩ .

القاضي عبد اللطيف الحنفي أخذها منه بقوة المال ، حتى أنه عرض عليه مبلغ (أربعمئة قرش) ،
 إلا أن البوريني رفض ذلك ، وبالفعل انتزعت المدرسة من البوريني ، وساءت بينهما العلاقة ،
 ويبدو أن العلاقة بينهما عادت حسنة فحين توفي القاضي عبد اللطيف قال البوريني : ".... والله على
 الحمد انه مات راضياً عنا ونحن عنه راضون ..."^(١). كان للبوريني علاقة طيبة مع العلماء ،
 ويذهب معهم في النزاهات^(٢) ، ويبدو من ترجمته للمفتي البدر بن حامد الصفدي^(٣) الذي التقى به
 سنة ٩٧٠ هـ / ١٥٦٢م^(٤) ، انه كان على علاقة ودية مع العلماء من أهالي بلاد الشام ، ومع غيرهم
 من الشخصيات مثلاً الأديب الفارسي حسين الحافظ الشيرازي الذي تعلم منه الفارسية^(٥) ، وتبين
 رحلتيه الطرابلسية والحلبية عمق علاقته خارج دمشق ، فالرحلة إلى طرابلس أواخر سنة
 ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩م^(٦) كانت اجتماعية علمية كي يلتقي فيها بعدد من أصحابه وأحبته^(٧) وألف فيها
 كتاباً سماه (المنازل الانسية في الرحلة الطرابلسية)^(٨) ، وحين رجع منها الى دمشق ، جاء إليه
 العلماء للسلام عليه وحتى المريض منهم أرسل إليه مكتوباً وأشعاراً يعتذر منه لعدم المجئ بسبب
 المرض^(٩) ، وحين اتفق أهل دمشق على إرسال الأعيان إلى الوزير الأعظم مراد باشا^(١٠) المعسكر
 في حلب ، ذهب البوريني معاً شيوخه وهو أحمد العيثاوي الشافعي إلى حلب بعد استتباب الأمن
 فيها ، لغرض افهام الوزير بكل الذي حصل في نواحي دمشق واخباره بما حصل بين جيش دمشق
 وجيش علي ابن جانبلاط^(١١) ، ووعدهم الوزير بأنه سيعيد الأمن الى اطراف دمشق^(١٢) ، وكان
 البوريني كثير المدح لهذا الوزير وشد على يده بعد دخوله حلب^(١٣) ، وكانت له معه مكاتبات فقد
 أرسل له مراد باشا مكتوبين ، تضمنتا معلومات حول الاشقياء وقياداتهم^(١٤) ، وقد تخلل هذه الرحلة
 بعض لقاءات البوريني ببعض الأعيان سواء كانوا سياسيين أو علماء ، فقد التقى هناك بالوزير سنان
 باشا^(١٥) وتعهدا على الصحبة^(١٦) ، كما والتقى مع قاضيها في حلب وكانت له علاقة طيبة به

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٩.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ١٧ ترجمة أحمد بن أحمد بن أحمد الطيبي الصغير .

(٣) انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٦.

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٦.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٠.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٨) انظر نفس الفصل مؤلفات البوريني .

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٠.

(١٠) تم التعريف به انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية.

(١١) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٤ ، ٢٧ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩١ .

(١٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ، ٢٩٢ .

(١٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٩٣ .

(١٥) للمزيد انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية هناك فقرة خاصة عن هذا الوزير .

(١٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٣٠ .

ومدحه بقصيدة هناه بالمنصب^(١) ، والتقى بابن الملا ابراهيم الحلبي^(٢) وقد أكرمه وأحسن إليه وكان يسميه " ... اقضى القضاة العاملين بين العالمين ... الشهير ... بحسن أفندي البوريني .."^(٣). وهذه الرحلة أوردتها العديد من المؤرخين منهم المحبي^(٤) ، كما وأوردتها كحالة^(٥) ، والزركلي^(٦) ، والمنجد^(٧) ، وهي إشارة مهمة إلى إهتمام البوريني بأحداث عصره السياسية والاجتماعية ، وعلاقاته الطيبة والودية بالأعيان داخل وخارج دمشق ، من اشارة واضحة على موقعه الاجتماعي في بلاد الشام .

ومن الاحداث السياسية التي نقلها البوريني وتشير الى علاقاته بالأمرء والاعيان من خلالحديثه عن أحد أولاد أحمد الجوهري^(٨) وهو سليمان الذي وقع أسيرا في مالطة^(٩) وقام أحدهم بالتوسط عند خضر باشا الوزير حاكم مصر وشكى له حال المأسورين في مالطة فأرسل الوزير من اشترى سليمان ، وقد اجتمع البوريني بسليمان وسأله عن أحوال الأسرى وكان قد تعلم لسان النصارى بمالطة وذكر له اموراً عجيبة منها ان أغلب أهل مالطة يعرفون العربية وأوضح البوريني السبب بقوله : (لأنهم كانوا في الأصل في بلاد ساحل القدس ولما ملك بلاد الشام المرحوم السلطان العادل نور الدين الشهيد والمرحوم الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب خرج ملوك الساحل مع طوائف النصارى الى بلاد الكفر فعين لهم ملك النصارى جزيرة مالطة فقطنوا بها .."^(١٠) فكان البوريني مهتماً بما حصل لسليمان أحد أولاد بيت الجوهري.

كما اهتم البوريني بأحداث عصره سواء كانت سياسية أو اجتماعية وشرحها بالتفصيل خاصة زمن حاكم دمشق الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني^(١١) ، وكان متابعاً بشكل دقيق ومستمر للاحداث السياسية والعسكرية ، فيقول مثلاً عن طريق أحد مصادره المباشرة وهو أحد اصحابه حسين بلوكباشي^(١٢) الكردي الشهير " ابن شرف " الذي زوده بمعلومات قيمة حول صراع وحصار قلعة

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٧١ .

(٢) انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ١٤ - ٣٠ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨ .

(٤) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٥١ .

(٥) كحالة : معجم، ج٣، ص ٢٨٩ .

(٦) الزركلي : أعلام، ج٢، ص ٢١٩ .

(٧) المنجد : معجم، ص ٣١٢ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ١١٢ - ١١٧ .

(٩) جزيرة مالطة : هي جزيرة قرب الأندلس عظيمة وكثيرة الخيرات كانت بيد المسلمين حتى أخذها الروم ، للمزيد انظر البوريني : تراجم ج١، ص ١١٣ ، والحموي : معجم البلدان، ج ٥ ص ٤٣ ، والكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٥٥ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١١٣ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠١ - ٢٢٠ ، وانظر الفصل الثالث من البحث .

(١٢) بلوك باشي : مرتبة عسكرية من العهد العثماني كان حاملها قائدا للبلك وقد ارتبطت بأهمية البالك نفسه عبر مراحل التغيير التي طرأت على تشكيلات العساكر، انظر الخطيب : معجم، ص ٨٦ .

الرها^(١) من قبل العساكر الشامية وكان فيها اليازجي^(٢) ، يقول البوريني : "...أخبرني صاحبنا حسين بلوكباشي الكردي انه لما دام نزال المسلمين للبلدة المذكورة وعلم عبد الحليم ان فرقته مأخوذة .. شرع في طلب الأمان ..."^(٣)، ومن الناحية الاجتماعية لم يكن البوريني بعيداً عن المشاكل التي تحصل فقد أفتى في موضوع القصة التي حصلت لمملوك مع سيد شريف والتي أدت إلى مقتل السيد الشريف على يد المملوك ، وتم القاء القبض على المملوك في زمن الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني ، و صدر الحكم بقتله الا أن البوريني كان له رأي بقوله : "... وقد أفتيت بأن المملوك لا يسوغ قتله الآن فوراً ، لأن الوارثين للقصاص ... أعني أولاد السيد المقتول - صغاراً ، ولم يبلغ أكبرهم أربع سنين ، فكان الواجب أن يحبس القاتل إلى أن يبلغ الأولاد وهم بعد ذلك بالخيار ، ان شاءوا أخذوا القصاص ، وان شاءوا اعفوا عنه وأخذوا الدية .."^(٤)، وكان يكثر من الزيارات والمدح والمباحثات بين العلماء ، فعلاقته بهم لا تخلو من فائدة^(٥) ، يصف الغزي ذلك بقوله : (لنا مع صاحب الترجمة (البوريني) مطارحات لطيفة ، ومراسلات علمية بحيث كان مقبول الخاصة والعامة : فانه كان مقدماً عند القضاة والأكابر يصلونه ويبرونه... حتى لقد بلغني انه كان على سفرة بعض قضاة القضاة في دعوة خصه بها بعض خواصه..."^(٦) ، وقد توسعت علاقات البوريني مع العلماء بشكل كبير وكان يحضر معهم النزاهات وتناول الطعام^(٧) ويعود المريض منهم^(٨) ، ولم يكن بعيداً عن بعض الجوانب التي تحصل فيما يخص الأوقاف فكان يرفض تصرفات بعضهم بتزوير كتب الأوقاف بتغيير صيغتها، فكان يحضر بعض الكشف لتنفيذ الأوامر الصادرة من بعض القضاة يقول : "... وقد حضرت الكشف على البناء..."^(٩) .

وقد اهتم البوريني بحل بعض المشكلات التي تحصل بين العلماء وكان يبدي رأيه صراحة^(١٠) فقد أورد قصة حصلت بين المدرس إبراهيم الدمشقي^(١١) وبين الشيخ نجم الدين الغزي (مؤلف الكواكب السائرة)^(١٢) ابن البدر الغزي^(١٣) حول التفسير المنظوم^(١)، فكان قريباً من ذلك الحدث

(١) الرها : يقول عنها البوريني أنها بلدة إبراهيم الخليل (ع) ، للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٦٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣) للمزيد عن تلك الأحداث انظر الفصل الثالث ، وانظر نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٦٦ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢١٨ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٩٩ .

(٦) الغزي : لطف السمر ، ج١ ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٤ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١٠) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٩٥ .

(١١) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٣ .

(١٢) تم التعريف به ، وانظر نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(١٣) انظر نفس الفصل شيوخ البوريني ، وانظر ترجمته نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٩٣ - ١٠٥ .

بحديث عرضت عليه الرسالة^(٢) ، وبين البوريني رأيه بالتفسير المنظوم بقوله : ".....فلو جعل مكانه تفسيراً بسيطاً منثوراً يوضح فيه بعض مشكلات .. لكان تاجاً على مفرق الزمان .."^(٣) .
وتدخل البوريني في حل مشكلة حول وظيفة مشيخة القراء في الجامع الأموي عند أحد المفتين وتوسط كي يجعل هذه الوظيفة مناصفة بين اثنين بسبب ضعف حالهم المعاشي ، فقبل المفتي أن يقسم الوظيفة (مشيخة القراء) بين المتخصصين، وبقيت الوظيفة مشتركة بينهما ، يقول البوريني :
" .. وهي إلى الآن مقسومة .."^(٤) . وكان يميل إلى تحقيق الصلح في حل المشكلات ، وهذا يجسده رده على أحد القادة العسكريين اللذين رفضوا الصلح بين الأمير علي بك ابن جانبلاط والأمير فخر الدين المعني وبين العساكر الشامية ، حتى أنه وصف أحد المعارضين للصلح من طرف العساكر، بقوله : " .. ولم يأب الصلح سوى رجل من عسكر دمشق كان جاويش^(٥) العسكر الدمشقي يقال له محمد بن الدردار ، فانه خبيث الطوية غليظ الافعال التي ليست بمرضية فانه كان يصرح بشتم ابن جانبلاط علي بك ويشتم ابن معن"^(٦) .

لقد تنوعت علاقات البوريني على عدة مستويات ، سواء كانت مع الأمراء أو العلماء أو القادة العسكريين والموظفين ، وكان له اصدقاء كثر منهم من كان شيخاً له ومنهم من كان صاحباً ، ومنهم من كان تلميذاً عند شيوخه ، ومنهم المفتين والقضاة والشعراء وبعض التجار ، وتبين تراجم البوريني طبيعة تلك العلاقات . يمكن من خلال التراجم تصنيف أصحابه وعلاقاته بالمجتمع كما يلي :

الشعراء :

كان البوريني مشهوراً بمباحثاته مع العلماء والأدباء في مختلف جوانب الحياة اليومية ، منها ما يخص دعوة أحدهم للأنزه أو للاعتذار ، فقد نظم البوريني قصيدة يدعوا فيها أحد أصحابه للأنزه وهو الأديب درويش أفندي الطالوي سبط آل طالو الأديب الشاعر ت ٩٥٠ هـ / ١٠١٤ م^(٧) ،

(١) وهو تفسير كلام الله عن طريق الشعر ، انظر نفس المصدر، ج٢، ص٩٥، ٩٦ ، وانظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني الجدول.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٠١ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص٩٥ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٢-٣٣ .

(٥) جاويش : هو رجل يركب إمام السلطان وفي يده الدبوس ، ومرتبته كبيرة كما يقول البوريني ، إذ يترقى بعدها إلى صنحوق صاحب طبل وعلم ولواء ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٩٧ ، وانظر علي جاويش احد الجاويشية بديوان دمشق وقد ترقى وأرسل في طلبه السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني وأعطاه تيمار أو اقطاع يقول البوريني (واستمر يتصرف به الى هذه الأيام ...) ، للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٩ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٥ .

(٧) تم التعريف انظر نفس الفصل ثقافة البوريني ، وانظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٢٠١-٢٢٢ .

حين كان في نزهة مع ابن خالة درويش محمد واسمه الأمير إبراهيم الطالوي^(١) ، في محلة التعديل بدمشق في بستان خاص بإبراهيم ، وقد وردت القصيدة للأديب درويش محمد فرد عليها بقصيدة على نفس القافية (تنتهي بحرف الميم) ، وتبادل الاثنان المديح^(٢) وأرسل الطالوي أيضاً من بلاد الروم إلى البوريني في دمشق قصيدة توضح كرم آل طالوا^(٣) . وكان الأديب الطالوي تلميذاً مع البوريني عند العماد الحنفي وكانت له مكاتبات ومباحثات مع العماد والحسن البوريني^(٤) وله كتاب وضع فيه جميع مطارحاته مع العلماء والأدباء وهو كتاب سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر^(٥) ، كما ونظم البوريني قصيدة اعتذار سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م من الشيخ جلال الدين الصفوري الشافعي^(٦) وفيها اشارات مهمة حول أخلاق العلماء فيما بينهم والمودة والاحترام المتبادل^(٧) وكان يخرج كثيراً للنزهة مع العلماء ومنهم شيخه العماد الحنفي في وقت العنب الزيني^(٨) . ونزعتهم في البساتين كالبستان الواقع في غرب دمشق ، ولقاءاتهم لا تخلو من فائدة خاصة في نظم الشعر^(٩) ، منهم عبد الحق الشاعر ابن الشيخ محمد الحجازي ت ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م^(١٠) كان أديبا شاعرا له أشعار في مدح القضاة ونقل البوريني جزءاً من أشعاره الا انها كانت طويلة^(١١) ، ومن أصحابه الشعراء أحمد العناياتي الصوفي الشاعر الأديب ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م كتب للبوريني وكتب له وتبادل الاثنان المدح والمناظرة ، وله أشعار تدل على انتشار علم النجوم في تلك الفترة^(١٢) ، وصاحب البوريني أبو الطيب الغزي الخطيب الشافعي ابن البدر الغزي ، كانت بينهم مكاتبات شعرية يقول عنه البوريني : ".... واما شعره فهو في المحاسن غاية...."^(١٣) ، ومن الشعراء صاحبه أبو بكر العطار^(١٤) ، وإبراهيم الحلبي الشافعي الشاعر ابن أحمد الشهير ابن

(١) الأمير إبراهيم الطالوي : إبراهيم بن حسن بن إبراهيم دمشقي الطالوي (ت ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) كان شجاعا وقد مدحه الطالوي قريبه بقصيدة رائية وقد افرد له المحبي ترجمة على عكس البوريني فلم يترجم له ، انظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) للمزيد انظر قصيدة البوريني ، وقصيدة الأديب درويش محمد ابن طالوا ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٠٤ الى ٢٠٨

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣١١ ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٦

(٤) للمزيد عن درويش الطالوي (ت ٩٥٠ هـ / ١٠١٤ م) ، انظر كتاب سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر تحقيق محمد مرسي الخولي ج ٢ عالم الكتب بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣ م .

(٥) انظر نفس الفصل ، ثقافة البوريني الجدول .

(٦) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٢

(٧) للمزيد انظر القصيدة كاملة ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣١ و ١٣٢

(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ و ٣٠٥

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ و ٣٧٦

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(١١) انظر الأشعار التي ذكرها البوريني نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٨ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٩٧ و انظر القصيدة الدالية (تنتهي بحرف الدال) التي قالها العناياتي بحق عالم النجوم أبو بكر الصهبيوني ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٦٦ و ٢٦٧ .

(١٤) للمزيد انظر نظمه للشعر ردا على المدرس إبراهيم المدشقي ، فكان مؤيد للتفسير المنظوم للبدر الغزي ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

الملا وله مع البوريني مكاتبات شعرية^(١) ، والحسين الحافظ التيريزي ت ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م أديبا فارسياً^(٢) وكان مهتماً بالاحداث السياسية وصاحب البوريني للقاء الوزير حسن باشا^(٣)، والحسين المذهب الشيرازي ت ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م الأديب الشاعر الفارسي^(٤) ، والشيخ ابو بكر العمري الشافعي الشاعر والأديب ، وهو صاحبه ومصدره في ايراد شرح لقصيدة الحسين بن عبد النبي الرومي الدمشقي^(٥) ، والشيخ محمد بن فواز ، وهذا أحد شيوخ عبد الحق الحمصي الشاعر الشافعي ت ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م^(٦) . وكانت للبوريني جلسات في المرج مع شيخه العماد الحنفي و عدد من اصحابه منهم ابراهيم بن محمد ، وكانوا ينشدون الشعر الخاص بدمشق وأحوالها المتدهورة بسبب الفساد الاداري والمالي^(٧) فكان للبوريني أصحاب كثر من الأدباء والشعراء .

الموظفون:

تكشف تراجم البوريني طبيعة علاقاته مع الفئات كافة ، ومنها فئة الموظفين ، فقد كانت له علاقات مع عدد كبير من الموظفين ، منهم علي افندي ت ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م أحد الموظفين الكبار المسؤولين على خزانة الدولة (الدفتري أو الدفتردار)^(٨) صاحب الدفاتر السلطانية ، الذي كانت له معرفة جيدة به ، يقول البوريني : "..... ونفذت سهام تصرفه وسعيه في الدولة العثمانية ، وبلغ من الرفعة ما لا مزيد عليه ، وحصل من الأموال ما تقصر الأيدي عن التطاول اليه ..."^(٩) وكانت تربطه به علاقة جيدة، الا أن تلك العلاقة تغيرت، فبعد جمعه للمال تكبر وتغير يقول البوريني : " ... وكانت لنا به معرفة في المرة الأولى واختلاط زائد ، ويعاملنا بأنواع الرعاية ، فلما رجعتكبراً جفونا وبالصداقة عاملناه..."^(١٠) ، ومنهم شمس الدين الميداني الشهير في دمشق (ابن الحذوتوش) متولي أوقاف جامع يلبغا الناصري^(١١) ، وهو أحد الحضور في المجلس المنعقد في مشهد الامام زين العابدين عليه السلام (مشهد المحيا) ، للتدارس في ختم كتاب البدر الغزي (فتح

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤ - ٢٩ .

(٢) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٥ - ١٦٩ .

(٣) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤١ - ١٦١ .

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٥٩ ، وانظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٠ - ١٧٥ .

(٥) للمزيد انظر القصيدة كاملة وشرحها ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٩ - ١٩٤ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥٩ .

(٧) للمزيد انظر القصة التي أوردها البوريني حول عبد الوهاب الصفوري، والأمير إبراهيم المنجكي وهي تشير الى كرم الأمير إبراهيم ومكر الشيخ الصفوري ، نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٥ ، انظر للمزيد نفس المصدر، ج ٢، ص ٨ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٩٨ .

(١١) جامع يلبغا الناصري : على شط نهر بردى تحت قلعة دمشق، انظر النعيمي : الدارس، ج ٢، ص ٣٢٦ .

المغلق ، في تحرير الخلاف المطلق^(١)، ومنهم ابراهيم المقدسي ت ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٢م الامام والخطيب في جامع الأمير منجك وكان (كاتباً خطه حسن)^(٢) يقول البوريني : " ... وكان الشيخ ابراهيم صاحب الترجمة صديقاً للفقير (البوريني) .."^(٣) ، وبهرام آغا المقابل لدفاتر الجند بدمشق ، وهو أحد أصحابه ومصادره في المعلومات حول القتال بين العساكر الشامية وجماعة اليازجي ، إذ كان ضمن العساكر الشامية ، وزود البوريني بمعلومات مهمة حول أخلاق عبد الحلیم اليازجي زعيم السكبانية، إذ كانت له (مروءة وكرم عجيب)^(٤) حتى مع خصومه ، ومنهم نقيب الأشراف في بعلبك وهو السيد زين ، وله مع البوريني مكاتبات ومباحثات ، فحين جاء الأخير من الحج سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢م ، أرسل له الشريف مكتوباً يهنأه بالحج، وقد أورد البوريني صيغة ذلك المكتوب وهو عبارة عن ابيات من الشعر ، ومما يلفت النظر ان الكثير من الكتب التي يوردها البوريني تحتوي على أبيات من الشعر اما في بداية المكتوب أو ضمناً^(٥) في اشارة إلى أهمية الشعر والثقافة المنتشرة .

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٧، وللمزيد انظر أسماء الشيوخ الذين حضرو ختم الدرس ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٦ .

(٢) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٠٨ .

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٥٠-١٥١ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٦ .

العسكر :

كان للبوريني علاقات مع القادة العسكريين ومنهم الوزير السردار حسن باشا^(١) وتعرف البوريني عليه من خلال شيخه العماد الحنفي ، وكان يكرمهم ويقدرهم^(٢) ، وأرسل له مكتوباً مع العساكر الشامية الواردة إلى دمشق ، وذكره باللقاء الذي حصل وطلب منه و من العلماء الدعاء له^(٣) . ويصف البوريني ذلك اللقاء ، بقوله : "... وقمنا معه (العماد الحنفي) ، الى مجلس لا يكون الا لكبار السلاطين . رأينا به بعض أكابر الدولة ، ورأينا شموعا كان كل واحدة منها رمح في رأسه سنان ، ورأينا خدما كان كل واحد منهم بدر كامل من غير نقصان ، ورأيناه (حسن باشا)، جالسا في صدر مجلسه منفرداً في فرشة عالية فوق مكان قد ارتفع بالدفوف . ورأينا في الموضع مماليك حسانا يضربون بالآلات الطرب ، منهم جنكي ، ومنهم عودي ، ومنهم من يضرب بالقصب ، ومنهم واحد يضرب على زبادي الصين ضرباً موافقاً لحركات بقية الآلات ، ولم نر في مجلسه من الأواني الا الذهب والفضة . إلى أن جاءت الأشربة العسكرية في أواني الذهب والفضة . وجاءوا بصينية ، أخبرني مَنْ أثق به انها من عشرة آلاف دينار ذهباً ووضعوها أمامه وسط المجلس ..."^(٤)، ولم يكن ذلك المجلس فقط لتناول الطعام والشراب والغناء ، فقد تخلله قراءة لقصص السلاطين الأقدمين من الفرس ، وهذا يؤشر على ان كتب الفرس واللغة الفارسية معروفة للناس في مجالسهم^(٥) ، وهي تقع ضمن أدبيات نصائح الملوك او مرآة الأمراء ، فهو أدب انتشر في العالم الإسلامي مثل كتاب نصيحة الملوك (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) للامام الغزالي ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م^(٦) أو سياست نامه (سير الملوك) لمؤلفه الوزير نظام الملك السلجوقي ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م^(٧). وكانت العادة أن يجلس القاص على كرسي صغير ويحكي تلك الأدبيات ، ويترجمها إلى التركية^(٨) وكان حسن باشا يحب هذه القصص ويبدو أنه تأثر بها بحيث تم تأليف كتاب (شاه نامه)^(٩) باسمه من قبل

(١) انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٩-١٦٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٠ و ١٦١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٥) للمزيد عن قصص الفرس انظر كتاب سياسة نامه (سير الملوك) للمؤلف الوزير نظام الملك الطوسي السلجوقي الشافعي (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) ، وهي أدبيات تقع ضمن نصائح الملوك ، ترجمه عن الفارسية يوسف بكار ، نشر وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية ط ٣ ، ٢٠٠٧ م .

(٦) الغزالي : محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١م) متصوف وفيلسوف له مؤلفات كثيرة منها كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك كتبه باللغة الفارسية وترجم الى العربية ، للمزيد انظر الزركلي : أعلام ، ج ٧ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) للمزيد انظر كتاب سير الملوك ، ترجمة يوسف بكار .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٩) انظر ثقافة البوريني الجدول .

أحد العلماء الفرس وهو الحسين الشيرازي^(١)، ويقول البوريني عن الكتاب بأنه ألف بأسم السردار حسن باشا^(٢)، وكانت للبوريني علاقات أخرى مع القادة العسكريين مما يدل قر به من ساحة الاحداث السياسية التي اقلقت الدولة، منها تلك المكاتبات مع بعض قادة العساكر المعينة لقتال القوى المحلية، فأحد القادة طلب من البوريني ومن الصالحين الدعاء له بالانتصار^(٣)، والوزير سنان باشا كان صاحباً للبوريني ومصدراً مهماً له ومباشراً في تزويده ببعض الأخبار^(٤)، إذ كان سنان باشا قبل الوزارة سرداراً للعساكر وكان أصله افرنجي^(٥) وهو الذي قتل حسين باشا عم الأمير علي بك ابن جانبلاط كونه قد أدخل بالاتفاق في السير إليه لقتال شاه عباس شاه قزلباش الذي انتصر على العساكر السلطانية سنة ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م^(٦).

القضاة :

توسعت علاقات البوريني بالأعيان وخاصة القضاة، منهم قاضي دمشق عبد الرحمن أفندي الفروري ت ٩٩١هـ / ١٥٨٣م وكان يزوره في بيته^(٧)، وولده محمد والجمال جمال الدين من (أصحابه وخلانته)، وكانت له معهم جلسات ومباحثات علمية واجتماعية يقول البوريني عن تلك الصعبة ".... فتذاكرنا معهم أنواع الدقائق وتجاذبنا في حضرتهم اهداب الحقائق إلى أن رغب كل منا في أخيه، وتعاقدا على عهد الاخوة محترزين عما ينافيه..."^(٨)، وحصل ذلك بعد أن مر القاضي عبد الرحمن على الجامع الاموي ورأى البوريني يدرس الفقه الشافعي فأعجب به وأرسل إليه ابنه كي يأتي عندهم الى البيت، وفي كل يوم كانوا يجلسون في البيت للمدارسة في العلوم، وعندهم الكتب التي اطلع عليها البوريني^(٩)، وكان القاضي عبد الرحمن يزور البوريني في المدرسة الناصرية الجوانية وهي مجاورة لبيتهم، فيجلس معه ويتحدث عن أموره العائلية^(١٠) وكانت للبوريني أشعار يمدح فيها القاضي عبد الرحمن الفروري وتعرض فيها أيضاً لشيخه العماد

(١) الحسين الشيرازي : حسين بن قدير الشيرازي الدمشقي، المذهب الشافعي، (ت ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م) اشتغل في صناعه الذهب، له نظم على الطريقة الفارسية أسمه (شاه نامه) وهو أحد أصحاب البوريني للمزيد انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٧٠-١٧٥ .
(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٧٤ .
(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٠ .
(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢٩-٢٣٠ .
(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧١ .
(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٥ .
(٧) انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٣١١-٣١٥ .
(٨) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٣١٢-٣١٣ .
(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٢-٣١٣ .
(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٢ .

الحنفي الا أنه لم يورد تلك الاشعار^(١) ، ووسع البوريني علاقته ببيت القضاة الفروري ومنهم عمر بن جمال الدين بن عبد الرحمن الفروري^(٢) ، الذي زار البوريني في بيته سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وكان مصدرا للبوريني في نقل قصيدة وجدها البوريني في خطبة كانت بيد عمر^(٣) ، ولم تقتصر علاقات البوريني بالقضاة من بيت الفرور بل توسعت ، منهم القاضي أحمد الشويكي الحنبلي ت ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م^(٤) اجتمع به البوريني في المدرسة الحاجبية^(٥) وكان يشكوا له بعض مدنه التي تعرض لها^(٦) ، وأحمد أفندي قاضي حلب ودمشق^(٧) تولى قضاء دمشق سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م ثم حلب و سافر إلى القسطنطينية وولي التدريس في مدارسها حتى ترقى إلى القضاء^(٨) وقد بالغ البوريني في مدحه لهذا القاضي وذكر قصيدة طويلة تشعر القارئ بالملل^(٩) .

المفتون :

لقد توسعت علاقات البوريني ولم تقتصر مع العلماء والموظفين والقادة العسكريين والقضاة ، بل كانت له علاقات طيبة مع عدد من المفتين ، منهم عمر العرضي الشافعي مفتي الشافعية في حلب^(١٠) وكانت بينهم هدايا ومراسلات واعتذارات^(١١) ، ومنهم أحمد بن أحمد بن أحمد الطيبي الصغير الشافعي ت ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م كان يذهب معه في النزهة إلى بعض قرى دمشق يقول البوريني : "... ولازمته سنين عديدة ليلاً ونهاراً وأحبني وجذبني اليه ، وكان يصحبني في نزهته"^(١٢) ، ومن المفتين أيضاً صاحبه أحمد ابن أبي الوفا الحنبلي الدمشقي^(١٣) كان يزوره في بيته^(١٤) ، ومنهم أحمد بن رجب الفقيه الحنفي الدمشقي وكان اصدق من رافق البوريني^(١٥) على حد وصفه ، والشمس ابن المنقار الحلبي الحنفي المفتي نزيل دمشق يقول عنه البوريني : "... وصاحبنا الشمس الميداني يجيد الفقه واصوله"^(١٦) ، ومحمد ابن المرزات الحنبلي الساكن بصالحية

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

(٢) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٤) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٥) المدرسة الحاجبية : والخانقاه بها قبلي المدرسة العمرية بصالحية دمشق أنشأها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الاينالي (ت ٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م) انظر النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، والبوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٧) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٦٦ - ٧٢ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(٩) للمزيد انظر القصيدة كاملة نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٧١ .

(١٠) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .

(١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٧ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧ ترجمة الطيبي الصغير .

(١٣) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٤٨ - ٥٠ .

(١٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٠ .

(١٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(١٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

دمشق كان البوريني يزوره ، وبيته مفتوحاً للعلماء وكان ذلك اللقاء مطلع سنة ١٠٠٧ هـ / ١٥٩٨ م وتذاكروا وتباحثوا في مواضيع عديدة من التاريخ، منها أحداث محنة الامام الحسين رضي الله عنه وما صار إليه مع من معه من آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كما وتذاكروا ببعض الاشعار الخاصة بأهل العراق وفي مدح الامام الحسين عليه السلام منها^(١) :

أحسين والمبعوث جدك بالهدى قسما يكون الحق عنه سائلي
لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفيس كربك فوق جهد الباذل

ومما يلفت النظر في تراجم البوريني إirاده مادة مهمة عن علاقاته بالعلماء والمفتين داخل بلاد الشام وخارجها ، فقد كانت له علاقات جيدة بالعالم المكي الأصل ومفتي الأحناف فيها المولى عبد الرحمن بن مرشد الحنفي^(٢) فقد زاره بالمخيم الشامي حين كان البوريني بمكة رئيساً لركب الحج في سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م^(٣) ،

المدرسون والتلاميذ :

لقد شهدت علاقات البوريني مع بعض المدرسين^(٤) تطوراً واضحاً ، ومنهم ابراهيم بن محب الدين الدمشقي ت ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م ، وهو أحد تلاميذ العماد الحنفي^(٥) ، ومنهم عمر بن محمد القاري^(٦) الذي روى الكثير عن الشيخ اسماعيل النابلسي وهو أحد تلاميذ العماد الحنفي^(٧) قال عنه البوريني : (أخونا هذا الشيخ ..."^(٨) ، وقرأه سوية علم المعاني والبيان على الشيخ العماد الحنفي^(٩) ، وشرح المفتاح على الشيخ إسماعيل النابلسي^(١٠) وله مع البوريني مباحثات شعرية سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م^(١١) . وكانت للبوريني لقاءات مع أحد المدرسين المصريين وهو عبد الله المصري الحنفي^(١٢) المقيم بمحلة القنوات خارج دمشق ، وزاره البوريني وأكرمه ونظم بحقه الأشعر^(١٣) ، في اشارة إلى ان علاقات البوريني بالعلماء كانت من مختلف المذاهب فهو كان شافعيّاً وأصحابه أحناف وحنابلة ومالكية^(١٤) ، وارتبط البوريني بصحبة مع عدد من المدرسين من مختلف

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٢) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٦ - ٣١٧.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٦.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٤٥ ، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٦) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٢.

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٦٩ ، ١١٣ - ١١٤ ، ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٠.

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٠.

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣١.

(١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٢.

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٢٥ - ٣٢٩.

(١٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٢٦.

(١٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٣.

التخصصات الدينية والأدبية^(١) منهم الواعظ ادريس نزيل دمشق^(٢) الذي تولى التدريس بعدة مدارس ، وهو أحد أصحابه ومصادره في المعلومات حول شيوخه وأحوالهم الاجتماعية وأحوال أولادهم^(٣) ،

كما وارتبط البوريني بصحبة مع عدد لا بأس به من التلاميذ الأدباء الذين درسوا عنده أو عند أحد شيوخه كالعماد الحنفي^(٤)، وكان منهم القراء^(٥)، ومنهم أحمد البهنسي الحنفي وهو أحد تلاميذه يقول عنه البوريني : "... هو صاحبنا ورفيقنا .. اختارني جده... لا قراءه .."^(٦) ، ومنهم تاج الدين القطان الحموي الشافعي نزيل دمشق^(٧) ، وهو عالم بالعربية ، ومن شيوخه إسماعيل النابلسي الشافعي ، والعماد الحنفي^(٨) . ومنهم درويش ولي المستاري^(٩) وهو في نفس الوقت أحد تلاميذه يقول عنه البوريني "... هو لنا صاحب صادق..."^(١٠) ، وأحمد النجعوني الطرابلسي وهو من أصحابه ومصادره المباشرة ، وأحد تلاميذ العماد الحنفي^(١١) ، ومنهم أبو بكر بن أحمد الجوهري التاجر وهو من تلاميذه إلا أنه صحبه يقول عنه البوريني : "... وأما أبو بكر فإنه صاحبنا وصديقنا وتلميذنا ورفيقنا..."^(١٢) الإصفهاني الأصل الدمشقي المولد والمنشأ^(١٣) ، وتقي الدين الجوهري ابن أحمد الجوهري التاجر ، وكان يذهب مع البوريني للنزهة في البساتين^(١٤) ، ومن أصحابه الذين ترجم لهم جمال الدين جلبي الفروري الحنفي كان عالماً بالفلسفة والنحو والموسيقى^(١٥) ، وله مع البوريني مكاتبات نثرية^(١٥) يقول البوريني عن هذه الصحبة : "... وكان والده قد أستصحب له الفقير كاتب الحروف (البوريني) وكنت أرى من أخلاقه صنوف الطاف هو بها معروف..."^(١٦)

الصوفية :

-
- (١) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٩ .
(٢) انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩١ ، ٩٢ .
(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٩١ و٩٢ .
(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٠ ، ج ٢، ص ٣٠٢ و٣٠٣ .
(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٤٤ و٤٥ ، ج ٢، ص ٣٠٣ .
(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٧ .
(٧) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١١١ - ١١٢ .
(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ١١١ ، ج ٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٢ .
(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٢ .
(١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
(١٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٤ ، ٢٨٣ .
(١٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧٦ .
(١٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٢١ - ١٢٦ .
(١٥) للمزيد انظر صورها التي أوردها البوريني ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٣ - ١٢٦ .
(١٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٢ .

لقد تنوعت علاقاته البوريني فشملت فئات من الصوفية ، منهم محمد بن العلم المقدسي الصوفي كان أحد مصادره في المعلومات حول بعض عادات الصوفية ، فقد أخبره ان الولي حسن القطناني الرفاعي^(١) أمره بترك الدنيا والاشتغال بالآخره ففعل محمد بن العلم المقدسي ما أمره الولي الرفاعي ، وان يكون نائبا على طريقته^(٢) ، وأحمد الصامتي المقدسي الصوفي الحنبلي ، يقول عنه البوريني : (فدعوته الى بيتي في دمشق فاجاب الدعوة ، واكتسبت بصحبته الطف جلوة .."^(٣) .

وتحفل التراجم التي أوردها البوريني بذكر العديد من أصحابه وأصدقائه، منهم عبد الحي أفندي الكردي ، وذهب معه إلى الميدان الأخضر لأمر يهيم بعض الشيوخ، الا انهم عدلوا عن الأمر بسبب الغوغاء التي حصلت بثورة الجند السلطانية على جماعة الوزير أحمد باشا^(٤) ، ومنهم أسد الدين بن محمد الصفدي يقول عنه البوريني : (هو صاحبنا وخليلنا .." ومن أعيان مدينة صفد وزار دمشق سنة ١٠١٩هـ / ١٦١٠م^(٥)، ومنهم صالح المصري ، وذهب إلى قرية يبرود^(٦) ، وهي من القرى القديمة وفيها كنيسة مبنية بالفيسفساء الذهبية ، شبيه ببناء القسطنطينية ، ودورها قديمة لم يبق منها سوى العتبة العليا ، وفيها نقش أبيات منالشعر^(٧) لم يتعرف البوريني على صاحب تلك الابيات الا بعد مرور (١٤) سنة من دخوله الى القرية سنة ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م ، وقد عرف قائلها سنة ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م بعد ان ملك البوريني ديوان شعر يعود لابن التعاويذي ، فكانت ضمن الديوان^(٨) .

ومما سبق يتبين ان علاقات البوريني كانت واسعة ومتنوعة مناهج العلماء ، والمفتين ، والقضاة ، والشعراء والادباء ، والتجار ، والفقهاء، وبعض نقباء الأشراف، والتلاميذ، والمتصوفة ، وموظفي الادارة الماليين الرفيعي المستوى، وكذلك العسكريين ، وموظفي الجوامع مثل المتولين ، والخطباء والأئمة ، ولم تقتصر علاقاته على العلماء المختصين بالشريعة والأدب، فقد ارتبط بعلماء مختصين كعلماء النفس والموسيقى والنحو، وتوسعت علاقاته في داخل بلاد الشام وخارجها من خلال توليه ركب الحج الشامي، وقضاءه، ومن خلال سفره الى حلب، وطرابلس، وصفد، والقدس ، وبعض اطراف لبنان، وخارج بلاد الشام مثل مكة والمدينة ، واليمن، والمغرب، ومصر فكان من

(١) انظر ترجمته في البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١٣٨ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٩٤ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٣ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٨٤ .

(٦) وهي من القرى التي تقع في نواحي دمشق كانت وفقاً على المدرسة الناصرية الجوانية التي تولى التدريس فيها البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٦ .

(٧) للمزيد انظر أبيات الشعر التي كانت منقوشة ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٧ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٥٧ ، وانظر نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول

أصحابه مصريين، و فرس، وتنوعت علاقاته بمختلف المذاهب فمنهم الحنفي ، والمالكي ،
والشافعي ، والحنبلي، مما كان لها الفائدة في تدوين تاريخ تلك المرحلة من خلال التراجم .

سابعاً : مصادر البوريني في تدوين تاريخ المرحلة :

يتضح لدى الدارس حقيقة بأن مؤلف تراجم الاعيان من ابناء الزمان لم يثبت مصادر بحثه ،
على غرار ما يفعله المؤرخين المنهجيين كالمحبي مثلاً في كتابه "خلاصة الأثر في أعيان القرن
الحادي عشر" ، حين بين مصادره في مقدمة كتابه و صنفها الى أربعة مجموعات " المؤلفات
التاريخية ، والمجاميع ، والمكاتبات ، والأخبار الشفوية أو تلقي الاخبار من الافواه" أي أنه ميز بين
نوعين رئيسين للمصدر هما : المصادر المكتوبة والرواية الشفوية مثلاً اعتماده بشكل كبير على
عدة مؤلفات منها كتاب تراجم الأعيان للحسن البوريني^(١) أو كتاب ریحانة الالبا للخفاجي^(٢). أما
الغزي فقد ثبت أسماء المصادر في كتابه " الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ككتاب
الشقائق النعمانية^(٣) ، أما كتابه لطف السمر وقطف الثمر فانه لم يثبت مصادره ، الا أن ذلك لم يمنع
البوريني من تحديده للمنهج الذي سار عليه بقوله : ".....وقد كنت من مدة مديدة ، و اعوام عديدة
على ان اجمع تراجم من كان موجودا من الاعيان ، من ابتداء ولادتي والى هذا الآن ، من عالم
عامل ، أو فاضل كامل ، ومن سلطان أو أمير ، أو صاحب فن هو به شهير . سواء رأيت أو سمعت
باخباره من ثقات الدهر واخياره . فان علمت المولد والوفاء ، ذكرت ما علمته من ذلك بلا اشتباه ،
ما شككت فيه تركته واهملته وما ذكرته . ومن كان عند ذكره في الحياة موجودا ، جعلت الاقتصار
على اوصافه مقصودا"^(٤) . والمتتبع بشكل دقيق لتراجمه وما ذكره ضمنها عن مصادره
تتوضح لديه فكرة بانه اعتمد على مجموعة مصادر يمكن تصنيفها بما يأتي :

أولاً : المصادر المكتوبة سواء كانت مصادر لمؤرخين سابقين ، أو كتابات معاصرة أطلع عليها
مباشرة .

ثانياً : مشاهداته ومعایناته الخاصة ، وتتبعه لسیر الأحداث و حياة الاشخاص الذين عاصروهم .

ثالثاً : المصادر الشفوية المباشرة والمصادر غير المباشرة ، أي سماعه من أشخاص على عدة
مستويات " موظفين عسكريين ، وإداريين ، وأمراء ، وقضاة ، وشعراء الخ " . ويمكن
توضيح تلك المجاميع الثلاث بالشكل التالي :

(١) المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٣ .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة، ج ١، ص ٥ ، وانظر نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤ .

أولاً : المصادر المكتوبة : سواء كانت مصادر لمؤرخين سابقين ، أو كتابات معاصرة أطلع عليها مباشرة وهي كما يأتي :

١ . ان أولى المصادر التي رجع البوريني اليها هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، فقد استشهد بالآيات القرآنية التي تدعم موضوعه^(١)، وكانت عنده نسخة قديمة من القرآن الكريم بخط الشيخ خليل أحد المقادسة المشهورين بحسن الكتابة وقد وصف البوريني هذه النسخة وما كتب في آخرها بقوله : "... وعندي مصحف مسبع بخطه أيضاً ، خطه أيضاً في غاية الحسن..."^(٢) وكان عُمر هذا المصحف هو (١٥٤ عاماً) ، وفرغ من كتابته سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م حسبما أورده البوريني بقوله : (وكتب في آخره وكان الفراغ من نسخه وضبطه نهار الاثنين ثامن ذي الحجة الحرام سنة تسع وثمان مئة (٨٠٩ هـ).. " ، ولوحسبنا سنة ولادة البوريني ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م ، فيكون عمر المصحف المكتوب من فراغ كتابته الى سنة ولادة البوريني هو (١٥٤ عام)، ومن مصادره بعض كتب الأحاديث النبوية الشريفة التي أفادته بالاستشهاد بدعم بعض آرائه الخاصة بالتصوف ، ففي ترجمته لبعض الشخصيات الصوفية (أولياء الله الصالحين) على حد وصف البوريني كان يسند كلامه بحديث للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخاصة مع منكري الطرق الصوفية ، في إشارة الى أن البوريني كان يميل إلى الصوفية وتربطه مع بعضهم علاقات جيدة^(٣) .

٢ . قرب البوريني من السلطة مكنته من تنوع مصادره والاعتماد على وثائق الدولة ، فقد كان يصف الكتابات التي ترد من القضاة فيقول مثلاً عن أسعد أفندي^(٤) قاضي دار السلطنة قسطنطينية: " . ترد توقيعاته على بعض الصكوك في غاية الحسن خطأً وضبطاً وعبارة ومتانة.." ^(٥) .

٣ . كتاب (موضوعات العلوم)^(٦) لصاحبه أحمد أفندي الشهير طاش كبري زاده^(٧) وصل الكتاب الى دمشق الشام مع ابنه كمال الدين محمد حين جاءها قاضياً، يقول البوريني : " .. نقلت منه مطالب عزيزة من ذلك ما نقله عن بعضهم .. " في إشارة ان طاش كبري زاده أيضاً نقل من آخرين^(٨) .

٤ . كذلك موضوعة كتاب الروض العاطر^(٩) استند اليه البوريني في ذكر وفاة أحمد المكفنتي^(١) .

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٥ ، ١٥٢ ، ٣٤٤ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٧ ، ٣٠٧ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٠ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٤٩ - ٥١ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٥٠ .

(٦) انظر نفس الفصل فقرة ثقافة البوريني ، الجدول .

(٧) تم التعريف به انظر نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٧٣-٧٤ .

(٩) تم التعريف بالكتاب وبمؤلفه انظر نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول .

٥. كذلك موضوعة كتاب الروضة الوردية في الرحلة الرومية للمؤلف أحمد الحلبي (ابن الملا)^(٢) وقد نقل منه البوريني بعض الأشعار ، بقوله : (ومما نقلته من خطه في رحلته الرومية المسماة...." (٣) .

٦. من المصادر المكتوبة التي اطلع عليها كتب الحديث منها كتاب جمع الجوامع ، زوده به الشهاب الغزي ابن البدر الغزي الشافعي ، وقد اطلع عليه البوريني وعلى الاجازة بخط والده البدر الغزي^(٤) . وما كتبه أبي الطيب الغزي ، يقول البوريني " ... وكتب الي .. ونقلته من خطه.. " وتم ارسال المكتوب اليه في يوم الخميس ٢٦ رمضان من سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ، كما واطلع البوريني على ما كتبه والده البدر الغزي حول سنة ولادته وأول من قرء عليه البدر الغزي وغيره من العلماء^(٥) .

٧. من مصادر المكتوبة الوثائق والرسائل منها اطلاعه على بعض مراسلات بين سلطان مراکش وبين الدولة العثمانية ، فقد وصف طريقة كتابتهم على قاعده الملوك القدماء ، مع رجالات الدولة القريبين من السلطة بقوله : " ... ولقد رأيت من مكاتيبهم جملة يكتبون في رأس المكتوب هكذا : من أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ، ويتبعون ذلك بعبارات فصيحة ، وألفاظ مليحة ، على قاعدة الملوك في الزمن الماضي" (٦)

٨. اطلع البوريني على نسخة من فتاوى أبو السعود أفندي ، فكانت تكتب بالعربية والتركية ، وكان شاعراً^(٧) .

٩. السجلات والدفاتر ، كان البوريني قريباً من السلطة والأمراء ، بدرجة يمكنه الاطلاع على الدفاتر وعلى المكاتبات السياسية ، خاصة اطلاعه على المكتوب الذي أرسله أبو القاسم الشريف السفيني من اليمن يقول : " .. رأيت مكتوباً وارداً منه ، وفيه العجائب من الآيات والاحاديث والمواعظ ..." (٨) .

١٠. من مصادر المكتوبة كان البوريني يصرح كثيراً بقوله : " ... ومن خطه نقلت ... " ، وهذا يعني انه كان يستكتب للذين يترجم لهم^(٩) .

(١) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٥٩ .

(٢) انظر نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٥ ، ونفس الفصل ثقافة البوريني، وكحالة : معجم ، ج ٢، ص ١٣٣ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٥ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٨ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٩٣ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٤٠ - ٢٤٤ .

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٤٧ ، وانظر القصة التي أوردها البوريني ، وفيها إشارات أخلاقية حول مكر الشيخ عبد الوهاب الصفوري ، وكرم الأمير إبراهيم المنجكي ، نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٥ .

(٩) للمزيد انظر صورة المكتوب الذي أورده البوريني الخاص بابي الطيب الغزي ، ويشير المكتوب الى ان البوريني ، له شان رفيع وعالي ومن الأعيان ، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦٩ ، وانظر أيضاً للمزيد ما نقله البوريني

١١. ما كتبه ابو بكر الذباح الحنبلي^(١) في علم الروحانيات علما انه رجع إلى مؤرخين وأدباء سالفين كأبن خلكان، والفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط كما أورد ذلك البوريني، كما واعطى وصفاً مما كتبه ابو بكر الذباح فيقول البوريني مثلاً : " .. وكتب في آخره : كتبه ابو بكر بن ابراهيم الحكيم الذباح الحنبلي .."^(٢) ، في اشارة الى دقته في النقل عن مصدره .

١٢. من مصادره المدونة الشروحات منها كتاب شرح جمع الجوامع للسعد التفتازاني ، ووصف فيها قراءة أبو بكر المقدسي^(٣) الى أين وصل فيه ، وأورد صورة كتاب مرسل من قاضي مصر والقاهرة درويش محمد ، وفيه اشارات علمية مهمة^(٤) .

١٣. من مصادره المكتوبة الا انه لم يصرح بها هي كتب التراجم التاريخية لأبو بكر البغدادي المؤرخ^(٥)، وقد رجع اليه البوريني ، وأورد قصة ذكرت في الكتاب حول علاقة الحكام مع الفقهاء والعلماء وما حصل من اكرام لاحد الفقهاء، وهي اشارة ارادها البوريني من باب نصائح الملوك بأنهم إذا أهانوا العلماء زال ملكهم وإذا اكرمهم واستمرت دولتهم يقول البوريني : " .. وقد وقع الاتفاق على انه ما أهينت العلماء في دولة الا ذهبت وزالت وما اكرموا في سلطنة الا ثبتت وزادت .." في اشارة مهمة إلى سبب زوال ملك الجراكسة^(٦) .

١٤. مجموعة من الكتب أطلع عليها البوريني الا انه لم يحدد أسماءها ويصفها بقوله " .. ولعمري انها كتب نفيسة الخط ، نفيسة الضبط ..."^(٧) .

١٥. بعض مؤلفات المؤرخين السابقين ، منهم ابن طولون الصالحي الا انه لم يحدد الكتاب الذي أخذ منه ، ولكن من خلال السياق واضح ان الكتاب المعني هو كتاب (مفاكهة الخلان)^(٨) ، لأن المؤلف في هذا الكتاب تطرق كثيراً للقضاة من بيت فرفور الشافعية وفق المذهب الشافعي للمماليك ، رجع إليه البوريني في ترجمة جمال الدين جلبي الفروري الحنفي^(٩) من بيت القضاء الا ان جمال

من أبو بكر الذباح الحنبلي ، نفس المصدر، ج١، ص ٢٨٠-٢٨١، ٢٩٦ ، وانظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٤ ، ٢٨ ، ١٧٩ .

(١) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ٢٧٩-٢٨٣

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٨٠

(٣) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٦-٢٩٩

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١٩٩-٢٠٠

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٦، وانظر نفس الفصل ثقافة البوريني ، الجدول .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٥، ٦ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٦٨ .

(٨) انظر ثقافة البوريني .

(٩) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٢١-١٢٧ .

الدين اعتنق فيما بعد المذهب الحنفي^(١) في اشارة إلى الرغبة في تحقيق بعض المصالح الذاتية ، ويقول البوريني عن اسلافه: " .وقد دون المؤرخون فضائل اسلافه في الدفاتر... " ^(٢) .

١٦ . من مصادره كتاب القاموس المحيط للفيروز آبادي خاصة في تصحيح بعض الالفاظ الشائعة مثلاً " القرعوني " ، بقوله عن نسبة أحدهم : " .. وهو منسوب الى قرية القرعون في جانب البقاع العريزي وهو على وزن حمدون فالنسبة اليها القرعوني بضم العين ، والمشهور بفتح عين وهو تحريف من العوام كما في القاموس .. " ^(٣) .

١٧ . الشعر : بعض مصادره المكتوبة اشعاراً كان البوريني يوظفها لمصلحة المترجم له مثلاً أرسل إليه صاحبه درويش الطالوي ابن خالة الامير ابراهيم الطالوي ، مصدراً مكتوباً على شكل قصيدة تمدح الأمير ابراهيم الطالوي وكرمه ، واستخدم البوريني الشعر لتأييد الكلام الوارد في الترجمة تصف كرم المترجم له بانه وصل الى مرتبة حاتم الطائي^(٤) ، وزوده درويش الطالوي بأشعار أخرى فيها معلومات عن أحد الزعماء^(٥) .

ومن مصادره المكتوبة ديوان شعر الأديب ابن التعاويذي^(٦) وهو مشهور بذلك نسبة لجدته لأمه . وقد رجع له في معرفة أصل نقش الأبيات الشعرية في أحد أبواب دور قرية يبرود^(٧) ، ومنها الأشعار المدونة في كتاب الاعتبار للأمير أسامه بن منقذ^(٨) ، فقد انشد البوريني له بيتين من الشعر بمناسبة قصة الغلام المملوك واسمه مستدام الذي وقع في حبه سيده جلال الدين جلبي التركماني^(٩) ، ومنهم الشيخ ابو بكر العمري ، وهو صاحبه ومصدره في ايراد شرح لقصيدة الحسين بن عبد النبي الرومي الدمشقي المسماة " القصيدة القرمحشدية " ^(١٠) وقد اطلع عليها البوريني كونها مصدرا مكتوباً ساعدته هو الآخر في شرح هذه القصيدة^(١١) ، وكانت بعض القصائد ترسل له من نواحي الشام كطرابلس وحلب ، وكان يجيب عليها البوريني ولا يهملها خاصة إذا كانت القصيدة تحتوي عتاب او حل لغز^(١٢) ، وبعض دواوين الشعر المكتوبة التي رجع اليها البوريني كونه أديباً وشاعراً

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢١ ، وانظر ما لاحظه البوريني بيد الشيخ عبد اللطيف ابن مفلح الحنبلي كتاب من تصانيف ابن طولون فيه ذكر من كان بالصالحية من العلماء الاعلام ، نفس المصدر، ج٢، ص ٣٥٠ و٣٥١ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢١ .

(٣) في لبنان اليوم ، للمزيد انظر ترجمة تاج الدين القرعوني الشافعي ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٤ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣١١ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢١ .

(٦) تم التعريف به انظر نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٧ .

(٨) انظر نفس الفصل ثقافة البوريني .

(٩) للمزيد انظر القصة والشعر الذي أورده البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٥ و١٣٦ و١٣٧ .

(١٠) تم التعريف بها انظر نفس الفصل ثقافة البوريني ، الجدول .

(١١) للمزيد انظر القصيدة كاملة وشرحها ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٧٩ - ١٤٩ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤١ و٣٤٢ .

كديوان المتنبي^(١) ، والمعري^(٢) ، ومن مصادره الشعرية المباشرة والمكتوبة قوله : " .. ومما انشدني المولى المدرس المذكور من لفظه لنفسه هذه القصيدة الفريدة ، ومن خطه نقلت .."^(٣) ، واطلاعه على شعر لابي بكر المقدسي بخط أحد المفتين في مسائل تتعلق بالشرع والتخفيف عن المسافرين فيما يتعلق بصلاته وصيامه .. الخ^(٤)

١٨. من مصادره المكتوبة أيضاً جمع من العلماء الأسلاف لم يصرح بأسمائهم فقد اعتمد عليهم في وصف قلعة حلب بان أساسها يتكون من الاعمدة الحجرية وعددها ثمانية آلاف^(٥).

١٩. مصادر مكتوبة وصلت الى البوريني ، فقد ارسل الوزير الاعظم مراد باشا حين كان منشغلا في قتال الاشقياء، مكاتيب الى اعيان دمشق ومنها كتابين وصلا الى البوريني ، وفيهما معلومات سياسية وعسكرية^(٦).

٢٠. من مصادره المكتوبة الاخرى فتوى مكتوبة جاءت من مصر الى دمشق وعليها كتابة المفتي عبد اللطيف الحنبلي النابلسي الصالحي^(٧) ، وهي تثبت ما ذكره البوريني حول هذا المفتي من انه سافر إلى مصر لطلب العلم والاجازة بالفتوى والتدريس^(٨).

ثانيا : مشاهداته ومعانياته الخاصة :

وهي من خلال تتبعه لسير الأحداث وحياة الاشخاص الذين عاصروهم وعاصروه وهي تبدو جلية في كتابه الذي وصف معاصريه معتمدا على نفسه بصورة رئيسية كشاهد عيان للأحداث والرجال مع وجود مشاهدات اخرى الا انها قليلة وهي كما يأتي :

١. نقل بعضاً من اخلاق الشيوخ والأمراء من خلال رؤيته الشخصية لما يدور من مجتمعه من أحداث شاهدها^(٩).

٢. من مصادره المشاهدة الشخصية ، ففي كلامه عن المفتي المالكي بدمشق الشام أبو الفتح المالكي يقول البوريني : ".... وكان ينطق بالكلمات الفصيحة ، شهدت له موقفا مع الشيخ عبد النبي ... فرأيتهما جالسين بعد صلاة الجمعة في الايوان الشمالي بالجامع الاموي.." ^(١٠) ، أو عند حديثه

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٤ ، وانظر نفس الفصل ثقافة البوريني ، الجدول.

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٥ ، ١٢٤ ، وانظر نفس الفصل ثقافة البوريني .

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٢٢ وللمزيد انظر ترجمة عبد الرحمن العمادي الحنفي ابن العماد الحنفي أحد شيوخ البوريني ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٢٢.

(٤) انظر الشعر الذي أورده نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٩٧.

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٧.

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٩٣.

(٧) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ .

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٥٠.

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٤٧ ، وانظر القصة التي أوردها البوريني ، وفيها إشارات أخلاقيه حول مكر الشيخ عبد الوهاب الصفوري ، وكرم الأمير إبراهيم المنجكي ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣١٥.

(١٠) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠.

عن الأمير ادريس الحسني صاحب مكة يقول البوريني : "... شاهده بمكة في ذي الحجة من سنة عشرين بعد الالف (١٠٢٠هـ / ١٦١١م) ، وهو حاكمها وبيده ازمته (زام الامور) ، ويشاركة في ذلك الأمر الأمير محسن بن حسين ابن ابي نمي مشاركة قليلة .." (١) ، كما ويصف البوريني عن طريق المشاهدة الكيفية التي كان البدر الغزي يمارس فيها الافتاء في الحجرة الحلبية في الجامع الاموي بدمشق (٢) فكان يورد مشاهداته بكل امانه ودقة منها قوله بخصوص شقيق أبو الجود الحلبي مفتي الاحناف ، واسمه ابو اليمن بقوله : "... وقد رايت بدمشق ذاهبا إلى الحج في سنة أربع بعد الألف (١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) ، وما تيسر الاجتماع به ، لكني رأيت من بعيد.. " ، وهذا يعني انه دقيق في تحديده درجة الرؤية للمصدر (٣) .

٣. ثم انه ترجم لعلماء كان يراهم وقريباً منهم كمفتي صفد البدر بن حامد الصفدي يقول : "... وكان ابتداء اجتماعي به في صفد المحروسة في سنة ٩٧٠هـ (١٥٦٢م) ، وانا في ذلك غلام في سن التمييز ... ورايته وهو اعمى في دمشق في سنة ٩٨٠هـ (١٥٦٣م) اخبرني من لفظه انه يحفظ منهاج الامام النووي ..." (٤) .

٤. كما وحضر جلسات مع الاعيان للنزهة والتدارس مما مكنته من التعايش مع العلماء ومشاهدة تصرفاتهم ، منهم البدر الغزي شيخه فقد لازم في الحجرة الحلبية مدة (٤ سنوات) ووصف طريقته بالافتاء ، فالغزي كان لا يرى صاحب السؤال بل لديه مساعدين يأخذون السؤال ويعطوه للبدر فيكتب الجواب ثم يعطيه للمساعدين وهؤلاء يعطوا الجواب للسائل (٥) .

٥. من مصادره الموثوقة هي مشاهدات العيان ، مثلاً ما شاهده الناس حول تكبر أحدهم وهو الحسين بن عبد النبي صاحب القصيدة القرمحشدية (٦) الذي كان حين يدخل الى الجامع الاموي يدخل والده خلفه ، وفي الاسواق كذلك كان لا يمشي الا أمام والده ، وفي الجامع يأتي بعد الاقامة ويدخل ليصلي بالناس ، ويأتي يمشي بطيئاً حتى يراه الناس وهو الامام (٧) ، وشاهده البوريني بنفسه في مقبرة مرج الدحاح بدمشق كان يقف الى جانب التعزية وصاحب التعزية يقبل يد الحسين بن عبد النبي (٨) ، كما ويصف البوريني تعيينه لامامة الناس في الجامع الاموي من علامات الساعة بسبب قلة (أدبه ، وحماقته ، وجنونه) على حد وصف البوريني (٩) .

(١) نفس المصدر، ج٢، ص٨٦ ، ٨٧ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠ ، ج٢، ص٨٦ ، ص٩٤ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص٢٦٢ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص١٠٦ ، ١٠٧ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص٣٠٢ ، ج٢، ص٩٨ .

(٦) للمزيد عنه وعن القصيدة انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص١٧٨ - ١٩٤ وقد أطل البوريني بشرحها .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص١٨٦ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص١٨٧ .

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص١٨٦ و١٨٧ .

٦. من مصادره المباشرة مشاهداته الشخصية للأماكن ، فقد وصف قرية بيروود من قرى نواحي دمشق التي كان ريعها وفقاً للمدرسة الناصرية الجوانية ، من خلال ذكره للكنيسة القديمة المبذية بالفسيفساء الذهبية على نفس نمط بناء القسطنطينية ، ووصف دورها وبعض معالم تلك الدور ومنها نقش أبيات من الشعر للعبارة والعظة^(١) .

٧. شاهد عيان على ما يجري خاصة في قراءة التلاميذ على العلماء فكان يحدد الكتب والعلوم التي كان يتلقاها اولائك التلاميذ^(٢) ، وهو يعتبر لذلك مصدراً لتوثيق الحياة التعليمية في دمشق من خلال تراجمه .

٨. من مصادره المباشرة شيخه العماد الحنفي ، فقد زوده بمعلومات خاصة بالمفتي ابو الجود البتروني الحلبي^(٣) ، تدل على عدم فهم أبو الجود وقلة علمه ، ولقد عد البوريني مصدره هذا أقرب إلى اليقين لا التخمين^(٤) .

ثالثاً : المصادر الشفوية المباشرة :

أي سماعه من أشخاص مباشرة على عدة مستويات (موظفين عسكريين ، وإداريين ماليين ، وأمراء ، وقضاة ، وشعراء الخ ، فقد اعتمد على أناس معاصرين للاحداث وثقات ولا شك ان أكثرهم كان من محيط البوريني نفسه : شيوخه ، وزملائه ، من العلماء والتلاميذ والاصحاب والاقارب (والده) وغيرهم ويدل على ذلك قوله (أخبرني من اثق به) ، أو " حدثني صاحبنا ... " ويمكن حصر تلك المصادر كما يأتي:

١- والد البوريني الشيخ محمد البوريني ، اخبر ابنه ، ان له اعتقاد بالشيخ جلال الدين الصفوري الشافعي^(٥)

وانه ذهب معه الى كفر كنه^(٦) ، وفيها اشارة الى قوة اعتقاد والد البوريني بالشيخ جلال وقر به من بعض الصوفية واعتقاده بالكرامات أو خوارق العادات^(٧).

٢- ذكر البوريني تاريخ ولادة أحمد الجوهري^(٨) من خلال ما أخبره أياه ولده أبو بكر بن أحمد الجوهري^(٩).

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٦.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٠٣.

(٣) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٦٠ - ٢٦٣.

(٤) انظر القصة التي نقلها البوريني من شيخه العماد الحنفي ، نفس المصدر، ج١، ص ٢٦١ و ٢٦٢.

(٥) انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٩ - ١٣٢.

(٦) كفر كنه : بفتح الكاف وتشديد النون بلد بفلسطين وفيها مقام ليونس الذبي ، انظر الحموي : معجم البلدان، ج ٤ ص ٤٧٠ ، ونفس المصدر، ج٢، ص ١٣٠.

(٧) البوريني ، تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١٣٠.

(٨) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١١٢ - ١١٦.

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ١١٦.

٣- الأديب محمد الحتاتي المصري بدمشق الشام زوده بمعلومات حول أحد المترجم لهم و هو الشيخ أحمد شهاب المصري ، بأنه كان شاعراً^(١).

٤- عبد الرحيم ابن أخ أحمد ابن الشيخ أسد^(٢) أخبر البوريني ان أحمد ولد بصفد سنة ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م^(٣).

٥- دفتر دار دمشق ناظر الاموال السلطانية المسؤول على اموال الخزينة بدمشق محمد أمين الدفتري العجمي أخبره ان الوزير أحمد باشا أصبح متولياً لأمر الوزارة العظمى وكتب دفترًا وأرسله الى دمشق ، بأن الصدقات لم توزع بشكل عادل فبعضهم توزع عليه والآخر يمنع ، وهي إشارة مهمة الى الفساد المالي والاداري^(٤).

٦- أحمد شهاب الغزي ابن البدر الغزي أحد شيوخه ، ومصدره في نقل قصة أحد الشيوخ حول قطع رزقه فنظم الشهاب الغزي بيتًا من الشعر لما سمع بتوبه هذا الشيخ^(٥).

٨- أخباره عن ثقة لم يصرح باسمائهم بقوله : ".... ولقد أخبرني من اثق به ان.. " ، أو يقول : " .. وبلغني من كثير من ثقات الناس انه .."^(٦).

٩- من الاخبار الشفوية ذكر سنة وفاة السلطان محمد بن مراد في سنة ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م وكان مصدره فيها قاضي القضاة بدمشق وهي نفس السنة التي تولى ابنه السلطان أحمد الحكم^(٧).

١٠- ومن مصادره الشفوية ، جماعة يوسف باشا ابن سيف حاكم طرابلس^(٨) ، خاصة بعد هزيمة العساكر الشامية من قبل الأمير علي بك ابن جانبلاط وجماعته ، بقوله " .. وقد نقل لي من كان في صحبة ابن سيف انه .."^(٩).

١١- بعد هزيمة أبي زيد ابن السلطان سليمان^(١٠) أمام شقيقه سليم عند باب قونية إلى جانب ديار العجم وكان الحاكم فيها طهماسب شاه فاكرمه وانزله قريباً منه ، فنقل له بعضهم ما دار بينهما يقول البوريني : " ... واخبرني من أثق به ممن كان حاضراً ناظراً لجميع ما صدر بينهما.." ^(١١).

(١) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ١٣٧ و١٣٨.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٧٨ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٠ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٧ ، ج٢، ص ٢٨ .

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ٣٢٩ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٢٤ .

(٨) للمزيد عن ابن سيف ، وابن جانبلاط انظر الفصل الثالث الأحوال السياسية .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٢٨ .

(١٠) انظر ترجمته نفس ج١، ص ٢٣٤ - ٢٣٩ .

(١١) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٥ .

١٢. من مصادر البوريني بعض الثقة القريبين من السلطة نقلوا له ما فعله السلطان سليمان بابنه ابو زيد ، واطلاهم على مكتوب من السلطان باللغة التركية موجه إلى شاه العجم طهماسب ، لكنه لم يصرح باسمائهم ، يقول: " ..وبلغني من الثقات.." (١)

١٣. قاضي دمشق وقاضي القضاة ، كمال الدين محمد بن أحمد الشهير بطاش كبري زاده ، زوده بمعلومات حولالمفتي أبي السعود أفندي ، بانه لم يعزل واستمر قريباً من السلطنة ، وتولى تدريس مدارس عدة ومناصب ، منها توليه منصب الفتوى في القسطنطينية(٢).

١٤. من مصادر البوريني الثقة ، عن طريق الرواية وليس السماع فيقول: " .. رويانا عن الثقات ان حضرة المرحوم ... " (٣).

١٥. من مصادره النقل بالتواتر ومنها ذكره سنة وفاة المفتي أبي السعود أفندي سنة ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥م بقوله : " ..وكانت وفاته في سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة ، كما نقل الينا بالتواتر ... " (٤).

١٦. كان ركب الحج الشامي له أهمية بالنسبة للبوريني فكان يستمع الى الاخبار المتداولة ، منها ما يتعلق بالاشراف ففي سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١م إذ قام الشريف حسن شريف مكة بالتنازل إلى ولده أبي طالب ، وأمر الخطباء في مكة والمدينة بالخطبة لولده مع اسم السلطان محمد ، وصار شريفاً لمكة مع وجود والده ، وبعد ذلك مات الشريف حسن في نفس السنة(٥) في اشارة مهمة إلى عادات الأشراف بالعهد إلى ابنائهم وهم على قيد الحياة منعاً للفتنة التي قد تحصل .

١٧- الكاتب الخواجا فخر الدين بن زريق يقول عنه البوريني : " ..فخر الأعيان .. " ، وقد سمع منه أخباراً حول حصون اليمن التي سيطر عليها الشريف ابو القاسم ، والتي استردت من قبل العساكر بقيادة أمير الأمراء حاكم اليمن دسن باشا بعد موافقة السلطان محمد على توجه تلك العساكر الى اليمن ، علما انه بقي بيد أبو القاسم فقط حصنين هما (شهارة ، و ابي عريش)(٦) على حد ما أورده ، ويقول البوريني انه باقى في الحصنين المذكورين إلى سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٢م، علماً انه بدأ دعوته سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦م(٧)

١٨ - من مصادره الشفوية شخصيات رسمية حكومية منهم أمير الأمراء بدمشق ، أخبره معلومات حول شقيق أبي السرور البكري المصري(٨) ، وهو أبو المواهب(٩) ، حيث كان أمير

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٣٧-٢٣٨

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٤٠-٢٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٠ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٤ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٩) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ٢٥٧ .

الأمراء ذلك حاكماً بمصر سنة ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م وهو على اطلاع على أحوالهم، وذكر ان أبو المواهب ليس من أهل العلم ولا طلابه^(١). ومنهم أمير نابلس حيث كان من مصادره المباشرة والشفوية بقوله: "...حكى لي الأمير ابراهيم الطالوي من لفظه.." ^(٢) حيث زوده بمعلومات حول قصة الشاب (توبة) من نابلس، مع الأمير أحمد أمير غزة يقول: "... حتى انه قال لي من لفظه.." ^(٣)، أو يقول: "...معت من لفظه مرات وهو يقول....." ^(٤).

١٩. الاخبار من جماعة تم القياس على صدقهم بأنهم (محايدون، وصادقين) ، خاصة في موضوع المفتين فأورد البوريني جميع الاخبار والقصص التي كانت متداولة في زمنه ، فتتوعت الاخبار منها السيئ ، مثلاً ما أخبره به العماد الحنفي عن أبي الجود البتروني بأنه جاهلاً ومتكبراً، بينما أورد عن جماعة وصفهم البوريني بأنهم (محايدون وصادقين) ، ذكروا ان أبي الجود تمرن على الفتوى ، حتى صار قريباً من امتلاك الملكة العلمية ، لكثرة قراءاته بسبب الفتوى ، ثم نرى البوريني يرجع ويؤكد من خلال "... أخبار الاخيار.." ان أبي اليمن^(٥) أفضل من شقيقه أبي الجود البتروني الحلبي^(٦) في اشارة إلى ان البوريني إراد ذكر ما كان يتداوله الناس حول ذلك الشخص .

٢٠. بعض أهالي حلب كانوا يزودونه بمعلومات كثيرة ، منها انهم اخبروه ان والد أبي الجود وشقيقه أبي اليمن ، كان من الرجال : "... الصالحين الواعظين ..." الأ ان البوريني يشكك ويقول : "... والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ، في جميع الأحوال .." ^(٧).

٢١. معرفته بالقوانين الخاصة بديار العجم وقوانين ديار الروم ، ومنها القانون الخاص بمدينة أربيل الذي يقضي بأن من هرب إليها وهي مقبرة اجداد " طهماسب " فانه ينجو ، وهذا واضح انه عرفها من خلال علاقاته مع بعض الشعراء والأدباء الفرس^(٨)، وله معرفة بقوانين التعيين في المدارس ، والرواتب خاصة في بلاد الروم (القسطنطينية ، وبروسة) ، وهذا يوضح مدى تطور العلاقة بين بلاد الشام والقسطنطينية مركز السلطة وكيف اطلع أهل الشام على قوانين بلاد الروم^(٩).

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٥٧.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٣١٢.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٣١٢، ٣١٣.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٣١١، ٣١٢.

(٥) انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٣ - ٢٦٦.

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٦٢.

(٧) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٦٢.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧٤.

(٩) للمزيد انظر ترجمه إبراهيم الدمشقي ، نفس المصدر، ج١، ص ٣٠٠.

٢٢. اعتماده على أخبار أحد اصحابه بشكل كامل في الترجمة لأبي بكر السقاف الحضرموتي^(١) بقوله : "... على ما أخبرني بذلك كله الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن مظفر البلخي.." ^(٢) .

٢٣. من مصادر البوريني المباشرة محمد جلبي الكاتب ابن ابراهيم الدمشقي ، زوده بمعلومات حول أصلهم من بلدة الخليل مما أفادته في الترجمة لوالده إبراهيم^(٣) .

٢٤. ومن مصادره الأخرى أحد الأعيان وهو إبراهيم بن سعد الدين الذي زوده بمعلومات حول الأمير إبراهيم الطالوي أمير نابلس الذي تم تعيينه متولياً لركب الحجيج ، من قبل أمير الأمراء بدمشق محمد ابن الوزير الاعظم سنان باشا ، بقوله : "... وحرص (اي الأمير ابراهيم الطالوي) الركب من تبوك إلى دمشق حراسة عظيمة ، بحيث انه لم يضع لأحد عقاب بعير.." ^(٤) .

٢٥. وحين تحدث البوريني عن البدر الغزي ووقت عمله بالافتاء ، اعتمد على أقوال البدر بقوله : "... لانه ذكر من لفظه انه افتى وعمره خمسة عشر سنة ..وسمعت الشيخ البدر (البدر الغزي) ... وسمعت الشيخ صاحب الترجمة (البدر الغزي) ينشد.. وسمعته ينشد أيضاً.." ^(٥)، ومنها مثلاً قول البوريني: "...ولقد سمعت شيخنا إسماعيل النابلسي .." ^(٦) .

٢٦. ومن مصادره المباشرة ما أخبره ابن أحد المفتين بخصوص علاقة المفتين الأحناف فيما بينهم وارتباطهم بعلاقات مصاهرة^(٧) .

٢٧. من مصادره طائفة الار من ففي ترجمته لأحد الشخصيات و هو ابراهيم باشا الشهير " بدالي" حاكم ديار بكر ، الذي قُتل بأمر السلطان محمد بن مراد، كان مصدره في ذلك الأرمن ، يقول البوريني : (هو على ما بلغني في الأصل من طائفة الارمن " ، ومن مصادره شاهد عيان كان قريباً من السلطة الذي أخبره بالكيفية التي قتل فيها حاكم ديار بكر بقوله: "... على ما ذكر لي ..." ^(٨) .

(١) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٩٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٩٢ .

(٣) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

(٤) للمزيد انظر ترجمة الأمير إبراهيم الطالوي ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٣ .

(٥) وانظر ترجمته البدر الغزي ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٩٨ - ١٠٣ .

(٦) للمزيد انظر القصة التي أوردها البوريني ، وفيها إشارات أخلاقية واقتصادية ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣١٢ ، وانظر أيضاً ترجمة إبراهيم باشا الشهير بحاجي إبراهيم باشا ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣١٩ ، وانظر للمزيد ترجمه امين الدين الصالحي الدمشقي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٢ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٧ و١٢٨ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٣٢١ ، ٣٢٦ .

٢٨. نقل معلومات أخلاقية حول الشيخ محب الدين الحموي الحنفي ، عن طريق أحد أحفاده الذي زود البوريني بمعلومات بأن محب الدين ما شرب الخمر لا قبل الإسلام ولا بعده ، وهو يجيز قليلاً منه بحيث لا يؤدي الى السكر وفق دين السامرة^(١) على ما ذكره البوريني^(٢) .

٢٩. تلاميذ الشيوخ الذين ترجم لهم ، كانوا مصدراً مباشراً لآخبار شيوخهم ، ومنهم من لا توفيق الكيلاني^(٣) ، في دمشق التقى بالبوريني في المدرسة الناصرية الجوانية^(٤) ، زوده بمعلومات حول أسعد افندي^(٥) الذي كان احد تلاميذه من لا توفيق ، وهو مصدر مباشر يقول البوريني : "...أخبرني مولانا توفيق من لفظه بدمشق ، وقد نزل في مدرستي الناصرية الجوانية .."^(٦) .

٣٠. بعض مصادره من الأئمة ، كان له معهم لقاءات ومباحثات، ففي بيته بدمشق على نهر بردى في زقاق النحاسين يوم الجمعة المصادف ٢٢ ذي القعدة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م كان إمام الجامع الاموي في محراب الحنفية عنده في بيته وزوده بمعلومات حول الشيخ أويس الرومي الصوفي^(٧) .

٣١. أبو بكر المغربي المالكي^(٨) ، من مصادر البوريني حول بلاد المغرب ، زوده بمعلومات حول مولده في مراكش سنة ٩٦٤ هـ / ١٥٥٧ م تقريباً ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم ، وهي السنة نفسها التي مات فيها سلطان افريقية ومراكش وفاس والسوس الأقصى ، محمد الشريف الحسني^(٩) ، هنا أود أشير إلى مسألة مهمة في دراسة كتب التراجم ، ذلك أنها تزودنا بمعلومات واسعة ومتنوعة.

٣٢. أحد الشيوخ ، أخبر البوريني بمعلومات أخلاقية بين حصلت مملوك وشيخ ، وكيف كان هذا الشيخ يحب هذا المملوك^(١٠) ، الا أن المملوك هرب من شيخه ، مما دفع بذلك الشيخ الى تعاطي السكر ففي شتاء سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ، تم مشاهدته الشيخ من قبل هذا المصدر ، يسكر بالنيبيذ مع رجل سكير مقامر من جماعة السلطان، وهذا الخبر أو القصة اصبحت للأهالي (سماً) مدة سنة

(١) السامرة : مدينة تقع على بعد ستة أميال من الشمال الغربي لمدينة شكيم (نابلس) ، واليهما ينتسب السامرة وهم ليسوا يهوداً أو من اسباط بني إسرائيل وانما هم بقايا شعوب وثنية مختلفة من بابل وحماة وغيرها ، وقد انتسب هؤلاء الى اليهود رغبة بالتشرف والعلو رغم تبرؤ اليهود من هذا النسب ولهم معتقداتهم الخاصة التي تختلف عن اليهود ، للمزيد انظر البحث المنشور لـ ملحم : عدنان : **أوضاع الطائفة السامرية في مدينة نابلس**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد ١٦ العدد الأول ٢٠٠٢ م ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣ .

(٣) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٤) تم التعريف بها انظر نفس الفصل وظائف البوريني .

(٥) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٤٩ - ٥١ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٥٠ .

(٧) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ٢٧٥ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٧٥ .

(١٠) للمزيد انظر نفس المصدر، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٧ .

يتداولونها ، وحتى أن أمير الأمراء حاكم دمشق منع الشخص التابع له من علوفته التي كان يستلمها على اعتبار ان العلوفة (رواتب) هي للفقراء والصلحاء والعلماء^(١).

٣٣- من مصادره المباشرة شهود عيان على أحداث العصر يقول : "ولقد أخبرني من شاهد الواقعة..."^(٢).

٣٤- أحد أصحابه فقد زوده بمعلومات بشأن قراءته على الشيخ العماد الحنفي شيخ البوريني بقوله : "فقد أخبرني أنه قرء عليه.." ^(٣)، وكان العماد الحنفي أيضاً أحد مصادره في الترجمة له وأخبره بأنه ندم لعدم حفظه القرآن واللغة الفارسية^(٤).

٣٥- الشيخ علاء الدين الطرابلسي الشافعي ثم الحنفي ، زوده بمعلومات مختلفة منها ولادته كانت في صبيحة نهار جمعة مستهل شوال سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م^(٥) ، ومعلومات عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، وبعض الكتب التي قرأها والتي ألفها وكانت كثيرة ومتنوعة ، كالعلوم اللغوية والفقهية وعلوم الحساب والفلك^(٦).

٣٦. الشيخ عبد النافع الحموي الحنفي ، وهو من مصادره المباشرة ، فقد التقى به البوريني في طرابلس في الرحلة التي سماها (المنازل الانسية في الرحلة الطرابلسية) ، وزوده بمعلومات حول علاقته بأمير حماة ، وبالقاضي عبد اللطيف ابن القاضي محب الدين الحموي ، وما صدر بينهما من مشاكل وصلت إلى الشتم ، يقول البوريني : " ... قال لي في طرابلس ..." ^(٧).

ومما يلفت النظر لدارس تراجم البوريني اعتماده على مصادر أخرى تقع ضمن المصادر المكتوبة والمباشرة وهي مهمة كونها قريبة من سير الاحداث السياسية والعسكرية وهي :

المصادر العسكرية والرسمية :

ان قرب البوريني من السردار حسن باشا ، مكنته من الاطلاع على المكاتيب المهمة ، فقد التقى البوريني به بواسطة العماد الحنفي ، وقد أكرمه وأرسل اليه مكتوباً ، وقد وصف البوريني ذلك المكتوب بقوله : " .. وكتب في موضع الاسم : الفقير حسن سر عسكر . وسر عسكر معناه رأس العساكر .." ^(٨) في اشارة إلى ان البوريني كان يوضح بعض المصطلحات الواردة إليه في الكتب ، وقربه من السلطة والاحداث الجارية ، فكان مصدراً مباشراً ومشاهداً للاحداث خاصة في القتال الدائر بين العساكر والقوى المحلية، ومنها دخول الوزير سنان باشا الى دمشق حاكماً سنة ١٠١٧ هـ

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٣٧

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٩٤

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٠٣

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٠٣

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٣٤

(٦) للمزيد انظر ترجمة الشيخ علاء الدين الطرابلسي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٣٥

(٧) للمزيد انظر ترجمة الشيخ عبد النافع الحموي الحنفي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٣٩ - ٣٤٤

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٦١ .

١٦٠٨م^(١) وكانت له علاقة جيدة بالبوريني وأخبره بالمزيد من المعلومات التي تخص الجوانب السياسية والاجتماعية^(٢)، ولما تم تعيينه أرسل الى البوريني يخبره بأنه صار حاكماً على دمشق وذكره بما حصل بينه وبين البوريني في لقائهم السابق^(٣)، وكذلك بهرام آغا المقابل لدفاتر الجند بدمشق^(٤)، كان مصدراً له في المعلومات حول القتال بين العساكر وجماعة اليازجي من السكبانية، إذ كان بهرام ضمن العسكر الشامي، فزود البوريني بمعلومات متنوعة منها خاص بأخلاق عبد الحليم اليازجي بأنه رجل له (مروءة وكرم عجيب)^(٥)، وخاصة مع الاسرى فقد أخبره بذلك أحد القادة العسكريين الذين كانوا مأسورين عند اليازجي^(٦). كان البوريني يسمع مباشرة من مصادرهم منهم الوزير سنان باشا حاكم دمشق بقوله: "...ولقد أخبرني من لفظه ان بيته بمصر على بركة الفيل، وانه لا نظير له: وقال لي معيشتي بمصر في غاية الرغد..."^(٧)، كما واخبره بمعلومات أخرى، بقوله: "... وقد أخبرني سنان باشا المذكور من لفظه ليلة الاثنين..."^(٨)، ومن المصادر العسكرية الأخرى هو حسين بلوكباشي الكردي الشهير بابن شرف أحد مصادرهم وأصحابه زوده بمعلومات حول حصار قلعة الرها وفيها عبد الحليم اليازجي، وما تلاها من المعلومات، عدا تاريخ وفاة اليازجي فقد ذكر البوريني انها وردت ضمن الاخبار الواردة إلى دمشق في يوم الجمعة ٢٦ شوال سنة ١٠١٠هـ / ١٦٠١م بأنه مات بسبب المرض^(٩)، ومن مصادرهم رجل عسكري في جيش دمشق يصفه البوريني بقوله: "... صادق القول وهو من أصحابنا..."^(١٠) زوده بمعلومات حول وضعهم السيئ بعد هزيمتهم على يد الأمير علي بك ابن جانبلاط وجماعة السكبانية، وما آل إليه أمر الصلح بين الطرفين^(١١)، ومنهم أحد البوابين في السلطنة في الباب العالي يصفه البوريني: "... فخر البوابين في باب السلطنة العلية..."^(١٢) زوده بمعلومات تفصيلية حول قتال الوزير الأعظم مراد باشا مع الأشقياء^(١٣)، ومن مصادرهم الثقة من وجهة نظره والمباشرة هم بعض العسكر، بقوله: "... وقد أخبرني من اثق به من عسكر السلطان..."^(١٤).

(١) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٣٠.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ٢٢٩، ٢٣١-٢٣٢.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٤) انظر نفس الفصل علاقات البوريني إذ كان أحد أصحاب البوريني.

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٠ و١٥١.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥١.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٨) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٣٤.

(٩) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٦٦-٢٧٠.

(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٦.

(١١) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٧٧.

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٣.

(١٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٢ و٢٩٣.

(١٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٤.

مصادره المتنوعة من خارج بلاد الشام :

من مصادر البوريني حول أشخاص من خارج بلاد الشام في مصر ، والقسطنطينية ، ومكة ، وبلاد فارس ، والمغرب ، يقول عن أحد المترجم له في مصر : "... سمعت ان له هيئة في غاية القبول .." ، أو يقول : "... وقد وصل الينا من نظمه .." (١) ، وادريس الواعظ نزيل دمشق (٢) ، زود البوريني باسماء الشيوخ الذين قرأ عليهم ، وعن حب بعضهم للامال هم وبناتهم وامتلاكهن الذهب واللؤلؤ ، وزوده بمعلومات عن علماء مصر والمعاهد العلمية التي هناك يقول البوريني : "... فأثنى على كثير من علماء ذلك الجانب (مصر) .." (٣) ، أو يقول مثلاً: عن الطبيب تقي الدين بن شرف الدين دمشقي (٤) الذي سافر الى القسطنطينية وصار قريباً من السلطة في عهد السلطان مراد بن سليم : "... فيقال ان السلطان طلبه ورآه ، ويقال بل كان يرأسه..." (٥) ، الا انه في نفس الوقت يشكك في المعلومات بقوله ".... والله أعلم" (٦) ، وذكر معلومات حول الأشراف في مكة وعلاقتهم الجيدة بالسلطان أحمد (٧) ، وكانت للبوريني مصادر فارسية ، منهم مثلاً الملا حسين الشيرازي المذهب (٨) ، زود البوريني بمعلومات حول شعراء مدينته كاشان الفارسية ، وزوده ببعض من أشعارهم بالفارسية ، وقد عمل البوريني على ترجمة بعض الاشعار الى العربية (٩) ، ومنها المصادر المغربية منهم مثلاً حسين ابن القاسم المغربي العتيقي (١٠) ، وهو مصدراً رئيسياً ومباشراً في ترجمته وهو من وادي درعه من توابع مراكش ، جاء الى دمشق أواخر صفر سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، وزار البوريني في بيته في دمشق ، وفي مكان عمله في المدرسة الناصرية الجواندية في دمشق وحج بيت الله ثم رجع الى مراكش (١١) ، واجتمع مع سلطانها السلطان أحمد الملقب (بمولاي أحمد المنصور) في مقر السلطنة في مراكش وأخبره بأن هذا السلطان كان شاعراً (١٢) ، ومن مصادره المباشرة ، سماع المعلومات مباشرة من المترجم له منهم مثلاً عبد الله المغربي (١٣) ، رئيس ركب الحج المغربي الذي التقى به البوريني في الحج وزوده بمعلومات حول أصله وسكنه ووظيفته

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٩ .

(٢) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ٩١ - ٩٣ .

(٣) للمزيد انظر الأسماء الواردة التي ذكرها البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩١ و ٩٢ .

(٤) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٩ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٠ .

(٧) انشده شعر للسلطان أحمد المنصور سلطان مراكش وفاس ، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٣٣ .

(٨) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٠ - ١٧٥ .

(٩) للمزيد انظر الشعر الذي أورده البوريني ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٠ - ١٧٥ .

(١٠) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ٧٦ - ١٧٧ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٧٦ .

(١٢) للمزيد انظر الشعر الذي أورده البوريني من مصدره الشيخ حسين ابن القاسم ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(١٣) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٢٩ .

، فقد اخبره انه في الأصل من قبروان الغرب ، وسكنه تونس ، ووظيفته كانت من قبل السلطة في بلاد افريقيا^(١).

مصادر غير مباشرة :

خلال حديث البوريني عن القوى المحلية التي أفلقت الدولة في بلاد الشام ، كان من مصادره أخباراً ترد ولكن لم يحدد مع من كانت ترد تلك الاخبار بقوله : " .. فورد الخبر.."^(٢) ، أو يقول " .. وبلغني ان..."^(٣) ، ويورد البوريني معلومات من خلال اقوال متداوله أيضاً ولكنه يشك فيها في بعض الأحيان ويتحري تلك الأخبار فيقول " ... وقد قيل ان الوزير أعطاها^(٤) لرجل من مماليك السلطان (أحمد)، ولكن ما صح ذلك إلى الآن ، وقد شاع وذاع ان الوزير (مراد باشا) ، لا يتصرف في هذه المناصب الا بعد ان يقع ابن جانبلاط في قبضته ، وإذا تحرر بعد ذلك شئ كتبناه والله الموفق والمعين وبه نستعين "^(٥) ، ومن مصادره جماعة لا يثق بهم زودوه بمعلومات بأن عساكر دمشق بعد فتح حلب رجعوا إلى دمشق ولكنه كان غير متأكد فيقول : " .. وما ادري هل ذلك صحيح أم لا ، وإذا تحرر شئ من ذلك كتبناه وفي هذا الموضع رقمناه"^(٦) ، ويذكر البوريني شكه بصراحة حين يشك بمصادر المعلومات العامة (أخبار متداولة عند الأهالي) فيقول : " .. وما ندري هل ذلك صحيح أم لا..."^(٧) ، في اشارة إلى انه كان لا يتحري المعلومات في بعض الأحيان، فكان من الأجدر على البوريني التحقق وتحري المعلومات الصحيحة وإيرادها أسوة بالمنهجية العلمية للمؤرخين السابقين له ، ومن تلك الاخبار التي يتناقلها الأهالي قوله : " ... ويقال ان الشيخ .. " ، أو يقول : " .. ثم ورد الخبر بموت الوزير الأعظم"^(٨) في اشارة إلى انها معلومات عامة متداولة بين الناس.

وخلاصة القول ان مصادر البوريني كانت متنوعة فمنها المصادر المكتوبة كالمؤلفات التي رجع اليها كأحد مصنفات ابن طولون الصالحي ، أو كتاب الروضة الوردية في الرحلة الرومية ، أو اطلاعه على مكاتيب رسمية لقربه من السلطة، والمشاهدات والمعاینات الخاصة منها وصفه لمدينة يبرود والبيوت التي فيها والكنيسة التي كانت مبنية على نفس طراز بناء القسطنطينية ، ومصادر شفوية مباشرة ، ومنها سماعه من أشخاص مباشرة سواء كانوا علماء أو تلاميذ ، أو من

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٢٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٤٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٤٨ .

(٤) إي حمص وطرابلس وجبله واللاذقية التي كانت تحت سيادة يوسف بن سيف وأخذها منه الوزير الأعظم مراد باشا ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٦) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٧ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٨ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٣١٤ ، ٣٢٥ .

شخصيات رفيعة المستوى في الدولة كوزراء وموظفين وغيرهم ، ومصادر غير مباشرة عامة كقوله مثلاً (فورد الخبر) أو قوله : (ثم ورد الخبر) أو قوله : "وبلغني أن ..."، إضافة الى المصادر العسكرية ، والرسمية ، ومصادر محلية دمشقية ، وشامية ، ومصادر خارجية مصرية ، ورومية ، وحجازية ، وفارسية ، ومغربية .

ثامناً : منهجه وأسلوبه في كتابة التراجم :

١ . تبين مقدمة كتاب تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، أن مؤلفه البوريني تأثر بالمؤرخين السالفين ، وصرح بأسمائهم وهم : ابن كثير ، وابن الأثير ، وابن خلكان ، وابن شداد ، وابو شامة ، وابن حجر^(١) ، وواضح من تسمية كتابه انه تأثر بمن سبقه ، فمثلا ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة^(٢) ، أو كتاب ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان^(٣) .

٢ . وحدد الغاية من تأليف الكتاب ومنهجيته كما حدد الفترة الزمنية وبيدها في المقدمة بقوله : "وقد كنت من مدة مديدة ، وأعوام عديدة على ان أجمع تراجم من كان موجوداً من الأعيان ، من ابتداء ولادتي والى هذا الآن ، من عالم عامل ، أو فاضل كامل ، ومن سلطان أو أمير ، أو صاحب فن هو به شهير . سواء رأيته أو سمعت بأخباره من ثقات الدهر وأخياره . فان علمت المولد والوفاة ، ذكرت ما علمته من ذلك بلا اشتباه ، وما شككت فيه تركته وأهملته وما ذكرته . ومن كان عند ذكره في الحياة موجوداً ، جعلت الاقتصار على أوصافه مقصوداً .."^(٤) .

٣ . رتب البوريني تراجمه على حروف المعجم ، وأسم الشهرة ، وان لا يذكر في تراجمه اناساً سيئين ، ولا يطيل في ترجمة أحدهم ، الا أنه لم يلتزم بذلك فقد خرج في مواضع عديدة ، عندما أطل في ذكر ومدح أناس قريبين منه وذكر قصائد طويلة تشعر القارئ بالملل^(٥) .

٤ . تعامل البوريني في ايراد المعلومات الخاصة بتراجمه حسب الاتي :

أولاً : كان يدقق ويحقق و يصحح الأخبار قبل تدوينها ، كقوله : "... وقد ذكر كثير ممن ورد إلى دمشق من بلاد جبل الشوف (مستقر ابن معن وأسلافه) ان الأمير فخر الدين بن معن قد رجع من بلاد الفرنج الى بلاده الأصلية وهي بلاد الشوف . ولم يصح ذلك ..."^(٦) ، أو تصحيحه للمعلومات بقوله : (قلت : وقد صح بعد هذا ان السلطان قبله (علي ابن جانبلاط) ، وما قتله ..

(١) تم التعريف بهؤلاء المؤرخون ، انظر نفس الفصل الجدول ثقافة البوريني .

(٢) انظر نفس الفصل ثقافة البوريني .

(٣) انظر نفس الفصل ثقافة البوريني .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٤ .

(٥) انظر على سبيل المثال البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٦٥ - ١٧٧ كلها قصائد ، وانظر ترجمة الحسين بن عبد النبي صاحب قصيدة القرمحشدية وشرحها من قبل البوريني ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧٩ - ١٩٤ .

(٦) انظر نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١١ .

وأعطاه حكومة دمشق وارشوار وأرسله الى تلك الديار..^(١) ، حين يكون مصدره ثقة غير قابلٍ للشك كشيخه العماد الحنفي كان يقول: " .. هذا ما كان قد ثبت عندنا بطريق اليقين ، لا بطريق التخمين)^(٢)، وكان يورد الأخبار من مصادر ثقة ويورد الصحيح من الخبر بقوله : " ... والذي صح من الخبر...."^(٣) ، وعلى الرغم من انه استخدم طريقة التيقن والتحقق من المعلومات وابتعد عن التخمين أو الاعتقاد^(٤) الا انه حين يشعر بانه غير متأكد من الخبر كان يقول : " .. في غالب ظني.."^(٥) وإذا كان لديه شك يقول : " ... ومهما صح من الخبر بعد ذلك يكتب .."^(٦) ، ومن العبارات التي استخدمها البوريني للتشكيك بالمعلومات بقوله : " ..والله تعالى أعلم .."^(٧) ، أو يقول : " .. والله أعلم بحقيقة الحال "^(٨) ، أو يقول : " ..والله تعالى أعلم .."^(٩) ، أو يقول " .. والله تعالى يعلم بحقيقة ذلك .."^(١٠) .

ثانياً : عرف عنه الصدق في تلقيه العلوم أو تدريس العلوم لطلبته ، إذا أخذ من أحد شيوخه علماً ولو كان قليلاً، يقول في ترجمته لأحد الشيوخ وهو أحمد بن أحمد الطيبي الصغير^(١١) : " ... وقد قرأت على الأوسط وهو الكبير^(١٢) ، وعلى هذا وهو الصغير ، والأول هو الأكبر لم أدر كنه^(١٣) ، غير أن قرأتني على الكبير قليلة ، وأكثر ما قرأت على هذا الصغير.."^(١٤) ، ومنها تحديده للمواضيع التي وصل إليها في القراءة على شيوخه ومنهم العماد الحنفي ، فقد حدد البوريني إلى أين وصل بقراءته كتاب الشرح المطول، بقوله : "حتى وصلت فيه إلى اثناء مباحثات الفصل والوصل فأدر كنه الوفاة (العماد الحنفي) .."^(١٥) ، ويصف بشكل دقيق بعض اجراءات قراءة الكتب من قبل الطلبة، فحين يذكر انه درس أحمد الكردي العمادي الشافعي شرح جمع الجوامع ، يقول ان أحمد قرأه بتمامه بينما يصف حاله في قراءة موقف الجواهر يقول : " ... الا قليلاً... " فيدل ذلك على

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) خبر مجيء الأمير فخر الدين ابن معن بسفن إلى بلاد الشوف بعد ذهابه إلى بلاد الفرنج غير صحيح والأصح مجيء أحد أمراء الدروز واسمه يزيك حيث جاء بثلاث سفن وصعد إلى الشوف ، للمزيد انظر ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢١٠ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٨٨ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦٢ ، ٢٧٨ - ٢٧٩ ، ٣١٩ - ٣٢٠ ، ج٢ ، ص ٤٧ ، ٩١ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢١٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٦١ .

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٩٦ .

(٩) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦٥ .

(١٠) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(١١) انظر ترجمته ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٦ - ٢٤ .

(١٢) انظر ترجمته ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٩ - ١٥ .

(١٣) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧ ، ٨ .

(١٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٦ .

(١٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٠٣ .

الامانة العلمية عند البوريني^(١)، وكثيراً ما كان يصرح البوريني ان من الطلبة فضلاء ويثق بهم^(٢)، ومن صدقه انه إذ اطلع على بعض الكتب المدونة في زمنه يشير إليها ، وإذا لم يطلع عليها فإنه كان يصرح بذلك بقوله : " ... وما وقفت عليه لكن سمعت بأوصافه الحسنة ومعانيه المستحسنة.."^(٣) .

ثالثاً : الأمانة والدقة والاطالة والأختصار في نقل المعلومات خاصة في أخذ المعلومات من مصدر مباشر بقوله : " .. حكى لي من لفظه..."^(٤) ، وحين ذكر تاريخ ولادة أحمد الجوهري صرح بأن الذي زوده بالمعلومات ابنه أبو بكر بن أحمد الجوهري^(٥)، وإذا كان غير متأكد من المعلومات فيقول : " .. فيما أظن . فإني كنت صغير السن ، وكنت بعيد عنهما في الجملة .."^(٦)، وفي ترجمته لأحمد بن قاسم المصري قال : "أظن انه قرأ على القاضي زكريا ، ولكن لست علي يقين من ذلك"^(٧) ، وحين ذكر وفاة الملا الحسين الشيرازي كان عنده شك فقال : " وقد مات رحمه الله في أواخر سنة ستة وتسعين أو في اوائل سنة سبع وتسعين وتسع مئة .."^(٨) ، أي أما في سنة ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م أو انه مات سنة ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م، أو قوله " هكذا نقل لي بعض من شاهده .."^(٩)، وكان يصرح علانية انه لا يعرف بعض التواريخ منها ، عدم معرفته سنة وفاة والد طاش كبري زاده^(١٠) هذا يعني ان البوريني كان يترجم لأشخاص ضمن الترجمة الأصلية قد يكونون أولاد أو والد المترجم له أو جده^(١١) ، فقد وردت معلومات مهمة ضمن التراجم منها ترجمة أحمد الشهير بابن عبد الهادي تخص والده وابن عمه وابنه^(١٢) ، ووالد أحمد أفندي^(١٣) واسمه شاهين الذي كان عسكرياً ، وكان لأحمد الحلبي أيضاً ولدان عالمان أحدهما اسمه محمد والآخر ابراهيم وكانوا في حلب، كما وذكر معلومات تخص والد السلطان أحمد المنصور سلطان مراکش وفاس ، وأولاده ، وما ذكره من قصص بشأن والد ابراهيم بن محمد (صاحب الترجمة)^(١٤) ، كما وأورد معلومات مهمة حول والد وأجداد جلال الدين جلبي التركماني العكاري^(١٥)، ومما يلاحظ في ترجمة السلطان

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٠ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٠ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣٤ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١١٦ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١ ، ٣٤ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٦٣-٦٤ .

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٥ .

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٦٣ .

(١٠) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ٧٣-٧٦ .

(١١) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٤، ترجمة أولاد أحمد الجوهري علي، وسليمان ، وابوبكر ، وحسن . وجد أحمد الجوهري لأمه الحسن الجوهري المشهور في دمشق، وانظر أيضاً ج ١، ص ١٩١، والد الأمير أحمد ابن رضوان .

(١٢) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ١١٩-١٢١ .

(١٣) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٣٩-١٥٥ .

(١٤) نفس المصدر، ج ١، ص ١٢٠، ١٤٤، ١٨٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، و ج ٢، ص ٣-٦ .

(١٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٥ .

أحمد بن محمد ، أموراً سياسية خطيرة لكنها كانت في زمن أبيه، في إشارة إلى أهمية كتب التراجم بأنها تترجم لأشخاص لهم علاقة بالمتروك له ، قد يكون جده أو أباه أو أخوانه ، أو من أقاربه ، ويتم ذكر معلومات في غاية الأهمية ، مثلاً الأخبار التي أوردها البوريني ضمن ترجمة السلطان أحمد تخص السكبان ومؤسس حركتهم عبد الحليم اليازجي وأخاه حسن ، وحاكم الحبشة حسين باشا الذي تم القاء القبض عليه زمن السلطان محمد والد السلطان أحمد (المتروك له)^(١) ، وقد أتصف منهج البوريني بالدقة في نقل المعلومات و عدم الإطالة خاصة في القصائد طويلة ، كان يصرح بذلك بقوله في حق أبي بكر بن أحمد الجوهري : "...وانشدني قصيدة لنفسه يذكر فيها منازل الحج لاجل صديق له حج ولولا خوف الإطالة لذكرتها...."^(٢) فهو لم يذكرها ليس لانه لا يحفضها والدليل قوله "...لانها قصيدة حسنة في بابها فائقة عند أربابها..."^(٣) ، فكان يميل الى الاختصار خاصة في موضوع القصائد الشعرية^(٤) ، لكن هذا الأمر لم يلتزم به البوريني في جميع الأحيان ، فقد أطل في ذكر الكثير من القصائد بل وحتى عمد إلى شرحها، ومنها قصيدة غريبة انتشرت في دمشق بين عامة الناس وخاصتهم^(٥)، للشاعر الحسين بن عبد النبي الرومي سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م بمدح أحد القضاة الذين جاءوا إلى دمشق ، وقد سبق البوريني بشرحها أحد اصحابه وهو أبو بكر العمري وتم إيراد الشرح^(٦) ، الا ان جماعة من أصحاب البوريني طلبوا منه ان يعيد شرحها وبيان الفاضها اللغوية و اعرابها وبيان معانيها، وقد تعجب البوريني منها^(٧) و مال إلى الاختصار^(٨) ، ومن دقته نلاحظ ان البوريني كان عند معرفة سنة ولادة أحد الأعيان فانه يحسب عمره إلى الوقت الذي يدون فيه المعلومات ، يقول: "... فيكون في هذا التاريخ وهي سنة تسع بعد الالف (١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م) ، خمسا وستين سنة"^(٩) ، ومما يدخل في باب أمانته العلمية في ايراد الأخبار حتى مع المعارضين ، ومنهم الأمير علي بك ابن جانبلاط الذي رفض التعرض للنساء اثناء الدخول إلى أطراف دمشق من قبل السكبانية ، وقد حمد البوريني الله على ذلك الأمر^(١٠) ، على الرغم من حب

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٥ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٠ ، ج ٢، ص ٧٢ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٨٣ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٨٣ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٩٣ .

(٨) في نهاية شرحه للقصيدة وقد أخذ البوريني الشرح من أبو بكر العمري أحد أصحابه ، وقال (.. وأطل الشارح (أبو بكر) ، في شرح هذه الأبيات (القصيدة القرمحشدية) ، ونحن اقتصرنا على ذكر هذه الحصة ، والله اعلم) ، للمزيد انظر القصيدة و شرحها في ترجمة ناظمها الحسين ابن عبد النبي الرومي إمام الجامع الأموي ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٨ - ١٩٤ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٧٨ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٨٠ .

البوريني الشديد لبلاده وخاصة دمشق الا ان هذا لم يؤثر على حياديته كمؤرخ^(١) ، ويدخل في باب دقته في استقصاء الأخبار من مصدره يقول : " ... ومن خطه نقلت يوم الجمعة ثامن ذي القعدة الحرام من شهور سنة عشرة بعد الالف..."^(٢) . ومع ميل البوريني الى الاختصار وحذف بعض الأشعار غير الممكن تدوينها في الكتاب^(٣) فانه لم يلتزم على طول خطه بكتابة التراجم على الاختصار ، فنراه يذكر القصيدة التي نظمها الشيخ عبد الحق بن محمد الحمصي الشهير بالحجازي الشافعي حين مدح قاضي دمشق سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م^(٤) وكانت طويلة تشعر القارئ بالملل.

رابعاً : كان البوريني يبدي رأيه في بعض الاخبار والقصص والعادات ، وكان يؤكد في بعض المسائل والمشاكل التي عاصرها المنتشره في مجتمعه أو خارجه ، منها قضية الكرامات والخوارق بقوله : " يعلم الله تعالى حقيقتها.."^(٥) ، وكان لا يجزم بصحة هذه الكرامات الا انه يعكس ما كان موجوداً تلك الفترة في مجتمعه، يذكر لنا بعضها بقوله : " ولقد شاهدت له واقعة ربما تدل على كرامة.."^(٦) ، ومنها القصة التي نقلها له سليمان بن أحمد الجوهرى حول عادات أهل مالطة في عبادة صنم كبير جعلوه لهم الله ورب ، يقول : " فنعوذ بالله تعالى من هذا الفعل السخيف الذي لا يرضى به من في عقله ذرة من الصحة اللهم ثبتنا على الايمان .."^(٧) فهو ليس ناقلاً للخبر فقط بل ويبدي رأيه فيه ، ومنها القصة التي أوردها البوريني بين سيد شريف ومملوك ، حيث قام المملوك بقتل ذلك الشريف ، فصرح البوريني علانية انه لم يقف على صحة هذه القصة ، الا أنه يقول : " .. وقد شاهدنا المملوك مطروحاً في الجانب القبلي من مزار السيدة رقية ، والسيد ممدد في نفس المزار.. " ، وقد أفنى بعدم جواز قتل المملوك حتى يكبر أولاد المقتول وهم بعد ذلك احرار ، اما يأخذوا الدية أو يطلبوا قتله^(٨) وهي إشارة مهمة على مدى اهتمام البوريني بأحداث عصره الاجتماعية .

خامساً : كان دقيقاً في وصف المرافق والأبنية ، منها وصفه لأحد الجوامع بدمشق^(٩) والتعريف بالمصطلحات ووصف المرافق كقرية بيرود^(١) ، وقرية حران^(٢) ، وإعطاء نقاط دالة في جغرافية ذلك المكان (الجغرافية الوصفية) ومنها تعريفه بالدير^(٣) الذي توفي فيه والد أحد الأعيان ، كما ووصف مكان سبيل السلطان قايتباي^(٤).

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

(٤) للمزيد انظر القصيدة التي أوردها ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ - ٣٥٨ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ٢٥٠ .

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥١ .

سادساً : كان يوضح إذا ورد اسم علم خلال الترجمة ، نسبه وأصل والده ومن اي المدن كما ويذكر مشاهير مدينته^(٥) ، وكان يعرف ببعض المصطلحات والألفاظ منها الزعامه^(٦) ، ولفظة الجاويش^(٧) ، وكمجي زاده^(٨) ، ولفظة سكبان^(٩) ، والتفنك^(١٠) ، كما و عرف بمدينة كذاور^(١١) ، وكلمة ايشك^(١٢) ، و عرف بالألفاظ الفارسية^(١٣) ، والتركية^(١٤) ، كما وترجم بعض الاشعار الفارسية الى العربية^(١٥) ، و عرف بالمصطلحات وما إذا تعني مثلاً كلمات (محيطي ، باقي ، أنوري ، سعدي)^(١٦) ، و عرف بمصطلح الشاطر^(١٧) ، و شيخ زاده (ابن الشيخ)^(١٨) ، وليس فقط على مستوى المصطلحات المكانية والألقاب ، فكان حتى يشرح ويوضح عدة قوانين ترد ضمن الترجمة بسبب

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

(٢) ذكر البوريني : (وحران هذه قرية من نواحي مرج دمشق ، ويقال لها حران العواميد والمشهور ان حران مدينة عادية من بلاد ديار مضر بالميم والضاد المعجم ، وبها مقر بطريك النصارى اليعاقبة ، والنسبة إليها حراناني والمشهور حراني وهو خطأ وان كان القياس لان النسب سماعي وما نسب الى حرنان في السماع) ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .

(٣) الدير الذي في سفح جبل بالقرب من قرية البصنة وكان قديماً يعرف بدير الخضر . وكان مسكن النصارى ، فاخرجهم منه السلطان سليمان وسكنه أحد الشيوخ ومعه أولاده ، انظر نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٤) وسبيل السلطان قايتباي على باب الرحمة مطل بشباك كبير على الحجرة الشريفة النبوية ، انظر ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٥) منها الدانشمندية و كاتب العرض وذكر نموذج كيف كانت العرائض تكتب كيف تبدأ وكيف تنتهي .. انظر نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ١٤ ، ١١ ، ١٠ ، ٨ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ (عند حديثه عن أحمد الاياشي القاضي الفاسد وكيف ان العوام رجموه عند خندق القلعة بين سوق الاروام ومدرسة احمد باشا شمسي) وفي تعريف اياش (قصة يصنع بها الصوف في نواحي انكورية وانقرة من بلاد قرمان) . وانظر ج ١ ، ص ١٣٢ في التعريف بكفر منزل (قرية من توابع صفد ينسب إليها زين العابدين المنداوي) ، و ١٣٥ ترجمه أحمد العجمي حول جامع جراح وخان الباشا وسوق السروج ، وأيضاً انظر ترجمه احمد شهاب المصري قاضي اسكب (مدينة في ارض روم ايلي) ج ١ ، ص ١٣٧-١٣٨ ، ٢٦٥ .

(٦) الزعامه هي عبارة عن قرى يقطعها من يعطاها يزيد ريعها عن ١٩/٠٠٠ آقجه ولا يزيد عن ٩٩/٠٠٠ ، ومنها الاقطاع الذي منح الى محمود بك والد حبيب الجاويش ، من قبل السلطان سليمان ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(٧) وفق المفهوم العثماني هو رجل يركب إمام السلطان وفي يده الدبوس ، ومرتبته عظيمه لأنه يترقى الى صنق صاحب طبل وعلم ولواء ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(٨) وتعين ابن الخباز وهو لقب للوزير احمد باشا حاكم حلب وكانت سيرته حسنة ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١٠) وهي سلاح البندقية وقد استخدمه السكبان في قتالهم العثمانيين ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

(١١) وهي مدينة من توابع همذان نسب إليها الملا علي الكناوري الذي مات بدمشق بسبب طاعون سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ و ٣٣٨ .

(١٢) وهي بالتركية تعني الحمار مخلوطة بالعربية ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(١٣) مثل لفظة طوطي الفارسية وبالعربي تعني البيغاء ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(١٤) مثل لفظة تكري يلماز التركية ، وتعني بالعربي الذي لا يعرف ربه ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(١٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(١٦) مصطلحات شعرية خاصة بالأروام وتدل على مدح ويذكرها الشاعر في نهاية شعره خاصة إذا عرف التركية ومنهم احمد بن رجب ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(١٧) وفق مفهوم العثمانيين هو خادم الوزير إمام فرسه بالقرب ، ومنهم شاهين الشاطر أحد خدم الوزير احمد باشا الحافظ حاكم دمشق ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(١٨) شيخ زاده : تركية تعني ابن الشيخ ، انظر ترجمة أحمد أفندي ابن محمد الشهير شيخ زاده (ابن الشيخ) ج ١ ، ص ١٩٦ .

اطلاعه وعلاقاته ولغاته الثلاث العربية ، والفارسية ، والتركية ، فمثلا وضح لنا معنى (ز مان البرزخ)^(١) .

سابعاً : كان البوريني مؤرخاً أديباً شاعراً يعرف الفارسية والتركية وكان يحفظ الكثير من الشعر الفارسي ويعطي معناه^(٢) ، ويترجمه الى اللغة العربية ويذكر مصدره^(٣) ، فمنذ شبابه كان يحضر مع العلماء للتدريس في العلوم مما كونت له أفضلية صلبة في التدقيق والتحقيق والنقد^(٤) ، فكان يدقق ويحقق وينقد الأشخاص ولو كانوا أصحابه ، والمؤلفات فمن المعايير عنده في المصنفات هو (حسن الخط و الضبط)^(٥) ، والتدقيق في النصوص الشعرية ، ويذكر السبب في ذكره أو المناسبة منها مثلاً فيما يخص التحريض على شرب قهوة البن ، أو مثلاً ما قاله الشاعر أحمد بن رجب العارف بالفارسية والتركية ، فوضح البوريني أنه يدعو للتحريض على شرب قهوة البن باعتبارها مشكلة كانت قائمة ، أو ما يخص تثبیت فضل أحد الأعيان عن طريق الشعر^(٦) ويوضح ويحقق^(٧) ، وحفظ أشعاراً كثيرة لشعراء كبار وكان بعضها يرددها لكنه لا يعلم لمن تعود ، وكان البوريني كثيراً ما يكرر بعض المعلومات^(٨) وعادة كان يعمل على إرجاع بعض الأشعار إلى أصحابها ولو بعد حين ، مثلاً حين زار قرية ببيروود^(٩) وأطلع على البيوت التي فيها ووصفها بانها بيوت قديمة ولفت نظره أبيات من الشعر لم يعرف صاحبها الا بعد مضي أربعة عشر عاماً حتى تحقق من قائله من خلال تملكه لديوان ابن التعاويذي ، يقول: "...وأستمريت مدة لا أدري قائل الابيات ولا أعرفه ، لا بطريق الشك ، ولا على سبيل الاثبات ، الى سنة ١٠١٥ هـ (١٦٠٦م) ... فتملت ديوان الاديب المشهور بجده لامة العارف ابي محمد المبارك المعروف بابن التعاويذي^(١٠) ، فرأيتها في ضمن الديوان المذكور...."^(١١) ، علما انه ذهب إلى بيروود سنة ١٠٠١ هـ / ١٥٩٢م^(١٢) ، وهذا يعني انه يهتم بالزمن التاريخي للاحداث التي يذكرها ، ولم يكتفي بذلك الامر بل حقق و صحح الاخطاء الواردة في هذه الابيات وقارنها مع المکتوب في الديوان وتبين ان الذي

(١) انظر الفصل الرابع من البحث التعليم وأسس التعيين .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ١٥٧ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٧١ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٩٦-٩٧ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٦٧، ٧٢ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ١٢٣، ١٤٠ .

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٦٨، ٨٧-٩٠ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ١٠٠، ١٠٧-١٠٨ .

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٦ .

(١٠) تم التعريف به انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٧ و نفس الفصل ثقافة البوريني الجدول.

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٧ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٦ .

في الديوان أصح من المنقوش على الجدران^(١) ، ومن أمانته في الشعر هل هو من نظم أحدهم أم من نظم غيره أو انه لم يرتب الأبيات كما هي أو الشعر من عمل اثنين مشتركين ، وقد نبه البوريني على الأبيات التي قالها الطالوي الشامي في هجاء قاضي القضاة أحمد الاياشي ونوابه بقوله: "... البيتين الاخيران متقدمان للغير وقد ذكرهما الشاعر الطالوي للتضمنين لكنه لم ينبه عليهما فكان سرقة لعدم شهرتهما أيضاً ... فان عرفت قال اخذتها تضمينا وان لم تعرف قال هي شعري ومن نظمي.."^(٢)، فهو بذلك أميناً ويمثل نظرة عصره ومحبته وحفظه للشعر، وتعجب البوريني من تصرف الطالوي المذكور، فقبل هجاء الاياشي بأيام قليلة قد مدحه بقصيدة شينية^(٣) وهذا يعني ان البوريني حقق ونقد الأخبار التي اوردتها عن المترجم لهم . كما وأبدى البوريني نقده ورأيه في مسألة رواية الحديث من قبل أحد الأروام وكان من أصحابه ، والسبب عدم معرفته بكلام العرب فكان رأيه قوله : "... فمن ذلك روايته للحديث من غير معرفة كلام العرب ودخوله في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كذب... هذا مع عدم الاجازة المجوزة لرواية الحديث لا في زمنه السابق ولا في وقته الحديث.."^(٤)، فكان صريح في نقد أصحابه ولا يجامل، الا أنه كان ينقدهم من باب النصيحة فقد وصف البوريني نفسه بقوله في نصح أحمد جابي القاضي بقوله : "... لكن قبيض الله لك ناقداً بصيراً وعالماً كاملاً خبيراً فأظهر عوارك الذي كنت تخفيه .."^(٥) ، ويدخل في هذا الباب قول البوريني عن القاضي عبد الوهاب لفظ (مولانا) من جانب ومن جانب آخر لا يذكر اي مصطلح للقاضي أحمد بن سليمان الاياشي بسبب أن هذا القاضي عرف عنه الرشوة والتزوير ، فالبوريني عبر عن روح عصره أو نظرة المجتمع حول قضاة السوء^(٦) وهنا أود ان أوضح أمراً، فقد ورد في مقدمة البوريني معلومات بانه سوف لن يذكر في كتابه الا الصلحاء من الأعيان وهنا قد خرج من منهجيته التي حددها^(٧) ثم رجع البوريني وقال في نفس المقدمة : (وقل ان يخلوا رجل من تخليط... " وهذا يعني انه كتب مقدمته بعد تأليف الكتاب أو ربما رجع وأضاف هذه العبارة بعد أن لاحظ انه خرج من خطه الذي رسمه^(٨) .

ثامناً : كان أسلوب كتابته مملاً بسبب السجع الكثير الذي نظم به الكتاب ، هذا من جانب ومن جانب آخر كان البوريني حين يحس بخروجه عن الموضوع الرئيسي في الترجمة يصرح بالقول : "... ولنرجع الى ذكر والدهم سيدي أحمد صاحب الترجمة.. "، أو يقول : "..... ولقد افرطنا في

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٧ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٩ ، ٨٨ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٠ - ٩١ ، ٣٢٩ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٨٢ .

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٥ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٦ .

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٦ .

الخروج عما نحن بصددده...^(١) ، أو كقوله : "...نعود الى ذكر والده صاحب الترجمة...^(٢) ، أو يقول .. ونرجع الى ترجمة ولده .."^(٣) ومن الجوانب التي تحسب له دقته في توضيح اللبس في بعض الاسماء ، وهذا ما قام به حين وضح أن هناك وزيرين اسمهما يتشابه الأول اسمه أحمد باشا الحافظ ، والثاني يحمل نفس الاسم ولكن أعطى اسم شهرته بـ (الثاني) بقوله : "...دخل الوزير المذكور ، أحمد باشا الشهير بحافظ احمد باشا الثاني - فانه تقدم في نواب آل عثمان رجل آخر يقال له حافظ احمد باشا...^(٤) والأثنان قد أفرد لهما ترجمة خاصة^(٥) ، وقد استخدم البوريني بعض العبارات لا يصلح المعلومات منها عبارات تقريبية للزمن منها قوله : "... فما مكثوا مقدار تسخين الماء في القدر ، الا وقد وقعت الكسرة .."^(٦) ومما يلاحظ على أسلوبه الاعادة في المعلومات ولكن بصورة تضيف معلومات جديدة^(٦).

تاسعاً : أورد البوريني بعض صور من كتب كانت ترد اليه وفيها اشارات على علاقات الاحترام المتبادلة ، وبعضها ورد فيه إشارة مهمة تخص البوريني وممارسته الافتاء^(٧)، وتم ايراد صورة رسالة من أحمد أفندي ابن شاهين إلى البوريني^(٨) ، وكان يعطي وصفاً في كيفية كتابة بعض الاعيان^(٩) ، كما وأطلع البوريني على اجازة من الشيخ عبد القادر الكيلاني يجيز فيها جد أحمد الصامتي المقدسي^(١٠) ، وأورد كتابة ابراهيم الحلبي الشهير بابن الملا^(١١)، وذكر ما هو مكتوب في نهاية نظم أحدهم والاسلوب المتبع^(١٢)، وأورد صورة الكتاب المرسل منه إلى جمال الدين جلبي الفرفوري الحنفي ، وجوابه من قبل جمال الدين جلبي^(١٣) ، وقد ساعدته علاقاته بالأعيان سواء كانوا علماء أم سياسيين من الاطلاع على بعض الكتب ، منها اطلاعه على مكتوب سلطاني وصفه البوريني بقوله : "...ووقفت على مكتوب عظيم من السلطان سليمان الى المطهر الحسيني سلطان اليمن وفيه تهديد شديد ووعيد وكيد .."^(١٤) ، أو اطلاعه على مكتوب من أحد العلماء ، خاصة إذا كان الموضوع يخص مجتمعه ويقول : "... ولقد رأيت صورة الحجة وصورة ما كتب عليها

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١١٥ ، ج٢، ص ٧.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٠٥.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٥.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢١٤ ، وللمزيد انظر ترجمة أحمد باشا الحافظ نفس المصدر، ج١، ص ٢٠١ - ٢١٩ ، وانظر ترجمة أحمد باشا الوزير الملقب بالحافظ نفس المصدر، ج١، ص ١٩٨ - ٢٠٠.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٠.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٣ - ٢٩٦.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٩.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ١٤٠.

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ١٤٦.

(١٠) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(١١) انظر ترجمه ابن الملا إبراهيم الحلبي ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٤.

(١٢) نفس المصدر، ج١، ص ١٤٦ ، ١٦٢.

(١٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٣ - ١٢٦.

(١٤) نفس المصدر، ج١، ص ١٩١.

العلماء.."^(١) ، ونقل بعض المكاتبات التي تمت بينه وبين أعيان عصره ، فذقل مكتوب من المفتي بطلب عمر العرضي الشافعي الذي أرسل مع المکتوب هدية عبارة عن ثوب موصلية^(٢) ، أو بين أعيان العصر أنفسهم منها ما كتبه الشيخ عبد القادر إمام المدرسة الصابونية (الجامع الصابوني)^(٣) إلى أحد العلماء القرييين من الحكومة ليتوسط لأحد أصحابه^(٤).

عاشراً : اهتمامه ومعرفته بالانساب الخاصة للمترجم لهم وزيارته الميدانية للمدينة التي ينتسب إليها المترجم له ، فحين سئل أحمد الصامتي المقدسي حول نسبه إلى عبادة ابن الصامت قال البوريني : " .. وسالتهم عن نسبتهم الى حضرة عبادة ابن الصامت فذكر دلائل صحيحة صريحة وشواهد صادقة مليحة.." ^(٥) وهذا يعني انه كان عارفاً ببعض الأندساب، وزيارته لبيت المقدس فقد أورد معلومات حول أجداد أحمد الصامتي الصوفيين فيقول : " .. وأما أهل بيت المقدس فيحكون عن اسلافه حكايات لهم في الكرامات وخرق العادات ، ولهم حلقة ذكر في المسجد الأقصى ، وعلى ذكرهم وسامة الصلاح ، ومبارق الفلاح ، ولا سيما انتسابهم الى حضرة عبادة ابن الصامت ... " وأكد ذلك النسب والاحترام لهذه العائلة بقوله : " ... لان الامام النووي رضي الله عنه ذكر ان عبادة بن الصامت كان قاضياً.." ^(٦) . وتحدث عن نسب بني حفص المنتسبين إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الذين وثب اليهم والد السلطان أحمد المنصور سلطان مراكش وفاس فقاتلهم وملك ديارهم ومحي آثارهم من السلطنة^(٧). ومع ذلك تميز البوريني بجوانب مهمة في منهجيته اتسمت بالصدق والأمانة في نقل المعلومات ولو كانت خاصة بالسلطة .

وخلاصة القول أن البوريني حين حدد منهجيته في مقدمة كتابه حول الاختصار وعدم الإطالة في تراجمه ، نلاحظه قد خرج في أحيان كثيرة عن ذلك المنهج ، الا انه يُحسب له تحريه للأحداث التاريخية بنقدها وتحقيقتها ولو بعد حين ، وعرف عنه الصدق والأمانة بذكر المعلومات وتعريفه بالمصطلحات العربية والفارسية والتركية ، واعطاء وصف للمكان الذي يرد في ترجمته ، ووصف الأبنية ، وأعطى رأيه بأحداث عصره بل كان في بعض الأحيان يُفتي في قضايا مجتمه، وكان محايداً ولم يتوانى عن ذكر القيم والأخلاق الحسنة ورصد التجاوزات في السلوك العام .

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٠ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٦٧ .

(٣) المدرسة الصابونية : خارج دمشق قبلي باب الجابية غربي الطريق العظمي ومزار أوس ابن أوس الصحابي (رضي الله عنه) أنشأها الخواجكي احمد الشهابي القضائي ابن علم الدين البكري الدمشقي المعروف بالصابوني سنة (٨٦٣هـ / ١٤٥٩م) انظر النعمي : الدارس، ج ١، ص ١١ ، وانظر البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٦٧ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٦٨ .

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٩٥ .

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢٠ .

الفصل الثالث : أحوال بلاد الشام من خلال كتاب تراجم الأعيان من ابناء الزمان تراجم

- ❖ أولاً : صورة بلاد الشام وتقسيماتها .
- ❖ ثانياً : السلاطين والأمراء .
- ❖ ثالثاً : الأحوال السياسية في بلاد الشام وبيان أثر الفوضى على الاوضاع الاجتماعية للمجتمع ودور السكبان والقوى المحلية في أرباك السلطة .
- ❖ رابعاً : أحوال العساكر ووظائفهم وثوراتهم .
- ❖ خامساً : العقوبات المستخدمة في تلك الفترة .
- ❖ سادساً : الوظائف الادارية والفساد الاداري والمالي في بيع المناصب .
- ❖ سابعاً : الوظائف الدينية .
- ❖ ثامناً : علاقات ولايات بلاد الشام مع القسطنطينية .

أولاً : صورة بلاد الشام وتقسيماتها :

كانت بلاد الشام في أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية ، وهي تنفذ القرارات الصادرة من السلاطين العثمانيين^(١) وذلك من خلال الأوامر التي تصدر من الباب العالي إلى الولايات ، ويقوم على إدارتها وإل تركي معين بمرسوم سلطاني ، وقد عمل السلاطين والولاة على الاهتمام بالبناء والعمران ، يذكر البوريني أن أحد جوامع دمشق اسمه جامع السلطان سليم أو المدرسة السلطانية السليمية^(٢) ، وجامع درويش باشا قام ببنائه أحد ولاة دمشق^(٣) ، كما قام الوالي أحمد باشا^(٤) ببناء خانقاه^(٥) مقابل قلعة دمشق ، وجعل بها أماكن خاصة للصوفية^(٦) ومطبخ ، وغيرها من الأبنية التي اهتم بها الولاة أكثر من السلاطين^(٧) ، فعندما أنتصر العثمانيين على المماليك في موقعة مرج دابق في ٢٤ رجب عام ٩٢٢ هـ / ٢٣ أغسطس ١٥١٦ م ، ودخلوا إلى الشام عملوا على تقسيمها إلى ثلاث وحدات إدارية كبيرة ، تسمى بـكلربكك / بكلربكية أي إمارة الأمراء أو إيالة أو ولاية . أما مصطلح ولاية فقد استخدم عند العثمانيين في الوقت نفسه أيضاً ، ولكن عند استخدام مصطلحي إيالة وولاية معاً ، فإن أحدهما يدل على البكلربكية والآخر على السنجق / اللواء ، ويستخدم مصطلح (ولاية) للدلالة على الوحدة الإدارية الكبيرة ، مثل ولاية الشام ، وولاية مصر ، وولاية بغداد ، ويستخدم مصطلح (إيالة) للدلالة على الألوية التي تدار بطريقة الأوجاقلق أو الحكومة ، واستمر حتى بعد الفترة التي عاشها البوريني إلى سنة ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٤ م^(٨) ، وكانت جميع الجوانب الإدارية والعسكرية المتعلقة بالإيالة يتم تباحثها في ديوان البكلربكية ، كنموذجاً مصغراً من الديوان السلطاني ، وكانت تلك الجوانب تدون في دفاتر خاصة ، وكان القائم على رأس الإيالة يسمى (بكلربكي) أو (مير ميران) ، هو بالعربية يعني (أمير الأمراء) ، وليس بالضرورة أن يكون البكلربكي من أفراد العائلة الحاكمة

(١) البوريني ، تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، و ص ٢٣٤ - ٢٣٨ ، ص ٢٧١ .
(٢) المدرسة السلطانية السليمية أو جامع السلطان سليم : نسبة إلى بانيه السلطان سليم الأول الذي حكم من سنة (٩١٧ هـ إلى ٩٢٦ هـ / ١٥١١ م إلى ١٥٢٠ م) المنتصر على الغوري في مرج دابق سنة (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) بصالحيه دمشق وهي للحدناف ، للمزيد انظر البوريني : تراجم ج ١ ، ص ٥٧ ، ج ٢ ، ص ٩٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٣ ، والكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٤٥ - ٢٥١ ، وفريد : محمد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الجيل ، بيروت د ط ، د س ، ص ٧٤ - ٧٩ وسيشار له لاحقاً فريد : تاريخ

(٣) انظر البوريني : تراجم ج ١ ، ص ٢٣ ، ٧٩ ، ١٩١ ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٨٣ ، ٣٣١ ، ٣٧١ .
(٤) الباشا : لقب من اعلي القاب التشريف في الدولة العثمانية مأخوذ من الكلمة الفارسية (باد شاه) بمعنى الملك ، انظر دهمان : معجم ، ص ٣٠ ، وهو أمير الأمراء بدمشق من قبل السلطان سليمان ، للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٨٨ إلى ١٩٠ .

(٥) انظر فقرة الخانقاوات الفصل الأول .
(٦) التصوف له عده تعاريف منها ان الصوفي من صفى ربه قلبه نوراً ومن حل في عين اللذة بذكره الله ، للمزيد انظر عون : فيصل بدير ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت جامععه عين شمس د ط ١٩٨٣ . ص ١٨ وما تلاها وسيشار له لاحقاً عون : التصوف .
(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(٨) بيات : الدولة العثمانية ، ص ٤٩ .

، بل كان كل من يتولى إيالةً أو سنجقاً يحمل هذا اللقب . أما تسميته بأمرير الأمراء فيعود السبب إلى أنه يترأس الإيالة التي تتكون من سناجق ، يدير كل واحد منها أمير سنجق أي أنه أمير أمراء السناجق ، ومنها سنجق نابلس ، سنجق القدس ، سنجق تدمر ، و سنجق صفد^(١)، وقد استخدم إلى جانب البكلربكي فيما بعد مصطلح (والي) ولكن بشكل ضيق^(٢) ، وبعض المصادر أطلق عليه لقب (المحافظ) فقد أطلق على الوزير الأعظم والسردار أحمد باشا الحافظ لقب محافظ دمشق^(٣) ، حيث يُفهم من هذا المصطلح أنه ينوب عن البكلربيك الأصلي عندما يكون الأخير خارج الإيالة ، كأن يكون في حملة عسكرية^(٤)، وكان البكلربكي يحمل عادة لقب (باشا) يمثل السلطة التنفيذية للسلطان في الإيالة ، وهو الرئيس الإداري والعسكري فيها ، وكان يخصص له " التيمار " (الخاص) وهو منح أرض نظر خدمة حربية أو هو نوع من الاقطاع التركي يُلزم صاحبه بأن يذهب إلى الحرب ركباً وأن تقدم عدداً من الجند أو الفلاحين مناسب لدخل الاقطاع ، وكان يطلق على صاحب التيمار اسم تيمار صاحبي أو تيمار سباهي ، وهذه الاقطاعات ثلاث أنواع الأول الخاص (اقطاع الولاية) يتراوح وارده السنوي بين ٨٠٠ ألف ، ومليون ، ومائتي آقجه ، وذلك كبديل مرتبات له ، والثاني زعامت وهو ما لا يقل غلته (حاصله) عن عشرون ألف آقجه ، أما النوع الثالث التيمار وهو ما لا تزيد غلته (حاصل) على ٩٩٩ ، ١٩ آقجه^(٥). ومن خلال تراجم البوريني فان بلاد الشام كانت في زمنه إيالة ويحكمها البكلربيك أو أمير الأمراء^(٦) ، وكانت إيالة الشام مقسمة إلى عدد من الألوية وهي دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وكانت دمشق من أعظم وأكبر الإيالات ويديرها نائب للسلطان أو الباشا^(٧) أو البيكلربيك^(٨)، وفيها مقر أمير الأمراء (دار الإمارة أو دار السعادة) وسماها البوريني دار الحكومة فقد دخلها وسلم على الوزير سنان باشا في دمشق سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م ، ورأى عنده قاضي القضاة إبراهيم أفندي الأزنيقي ومعه تاج الدين افندي الشهير بأبن تاج الدين القاضي

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٦٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٧١ ، ج٢، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، وبيات : الدولة العثمانية، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٢٣ .

(٤) بيات : الدولة العثمانية، ص ٥١ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٠١ ، ٣٦٩ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، مجموعة من العلماء (انكلترا ، وفرنسا ، وألمانيا) أعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرون ١٦ ج د ط ، دن ج ١٠، ص ٢٦٧ - ٢٨٨ وسيشار له لاحقاً دائرة المعارف الإسلامية ، والدوري : عبد العزيز : نشأة الاقطاع في المجتمعات الإسلامية ، مجلة الاجتهاد ببيروت لبنان ، العدد الأول خريف ١٩٨٨ م من ص ٢٤٣ إلى ٢٦٧ ، وبيات : الدولة العثمانية، ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٦) البوريني : تراجم ج ١، ص ٢٧١ ، وابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٨ - ٣٤٧ ، والدوري : مقدمة ص ١٢١ ، والحويري : محمود محمد : تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ص ٢٠٨ - ٢٢٣ وسيشار له لاحقاً الحويري : تاريخ .

(٧) الدوري : مقدمة ص ١٢١ .

(٨) أو بيلر بيه ، وهو لفظ تركي بمعنى الأمير استخدم في العهد العثماني كلقب أطلق على رؤساء السناجق أو الألوية التي تنتظم فيها الاقطاعات العسكرية ، للمزيد أنظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والخطيب : معجم ، ص ٨٤ .

سابقاً بحماية^(١)، و منح السلطان أمير الأمراء صلاحيات منها إصدار القرارات، و منح بعض الألقاب الخاصة بالامارة، و منح الاقطاعات أو التيمار، و تعيين كبار الموظفين في المناصب^(٢)، و تم تنظيم الولايات على أساس إقطاعي، فقسمت الأراضي إلى مقطعين أتراك، و كانت شبه وراثية، الا أن المقطعين يدفعون ضرائب سنوية و تقديم خدمة عسكرية، و بعض الأراضي أُقطعت لشيوخ قبائل و شخصيات دينية متنفذه تتولى تلك الأراضي^(٣). فكانت السلطة العثمانية تسيطر على هذه الولايات من خلال الحكام و العسكر. و يعتمد التسلسل الإداري في الولاية على رأس الهرم فيها و هو الوالي أو أمير الأمراء الذي يعينه الباب العالي و كان مقره في دمشق^(٤)، و لحكام الولايات الرئيسية المهمة فرصة كبيرة للتقدم إلى أعلى المناصب، و هو الصدر الأعظم^(٥) و هو أعظمهم كلهم و صاحب الصلاحيات المطلقة في إدارة شؤون الدولة و هو بمثابة وكيل السلطان يفعل ما يفعله السلطان، و معه ختم المملكة و هو أمير الجيوش أيضاً و بيده الأموال و التعيينات في المناصب التدبيرية و العسكرية^(٦)، و قد كان الصدر الأعظم أو الوزير الأعظم حتى فتح القسطنطينية من المسلمين الأحرار ثم أصبح يُعين من نتاج الدوشيرمه^(٧).

لقد حكم بلاد الشام خلال الفترة نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، و مطلع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) خمسة و سبعون حاكماً^(٨) نتيجة تزايد الانقلابات ضد الباشوات الذين تعينهم السلطة المركزية، أو يتم اغتيالهم من جانب السكان أو القوى المحلية، إن سلطات الحاكم التي كانت تمتد إلى مجالات واسعة للغاية (الإدارة، و الأمن، و المالية) لم يكن يستطيع الوصول إليها الا بعد مراعاة القوى المحلية و عدم مضايقة السلطة، و كان السلطان يعين أصحاب المقامات الرفيعة عادة مثل "الدفتار دار" أمين الخزانة الذي يُعنى بالأمر المالية^(٩)، و "السرदार" قائد الحملات العسكرية أو رأس العساكر السلطانية^(١٠)، و "القائم مقام" الذي يتولى

(١) البوريني: تراجم الأعيان، ج١، ص ٨٦، ١٨٩، ٣٢٨، ج٢، ص ١٤٤، ٢٣٠.

(٢) أبو الشعر: مجتمع دمشق، ص ١٥ و ١٦.

(٣) الدوري: مقدمة ١٢١-١٢٣.

(٤) البوريني: تراجم الأعيان، ج١، ص ٨٦، ١٣٣، ج٢، ص ٢٣٧.

(٥) البوريني: تراجم الأعيان، ج١، ص ٤٦، ١٩٩، ج٢، ص ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٦١، ٢٨٣.

(٦) بركات: مصطفى: الألقاب و الوظائف العثمانية (١٥١٧م / ١٩٢٤م)، دار غريب للنشر و الطباعة القاهرة ٢٠٠٠، د.ط، ص ٧٤ و سيشار له لاحقاً بركات: الألقاب و الوظائف.

(٧) الدوشيرمة: تعبير يطلق على أبناء المسيحيين الذين كانوا يجمعون من البلدان المسيحية عند فتحها و يندشأون على التعاليم الإسلامية و العادات و التقاليد التركية ثم يتولون الخدمة في القصر الهامبوني و القيام بأعمال البستنة و الأمور الإدارية في معسكرات الانكشارية و أخذوا يجلبون محل الأسرى في سائر أعمال الدولة تدريجياً ثم صدر قانون الدوشيرمة في عهد السلطان مراد الثاني (١٤٢١م / ١٤٥١م) للمزيد انظر نفس المصدر، ص ٧٤، ٧٥.

(٨) ريمون: اندريه، المدن العربية الكبرى في العهد العثماني، ترجمه لطيف فرج، دار الفكر للنشر و التوزيع القاهرة - باريس ط ١، ١٩٩١ ص ٢٤ و سيشار له لاحقاً اندريه: المدن العربية.

(٩) البوريني: تراجم الأعيان، ج١، ص ٥، ٢٠٠.

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢١، ٢٠٧، ٢١٣، ٣٢٤، ج٢، ص ١٣٤، ٢٢٣، ١٤١، ١٤٢ - ١٤٩، ٢٦٨، ٢٧٠.

شؤون الحكم أثناء فترات خلو السلطة في الولاية إلى حين وصول حاكم جديد^(١)، مع اهتمام كبير بأمر الحج " الذي يتولى رئاسة قافلة الحج الشامي في كل سنة إلى مكة " ^(٢) ، فقد دأبت السلطات على الإهتمام بحماية قافلة الحج الشامي من خلال إناطة الأمر بولاية الشام تارة ، وتارة من خلال الأمراء المحليين^(٣) ، لقد توزعت مهام حماية ركب الحج الشامي بين ثلاث فئات رئيسية أولها الأراء المحليون ، وثانيها : ولاية الشام ، وثالثها : الجنود السباهية (فرقة الفرسان) فكانت مهمة دينية ، وتجارية ، واقتصادية ، وعملت السلطات على تقديم بعض المال إلى البدو كي لا يعترضوا على تلك القوافل^(٤) . أما العسكر فكانت السلطة العثمانية تعتمد على قوات الانكشارية أو الينكجارية^(٥) إلى جانب هؤلاء الحكام ، وكان لهذه القوات دوراً كبيراً في التفوق العسكري للعثمانيين^(٦) . كانت قوات الانكشارية موزعة على ١٩٦ سرية ، تتبع آغا^(٧) في القسطنطينية ، بينما كان عدد من هؤلاء الأغوات يقيمون في الولايات^(٨) .

ثانياً : السلاطين والأمراء :

إن المتتبع لتراجم الحسن البوريني ٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م ، من خلال كتابه " تراجم الأعيان من أبناء الزمان " تتضح له فكرة انه تناول الأوضاع التي عاصرها ضمن اتجاهين رئيسيين : أولهما الدولة العثمانية في المركز ، وثانيهما البلاد العربية ولا سيما بلاد الشام ودمشق خاصة لأنها مركز أمير الأمراء ، فتناول المؤسسة السياسية ، إلا أنه أفرد فقط ترجمتين ، واحدة للسلطان أبو زيد ابن سليمان ، وهي تحوي معلومات قيمة سياسية واجتماعية حول أخلاق ألسلطان سليمان مع أولاده وأحفاده ، والثانية للسلطان أحمد بن محمد واحتوت ترجمته معلومات قيمة ، ومن المعروف بأنه عاصر خمسة من السلاطين^(٩) العثمانيين وهم :

(١) ريمون : المدن العربية ص ٢٤ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٧٠، وانظر نفس الفصل الوظائف الدينية إمارة الحج.

(٣) رافق : عيد الكريم ، العرب والعثمانيون (١٥١٦م / ١٩١٦م) ، دمشق ط١ ، ١٩٧٤ ، ص ٥٠ وسيشار له لاحقاً رافق : العرب والعثمانيون .

(٤) رافق : العرب والعثمانيون ، ص ٨٧ .

(٥) انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ج ٢، ص ١٤٨ ، ٢٨٧ ، ودهمان : معجم، ص ١٥٨ .

(٦) ريمون : المدن العربية ص ٢٥ .

(٧) دهمان : معجم، ص ١٨ ، ص ٢٤ .

(٨) ريمون : المدن العربية ص ٢٥ .

(٩) السلطان : هو الذي يحكم في ولايته حكم الملوك ويكون رئيساً للأمراء وله من العسكر أكثر من عشرة آلاف فارس ويملك ممالك متعددة ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٧٦-١٧٧ ، ٢٠٨ ، ٢٨٣ ، ودهمان : معجم، ص ٩٢ .

الأول: سليمان الشهير بالقانوني بن سليم بن عثمان^(١) بن بايزيد بن محمد^(٢) ، ولد سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤م^(٣) ، حكم فترة طويلة تقدر بـ ٤٨ سنة ، حكم من سنة ٩٢٦ هـ إلى سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠م إلى ١٥٦٦م^(٤) ، وهو السلطان العاشر من الملوك العثمانيين وكان قاسياً وعلاقاته غير جيدة بأهل الشام ، وله أعمال منها بناء الجامع السليمي والمدرسة السليمية^(٥) في المحل الذي دفن فيه والده سليم ، وقسم الأموال على الانكشارية ، وفي عهده خرج جان بردي الغزالي^(٦) حاكم الشام إذ رفض توليه للسلطنة فأعلن التمرد وأراد من خاير بك^(٧) أن يساعده في ذلك ، فأرسل السلطان سليمان حملة عسكرية وتم قتله سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١م^(٨) كما قام بفتح جزيرة رودس^(٩) سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢م^(١٠) والذي ساعد السلطان على ذلك ان حكام أوربا كانوا مذشغلين بحروب فيما بينهم سياسية ودينية في كل من فرنسا والمانيا وإسبانيا والمجر^(١١) وقد هنأه حكام روسيا والبندقية على ذلك النصر^(١٢) ، كما وحصلت في مصر ، وبلاد القرم ، بعض المشاكل فأرسل السلطان سليمان إليها القوات العسكرية لترتيب الأمور فيها^(١٣) ، وقد فشل السلطان سليمان بأخذ جزيرة مالطة^(١٤) ، إلا أنه فيما بعد أخذ تبريز وبغداد^(١٥) ، ومن أعماله المهمة توزيع علوفة^(١٦) الجوالي على العلماء والصالحين^(١٧) ، بشكل منتظم ، وهذه العلوفة لم تكن توزع في زمن الجراكسة^(١) ، كما قام ببناء

(١) ابن الحنبلي: بدر الحبيب ، ج ١ ، ص ٦٦٨ .

(٢) انظر الكرمي : نزهة ص ٢٥٢ .

(٣) فريد : تاريخ ص ٧٩ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، والكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٥٢ ، ٢٧١ .

(٥) وهناك في صالحية دمشق مدرسة وجامع تحمل نفس الاسم الا انها بنيت في عهد سليم والده للمزيد انظر

البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٧ ، ١٨٠ ، ٢١٤ ، ج ٢ ، ٩٢ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٣٣ .

(٦) للمزيد انظر الفصل الأول من البحث فقرة الأحوال السياسية في نهاية دولة الجراكسة ، والغزي : الكواكب

السائرة ، ج ١ ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، وابن طولون : مفاكهة ، ص ٣١٨ - ٣٤٧ ، و أبو نحل : جان بردي ص ٦٠

(٧) انظر الفصل الأول من البحث فقرة الأحوال السياسية في أواخر دولة الجراكسة ، وانظر الغزي : الكواكب

السائرة ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ ، وابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، أبو نحل : جان بردي ص ٦٠ .

(٨) الكرمي : نزهة الناظرين ٢٥٢ - ٢٧٠ ، وفريد : تاريخ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٩) رودس جزيرة في البحر من الثغور الشامية أو الجزرية وهي عبارة عن حصن مذبح وبينها وبين قبرص

عشرون ميلا ، للمزيد انظر الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٥٥ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٥٥ .

(١١) فريد : تاريخ ص ٨١ ، ٨٢ .

(١٢) نفس المرجع ص ٨٢ .

(١٣) فريد : تاريخ ص ٨٣ .

(١٤) انظر الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٤٣ ، والكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٥٥

(١٥) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٥٦ ، وللمزيد عن اعمال السلطان سليمان الحربية والسياسية انظر فريد:

تاريخ ص ٨٥ - ١٠٩ .

(١٦) العلوفة : لفظ عربي ، وهي المواد الغذائية اللازمة للحيوان ، ثم صارت للإنسان والحيوان ، ثم صارت

للراتب في الإدارة العثمانية ، رواتب العسكريين والمدنيين وكانت تحسب على أساس الأجر اليومي ثم صارت

تحسب على كل ثلاث شهور هجرية ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ١١٠ ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ٣١١ ،

ودهمان : معجم ، ص ١١٤ .

(١٧) الجوالي (المرتبات) : جمع جالية وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل استمرارهم في بلاد الإسلام

تحت الذمة وعدم جلاؤهم منها ، وهي الجزية وهي من اهل الحلال من الأموال لذا جعلت مذهب رواتب العلماء

أربعة مساجد في مكة المكرمة لم تستكمل إلا في زمن ابنه السلطان سليم^(٢) ، ووزع الاقطاعات^(٣) ، وأفرد له نجم الدين الغزي ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م ترجمة خاصة تشير إلى توليه السلطنة بعد موت أبيه سنة ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م ، وكان عدد من وزراءه قد بقوا في مناصبهم فترة طويلة تعدت فترة حكمه إلى حكم ابنه السلطان سليم و مراد بن سليم ، كان يحب العلم والعلماء ، وبنى العمارة السليمانية في القسطنطينية وكانت من أكبر المساجد فيها ، كما وبنى دار الحديث السليمانية في القسطنطينية ، وبنى التكية السليمانية في دمشق وتم ذلك البناء في سنة ٩٦٧هـ / ١٥٥٩م ، وأيضاً بنى طريق الحج الشامي وما فيه من قلاع أفادت الحج كثيراً ، وبنى في مكة المدارس الكبيرة^(٤) ، وكان عمر البوريني عشر سنوات بين وفاة سليمان ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م ، وولادة البوريني ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م^(٥) . وقد ذكره الكرعي بأنه كان سلطاناً عادلاً بقوله : " .. وكانت أيامه من غرر الزمان"^(٦) في اشارة إلى ميوله الواضحة تجاه هذا السلطان في الوقت الذي أقدم هذا السلطان على قتل ابنه وأحفاده ، وقد سار على نهج والده في اقطاع الأراضي للموظفين^(٧) . وقد وصفت بعض المراجع المعاصرة هذا السلطان بأنه كان على جانب من العقل وحب القانون إلا أن الشام في فترة حكمه الطويلة صارت في معزل بسبب انشغاله في الحروب ، فكان مثل أسلافه لا يهتمه سوى ضرب الاسكة، واقامة الخطبة، وجباية الأموال ، فكانت الشام تعد جزءاً صغيراً إذا ما قورنت بأملأكه الواسع ، كما و عرف عنه البطش فبعد أن ثار أهل حلب في بداية حكمه وقتلوا القاضي والمفتي ، أصدر قراراً بقتل جميع أهل حلب ، ولكن لولا تدخل الوزير الأعظم إبراهيم باشا الذي تولى الصدارة من سنة ٩٢٩هـ / ١٥٤٢م ، أي فترة حكم ١٧ سنة ، لقتل الجميع ، الا انه قتل فقط زعماء الثورة ، وحتى هذا الوزير لم ينجو من السلطان سليمان إذ قام بقتله ، وهذا أمرٌ أصبح سهل على السلطان سليمان بعد قتله أولاده وأحفاده كما مر سابقاً^(٨)، ومات هذا السلطان في سنة ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م^(٩) .

والمدرسين ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١١٠ ، ج٢ ، ١٣٧ ، وانظر ابن طولون : مفاهمة، ص ١٤٠ ، ودهمان : معجم، ص ٥٦ .

(١) الكرعي : نزهة الناظرين، ص ٢٦٣ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢٧٠ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٧ .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٥) الغزي : لطف السمر، ج١ ، ص ٣٥٦ ، والمجبي : خلاصة الأثر، ج٢ ، ص ٥١ وللمزيد انظر الفصل الثاني من البحث ، نسبه وأصحابه وتلاميذه الخ .

(٦) الكرعي : نزهة . ص ٢٥٢ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٥٣ ، ج٢ ، ص ١٩٧ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٩ ، وكرد : خطط ج٢ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ .

(٩) كرد علي : خطط ، ج٢ ، ص ٢٢٦ و ٢٢٨ .

الثاني : سليم ابن السلطان سليمان ، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م ، كانت مدة حكمه ثمان سنوات^(١) حكم من سنة ٩٧٤ هـ إلى ٩٨٢ هـ / ١٥٦٦ م إلى ١٥٧٤ م^(٢) ، وحين استلم الحكم هناك سفراء فرنسا والبندقية^(٣) ، ومات سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م^(٤) ، وتأثرت دمشق لموته^(٥) ، وكان عمر البوريني عشرون سنة . وفي عهده فتحت قبرس^(٦) وكانت سياسته ليست جيدة مع الرعية وكان قليل الاصلاحات إذا ما قورن بوالده سليمان ، كما وصفته بعض الدراسات المعاصرة بأنه لم يذكر اسمه في الشام الا على المنابر ، وكان يشرب الخمر ، كما وتخلى عن الحرب ولم يخرج كأسلافه إلى قتال الغزاة ، وفي يوم موته تم خنق أولاده الخمسة كما جرت العادة^(٧) واستردت في عهده اليمن بقيادة سنان باشا^(٨) سنة ٩٧٦ هـ / ١٥٦٩ م^(٩) ، لقد اتصف بالضعف و عدم قدرته الحفاظ على إنجازات والده وخاصة العسكرية منها ، وساعده بعض الوزراء على تحقيق الإستقرار في المملكة^(١٠) ، منها عقد الصلح مع النمسا ، ومع ملك بولونيا ، وتم تجديد المعاهدة مع فرنسا التي عقدت زمن والده^(١١) ، وتم فتح حلق الواد^(١٢) ، وبلاد تونس بعد استيلاء النصارى عليها بسبب الخلاف بين الحفصيين وكل هذه الانجازات العسكرية كانت بقيادة سنان باشا^(١٣) ، وفي سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٧٠ م ، تم فتح جزيرة قبرس التي كانت تابعة للبندقية فأرسل السلطان سليم المراكب البحرية ، وتمت محاصرتها الا انه تم تأجيل فتحها بسبب الشتاء ، ولما جاءت سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧١ م تمت محاصرتها ثانية وبقيت بيد الدولة إلى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٧٨ م^(١٤) ، فقد شهدت فترة حكم هذا السلطان أعمالاً حربية في البحار مع البندقية وإسبانيا ،

(١) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧١ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٨ و ٥٣ و ٥٤ ، والكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧١ .

(٣) فريد : تاريخ ص ١٠٩ .

(٤) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧١ - ٢٧٤ .

(٥) الغزي : الكواكب ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٦) انظر الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

(٧) كرد علي : خطط ج ٢ ، ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

(٨) سنان باشا : هو يوسف بن عبد الله ولي الحكومة في مصر في عهد السلطان سليم الثاني سنة (٩٧٥ هـ /

١٥٦٧ م) وهو صاحب فتح اليمن وتونس والعمارات من جوامع ومدارس وخانات وحمامات في بلاد الشام ،

ومصر ، والقسطنطينية مات سنة (١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦ م) . الكرمي : نزهة ص ٢٧٢ ، وللمزيد انظر المحبي :

خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٧ .

(٩) فريد : تاريخ ص ١١٠ .

(١٠) فريد : تاريخ ص ١٠٩ - ١١٣ .

(١١) للمزيد عن تلك المعاهدة انظر فريد : تاريخ ص ١٠٢ - ١٠٩ .

(١٢) حلق الواد : قلعه بناها الإفرنج في تونس وهي من الحصون المنيعه ، انظر البكري : محمد بن أبي السورور

الصدريقي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، وذيله اللطائف الربانية على المنح

الرحمانية ، تحقيق ليلى الصباغ ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ١٩٩٥ ، ص ٢٠٠ وسيشار له

لاحقا البكري : المنح الرحمانية .

(١٣) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، للمزيد انظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٢١٥ - ٢١٨ .

(١٤) للمزيد انظر فريد : تاريخ ص ١١٠ - ١١٣ .

وكانت الانتصارات تارة للقوى الغربية وتارة للقوة العثمانية ، وكانت أخبار الهزيمة تؤثر على الناس في القسطنطينية فكانوا يهجمون على المسيحيين ، إلا أن الدولة تصدت لهؤلاء الناس وحفظت المسيحيين^(١) ، ويبدو ان تراجعاً حدث في أيامه ، حيث صالحت الدولة العثمانية جمهورية البندقية سنة ٩٨٠ هـ / ١٥٧٣ م ، وتنازلت عن قبرص^(٢) ، وكذلك من أعماله تجديد المسجد الحرام وزيادة حصتهم من المواد الغذائية وخاصة الحبوب^(٣) ، ومن أهم الوزراء الذين تولوا الوزارة في عهده الوزير سنان باشا^(٤) الذي تولى مصر سنة ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م ، وبقي تسعة أشهر ثم تولى قيادة فتح اليمن^(٥) ، بعد ذلك رجع مرة أخرى وتولى الوزارة سنة ٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م ، وله الكثير من الانجازات العمرانية^(٦) منها الجامع بدمشق خارج باب الجابية والحمام والسوق وخانات ، وله في مصر واليمن والقسطنطينية والشام مساجد ومدارس وحمامات تقدر عدد الأبنية التي أنشأها بمائة بناء^(٧) وقام بالعديد من أعمال العمران^(٨) ، وتولى نيابة دمشق في عهد السلطان مراد الثالث^(٩) ابن السلطان سليم . كما وتولى الوزارة أربع مرات^(١٠) ، ومن خلال الدراسة الدقيقة لتراجم البوريني يبدو أن المعلومات حول السلطان سليم تبدو مرتبكة وغير واضحة المعالم ، على عكس السلاطين الآتي ذكرهم ولكن يبدو أنه يميل إلى هذا السلطان من خلال الوصف الذي وصفه به أثناء ورود اسمه من خلال ذكر نسب أحد السلاطين فيقول عنه البوريني "المرحوم السلطان مراد ابن المالك الملك الكريم ، حضرة السلطان سليم"^(١١) ، وفي زمنه تم تعيين أحد الوزراء سرداراً للعساكر وهو مصطفى باشا لقيادة بعض العساكر ، كما وعرفت فترة حكمه بنشوء صراعات بين الأمراء مثلما حصل بين هذا السردار والوزير سنان باشا وأراد قتله إلا انه فشل^(١٢).

ثالثاً : السلطان مراد الثالث ابن سليم بن سليمان القانوني ، تولى الحكم بعد والده سنة ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م^(١٣) ، حكم من سنة ٩٨٢ هـ إلى ١٠٠٣ هـ / ١٥٧٤م إلى ١٥٩٤م ، فقد أورد البوريني أخبار

(١) فريد : تاريخ ، ص ١١٣ .

(٢) نفس المرجع ص ١١٢ .

(٣) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٣٧٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٤ ، الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧١ .

(٥) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٢٧٤ .

(٧) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .

(٨) للمزيد انظر نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢١٥ - ٢١٨ .

(٩) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٢١٦ .

(١٠) للمزيد انظر ترجمته في نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٧ .

(١١) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(١٣) كرد : خطط ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

السلطان مراد الذي كان مهتماً بمطاردة السكبانية^(١) وزعيمهم "اليازجي" وهو من طائفة السكبانية وله علاقة مع حاكم صفد، وتدخل في الأمور السياسية في إقناع حاكم صفد بعدم تسليمها إلى الحاكم الجديد^(٢)، وقد عين هذا السلطان الوزير حسن باشا بن محمد باشا لغرض التوجه لقتال اليازجي، ومطاردة حسين باشا حاكم الحبشة السابق الذي انتهى به الأمر إلى الصلب^(٣)، وكان هذا السلطان يتقن اللغات الثلاثة المشهورة في تلك الفترة وهي العربية والفارسية والتركية^(٤)، وهو من السلاطين الذين اهتموا بالتصوف^(٥)، وقد عُرفت فترة حكمه بالاعتدال وحبه للعلماء والسادات، ومن أهم وزرائه سنان باشا^(٦)، "الوزير الأعظم" الذي يعرض الأمور المهمة على السلطان^(٧)، ومن الوزراء العظام أيضاً إبراهيم باشا الذي عرض أمر والي صفد المعزول درويش باشا إلى السلطان وتم صلبه، ومنهم أيضاً النائب أحمد باشا الحافظ، والوزير الأعظم مراد باشا الذي عرض أوراق ومكاتيب من حكام دمشق وأكابرها إلى السلطان أحمد بخصوص السكبانية وضرورة طردهم من حلب^(٨)، ويصف البوريني ذلك المنصب بقوله: ".... فلما أن مراد باشا ... وصل إلى الوزارة العظمى، والصدارة الكبرى، وصار إليه الحل والعقد والقبول والرد ..."^(٩) في إشارة إلى أهمية هذا المنصب وقربه من السلطان، كما وتم تعيين سنان باشا من قبله حاكماً على بلاد قرمان^(١٠). ومن أعماله الأخر بأنه أصدر أمراً بمنع شرب الخمر الذي شاع أيام والده السلطان

(١) وهو لفظ فارسي السك وتعني الكلب بلغتهم، وبان تعني صاحب أو حامي وهي تكون بمعنى صاحب الكلب أو حامي الكلب، وقت الصيد ثم صار الاسم لمن كان موصوفاً بالبطالة، والفراصة، انظر البوريني، ج ٢، ص ٢٥٤، والسكبانية عبارة عن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقود الكلب في ساجوره ويمشي إمام الأمير أو الكبير، حين يسير الى الصيد للمزيد انظر ترجمة عبد الحلیم اليازجي نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٩ أي مدرب الكلاب.

(٢) للمزيد انظر ترجمته عند البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢٥٩ وما تلاها، ص ١٤٥، وانظر المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣) البوريني: تراجم، ج ٢، ص ١٤٥، ٢٦٢، ٢٦٧، والكرمي: نزهة الناظرين، ص ٢٧٥، وفريد: تاريخ ص ١١٣.

(٤) المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٤١، وانظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢٠، ١٢٢، ٣١٨، ١٣٩، ١٥٧، ج ٢، ص ٣٥، ٣٦.

(٥) عرفت بلاد الشام انتشار التصوف فقد ورد ذكر للصوفية عند ابن طولون أيام المماليك، واستمرت وزادت أيام العثمانيين، للمزيد عن التصوف انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٩، ٣٦، ٣٨، ج ٢، ص ١٣٨، ١٣٩، وانظر ابن طولون: مفاكهة، ص ٧، ٨، وانظر المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٤٢، و عون: التصوف الإسلامي ص ١٠٢ - ١١٠.

(٦) الغزي: لطف السمر، ج ٢، ص ٦٤٨ وما تلاها.

(٧) للمزيد انظر ترجمة سنان باشا نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٨ - ٢٣٤، ص ٢٦١، وانظر، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٨) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٤٦، ١٩٩، ج ٢، ص ٢٦١، ٢٨٣.

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٨ - ٢٣٤.

(١٠) بلاد قرمان: بفتح أوله إسكان ثانية بعده ميم، وتقع جنوب الأناضول، للمزيد انظر البكري: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) معجم، ما أستعجم من أسماء البلاد والمواقع، ج ٤ تحقيق مصطفى ألسقا، عالم الكتب بيروت، ١٩٤٥، ج ٣، ص ١٠٦٦. وسيسار له لاحقاً البكري: معجم.

سليم^(١) ، وقد ثار الانكشارية لذلك الأمر وأجبروه على إرجاعه بشكل قليل بشرط أن لا يذهب العقل ، كما وعين درويش آغا ضابط القابي قولي^(٢) ومعه الوزير أحمد باشا الحافظ لقتال الأمير فخر الدين المعني الثاني^(٣) ، وقام بقتل أبناءه الثلاثة كي لا يدخل في صراع معهم وهو بذلك سائر على نهج من سبقه خاصة جده السلطان سليمان الذي قتل أبناءه الخمسة^(٤) ، والسلطان سليم الذي دخل في صراع مع والده بايزيد بسبب قوته العسكرية^(٥) ، وفي زمنه حصلت مشكلة مع الموارنة فأرسل لهم جيشاً إلى لبنان من سواحل طرابلس بسبب أنهم قاموا بتخريب تلك البلاد ، وشهدت فترة حكمه صراع بين الأمراء حول نيابة الشام وتعرض الخزينة القادمة من مصر إلى القسطنطينية للذهاب ، وتمادي الموظفين المرسلين من قبله للتفتيش عن أموال السلطنة ، فقد طغوا ونهبوا وسجنوا الأبرياء وكثر في وقته أكل حقوق الأهالي في بلاد الشام وخاصة دمشق ، وسجل البوريني أخباراً مهمة ، ان هذا السلطان كان لا يقبل على تلك الأعمال ، فقد أمر بصلب ذلك الموظف الذي طغى وسجن العلماء^(٦) ، وشهدت أيضاً فترة حكمه علاقات سيئة مع الدروز بسبب حاكم طرابلس الذي قدم شكايات إلى نائب الشام حول سرقة الخزينة واتهم بها الدروز^(٧) ، وفي المغرب الأقصى حصلت فتنة داخلية في مملكة مراكش على سلطانها ، فأرسل السلطان قوة لمساعدة سلطان مراكش^(٨) ، كما وكثر تجنيد الأفراد وكثر العسكر ووجه الحملات العسكرية إلى المجر^(٩) وفتح منها المدن الكبيرة^(١٠) ، وصارت بولونيا تحت الحماية العثمانية ، ودخلت الدولة في معاهدة صلح مع النمسا سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م وتم تثبيت بولونيا من ضمن الأملاك التابعة للدولة^(١١) ، ومن الأمور المهمة التي تسجلها المصادر في عهده ان علاقة الدولة مع فرنسا والبندقية تحسنت كثيراً. فقد تم تجديد

(١) فريد : تاريخ ص ١١٣ ، كرد : خطط ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) قابي قول : تحريف للكلمة التركية قبو قولي وقبول تعني باب وقول تعني عبد وتعني عبيد الباب إي عبيد باب السلطان وأصبحت تطلق على جند السلطان وحرسه ، وهم موظفين تابعين للبلوكباشي ، يجبون الأموال من المحال التجارية وقد عرفوا بالفساد والظلم ، للمزيد انظر ترجمه درويش آغا ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، وانظر صافي : خالد ، حسين باشا مكي ، مقالة منشورة في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) مج ١ ، ٣ ، العدد ٢ يونيو ٢٠٠٥ م ، ص ٤١ .

(٣) فخر الدين المعني : الأمير فخر الدين بن قرقاس بن معن الدرزي الأمير المشهور من طائفة كلهم أمراء ومسكنهم بلاد الشوف ، وتولى الإمارة من قبل السلطنة واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا ، وصفد وبيروت وغيرها وحكم من صفد الى أنطاكية ومعه السكبان ، مات سنة ١٠٤٣ هـ للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، والمحبي : خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٤) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٥٣ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٣٤١ .

(٥) للمزيد انظر الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٤٥ ، وانظر فريد : تاريخ ص ١١٣ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، وكرد : خطط ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، ونفس المرجع ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

(٨) فريد : تاريخ ص ١١٤ .

(٩) المجر : اسم يطلق اليوم على شعب هنغاريا وهي تقع في قارة أوروبا في الدانوب ، وعاصمتها بودابست وخضعت لفترة طويلة إلى حكم العثمانيين للمزيد انظر مجموعته من العلماء والباحثين : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٧ ، المكتبة العصرية بيروت - صيدا ط ٣ ، ٢٠١٠ ، ج ٧ ص ٣٥٢٣ ، ج ٦ ص ٣٢١٨ .

(١٠) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٥ .

(١١) الكرمي : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٥ ، وفريد : تاريخ ص ١١٣ .

الامتيازات التجارية ، وحصلت انكلترا على امتيازات خاصة ، إذ وافق السلطان مراد على السفن الانكليزية بان تحمل علمها أثناء التجارة كما كانت الحال عليه في زمن والده سليم وجده سليمان^(١) ، وشهدت فترة حكمه السيطرة على مدينة تبريز^(٢) بقيادة لاله مصطفى باشا^(٣) .

السلطان الرابع : محمد بن مراد بن سليم بن سليمان القانوني^(٤) تولى الحكم من سنة ١٠٠٣ هـ إلى ١٠١٢ هـ / ١٥٩٦ م إلى ١٦٠٣^(٥) ، وكالعادة قام بقتل اخوته التسعة عشر ، وتولى في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م الإمارة في زمن والده مراد^(٦) وكان عمره لا يتجاوز السبعة عشرة سنة^(٧) ، عرفت فترة حكمه بسوء الأوضاع الداخلية والخارجية منها صراعات بين الوزراء في دمشق وفساد مالي ، ومنها سوء العلاقة بين الوزير الأعظم حسن باشا ابن محمد باشا الوزير الأعظم^(٨) وبين السردار فرهاد باشا الذي قام بتزوير أحد الكتب بإضافة مبالغ مالية تم صرفها على بناء القلاع وطلب من الوزراء إن يوقعوا على ذلك الكتاب ، وكان منهم حسن باشا فرفض ذلك يقول البوريني : "... إن فرهاد باشا المذكور بنى بعض القلاع في ديار الشرق ، ورفع حساب كلفته في دفتر ، وطلب من بقية الأمراء امضاء ذلك الدفتر ، فمنهم من أمضاه ، ومنهم من رده وما ارتضاه ، وبلغنا أن حسن باشا عرض إلى حضرة الخونكار ، المبلغ الذي رفع حسابه فرهاد باشا السردار ، في بناء القلاع ليس كما ذكر بل زاد على جانب السلطنة شيئاً كثيراً .."^(٩) بعد ذلك قام الوزير الأعظم بالرحيل خوفاً من السردار يقول البوريني : "... ورحل من حينه ، خوفاً من إسراع حينه ، لأن السردار قادر على قتل من أراد من الأمراء ، وإن كان حسن باشا ، معدوداً في إمارته من أقران الوزراء ..."^(١٠) ، كما وشهدت فترة حكم هذا السلطان سوء علاقة أهالي حلب وعسكر الشام

(١) الكرمني : نزهة الناظرين ص ٢٧٥ ، وفريد : تاريخ ، ص ٢٢٩ .
(٢) مدينة تبريز : وقد يقال توريز قصبية ولاية أذربيجان من بلاد فارس تعد الثانية بين مدن فارس المشهورة وهي مسورة وفيها بساتين تزرع فيها ألفواكه مثل ألمشمش والخواخ وفيها أنهار وجوها حار جاف المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٣٤٧ ، وانظر فريد تاريخ ص ١١٤ ، وانظر البستاني : بطرس ، دائرة المعارف ، ج ١٢ دار المعرفة بيروت - لبنان ج ٦ ص ٣٤ ، ٣٥ وسيشار له لاحقاً البستاني : دائرة المعارف .
(٣) لاله هو مربي السلطان ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٣٤ وانظر دهمان : معجم ، ص ١٣٣ .
(٤) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .
(٥) الكرمني : نزهة الناظرين ، ص ٢٧٧ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٢١٦ ، وانظر فريد : تاريخ ص ١١٧ .

(٦) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٢١٦ .
(٧) المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٤ ، ص ٢١٦ ، وفريد : تاريخ ص ١١٧ .
(٨) حسن باشا ابن محمد باشا الوزير الأعظم تولى الشام ثلاث مرات وكانت علاقته سيئة مع قائد العساكر فرهاد باشا بسبب أمور مالية اضطرتته من أرزن الروم إلى الاستانه خوفاً من فرهاد السردار ، وهو الوحيد من الوزراء من تقلد الشام ثلاث مرات ، للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤١ إلى ١٦٤ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج ٢ ، ص ٤٠ وما تلاها .
(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٦٥ ، وفريد : تاريخ ص ١١٨ .
(١٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٤١ ، ١٤٢ .

بسبب أن أهالي حلب لم يقبلوا دخول العسكر الشامي بعد فراغه من قتال عبد الحلیم اليازجي^(١) وجماعة السكبانية الذين كانوا يتسلحون بالتفنگك^(٢)، وقد سيطروا على غالب البلدان والنواحي، فكان لهم تأثير في فقدان الأمن ويصف البوريني ذلك بقوله: " .. حتى ان خزينة مصر قدمت إلى الشام ومكثت نحو أربعة أشهر في ميدانها الأخضر الغربي، ثم رجعت إلى مصر، ولم يستطع من معها من عسكر السلطان ولا عسكر دمشق أن يوصلها إلى مقر السلطنة قسطنطينية .."^(٣)، وبعد وفاة عبد الحلیم اليازجي استلم مهامه بعده أخاه حسن وكان شجاعاً والتف حوله السكبان، مما دفع الوزير حسن باشا المعين من قبل السلطنة لقتالهم، ودار القتال وانهزم عسكر السلطان^(٤)، لمرتين، مما دفع حسن باشا الهروب إلى قلعة توقات، بعد ذلك هجم جماعة حسن اليازجي على مدينة توقات، وتم محاصرة " .. أبواب القلعة .." من قبلهم^(٥) وقتل الوزير حسن باشا^(٦).

بعد ذلك اختلف أهل آمد مع حسن اليازجي، فذهب إلى مدينة بلغراد، فوضعه حاكمها في القلعة مكرماً، ولكنه محبوس في الداخل، وتم عرض أمره على السلطان فأصدر حكماً بقتله وقطع رأسه^(٧)، وأشار البوريني في تراجمه إلى السبب الداعي إلى خروجهما، بأنهما كانا يريدان مناصب في الدولة، فكان عبد الحلیم يريد ولاية الروم، وشقيقه حسن يريد صنجق جروم في بلاد سيواس^(٨)، وفي زمن هذا السلطان تم تعيين عدة قادة عسكريين لغرض قتالهم في اشارة إلى قوة جماعة اليازجي وتمكنهم من ارباك السلطة، فمنهم السردار الوزير حسن باشا، حيث قام العسكر الشامي بفرض حصاراً قاسياً على حلب مما أدى إلى ارتفاع أسعار الحبوب واللحوم فيها^(٩)، ولما رأى السلطان قوة جماعة اليازجي أراد أن يضع حلاً فقام بتقديم الهدايا والوظائف ليأمن قوتهم وسطوتهم، لأن الدولة كانت تشتبك بحروب مع المجر والنمسا وتواجه ثورات داخلية في بلاد الأناضول^(١٠)، كما وشهدت فترة حكم هذا السلطان أعمال شغب منها ما قام بها السباهية^(١١) الذين

(١) هو رجل من طائفة السكبانية كانت له علاقة مع حاكم صفد، تدخل في الأمور السياسية في إقناع حاكم صفد بعدم تسليمها إلى الحاكم الجديد للمزيد انظر ترجمته عند البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٥٩ وما تلاها، ص ١٤٥،، والمحيبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص ٣٢٢

(٢) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٥٤، ٢٥٩.

(٣) للمزيد انظر نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٥.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٧.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٧.

(٦) انظر القصة كاملة في سبب قتله، نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٧) البوريني: تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٢٨.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٨.

(٩) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٥٥، ١٥٦.

(١٠) فريد: تاريخ ص ١١٩.

(١١) السباهية: اللفظ في الأصل سباهي، نسبة إلى سباه جند، وهم جنود فرسان عثمانيون على درجات كانوا مقيمين في المزارع أو الأراضي التي اقطعت لهم وكانوا معييين من جميع التكالييف، للمزيد انظر دهمان: معجم، ص ٨٨.

طلبوا مزيداً من المزارع^(١)، إذ قاموا بالهجوم على المساجد الموجودة في القسطنطينية، مما اضطرت الدولة إلى الاستعانة بالانكشارية^(٢)، لا عادة الأمن والاستقرار، وكانوا يشكلون قوة لا يستهان بها فلو انهم تحالفوا مع السباهية لأصبحت الدولة داخلياً وخارجياً مهددة بالانهيار، فقد تدهورت المؤسسة العسكرية في زمن هذا السلطان^(٣)، وحصلت بين عساكر أحد الوزراء وعساكر السلطان في يوم الأربعاء المصادف ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م مشكلة، ذلك أن الجنود السلطانية ثاروا على جنود الوزير أحمد باشا، وقتلوا منهم جماعة تقريباً العشرين جندياً، وكان سبب هذه الفتنة ان أحد جماعة الجنود السلطانية كان سكراناً، ومر على باب السعادة^(٤)، وهي مقر أحمد باشا، فدخل إلى تلك الدار فقتل من كان موجوداً في الدار، ويصف البوريني الحدث فقد شاهد تلك الجماعة بقوله: "وقد أتفق رؤيتنا لجمعهم وثورانهم عند سوق المؤيدية تحت القلعة، ذلك إن حضرة الباشا الكبير المذكور (أحمد باشا) دعانا إليه وهو بالميدان الأخضر لمصلحة تتعلق ببعض المشايخ، ودعا صاحبنا عبد الحي أفندي الكردي، فذهبنا معاً. فبينما نحن بالسوق المؤيدي وإذا بغوغائهم قد ارتفعت، واجتمعوا نحو ثلاث مئة، فقلت لعبد الحي أفندي: إرجع، فإن الذهاب إلى الباشا غير مناسب...."^(٥) ومن أعمال هذا السلطان فتح مدينة أكرى^(٦)، وقيادة الجيوش التي استطاعت تدمير عساكر المجر والنمسا تدميراً كاملاً وهو ما لم يستطع جده السلطان سليمان من فتحها^(٧).

السلطان الخامس: أحمد بن محمد بن مراد بن سليم بن سليمان^(٨)، كان يلقب بالخابان الأسعد^(٩)، والخونديكار الأوحد^(١٠)، تولى الحكم من سنة ١٠١٢ هـ إلى ١٠٢٦ هـ / ١٦٠٣ م إلى ١٦١٧ م

(١) فريد: تاريخ ص ١١٩.

(٢) انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٣٢٠، ٣٢٣، ج ٢، ص ١٤٨، ٢٨٧، وانظر دهمان: معجم، ص ١٥٨.

(٣) فريد: تاريخ ص ١١٩.

(٤) في دمشق وهي مقر حاكم الشام أو نائب الشام، وتسمى أيضا دار الحكومة والتي دخلها الوزير سنان باشا في دمشق سنة (١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م) وقد دخل فيها البوريني وسلم على الوزير ورأى عنده قاضي القضاة إبراهيم أفندي الازنيقي المنفصل عن القضاة في وقته ومعه تاج الدين أفندي الشهير بابن تاج الدين القاضي سابقا بدمية، للمزيد انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٣٢٨، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٥) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٠٣.

(٦) أكرى: تقع شمال بلاد المجر قرب فينا ومعناها الاعوج. انظر الكردي: نزهة الناظرين، ص ٢٧٧.

(٧) فريد: تاريخ ص ١١٨.

(٨) للمزيد انظر، ترجمته عند البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٢٣ وما تلاها، وترجمته عند الغزي: لطف السمر، ج ١، ص ٢٧١ وما تلاها.

(٩) خاقان تعني السلطان الأعظم، أصلها قان قان، وقيل هي الرسم العربي للقب السلاطين الأتراك (قاغان)، وهو معروف من المغول والمماليك وقد تلقب به السلطان سليمان القانوني، انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٢٣، وبركات: الألقاب والوظائف ص ١٩، ٢٠.

(١٠) أصل الكلمة (خداوند كار) يعني الاله ويستعمل أيضا للتعظيم وهو غاية التعظيم (تابكي)، وكان السلاطين يسمون به لانهم ظل الله في الأرض، انظر البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٢٣، ج ٢، ص ٥٥، ١٤١، وقد اورد البوريني باسم حضرة الخنكار سليم الثاني، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٦٩.

وحكم مدة أربعة عشر سنة وأربعة اشهر^(١) ، وقد تم تزيين دمشق فرحاً بتوليته الحكم^(٢) وفي فترة حكمه توفي الحسن البوريني مؤلف تراجم الأعيان سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م^(٣) ، وفي زمن توليه السلطنة اقتربت الدولة من الزوال بسبب السكبان وصار لا يؤمن على مال الدولة منهم^(٤) ، كان هذا السلطان محباً لآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمثل بذلك قيمة روحية من قيم ذلك العصر في بلاد الشام^(٥) . فقد سجل البوريني الكثير من تلك القيم^(٦) . لقد خالف هذا السلطان سنن أسلافه فلم يقتل أخاه مصطفى بل أمر بحجزه ، وقد شهدت فترة حكمه تدهوراً في شؤون الدولة بسبب الحروب مع النمسا ومع شاه عباس ملك العجم^(٧) ، وظهور حركات قوى محلية طالبت بالاستقلال منها حركة الأكراد بقيادة علي ابن جان بولاط^(٨) ، وحركة الدرروز بقيادة زعيمهم الأمير فخر الدين المعني الثاني^(٩) ، وتم تعيين عدة وزراء لغرض إعادة الاستقرار إلى بلاد الشام ، منهم الوزير الأعظم مراد باشا^(١٠) ، و سنان باشا^(١١) الملقب (كجك سنان)^(١٢) الذي كان أحد اصحاب البوريني وتعاهدا على الاخوة والمصاحبة^(١٣) ، في اشارة إلى تدهور الوضع وإصرار مطالبة هذه القوى للاستقلال ، وخلال انشغال السلطان بالحروب الداخلية والخارجية (القوى المحلية) و

(١) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٧٩، ٢٨١ .

(٢) الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٧٧ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٢٥ .

(٥) المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٨٤ .

(٦) وللمزيد عن بعض قيم ذلك العصر انظر البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٥، ج ٢، ص ٥٦، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢١، ٣٢٩، وانظر البحث نفسه الفصل الرابع، قيم العصر .

(٧) لقب هذا الشاه الكبير وتولى الملك بعد محمد مرزا سنة (١٥٨٥ م) ، وانتصر على قبائل الازبك وانتصر على الترك وارجع المدن التي اخذها الأتراك وتمكن من طرد البرتغاليين من مضيق هرمز ، حكم مدة ٤٣ سنة وتعد فترة حكمه فترة حكمة وسداد ، للمزيد وانظر الغزي : لطف السمر، ج ١، ص ٢٧٣ ، انظر فريد : تاريخ ص ١٢٩ .

(٨) الأمير علي بن أحمد ابن جانبلاط ابن قاسم الكردي تولى عدة مناصب منها أمير لواء الاكراد بحلب مات بحدود سنة (١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، انظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٣٥ وما تلاها ، ج ٢، ص ٢٦٧ ، جان بولاد : وتعني بالعربية (من نفسه كالبولاد لشدة بأسه وقوته) ، انظر فريد : تاريخ ص ١٣٠ .

(٩) الأمير فخر الدين بن قرقاس بن معن الدرزي الأمير المشهور من طائفة كلهم أمراء ومسكنهم بلاد الشوف، وتولى الامارة من قبل السلطنة واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا ، وصفد وبيروت وغيرها وحكم من صفد إلى انطاكية ومع السكبان ، مات سنة ١٠٤٣ هـ للمزيد انظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٦٦ وما تلاها .

(١٠) الوزير مراد باشا في عهد السلطان احمد ، صاحب الحروب على المجر وبلاد العجم والجلالية تقلد عدة مناصب منها حاكم للحيشة واليمن زمن السلطان مراد ، وكان يحب العلماء والصالحين وله ابنية في اليمن وتولى نيابة دمشق زمن السلطان مراد وزمن السلطان احمد تم تعيينه سردار للعساكر لقتال علي ابن جانبلاط وانتصر عليه ، مات سنة (١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٥ - ٣٥٨ .

(١١) سنان باشا في الأصل من مماليك الأمير الكبير محمود باشا المقتول في مصر سنة (٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) تولى حكم دمشق سنة (١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م) ، تولى حكم دمشق من قبل الوزير الأعظم مراد باشا ، للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٢٨ وما تلاها .

(١٢) وهو لقب أطلق على حاكم دمشق ، وتعني قصير القامة فقد كان سنان باشا حاكم دمشق قصير القامة ، للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٢٨ ، وانظر كجك ملا وهو الشيخ علاء الدين ابن عماد الدين الشهير عند العرب بالاحدب ، وعند الروم بكجك ملا ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧٢ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٦٧ .

(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٣٠ .

(حروب الشاه عباس)، استغلت النمسا الوضع وقامت بمعاملة أهل المجر معاملة سيئة مما دفع السلطة إلى التدخل بشكل سريع لإنقاذ موقف أهل المجر، فتم عقد إتفاقية مع النمسا سنة ١٦٠٦م^(١)، لمدة عشرين سنة^(٢)، وقد انشغلت الدولة بحروب بحرية مستمرة مع سفن مالطة، وإسبانيا وإيطاليا، وكانت الانتصارات عادة إلى جانب هذه السفن في البحر المتوسط^(٣)، وفي عهده تم تجديد العهود مع فرنسا وبولونيا، وتم منح هولانده (بلاد الفلمنك) امتيازات تجارية^(٤). لقد اتسمت سياسته بالقسوة مع موظفيه الكبار، فقد قام بقتل أربعة عشر من الوزراء الصدور العظام، وكان مهتماً بالعمارة ومنها عمارة الحرمين الشريفين، وبناءه جامعاً في القسطنطينية^(٥)، وله أوقاف كثيرة في بلاد الشام ومصر^(٦) وكان عدد وزرائه سبعة وهم "علي باشا ياوز، ومحمد باشا البوسنوي، ودرويش باشا، ومراد باشا، ونصوح باشا، ومحمد باشا، وخليل باشا"^(٧).

ويبدو من تراجم الحسن البوريني اهتمامه باحوال الوزراء وقد ورد لديه معلومات وتراجم لعدد منهم:

أولاً: .الوزير أحمد باشا شمسي : كان معاصراً للسلطين، أولهم السلطان سليمان القانوني ثم ابنه السلطان سليم وابنه السلطان مراد^(٨)، وكان قريباً من السلطة لانه تربى في بيت السلطنة، حيث عينه السلطان سليمان القانوني حاكماً على بلاد الشام وصار أميراً للأمرء بها لفترة طويلة، قام ببناء الخانقاه مقابل قلعة دمشق من جانبها القبلي، وكان محباً للصوفية وللعلماء، وله أوقاف وقد لقب " بشمسي " وذلك كانت من عادة الأروام (العثمانيين) يلقبون الشعراء بهذه الألقاب، فقد كان شاعراً من شعراء الأروام^(٩)، وله مؤلفات منها ديوان شعر معروف عند العثمانيين، وله كتاب اسمه : (الوقاية في فقه الامام الأعظم أبي حنيفة) وكان قد ألقه باللغة التركية^(١٠)، وعزل بعد ذلك عن دمشق وتولى حكومة بلاد الروم جميعها بسبب مشكلة حصلت بينه وبين قاضي القضاة محمد أفندي ابن المفتي ابي السعود^(١١).

(١) فريد : تاريخ ص ١٢٠.

(٢) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٧٩ .

(٣) فريد : تاريخ، ص ١٢١.

(٤) نفس المرجع، ص ١٢٢، ١٢٣ .

(٥) نفس المصدر، ص ٢٨١.

(٦) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٨٩، ٢٩٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٩٢.

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٠.

(٩) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٨، ١٨٩.

(١٠) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٩.

(١١) المفتي أبي السعود الحنفي : وهو من موالى الروم (ت ٩٨٣هـ / ١٥٧٥م) ومن أعيان الدولة شغل وظائف عديدة التدريس والإفتاء في القسطنطينية علاقتة جيدة مع السلطان سليمان، وله مؤلفات منها تفسير القرآن الكريم يقول عنه البوريني انه تفسير معروف ومقبول للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٨ - ١٩٠.

ثانياً: الوزير حسن باشا : ابن محمد باشا الوزير الأعظم^(١) شغل عدة مناصب منها كفالة حلب ثم بعدها تولى كفالة الشام سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٨ م في زمن السلطان مراد وابنه محمد^(٢) ثم تولى أرزن الروم ثم ولاية اناطولي في بلاد الروم^(٣)، كانت علاقته غير جيدة مع السردار (قائد العساكر) فرهاد باشا بسبب تزوير الأخير للكتاب الذي أراد رفعه للسلطان ، وطلب من المسؤولين التوقيع ، إلا ان الوزير حسن باشا رفض التوقيع عندما تبين له ان فرهاد زاد المبلغ ولم يذكره كما هو ، وهي اشارة للفساد المالي والإداري في المؤسسة العسكرية والمالية^(٤) وقد أزجح هذا التصرف السردار، فسافر الوزير خوفاً منه ، ويبين البوريني ذلك بقوله : "... ورحل من حينه ، خوفاً من اسراع حينه^(٥) ، لأن السردار قادر على قتل من أراد من الأمراء .."^(٦) وبعد ولاية أرزن الروم تولى الشام للمرة الثانية سنة ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩ م^(٧) ولمدة سنتين أو أكثر، ثم عزل في المرة الثانية ورجع للشام حاكماً بها للمرة الثالثة^(٨)، في اشارة إلى تدهور الوضع وارتبائه في بلاد الشام من خلال كثرة تعيين وعزل الأمراء ، ومن الامور التي سجلها البوريني في عهده طغيان بعض موظفي السلطنة ومنهم موظف يدعى محمود الملقب (تكري يلماز أي الذي لا يعرف الرب)^(٩) تم تعيينه من قبل السلطنة للتفتيش عن أموال تم أخذها من قبل أسرة بني الخطاب ، يسميهم البوريني "... الأشقياء بني الخطاب خذلهم الله تعالى " ، الذين اكلوا إرث أجددهم^(١٠) في اشارة إلى الفساد الاداري والمالي في مؤسسة القضاء المعنية بهذه الأمور ، وكان الحدث في زمن هذا الوزير في عهد السلطان مراد ، ولما قام الموظف محمود بالتفتيش عن الأموال تجاوز ووصل به التجاوز إلى سجن العلماء والقضاة ، وابتز التجار وظلم الناس لمدة تسعة أشهر^(١١) ، وكان رد الوزير قاسياً فتم صلب ذلك الموظف المتجاوز^(١٢)، ويذكر المحبي نفس القصة التي أوردتها البوريني^(١٣)، بعد ذلك عزل هذا الوزير عن الشام وتولى الروم ثم صدر بحقه أمر يقضي بقتله ، ولما بحث عن أصل ذلك الأمر تبين انه من

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤١ .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤٠ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٤١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٤١ ، ١٤٢ وللمزيد انظر المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤٠ .

(٥) حينه : أي أجله .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٤٢ .

(٧) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤١ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٤٣ .

(٩) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤١ .

(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٣ .

(١١) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤٢ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٤ .

(١٣) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٤١ ، ٤٢ .

تدبير نساء السلطنة ، لان والدة السلطان مراد تکرههکما أورد البوريني^(١) في اشارة إلى الدور الذي كانت تلعبه النساء في إصدار القرارات المهمة ، الا ان السلطان عفا عنه وولاه حكم بغداد ، وتولى بعدها قيادة العساكر الموجهة لقتال عبد الحليم اليازجي^(٢) ، وفي زمنه تدهورت أحوال حلب بسبب العسكر الشامي الذي أراد الدخول إلى حلب للراحة من قتال اليازجي ، إذ يورد البوريني الخبر بقوله : ".... الذي صدر من النهب والغارة والقتل والخراب في حلب ونواحيها لم يفعل في مدينة قط...."^(٣) في اشارة إلى التدهور الذي لحق بالأهالي جراء العمليات العسكرية ، واستمر على القتال حتى مات مقتولا سنة ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣ م حسبما أورده المحبي^(٤) ، أو سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م حسبما أورده البوريني^(٥) .

ثالثاً: .الوزير أحمد باشا : تولى عدة مناصب في الباب العالي في زمن السلطان محمد ، منها قائم مقام الوزير الأعظم ابراهيم باشا سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م^(٦) ، وقائم مقام اي الذي ينوب عن الوزير الأعظم حين غيابه ويعرض الأمور المهمة على السلطان ويكون قريباً منه^(٧) ، لم يحكم الشام إلا انه جاء إليها في زمن السلطان محمد بن مراد بعد عزله من مصر فجاء إليها في طريقه إلى الباب العالي^(٨) .

رابعاً: .الوزير مراد باشا : تولى كفالة الشام في عهد السلطان مراد وقام بتعمير الاسواق منها سوق الطواقية عند باب البريد في نهايات سنة ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٣ م ، كما وبني قبة عظيمة عن يمين باب البريد^(٩) وقد شهدت فترة حكمه ازدياد حركات القوى المحلية التي تريد الاستقلال ، فقد أورد البوريني في ترجمة علي بك ابن جانبلاط تفاصيل ذلك الأمر^(١٠) وفي زمنه كثرت القلاقل وحركات العصيان^(١١) كما تولى مراد باشا كفالة الشام في زمن السلطان محمد^(١٢) وفي زمن السلطان أحمد في فترة الحروب مع الغرب والعجم تولى كفالة الشام وكان محباً للعلماء والصالحين^(١٣) بعد ذلك

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٥٩ وما تلاها ، ص ١٤٥ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .

(٢) انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٥٩ وما تلاها ، ص ١٤٥ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .

(٣) انظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ١٥٧ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٤٣ .

(٤) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ٤٥ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٦١ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(٩) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٤ ، ص ٣٥٦ .

(١٠) للمزيد انظر ترجمة علي بك ابن جانبلاط ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٧١ - ص ٢٩٦ ، وانظر نفس الفصل من البحث فقرة الأحوال السياسية والاجتماعية .

(١١) نفس المصدر ، ج٤ ، ص ٣٥٧ .

(١٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٨ .

(١٣) المحبي : خلاصة الأثر ، ج٤ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

عزل عن الشام وتولى كفالة حلب ، ثم ولاية روم ايلي مرتين (في بلاد الروم) ثم عين وزيراً أعظم سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م إلى أن مات سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م^(١).

خامساً: الوزير سنان باشا : الملقب (كجك سنان)^(٢) جاء الى الشام نائباً سنة ١٠١٧ هـ / ١٦١١ م في عهد السلطان أحمد بن محمد ، وكانت له مودة مع الوزير الأعظم مراد باشا، وعرف بأخلاقه الحميدة وعلاقاته الجيدة مع الناس خاصة الأعيان والأمراء والعلماء ومنهم الحسن البوريني ، وكان يقرب اليه القضاة وقاضي القضاة^(٣) ، كانت له في مصر أملاك وعقارات وخبول^(٤) ، وكان له الدور الأكبر في مطاردة السكبان^(٥) ومعهم بعض العرب الدفارين من العراق^(٦) ، وبعد كفالة الشام تولى كفالة حلب إلى أن مات بحدود سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١٠ م^(٧) كما وشهدت فترة توليه الشام مشاكل داخلية وعشائرية وازدياد مطالبات القوى المحلية بالاستقلال^(٨) . كان له العديد من المنشآت العمرانية والأوقاف وخلفه في حكم الشام الوزير أحمد باشا الحافظ^(٩) .

سادساً: الوزير أحمد باشا الحافظ : جاء هذا الوزير إلى الشام حاكماً من قبل السلطان أحمد بن محمد^(١٠) سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م^(١١) كان يحب العلوم وله معرفة باللغات الثلاثة التي اشتهرت في تلك الفترة وهي العربية ، والفارسية ، والتركية^(١٢) ، وقد وصفه البوريني بأنه من العلماء وكان يهتم باقامة الألعاب للجند ويمنحهم المكافآت المالية، وكان من ضمن الذين فازوا شخص اسمه كنعان البلوكباشي^(١٣) ، ومن تلك الألعاب التي سجلها البوريني الضرب بالبندقية التي تسمى قديماً بـ (المكحلة) وهي سلاح العثمانيين لاصابة هدف معين ، ومن الألعاب أيضاً اقامة فريقين من الخيول

(١) نفس المصدر، ج٤، ص ٣٥٥ .

(٢) كجك سنان : لقب به الوزير سنان باشا ويعني قصير القامة ، البوريني : تراجم ج٢، ص ٢٢٨ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٤) انظر المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٢١٨ ، والبوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٢٩ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤، ٢٥٩ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٢ وما تلاها .

(٧) المحبي : خلاصة الأثر، ج٢، ص ٢٢٠ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٢٣٩ .

(٩) للمزيد انظر الأرنؤوط : محمد ، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس عشر (وقفية سنان باشا)، دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق، ط١، ١٩٩٣ م . ص ١٣ وما تلاها . وسيشار له الأرنؤوط : معطيات.

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٠١ ، وانظر للمزيد المحبي : خلاصة الأثر، ج١، ص ٣٨٠ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٠١ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢١٥ ، وانظر المحبي : خلاصة الأثر، ج١، ص ٣٨١ .

(١٣) بلوك باشي : رتبة عسكرية من العهد العثماني كان حاملها قائداً للبلك وقد ارتبطت أهميته بأهمية البلك نفسه عبر مراحل التغيير التي طرأت على التشكيلات العسكرية العثمانية ، وعند البوريني هم موظفين تم تعيينهم من قبل الضابط درويش أغا البوسني الأصل ، وهم في كل شارع ، يعني كل شارع من شوارع دمشق فيه بلوكباشي واحد ولكن يساعده جماعه هؤلاء الجماعة يسمون القابوقلية ، وظيفتهم جباية الأموال من المحال التجارية وقد طغوا وظلموا في تحصيل تلك الأموال وكان ذلك بالتحديد سنة (١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م) ، ومنهم كنعان البلوكباشي بدمشق ، وانظر المصطلح الوارد حول كيوان البلوكباشي بدمشق الذي وصفه البوريني بالخوان حيث رفض السير إلى الوزير الأعظم مراد باشا للمساهمة في مطاردة السكبان وقائدهم الأمير علي بك ابن جانبلاط نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، والخطيب : معجم، ص ٨٦ .

للتسابق في ميدان مخصص لذلك^(١) ، وقد شغل مناصب عديدة وكان يخرج بنفسه لاستقبال ركب الحج الشامي بزمن أمير الحج فروخ بك^(٢) ويلبس لاجل ذلك العمامة الخضراء ، فكان مهتماً بالأبهة والزينة والمبالغة في المواكب التي تخرج معه^(٣) ، بعد ذلك وبسبب طول مدة حكمه على كفالة الشام ، زاد ظلمه للناس وقهره لهم^(٤) ، وقد تمادى في أخذ الأموال من الأعيان والشيوخ ، وتدخل في تعيين بعض المدرسين الأحناف^(٥) في اشارة إلى تدخل السلطة في تعيين من يريدونه وإلى الفساد الاداري والمالي وتدهور مؤسسة القضاء ، كما وشهدت فترة حكمه سوء العلاقة بين جيشه والجيش السلطاني بسبب تمادي أحد الجنود التابعين للوزير وتعديه على الجنود السلطانية ، فحصل القتال بين الطرفين وحصلت وفيات بين جنود الوزير بحدود العشرين رجلاً^(٦) وفي عهده شهدت الشام تصاعد مطالبات الأمير فخر الدين المعني^(٧) بالاستقلال فتم تعيينه " سرداراً " للجيوش وكان تحت تصرفه العساكر الحلبية ، وعساكر ديار بكر ، وعساكر طرابلس ، وأمراء الأكراد ، وعساكر من السباهية^(٨) ، وعساكر دمشق^(٩) .

سابعاً: الأمير إبراهيم الطالوي وهو من أهالي دمشق ولد فيها وخدم الأمير أحمد باشا^(١٠) ، وصار في زمن السلطان سليمان جاويشاً^(١١) في الباب العالي ، ساهم في الحرب على قبرص زمن السلطان سليم بن سليمان^(١٢) إلى أن صار رأس العساكر السلطانية " سرداراً " ففتح ديار العجم مرات عديدة في زمن السلطان مراد بن سليم ، ثم تولى إمارة نابلس نحو سنتين ثم عزل عنها، وعاد إليها مرة أخرى من قبل السلطان^(١٣) ، وفي نابلس أيضاً تم تعيينه لملاقة ركب الحجيج على عادة العثمانيين من قبل أمير الأمراء بدمشق محمد ابن الوزير الأعظم سنان باشا^(١٤) ، إلا انه لم ينصف من الحكام ، إلا بعد مجئ الوزير محمد الأصفهاني حاكماً ووزيراً في بلاد الشام زمن السلطان محمد، فاشتكى له الأمير إبراهيم حاله فعين له تقاعداً كل سنة أربعمئة دينار ، لقاء وظيفته من

(١) الخطيب : معجم ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٢) للمزيد عن إمارة الحج الشامي وعن الأمير فروخ بك انظر نفس الفصل من البحث فقرة إمارة الحج .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، والمجبي : خلاصة الأثر ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٧) للمزيد انظر المجبي : خلاصة الأثر ، ج ٣ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

(٨) انظر دهمان : معجم ، ص ٨٨ .

(٩) للمزيد عن أحوال الصراع ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(١١) الجاويش هو رجل يركب إمام السلطان وفي يده الدبوس ، ومرتبته كبيرة كما يقول البوريني ، إذ يترقى بعدها إلى صنّجق صاحب طبل وعلم ولواء وهذا ما حصل بالفعل مع إبراهيم إذ تم تعيينه فيما بعد أميراً على نابلس ثم تقاعد نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(١٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

منصب صنجقية نابلس وصدر كتاب بذلك سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م^(١)، وتبدو سيرة الأمير إبراهيم عند البوريني حسنة حسبما أورد في ترجمته ، وقد وصفه البوريني بأنه كان ملتزماً بالعهود بعيداً عن الخيانة ولا يغريه أي مبلغ من المال ، إذ حاول أمير غزة إغرائه بمال كثير بشرط تسليم أحد أتباع أمير غزة الذي جاء إلى نابلس واحتفى بأمرها إبراهيم، الذي رفض تسليمه لهم^(٢).

ثامناً: الوزير محمد ابن الوزير سنان^(٣): تولى حكم الشام مرتين ؛ مرة في زمن والده أمير الأمراء والوزير الأعظم سنان باشا^(٤) ومرة أخرى بعد وفاته وجاء إلى الشام والياً سنة ١٠١٣هـ / ١٦٠٤م^(٥)، كانت معاملته للناس سيئة وخاصة مع الموظفين ، ودخل إلى الشام بأبهة عظيمة توازي أبهة السلاطين ومعه جيش كبير ، وكان قريباً من السلطان لأن زوجته كانت من بيت السلطنة ، إلا أن السلطان قرر عزله فلم يمتثل للأمر ولم يقبل إلا بعد أن أحاطت العساكر بدار السعادة (دار الامارة بيت أمير الأمراء بدمشق) وحملوا السلاح لاجراجه ، فترك الدار وحُبس في قلعة دمشق ، وزاد تمرده على السلطان وعامل موظفيه بقسوة ، حتى التجار لم يوفيههم مالهم الذي بذمته ، لذا أقدم السلطان على قتله سنة ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م^(٦)، ويبدو ان البوريني لم يتعاطف معه ، وأبرز سلوكه السيئ والذي يمثل ظلمه لإبراهيم الطالوي أمير نابلس وعدم منحه التقاعد يقول البوريني : (ولم يعطه حقه)^(٧) في اشارة إلى ظلم بعض الولاة لموظفيهم وعدم أنصافهم ، وانتشار الفساد الاداري والمالي.

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٣٠٩.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٣١٢، ٣١٣.

(٣) علماً ان البوريني لم يفرد له ترجمة وإنما ذكره ضمن ترجمة إبراهيم الطالوي في اشارة إلى شخصيته الغير حسنة فاراد البوريني ابراز تصرفه مع الموظفين .

(٤) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٥) الغزي : لطف السمر، ج١، ص ١٢٥ .

(٦) الغزي : لطف السمر، ج١، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٣٠٩.

ثالثاً : الأحوال السياسية في بلاد الشام وبيان أثر الفوضى على الأوضاع الاجتماعية للمجتمع، ودور السكان والقوى المحلية في ارباك السلطة .

أولاً . الأحوال السياسية :

يصعب على الباحث تحديد الأحوال السياسية بالتفصيل أو بالتسلسل الزمني ، كون كتب التراجع تترجم لأفراد دونما تنظيم مسبق ، فهي ليست مادة تاريخية متسلسلة ومحددة ، وهي مرتبة على حروف الهجاء ، الا أن الدارس المدقق يستطيع جمع مادة غنية من خلال كتب التراجع للأحوال السياسية والاجتماعية ، ويمكن من خلال تراجم البوريني رصد الأحداث التي شاهدها وعاصرها ، وهي متنوعة ، بعضها رآها وكان شاهد عيان عليها ، وبعضها الآخر جمعها من خلال روايات تصله من خارج الأحداث في دمشق ، سواء في عاصمة الدولة (القسطنطينية) وهي مركز صنع القرار ، أو من حلب وجوارها ، لقد عاصر البوريني ٩٦٣هـ / ١٥٥٦م إلى سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م ، خمسة من السلاطين وهم سليمان القانوني ، وابنه سليم الثاني ، ومراد الثالث ، ومحمد الثالث ، وأحمد خان الأول . على الرغم من حكم سليمان القانوني الطويل من سنة (٩٢هـ إلى ٩٧٤هـ / ١٥٢٠م إلى ١٥٦٦م) إذ كانت بلاد الشام تتوقع أن تعيش فترة من الرخاء ، لكن الواقع الذي تصوره تراجم الحسن البوريني تعطي فكرة عكس ذلك، فقد زاد ظلم الولاة ، وكثرت الاعدامات وتنوعت^(١)، وازدادت مشاكل العسكر السلطاني، كما حصل في حصار حلب من قبل العسكر الشامي ، وقد وصف البوريني ذلك الحصار بأنه كان قاسياً وازدادت فيه أسعار الحبوب واللحوم^(٢)، ومطالبات الحركات المحلية بالاستقلال على سبيل المثال حركات فخر الدين المعني الثاني^(٣) وجماعة السكبانية وزعيمهم عبد الحلیم اليازجي^(٤) .

فقد سجل البوريني في تراجمه معلومات سياسية مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي تشير إلى تدهور أوضاع بلاد الشام واستمرار مطالبات القوى المحلية بالاستقلال ، وحروب الدولة مع القوى الخارجية الغربية والشرقية ، وانعكاس تلك الظروف على وضع الأهالي من النواحي الاجتماعية والاقتصادية كارتفاع الاسعار وانتشار النهب والسلب ، والفساد الإداري والمالي واستمرار تعديت السلطة على الأهالي ، إضافة لانتشار الأمراض خاصة الطاعون في دمشق الشام سنة ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م ، والذي مات فيه الملا علي الكنكاوري^(٥) ، وفي سنة ٩٩٦هـ /

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٢ و٢٠٣ و٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) المحبي : خلاصة الاثر، ج٣، ص ٢٦٦ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٥٩ وما تلاها ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٣٢٢ .

(٥) علي الكنكاوري الشهير بعزمي ، وكنكاور من توابع همذان ، للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

١٥٨٨م أو بعدها بسنة كما يذكر البوريني أصاب دمشق طاعون آخر ، كان من الذين ماتوا فيه ابن شقيق الشاعر الحسين الشيرازي^(١) ، ومملوكين وجارية تابعين له^(٢).

الصعيد الداخلي : لقد سجل البوريني في تراجمه معلومات مهمة على الصعيد الداخلي وأوضح ميله وحبه الشديدتين لبلاده^(٣) ، وحرص على تسجيل أخلاق وسلوك أصحاب السلطة ، سواء أكانت إيجابية أم سلبية وانعكاساتها على الوضع الداخلي للأهالي ، فقد ذكر أخلاق الوزير الأعظم مراد باشا حين دخل إلى حلب وقلعتها ، وأكد بأنه لم يأخذ شيئاً من المال وإنما أرسله إلى بيت المال^(٤) . لقد تعدى بعض الناس على الأمور الشرعية، وأكلوا الميراث مما دفع السلطة إلى إرسال بعض الموظفين للتفتيش عن الأموال وكان منهم موظف سيئ الخلق اسمه محمود الملقب (بالتركية تكري يلماز ومعناه بالعربية الذي لا يعرف ربه) ، لحل المشكلة^(٥) ، فتعدى على الناس وتمادى وسجن العلماء والشيوخ ومنهم شيخ البوريني اسماعيل النابلسي^(٦) ، وقد فسر البوريني سلوك (تكري يلماز) بأنه سار على نهج المماليك المتأخرين باهانة العلماء ، والتي يعدها البوريني سبباً رئيسياً لانتهاك ملكهم^(٧) ، كما وتدهورت حالة دمشق زمن البوريني وقد صورت الحياة الأدبية أو الأشعار ذلك التدهور والفساد واليهوى في تمشية الأمور وبيع الوظائف^(٨) ، ومما يلفت النظر في تراجم البوريني انه على الرغم من الظروف السيئة التي عانت منها بلاد الشام ، إلا انها كانت مشهورة بالأسر العريقة والبيوت والعمارات والأوقاف والبساتين^(٩).

كما وشهدت هذه الفترة صراعات قبلية بين العشائر ، وبينهم وبين السلطة^(١٠) ، وصراعات داخلية بين السلطة مع القوى المحلية المطالبة بالاستقلال ، في إشارة مهمة إلى ان هذه الحركات كانت مبكرة في بلاد الشام ، وكان بعض الأمراء يرفضون التدخل في ذلك الصراع ، ومنهم أمير الحج فروخ بك ، فقد رفض السفر إلى الوزير مراد باشا لقتال بعض القوى المحلية المطالبة بالاستقلال، فكان الأمير فروخ بك يحاول الحفاظ على منصبه بدرجة ان القدس كانت معرضة لهجوم العرب (البدو) ، في إشارة إلى تزايد هجمات العرب على بعض المناطق في المدن والقرى،

(١) للمزيد انظر ترجمته ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٧١ .

(٣) للمزيد انظر ترجمة علي بك ابن جانبلط ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٧١ - ٢٩٦ .

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٩ ، ٢٨٧ .

(٥) ما قام به بنو الخطاب من أكل ميراث ادهم ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٤٣ .

(٦) اسماعيل النابلسي : اسماعيل بن أحمد ابن الحاج إبراهيم النابلسي ، وعند الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ١١٧ ، انه ولد سنة (٩٣٧هـ / ١٥٣٠م) وعند البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٧٥ ، انه ولد سنة (٩٣٦هـ / ١٥٢٩م) ومات سنة (٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) للمزيد انظر ترجمته عند البوريني نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٦١ إلى ٧٩ ، وعند الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣ ، ص ١١٧ - ١٢١ .

(٧) للمزيد ارجع للقصتين اللتين اوردتهما البوريني : نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣-٦ .

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨-٩ .

(٩) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١١٤ ، ١١٩ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ .

مما دفع الوزير الأعظم إلى عزله وتعيين أحد مماليك السلطان عليها ، الا ان البوريني شكك في هذه المعلومة ، إذ لم يستلم القدس أمير آخر^(١) ومنهم أمير الحج فريدون بك ، فلما تولى سنجق نابلس فريدون بك ، رفض السفر إلى الوزير الأعظم مراد باشا لمقاتلة الأمير علي بك ابن جانبلاط، وجماعة السكبان ، مما دفع بالوزير إلى عزله من نابلس ، وتعيين محمد بك ابن شقيق عثمان باشا ، فقام حاكم نابلس الجديد محمد بك بالسفر إلى الوزير الأعظم مراد باشا في حلب للمساعدة في قتال تلك القوى المطالبة بالاستقلال^(٢) في اشارة إلى تدهور الوضع وكثرت عزل الأمراء وتعيين بدلا منهم . وبالفعل تحرك الوزير ومعه العسكر الشامي من دمشق وكان خطهم كما ذكره البوريني : " .. نزلوا على الكسوة^(٣) وساروا منها إلى سقحب^(٤) ثم إلى المزيريب^(٥)، ولما سمع ابن قانصوه بسفر الوزير أخلى عجلون والكرك ، وسار الى الجانب الشرقي ... وسافر وذهب مع العرب إلى جانب الشرق ، وأرسل مفاتيح الكرك إلى الوزير ... وكان ذلك كله في رجب وشعبان من سنة احدى وعشرين بعد الألف ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م .."^(٦) . من اشارة إلى ان أمير عجلون والكرك كانت علاقته غير جيدة بالوزير مراد باشا ، لذا ترك البلاد وانظم إلى جماعة من العرب لحمايته .

وفي فترة حكم الوزير أحمد باشا الحافظ حاكم الشام^(٧) ، الذي يصفه البوريني بانه كان في بداية حكمه رشيداً، الا انه وبسبب طول فترة حكمه زاد تجبره وقهره للناس ، وزادت مصادراته لاموال الناس وزاد ظلمه وقتله للأمراء^(٨) . قام في رابع عشر ربيع الثاني من سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م مع عسكر الشام بالهجوم على التركمان وكانوا في حوران^(٩) ، ونهبوهم ، ووقع قتال فيما بينهم ، فقتل من جانب المعسكر الشامي نحو خمسة رجال وقتل من الجانب التركماني الكثير ، مما دفع بأحمد الوزير حاكم دمشق أن يبقى بحوران يصفه البوريني بقوله : " يستعطف خواطر من لقيه من التركمان ..."^(١٠) ، خوفاً من الفتنة ، ويقول البوريني : " ... وذهب نهبهم هدرأ . وما ندري عاقبة أمرهم في نهبهم.." ^(١١)، ويصف البوريني هؤلاء التركمان بقوله: " .. ولقد بلغني أنهم كانوا قد طغوا

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) نفس المصدر، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٣) قرية كبيرة على الطريق بين دمشق ودرعا ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠٥ .

(٤) قرية كبيرة في جنوب دمشق غرب مرج الصفر في حوران ، نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٠٥ .

(٥) قرية في حوران من أعمال دمشق مشهورة بالشلالات نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٠٥ .

(٦) نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٠٥ .

(٧) الوزير الكبير حكم الشام من سنة (١٠١٨ هـ إلى ١٠٤١ هـ / ١٦٠٩ م إلى ١٦٣١ م) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج١ ، ص ٣٨١ إلى ٣٨٥ ، للمزيد انظر ترجمته عند البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠١ - ٢٢٠ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠١ .

(٩) حوران : كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة وفيها قرى كثيرة ومزارع ، وقصبتها بصرى وفيها منازل العرب ، للمزيد انظر الحموي : معجم البلدان، ج٢ ، ص ٣١٥ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

(١١) نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٠٤ .

وبغوا وانهم كانوا يرعون زرع أهل حوران ، وكانوا يتباطئون في اعطاء مال السلطنة ، وربما منعو الاعطاء بالكلية... ولكل ظالم ظالم ينتقم منه..."^(١) .

وبعد رجوع الوزير أحمد باشا إلى دمشق سافر إلى الجانب القبلي ، لغرض تخليص عجلون والكرك والشوبك من يد الأمير حمدان بن أحمد بن قانصوه الغزاوي ، ويعود السبب في ذلك أن أمير نابلس فروخ باشا أمير الحج الشامي^(٢) أعطي من جانب السلطنة هذه المناطق مع مبلغ ستين ألف دينار من الذهب ، ليقوم الأمير فروخ بالحج ولو ازمه ذهاباً وإياباً ، فتحرك الوزير أحمد باشا مع عسكر الشام لتخليص عجلون والكرك من يد حمدان بن أحمد ومنحها إلى أمير الحج فروخ بيك ، ويكون بذلك أميراً على ثلاث سناجق نابلس ، وعجلون ، والكرك، وهو أمر يصفه البوريني بقوله : " .. وهذا لم يتفق لأحد قبله في هذه الدولة .."^(٣) في اشارة واضحة إلى تدهور الوضع الداخلي في بلاد الشام بسبب الصراعات الداخلية .

وفي سنة ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م سافر الوزير أحمد باشا من دمشق لقتال الأمير فخر الدين ابن معن الذي حكم (سنجق صفد من قبل السلطنة وغير ها من بلاد البقاع العريزي (لبنان) وحصن قلعة شقيف^(٤) مما دفع الأمراء إلى عرض الأمر على الوزير أحمد باشا ، فقام بدوره وعرض الأمر على الباب العالي ، فصدر القرار من السلطان أحمد بان يتم مطاردة الأمير فخر الدين، وان عساكر اناطولي وأمرائها وأمراء بلاد قرمان وعساكرها جميعها عليهم الانضمام إلى العسكر الشامي، وفق المرسوم السلطاني ، فاجتمعت العساكر الرومية (اناطولي ، قرمان) مع العساكر الشامية (ادنه ، وحلب) وتوجهت إلى تلك البلاد وتم محاصرة قلعة شقيف وكان المحاصرون في القلعة قسمين كما أشار البوريني^(٥) :

الأول : قسم من الأروام السكبان، حيث تمت الاستعانة بهم لشحن القلاع بالرجال لصد هجمات العسكر السلطاني وهؤلاء هم أصلاً على خلاف مع السلطة^(٦) .

الثاني : قسم من العرب الدروز^(٧) وهؤلاء هم جماعة الأمير فخر الدين المعني .

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٤ .

(٢) امارة الحج مقردها أمير الحج وهو الرئيس المنتخب المعين على قافلة الحج الشامي المتجه من اسطنبول الى مكة او مصر او الشام الى مكة وكانت هذه الوظيفة تارة تعطى لامراء السناجق وتارة الى والي الشام للمزيد انظر صابان : سهيل، المعجم، الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ٢٠٠٠م ص ٣٧ وسيشار له لاحقاً صابان : المعجم، الموسوعي، وانظر رافق : العرب والعثمانيون، ص ٥٠ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٠٥ .

(٤) حصن وثيق وقلعه قرب صور ، للمزيد انظر الحموي : معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٥٦ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٠٨ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٠٩ .

(٧) انظر القصة الكاملة التي اوردها البوريني ج ١، ص ٢٠٨ .

ذلك أن ابن معن حين حكم سنجد صعد بموجب مرسوم سلطاني ، عظم شأنه وسيطر على بلدان كثيرة ، وأخذ يعين الأمراء على بعض البلدان من دون الرجوع إلى السلطان ، وهذا يعد تحدياً للدولة من قبل هؤلاء المعينين من الدولة أصلاً ، يقول البوريني : "...وارتفع مكانه ، وبعد صيته ، وكثرت أمواله لأنه تصرف في بلاد ما خطر في بال أحد من الأمراء التصرف فيها. فكان متصرفاً في بلاد كفر كنه ، وبلاد عكا ، والساحل ، وصفد ، وبلاد ابن بشارة ، وبلاد الشقيف ، وبلاد جيرة صفد ، وتصرف أيضاً في بلاد بيروت ، وبلاد صيدا ، وفي بلاد جبل كسروان ، وفي بلاد جبة المنيطرة ، وفي جبيل ، وأنطلياس ، والبترون ، وفي الجرد ، والغرب ، والمتن ، والشوف ، والمقيطيع ، والشحار . وتصرف أيضاً بالبقاع العريزي ، وفي بلاد بعلبك ، وبلاد صور ، والمعشوقة ، وما كفاه ذلك حتى أنه جاء إلى قلعة شقيف وحصنها وجددها وأكدها ، وشحنها بالأرزاق التي لا انتهاء لها ، وجعل بها من آلات الحصار ما لا يعد ولا يحد ، وبقي في ذلك التحصيل والتحصين نحو عشرة أعوام .."^(١) ، ثم دفع الأمراء بالتحرك عليه يقول البوريني : "يفتظن له الأمراء..."^(٢) في إشارة إلى قوة وامكانيات الأمير فخر الدين وارتباطه بالسلطة ، وفعلاً تجمعت العساكر وحاصروا القلعة إلا أن المنجذيق ، والطوب (المدافع) لم تؤثر على القلعة على الرغم من استمرار الضربات ، ويبدو أن البوريني كان مهتماً بتلك الصراعات ، بذكر معلومات مهمة كانت متداولة من خلال الأخبار التي كانت ترد من العسكر ، منها أن ضربات العسكر أدت إلى ثقب (نقب) في حائط القلعة ، مع تزامن هبوب رياح قوية باردة ، يقول البوريني : "...ولكن اشمازت النفوس من هواء بارد قد وقع في الوجود . وأخبرونا بأن بلاد الشقيف يزداد بردها فوق البلاد بمراتب كثيرة . وفي ذلك المعنى ضرر كثير على المرابطين من عساكر دمشق في باب القلعة المذكورة"^(٣) ، وقد أكد البوريني ذلك الخبر من خلال مصدرراً لم يصرح به ولكنه ثقة من وجهة نظره بقوله : "...وقد أخبرنا مَنْ نثق به من الدقامين على دمشق من جانب المرابطين أن فتحها (قلعة الشقيف) متعسر جداً وقد هجم فصل الشتاء ولم يبق في فصل الخريف إلا القليل"^(٤) ، وهذا يعني أن البوريني قد ربط تلك الأحداث بالواقع الجغرافي أو البيئي ، من خلال تلك الظروف الجوية القاسية ، والحصانة الشديدة للقلعة من قبل ابن معن ، مما صعب من فتح القلعة .

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٧ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٧ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٠٨ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٨ .

وبعد انتهاء فصل الشتاء أعاد الجيش حصار قلعة الشقيف ، ولكن هذه المرة بقيادة جديدة تم تعيينه من قبل الوزير أحمد باشا الحافظ وهو حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيف^(١)، حيث أورد البوريني معلومات من مصدر لم يصرح به ولكنه ثقة من وجهة نظره بأن الساعي إلى فتح قلعة شقيف هو حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيف ، وليس فقط الوزير أحمد باشا الحافظ ، حيث أنه لم يستطع أن يفتح القلعة ، الا بعد تعيين الأمير حسين ابن سيف يقول البوريني : " .. أن السعي في فتح القلعة إنما هو من جانب حسين باشا ابن حضرة يوسف باشا ابن سيف ..."^(٢) ، وتزايدت ضربات العساكر على القلعة إلا أنها فشلت مرة أخرى في دخول القلعة ، مما دفع الأمير فخر الدين إلى طلب الصلح ، يقول البوريني : " ..ودهموها من الحصار بحبل غير خفيف. ولم تظهر علامة الدفح من البناء ، وارتفع الصلح .."^(٣) ، أي ان الأمر انتهى بالصلح .

أما بلاد الشوف^(٤) فقد تمادى رأس العساكر الوزير أحمد باشا الحافظ ، في مطاردة الأمير فخر الدين المعني في هذه البلاد ، وعين المزيد من القيادات العسكرية ، ومنهم الأمير حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيف ، وكان الغرض من تلك التعيينات هو الذهاب إلى بلاد الشوف إذ كانت (عاصية تبعاً لابن معن) وكانت تلك البلاد محصنة بالرجال والعدد والمؤن ، وفعلاً ذهبت العساكر ، مما دفع بالأمير فخر الدين المعني لترك الشوف والذهاب إلى بلاد الفرنجة ، ويبدو ان البوريني كان مهتماً باخبار الأمير ابن معن ، فبعد وصوله إلى بلاد الفرنجة يقول البوريني : (فظهر الخبر إلى دمشق بأن الأمير المذكور (ابن معن) ورد بأساطيل بحرية ، وخرج عند برج الدامور بين صيدا وبيروت" ، الا ان البوريني لم يؤكد الخبر بقوله : " وشاع الخبر بأنه (ابن معن) نزل على البرج المذكور (الدامور) ، فلذلك نهض الوزير الحافظ المذكور " أحمد باشا الحافظ) وخرج وخيم خارج دمشق ، في آخر الجسور ، في طريق ألكسوة . وسكن خبر ابن معن بعد ذلك ... " ، ثم صحح البوريني ذلك الخبر بأن الذي قدم بالسفن الحربية ليس ابن معن ، إنما رجل من جماعة ابن معن يقال له يزبك ، يقول البوريني : "والذي صح من الخبر أن رجلاً من أمراء الدروز من جماعة ابن معن يقال له يزبك ورد في ثلاث سفن إلى الشوف . وهي في الأصل مستقر ابن معن المذكور وأسلافه . " ، وهذا الخبر الذي صححه البوريني يبدو انه كان يشك فيه

(١) الأمير حسين ابن يوسف ابن سيف ، تولى بحياة والده كفالة طرابلس الشام ثم عُزل عنها وتولى الرها ، كان له علاقة جيدة مع حاكم حلب محمد باشا (قره قاش) ، قتل خنقاً من قبل جماعة حاكم حلب ، للمزيد انظر المحبي : خلاصة الأثر ، ج٢ ، ص ١٢١ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢١٠ .

(٤) بلاد الشوف : في لبنان اليوم كانت تحت سيادة ابن معن ، انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٣٢٤ ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .

بقوله : "ومهما صح من الخبر بعد ذلك يكتب"^(١) ، وتابع البوريني ذلك الموقف وصح بعض الأخبار التي كانت متداولة في وقته بدقة بقوله : "...وقد ذكر كثير ممن ورد الى دمشق من بلاد الشوف ان الأمير فخر بن معن قد رجع من بلاد الفرنج الى بلاده الأصلية وهي بلاد الشوف . ولم يصح ذلك.." ^(٢) .

بعد ذلك استمر البوريني بتتبع أخبار ابن معن وبلاده ، فقد أكد البوريني وبسبب قر به من السلطة ، إن العساكر السلطانية كان لديها إصرار على محاصرة بلاد الشوف ورأى أن هناك ارتباط بين الهدايا وبين الأمر السلطاني الذي منحه السلطان أحمد إلى الوزير أحمد باشا الحافظ للذهاب إلى بلاد ابن معن في إشارة إلى تحفيزه لقتال ابن معن ، وفعلاً ذهب الوزير إلى بلاد الشوف ، وأكد البوريني ذلك بقوله : "...والذي صح منه أنه ذهب بالعسكر الدمشقي والعسكر الرومي والقرماني وغير ذلك من عساكر فلسطين الى بلاد الشوف وأمر بحرق كثير من بلادها . فأحرقوا الباروك وهي قرية في بلاد الشوف عظيمة المقدار ، وأحرقوا غيرها ثم أرسل الوزير حسين باشا ابن يوسف باشا ابن سيفا .." وانتهى الأمر بالانتصار عليهم في إشارة الى تدهور الوضع وتمادي العساكر من خلال حرقهم للمدن^(٣) . وكان كل ذلك من دون أن يستأذن الوزير من الباب العالي^(٤) ، فتدهورت علاقته بالسلطان وزاد الأمر سوءاً تلك المشاكل التي حصلت بين عساكره وعساكر السلطان في يوم الاربعاء المصادف ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، ذلك ان الجنود السلطانية ثاروا على جنود أحمد باشا ، وقتلوا منهم جماعة حددهم البوريني بعشرون جندياً ، وكان سبب الصدام بين الطرفين أن أحد الجنود السلطانية كان في حالة سكر ومر على باب السعادة^(٥) وهي مقر أحمد باشا ، فدخل الى تلك الدار وقتل من كان موجودا فيها ، وكان البوريني شاهد عيان ووصف ما رآه بقوله : "... وقد اتفق رؤيتنا لجمعهم وثورانهم عند سوق المؤيدية تحت القلعة (قلعة دمشق)..."^(٦) ، ويبدو أن الخلافات بين العسكر السلطاني والوزير تفاقمت ، بعد أن ثار عسكر السلطان فخيره السلطان أحمد اما أن يقتله هو أو يسلم نفسه للعسكر، وفعلاً اختار الوزير تسليم نفسه للسلطان فتم قتله^(٧) ، وهذا الأمر ليس جديداً على الأمراء فقد سبق وتدخلوا في شؤون السلاطين خاصة في شؤون الحكم ، وكانوا حتى يعلمون السلطان كيف يتصرف مع الفئات المختلفة للمجتمع "الأعيان ، وأصحاب المناصب وأرباب الدولة من أكابر الوزراء والأمراء" ، إذ ان أحد الوزراء

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢١١ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٩ و ٢١٠ .

(٥) للمزيد انظر نفس المصدر، ج١، ص ٣٢٨ ، ج٢، ص ٢٣٠ .

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٣ .

(٧) المحبي : خلاصة الاثر، ج١، ص ٣٨١ .

كان يقول للسلطان أحمد الذي حكم خلفاً لوالده محمد من سنة ١٠١٢ هـ / ١٠٢٦ هـ - ١٦٠٣ م / ١٦١٦ م ما يجب عمله إذا جاءه المهنتون ، يقول البوريني : "...فقل لهم كل واحد منكم يمشي على طريقه المعروف ، وقانونه المألوف ، ويصله منا كمال الشفقة ونهاية الرحمة" (١) .

وفي عهد السلطان أحمد بن محمد، الذي ورث المشاكل والقلق التي كانت منتشرة في زمن والده ، كادت السلطنة تزول بسبب خروج عدة قوى محلية مطالبة بالاستقلال ، ومنهم السكبان وزعيمهم عبد الحلیم اليازجي حيث سيطروا على غالب البلدان والنواحي ، فكان لهم تأثير في فقدان الأمن ، ويصف البوريني ذلك بقوله : "... حتى ان خزينة مصر قدمت الى الشام ومكثت نحو أربعة أشهر في ميدانها الأخضر الغربي ، ثم رجعت إلى مصر ، ولم يستطع من معها من عسكر السلطان ولا عسكر دمشق أن يوصلها إلى مقر السلطنة قسطنطينية .." (٢) .

وذكر البوريني عنهم معلومات مهمة ، فقد تتبع في تراجمه أخبار السكبان (٣) ، وأورد معلومات على جانب كبير من الأهمية (٤) ، فقد ربط بين ظهور السكبان على مسرح الأحداث السياسية ، وبين تولي الأمير أبو سيفين لواء نابلس ، حيث أحضر معه حوالي مائة رجل لمساعدته على ضبط الأمور في نابلس ، وقد ازداد عدد هؤلاء ونفوذهم أيضاً بقيام أمير لواء صفد درويش بك ، بجلب جماعة منهم كان كبيرهم أو زعيمهم هو عبد الحلیم اليازجي ، وعندما عزل الأمير درويش رفض تسليم ولاية صفد الى الأمير الجديد واسمه دالي (٥) علي الجركسي (٦) بتحريض من عبد الحلیم اليازجي ، فناصر عبد الحلیم اليازجي الأمير درويش على موقفه بعدم تسليم البلاد ، ووعد به بأن يساعده على ضرب الأمير دالي الجركسي ، فلما سمع أمير الأمراء بدمشق خسرو باشا الخادم بالأمر ، أرسل كدخداه (٧) باكير آغا مع جيش دمشق إلى ولاية صفد لطرده أميرها المعزول درويش باشا ، الا أنه لم يتمكن من ذلك بسبب دعم عبد الحلیم اليازجي كبير السكبانية لأمر لواء صفد

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٢) للمزيد انظر نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٣) للمزيد أنظر الشيايب : إبراهيم أحمد ، جيش الإمارة المعنوية في عهد فخر الدين المعني الثاني (٩٩٩ هـ / ١٥٩٠ م / ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) مجلة دراسات ، العلوم الانسانية والاجتماعية ، مج ٣ ، ٨ ، العدد ٢ ، ٢٠١١ م ، ص ٥٢٧ وما تلاها .

(٤) للمزيد انظر ترجمة عبد الحلیم اليازجي ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٧٠ .

(٥) دالي : تركي والصحيح دلي وهو المجنون ، او المختل او المتهور ، انظر دهمان : معجم ، ص ٧٢ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٧٠ .

(٧) كتخدا تحريف للكلمة الفارسية كت خدا (صاحب المنزل) ، واصله : كد بمعنى المنزل وخدا صاحب وتعني صاحب المنزل ، وبالرغم انها كانت تنطق بنفس هذا النطق فانها كانت تكتب (كتخدا) ، في الوثائق التركية واخذت الكلمة معاني عديدة منها مدير الشؤون العامة ، ونائب عام للشؤون الداخلية والعسكرية ، امين او وكيل للمزيد انظر جب : هاملتون ، وبوون : هارولد (١٩٧١) ، المجتمع الإسلامي والغرب ٢ ج ، ترجمه أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف مصر ج ١ ، ص ٨٩ و ١٢٣ و ١٧١ و ١٧٢ ، ومنهم باكير آغا الذي ارسله أمير الأمراء بدمشق خسرو باشا مع جيش دمشق الى ولاية صفد لاجراء الأمير درويش المعزول وتذويب الأمير الجديد دالي علي الجركسي ، ودام القتال بينهم اياما ، للمزيد انظر ترجمة عبد الحلیم اليازجي ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٧٠ ، ٣٠٠ - ٣٠١ .

درويش باشا ، وبالفعل حصل القتال واستمر عدة أيام^(١) ، يصف البوريني السكبان في صدف بأنهم أبطال : ..وجرح في ذلك اليوم كثير من الأبطال...^(٢) أو قوله: "بطائفة شديدة البأس ، مشدودة المراس .."^(٣) ، وتمكن جماعة اليازجي من النزول الى السهل وقطعوا سراقق دالي علي بك الجركسي ونهبوا ما فيه ، كما وساهم أحد المماليك في مطاردة اليازجي وهو ذو الفقار مملوك الأمير منصور بن الأفريخ ، الا أن السكبانية ردوا عليهم بالبنديق وتمكنوا من قتل أحد الشباب المقربين للمملوك ، بعد ذلك تدخل الأعيان ويصفهم البوريني بقوله: "الى أن أشار العقلاء على درويش بك..^(٤) ، وطلبوا منه تسليم لواء صدف لأنه لا يقدر على مواجهة العساكر السلطانية ، فتم ذلك ومعه خرج عبد الحلیم زعيم السكبانية ، فوصلوا صيدا من الجهة الشقيفية (قلعة الشقيف) ، ووصلوا بلاد الشوف ونزلوا عند الأمير فخر الدين ابن معن^(٥) ، الا أنهم لم يستقروا لديه وكل جماعة ذهبوا إلى جهة ، وذهب الأمير درويش بك المعزول عن ولاية صدف إلى الباب العالي وقد شكوا الناس في صدف أمرهم الى الباب العالي من خلال المحاضر والشكايات ، وكان الوزير الأعظم ابراهيم باشا هو الذي عرض أمر درويش على السلطان ، فصدر الأمر بصلبه ، ويصف البوريني عملية الاعدام بقوله : "فصلب بثيابه..."^(٦) أما اليازجي فقد تم تعيينه محافظاً على الرها^(٧) ، الا أنه بقي يقلق السلطة فقررت القضاء عليه^(٨) ، فهرب الى سمسون^(٩) ، وفي هذه الأثناء خرج حسين باشا حاكم بلاد الحبشة ، الذي أفسد وجبى الأموال ، وأحرق بعض نواحي بلاد قرمان ، ونواحي اناطولي ، وقتل وسبى وأسر بعض القضاة حسبما أورده البوريني ، ووصل إلى مدينة الرها ، وكان فيها عبد الحلیم اليازجي زعيم السكبانية ، ويصف البوريني لقائهم بقوله : "التقى صلان صائلان ، واجتمع ثعبانان منثعبان ، وأبرز كل منهما للآخر حكماً يشهد بأن آل عثمان قد أمروه بقتل الآخر..^(١٠) ، وقد نزلا في قلعة الرها ، فعين السلطان لقتالهما الوزير محمد باشا ابن الوزير الأعظم سنان باشا ، وسار معه عساكر الروم ، وعساكر الشام ، وعساكر حلب ، ولما أصبح حسين باشا في ضيافة اليازجي ، غدر به الأخير ، وسلمه للعساكر السلطانية^(١١) ، وتم القاء القبض على

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٩ - ٢٧٠.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٠.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٣.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٦١.

(٥) أمير البلاد الشوفية ، وامين الاسكلة الصيداوية ، كان له دور في دعم جماعة الأمير درويش باشا المنعزل عن ولاية صدف ومعه جماعة السكبانية الا انهم لم يستقروا عنده ، للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦١.

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٦١.

(٧) هي مدينة حران ، في تركيا اليوم ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٢.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٩) ذكرها المحبى ساميسون وقال: "بلدة مشهورة في بلاد الترك بالقرب من طرابزون والعامه تقول (ساميسون) ، بالصاد ... قلت والعامه تقول في ايامنا صمصون .." ، نقلاً عن نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٩.

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٥.

(١١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٦.

حسين باشا وترك عبد الحلیم اليازجي في قلعة الرها وفق العهد الذي أبرم بين الطرفين^(١)، وفي يوم الجمعة ٢٦ شوال سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠١م مات اليازجي بمرض في سمسون ، وبموته انقسم جماعته إلى قسمين:

القسم الأول : طلب الأمان من السردار حسين باشا.

القسم الثاني : بقي مصراً على موقفه فذهبوا مع شقيق عبد الحلیم اليازجي حسن بك اليازجي إلى رستم في مدينة ملطية^(٢) وكان قد أعلن مطالبته بالاستقلال ، ويذكر البوريني^(٣) ، ان خسروا باشا الخادم قد عُين من قبل السلطان محمد سرداراً على جيش كبير، لقتال رستم في ملطية ، وانه (خسروا) كتب إليه (للبوريني) يطلب منه ومن العلماء الدعاء له^(٤) . كان حسن اليازجي شجاعاً والتف حوله السكبان ، مما دفع السلطة إلى تعيين عدد من القادة العسكريين لمواجهتهم ، ومنهم الوزير حسن باشا الذي تحرك بالعساكر لمواجهة حسن اليازجي ، ودار القتال بين الطرفين وكانت الانتصارات مستمرة لجماعة حسن اليازجي^(٥) ، فهرب الوزير حسن باشا إلى قلعة توقات^(٦) ، ثم هجمت جماعة حسن على مدينة توقات ، وتم محاصرة " أبواب القلعة .. " من قبل الجماعة^(٧) ، وبعد ذلك قتل الوزير حسن باشا^(٨) ، في اشارة إلى القوة العسكرية التي كان يملكها جماعة حسن اليازجي ، وتدهور المؤسسة العسكرية الرسمية . لم يدم الأمر طويلاً لحسن اليازجي ، فقد اختلف مع أهل آمد فتوجه إلى بلغراد ، حيث وضعه حاكمها في القلعة مكرماً ، وتحفظ عليه ، وتم عرض أمره على السلطان فأصدر حكماً بقتله وقطع رأسه^(٩) ، ويعلل البوريني سبب خروج حسن اليازجي وشقيقه عبد الحلیم بمطامعهما في المناصب ، فقد كان عبد الحلیم يطمع بولاية الروم ، وكان حسن اليازجي يريد صنق جروم في بلاد سيواس، وانتهى الأمر بعودة سيطرة الدولة بعد مقتل حسن في قلعة بلغراد^(١٠) .

وقد تتبع البوريني في كتابه أخبار القوى المحلية وبيّن موقفها من السلطة في القتال بين الوزير الأعظم وبين القوى المحلية ، وخاصة التي ساعدت الوزير الأعظم مراد باشا على قتالهم، فقد أفرد

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٣) في نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٤) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٥) نفس المصدر، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٦) توقات : مدينة بأسيا الصغرى في الجزء الشمالي من كيا دوكيا الى الجنوب من المجرى الاوسط لنهر تونلي الذي عرفه القدماء باسم إريس وكان فيها قلعة تسمى دازيمون كان لها شأن في الحروب التي نشبت على تخوم دولة الروم ، انظر دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٨) انظر القصة كاملة في سبب قتله ، نفس المصدر، ج ١ ، ص ٢٢٧ و٢٢٨ .

(٩) نفس المصدر، ج ١ ، ص ٢٢٨ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

عنواناً خاصاً ، تحدث فيه عن القوى المحلية ذات الوزن السياسي الكبير ، منهم الأمير فخر الدين ابن معن الثاني الذي كان غرضه الحياد ولا يميل إلى جهة معينة ، لان الوضع العسكري لم يكن محسوماً ، ويميل الوضع لصالح السكبان ، وبعد انتصار الوزير ارسل الامير فخر الدين ابنه علي ومعه هدية ، و ثلاثمائة رجل ، الا انهم ليسوا من ذوي الاختصاص القتالي^(١) وكان موقف الأمير فخر الدين المعني الثاني مشابه لموقف جده الأمير فخر الدين المعني الأول في معركة مرج دابق بين العثمانيين والمماليك من خلال موقف الحياد من الصراعات^(٢) ، ومنهم أيضاً كيوان البلوكباشي^(٣) وكان في دمشق وموقفه شبيه بموقف الأمير فخر الدين المعني الثاني^(٤) ، و " البلوك باشي" رتبة عسكرية وعند البوريني هم موظفون تم تعيينهم من قبل الضابط درويش آغا البوسني الأصل ، وهم في كل شارع ، يعني كل شارع من شوارع دمشق كان فيه بلوكباشي واحد ، ويساعده جماعة القابوقلية ، ووظيفتهم جباية الأموال من المحال التجارية ، وقد طغوا وظلموا في تحصيل تلك الأموال ، وكان ذلك بالتحديد سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م ، ومنهم كذعان البلوكباشي بدمشق ، وكيوان البلوكباشي بدمشق أيضاً الذي وصفه البوريني (بالخوان) حيث رفض السير إلى الوزير الأعظم مراد باشا للمساهمة في قتال الأمير علي بك ابن جانبلاط^(٥) . أما الأمير قانصوه أمير بلاد عجلون وكرك الشوبك ، فلم يسافر الى الوزير أيضاً بحجة انه رجل بدوي وليس لديه جيش يسافر الى الروم ، ولكن أرسل هدية مع أحد أولاد عمه إلى الوزير الأعظم مراد باشا^(٦) ، وكذلك الحال مع الأمير أحمد ابن طرباي أمير اللجون ، الذي أرسل الهدايا ولم يسافر^(٧) .

ويبدو من تراجم البوريني اهتمامه بذكر العديد من القوى المحلية الأخرى التي كانت تطالب بالاستقلال والوظائف ، ومنهم علي باشا ابن جانبلاط حاكم كلز و عزاز^(٨) ، الذي قاتل العساكر في حماه ، وكان قائد العساكر السردار يوسف باشا ابن سيفا التركماني حاكم بلاد طرابلس ، وكانت النتيجة أن كُسر العسكر السلطاني وفراره ومقتل العديد منهم ، ولم يقتل أحد من جانب جماعة الأمير علي ابن جانبلاط ، ونتيجة لذلك ذهب يوسف ابن سيفا إلى عمه حاكم بلاد حصن الأكراد الأمير محمود ، وبات ليلة في الحصن ، ثم وصل الى حيفا من دون عسكر طرابلس ، لأن عسكر طرابلس قد أمر عليه ابن عمه درويش بن حبيب وذهب به الى طرابلس ، والتقى يوسف ابن سيفا

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٨ .

(٢) الشهابي : تاريخ ، ج٣، ص ٧٣٨ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ . وانظر الخطيب : معجم، ص ٨٦

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨٨ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٩ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٩ .

(٨) عزاز : وهي بلدة فيها قلعه ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء ، انظر الحموي : معجم البلدان، ج ٤ ص ١١٨ .

بالأمير أحمد ابن طرباي حاكم حيفا وهي على طرف البحر، ودخل في جواره ، ومنحه بعضاً من خيوله^(١) ، بعد ذلك لما علم كل من الأمير علي ابن جانبلاط والأمير فخر الدين ابن معن أن يوسف ابن سيفاً قد لجأ إلى الأمير أحمد ابن طرباي أمير حيفا ، فطلبوا منه ان يقتل يوسف ابن سيفاً ، الا أنه رفض ذلك واعتبره ليس من شيم العرب ولا العجم^(٢). بعد ذلك رجع ابن سيفاً الى دمشق الشام وحصل قتال آخر مع جماعة ابن جانبلاط في منطقته تسمى العراد بالقرب من دمشق في جهتها الغربية ، فكُسر العسكر الشامي أيضاً ، وبقي عدد قليل منهم، فأصاب دمشق أمر عظيم وصفه البوريني بقوله: "...ولو أراد ابن جانبلاط أخذ دمشق لأخذها من غير تعب .." ، لكن علي ابن جانبلاط أمر العساكر السكبانية ان ينهبوا ويخربوا القرى المحيطة بدمشق^(٣). واستمر النهب والسلب ثلاثة أيام ، يصفها البوريني المعاصر لتلك الاحداث بقوله : "...وكانت أياماً عصيبة .."^(٤)، وكان لابن جانبلاط دوراً في عصيان قرية المزة، حيث خرج إليه حسن باشا ، المشهور (بشوريره حسن)^(٥) ، ومنحه مبلغاً قدره (١٢٠,٠٠٠) الف قرش (مئة الف قرش وعشرين الف قرش ..)^(٦) ، وهذا المبلغ كان قد منحه أياه الأمير يوسف ابن سيفاً ، ثمناً للافراج عنه من قبل أهل دمشق ليصل إلى بلاده (طرابلس)^(٧)، فاشترى به سكر وبن لابن جانبلاط يقول البوريني : (مائة ألف والعشرين زائده تم شراء سكر وبن لابن جانبلاط) واعتبر البوريني ذلك لمصلحة أهالي دمشق بقوله : "... فاعطي المبلغ المذكور . وكان في ذلك حكمة بالغة أراد الله بها صيانة دمشق .."^(٨) وبالفعل ترك ابن جانبلاط المنطقة وعاد إليها الأهالي الذين حوصروا خارج السور، ويصف البوريني عودتهم بقوله : "... وفتحت دمشق ، ودخل من كان خارج سورها من الساكنين فيه عرايا حيارى ، سكارى وما هم بسكارى، وكانت واقعة هائلة .."^(٩). ويبدو ان خروج ابن جانبلاط منها تم بناء على اتفاق، وشرط بينه، وبين ابن سيفاً ، ذكره البوريني بالتفصيل وجاء فيه^(١٠) :

١. أن يتزوج ابن جانبلاط بنت الأمير يوسف ابن سيفاً .

(١) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٢٩.

(٢) انظر كرم ومرؤة احمد ابن طرباي أمير حيفا مع يوسف بن سيفاً حاكم بلاد طرابلس ، نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٩.

(٣) البوريني :تراجم الأعيان ،ج١، ص ٢٣٠.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٠.

(٥) حسن باشا : ابن عبد الله الشهير بشوريرة حسن احد صدور دمشق واعيانها وعليه الاعتماد في المهمات كان محب للعلماء وله املاك و عمارات وخانات منها سوق جقمق وجعله وقفا ، كان قبل توليه المناصب الرفيعة جنديا وسافر الى الاستانه عدة مرات ، مات سنة (١٠٢٧ هـ / ١٦١٩ م) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر، ج٢، ص ٢٤ الى ص ٢٧ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ،ج١، ص ٢٣٠.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣١ .

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣١ .

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣١ .

٢. يتزوج ابن سيف بننت الأمير ابن جانبلاط .

٣. أن يدفع يوسف ابن سيف المال لابن جانبلاط .

و عاد الاستقرار الى دمشق^(١) . بتدخل الأهالي الذين يصفهم البوريني " بالعقلاء " ، الذين دخلوا في مفاوضات مع الأمير علي بك ابن جانبلاط ، حتى يأخذ المال الذي حدد له من قبل يوسف ابن سيف^(٢) .

وبعد إبرام الصلح بينهما ، عاد ابن جانبلاط إلى حلب ومكث فيها ، وزاد عدد جماعته وقويت شوكتهم ، مما أربك السلطة من تعاضم أمر ابن جانبلاط ، فقرر السلطان تعيين مراد باشا^(٣) ، لغرض استمرار ملاحقة علي ابن جانبلاط في حلب^(٤) ، ومطاردة كل من سعيد الأسود، ومحمد الطويل المعارضين في مناطق سيواس^(٥) ، واستمر ينقب عن الأشقياء وأتباعهم الذين جاءوا الى السكبانية من أراضيهم فقتل جماعة منهم^(٦) ويبين البوريني الأعمال التي قام بها الوزير الاعظم لاعادة الاستقرار^(٧) وهي :-

أولاً: تأليف جيش مكون من (٣٠٠ ألف فارس) ما بين فرسان وراجله .

ثانياً: القضاء على السكبانية ما عدا سعيد الأسود ، ومحمد الطويل ، لأنه لم يستطع اللحاق بهما عندما طاردهما ، ولخشيته من طول المسافة ومجيئ الشتاء .

ثالثاً : القضاء على جمشيد في إذنه ، وكان جمشيد قتل الحاكم حسين باشا المعين على حلب ، بطلب من الأمير علي بك ابن جانبلاط ، وقد سلم إذنه لبعض أتباع السلطان أحمد^(٨) .

رابعاً : تحرك الوزير الأعظم مراد باشا إلى حلب وقارب بلاد مرعش ، مما دفع بالأمير علي بك أن يجمع قواته من السكبانية عند الأمير فخر الدين ابن معن ، وكانوا موزعين ومنهم جماعة تقدر بـ (٣٠٠ ألف رجل) ، فطلبهم فأصبح عدد قوات الأمير علي ابن جانبلاط بحدود (٤٠ ألف)^(٩) .

(١) للمزيد انظر ترجمه علي بك ابن جانبلاط . نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧١ - ٢٩٦ .

(٢) يوسف ابن سيف : أمير طرابلس الشام شغل حكومة طرابلس فترة طويلة ودخل في قتال مرير مع علي ابن جانبلاط للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٧٩ وانظر ترجمته عند المدبي : خلاصة الاثر ،

ج٤، ص ٥٠٣ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٢ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٣

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٣

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٧

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٤، ٢٨٢ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨٤ .

خامساً : محاولاته لاصلاح الأمور مع الأمير علي بك ، فعرض عليه الصلح ، لكن الأخير رفض^(١) وقد أدى هذا لاندلاع نيران الحرب ، حيث لعب السكبان دوراً عسكرياً مما جعل البوريني يصفهم بأنهم أصحاب الصولة بقوله : "... غير ان صولة البغاة كانت ظاهرة ، لكون فرقة السكبانية في صنعة الحروب ماهرة ... وزادت نار الحرب في الاشتعال ، حتى كادت عسكر البغاة أن يكون غالباً.." ^(٢) ، في اشارة إلى قوة جيش السكبان^(٣) ، مما دفع أحد القادة المعينين وهو حسين باشا الترياقى إلى ترتيب الجيش ترتيباً محكماً لمجابهة قوة السكبان^(٤) من خلال ضربهم بالمدافع ، وقد وصف البوريني ساحة القتال بقوله : "..وطبقت الأرض بالظلمة حتى كأن الليل جاوز النهار.." ^(٥) ، وكانت نتيجة هذه الخطة التي تعتمد على قوة المدافع هزيمة جيش السكبان ، مما دفع بالأمير علي بك إلى التحصن مع أهله في قلعة حلب لينفذ نفسه من مطاردة الوزير الأعظم مراد باشا^(٦) ، وتمكن من الهروب من القلعة ووصل إلى ملطية^(٧). واستمر الوزير الأعظم مراد باشا بمطارد جماعة الأمير علي بك ، فقتل منهم جماعة ودخل حلب ، ثم ذهب الى القلعة فوجدها في يد بعض السكبان يقول البوريني : (وكانوا بحدود ألف رجل ومعهم نساء بني جانبلاط وأربعة من أكابر السكبانية) ، فدخلوا في معاهدة معه ، ولم يقتلهم ونزلوا من القلعة ، وسيطر عليها الوزير^(٨) ويذكر البوريني ان من ضمن النساء كانت ابنة الأمير يوسف ابن سيفا زوجة الأمير علي بك^(٩) ، ومع أن الأمير علي بك اختفى من وجه الوزير الأعظم ، الا أنه استمر على العصيان في ملطية^(١٠) ، وتم تأجيل مواجهة السكبانية بسبب حلول فصل الشتاء ، فقد فرق الوزير الأعظم الجيش على البلاد لقضاء فترة الشتاء ومنهم جماعة من السباهية العسكرية ، بانتظار مطاردة الامير علي بك^(١١) ، باستثناء جيش الشام فإنه بقي في نواحي حلب . ولم يقبل الوزير برجعهم الى دمشق^(١٢).

ويبدو إن إقامة الأمير علي لم تطل في ملطية ، فقد وصل الى نواحي بلاد انطولي وكان بها محمد الطويل ، وحاول عقد اتفاق معه لضرب الوزير الأعظم ، إلا ان محمد رفض عرض الأمير

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٤.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٣) انظر الخطة العسكرية التي وضعها الوزير حسين باشا لضرب السكبان بالمدافع ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٥.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٥.

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨٥.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٦.

(٧) مدينة شراها الخليفة عمر بن عبد العزيز لتكون حصناً للمسلمين ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٦.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٦.

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٨٨.

(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٦.

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٧.

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٧.

علي ابن جانبلاط ، فاتجه الى قره سعيد الاسود ، وقلندر أوغلي وحاول الاتفاق معهم وفق شروط^(١) ،
، الآ انهم رفضوها ، فاضطر الأمير علي بك للخروج ، ومعه أقاربه حتى وصل بروسة في الليل^(٢) ،
، وقرر مواجهة السلطان ، حيث أحس بالخذلان وبأنه لا يستطيع الاستمرار في الخروج على
السلطة ، وفعلا تم ذلك والتقى بالسلطان في الباب العالي^(٣) ، وعفا عنه السلطان ومنحه مدينة "
دمشوار " وهي ضمن الرقعة الجغرافية لبلاد الروم^(٤) .

ويفهم من أخبار البوريني^(٥) انه لم يبق أحد من آل جانبلاط إلا ولد صغير كان يعمل خادماً
بداخل بيت السلطنة اسمه مصطفى وهو ابن أمير الأمراء حسين باشا ابن جانبلاط ، وحيدر بك
المقيم في القسطنطينية ، ويصفه البوريني بانه (درويش) ، في حين كانت نساؤهم في بلاد حلب ،
بحال مزرٍ، عدا أخت علي بك ابن جانبلاط ، فانها كانت زوجة أمير الأمراء حسين باشا حاكم إيالة
طرابلس الشام ابن أمير الأمراء (وظهير الوزراء)^(٦)، يوسف باشا ، ولهذه المرأة تنتسب كل امرأة
من بيت جانبلاط وتأوي إليها ، ويصف البوريني بيوتهم في حلب بانها أصبحت خالية بسبب تلك
الصراعات^(٧) في اشارة إلى التدهور الامني الذي كانت تعانیه بلاد الشام داخلياً وبهذا هدأت
أوضاع السكبان وانتقلت الزعامة بعد الأمير علي بك إلى جماعة الأشقياء بقيادة سعيد الاسود
ومحمد قلندر اوغلي الذين هربوا من ملاحقة الوزير الأعظم مراد باشا بعدما هزمهم في حلب ،
وبسبب قوة السكبان أمر السلطان أحمد بجلب الجيش المصري^(٨) ، لقتال قائد السكبانية محمد ابن
القلندر ومعه سعيد الاسود^(٩)، وانضم بعض العشائر للسكبان كعرب آل حيار الذين ذفروا من
العراق ، بعد موت أميرهم الامير أحمد ابن أبي ريثة ، وقد شهدت بلاد تدمر^(١٠) المشاكل والقتال
، ومنها قطع الطرق ، وترويع الناس من قبل السكبان و عرب آل حيار^(١١) الذين كانوا يتسلحون
بالبنق^(١٢) ، وآخرين من العرب كان سلاحهم السيف والرماح^(١٣) ، وتمكنوا من السيطرة على قلعة

(١) لم يذكر البوريني تلك الشروط لكن هؤلاء لم يرضوا بالشروط ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٣) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٩١-٢٩٦ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٧) انظر شعر الشريف الرضي الذي قاله البوريني للعبرة والعظة ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ .

(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٩) للمزيد انظر نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(١٠) تدمر : بالفتح ثم السكون وضم الميم مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام ببناها وبين حلب خمسة ايام للمزيد

انظر الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

القسطل^(١) ، وقلعة القطيفة^(٢) ، ونهبوا وقتلوا الرجال والنساء بحدود عشرة أشخاص ، فلما تهادوا في التخريب والقتل ، تحرك إليهم الجيش بقيادة حاكم دمشق سنان باشا ومعه أمير عرب المفارجة (من عشائر بني لام) في أرض حوران الشيخ عمرو بن جبر الذي سبق ودخل في صراع عشائري مع شيخ عرب السرديين في البلقاء الطامع بامارة العرب في أرض حوران ، الا أنه خسر الحرب مع الشيخ عمرو بن جبر^(٣) ، وتمكن الجيش الشامي من مطاردة جماعة عرب ابي ريشة ومعهم الاسكبان في عدة مناطق، وقتل من الاسكبان حوالي ثلاثمائة رجل ، وتم اعتقال حوالي خمسين رجلاً، وجاءوا بهم الى دمشق على الجمال ، وعلى كتف كل واحد منهم خازوق^(٤) ليتم اعدامهم به ، وتم ذلك بالفعل ، ويصف البوريني عملية الاعدام بانها شنيعة وقاسية بقوله : "...وقتلوهم بالسياسة الشنيعة ، والهيئة الفظيعة"^(٥) ، كما وساهم حاكم الشام سنان باشا، بقتل واعتقال عدد منهم يقول البوريني : (قتل نحو خمسة عشر رجلاً من السكبانية)^(٦) وقد اختلف السبب في قتلهم فمنهم من يقول ان الوزير الأعظم مراد باشا ، هو الذي أمره بقتلهم ، علماً ان للوزير الأعظم مراد باشا علاقة ود مع الوزير سنان باشا ، إذ أنهما سبقا وخرجا الأمير الكبير محمود الذي قُتل في مصر^(٧) ، وهو الذي عينه أميراً للأمرء في بلاد قرمان^(٨) ، ثم حاكماً على دمشق^(٩) . أما الرأي الثاني في سبب قتلهم، فيقول البوريني بأن السبب يعود إلى وجود جماعة من السكببان بين عسكر سنان باشا فطلب سنان باشا من العسكر أن يقتلوه ، فقالوا له لا نقتلهم حتى تقتل أنت الجماعة الموجودين وكان عددهم خمسة عشر رجلاً^(١٠) .

ولما زادت المشاكل والقلقل أكثر مما كانت عليه ، كقطع الطرق ، وترويع الناس وكثرة السرقة^(١١) ، دفع ذلك بأحد الأمرء وهو الأمير إبراهيم باشا ابن طالوا بالاسفر إلى الوزير الأعظم في حلب للمساهمة باعادة تدمير إليه ، وفعلاً تم اعادته إلى منصبه سنجقاً على تدمر، كتشجيع له،

(١) القسطل : في لغة اهل الشام الموضع الذي تفترق منه المياه وهو موضع بين حمص ودمشق ، وقيل هو اسم كورة وقسطل موضع قرب البلقاء من ارض دمشق في طريق المدينة ، انظر الحموي : معجم البلدان، ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٢) القطيفة : وهي قرية دون ثنية العقاب للقاصد الى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص ، انظر نفس المصدر، ج ٤، ص ٣٧٨ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢٢٤ ، ٢٣٢ و ٢٣٣ .

(٤) انظر دهمان ، معجم، ص ٦٦ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٣٣ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣١ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٨ .

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٩ .

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣٠ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣١ .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٢٣٢ .

وقد تحدث عنه البوريني ومدحه ووصفه بأنه كان رجلاً مطيعاً للسلطان ، ودعا له بالخير^(١) في إشارة واضحة إلى ميوله تجاه السلطة ، وقد وصل الجيش السلطاني الى بلاد البستان ، بقياده السردار الوزير الأعظم مراد باشا^(٢)، والتقى الطرفان وانتهى الصراع بانتصار الجيش السلطاني على جيش السكبانية ومعهم جماعة من عرب آل حيار أولاد ابي ريشة^(٣) ، فأمر السلطان الوزير الأعظم مراد باشا بالقضاء عليهم^(٤) ، فهربوا إلى بلاد العجم عند شاه عباس بن خدای بنده محمد شاه قزلباش ، في حين رجع الجيش الى دمشق سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م^(٥).

ويبدو من تراجم البوريني اهتمامه بذكر الأحداث السياسية لأكثر مدن بلاد الشام كحلب وبعلبك وصفورية ، ففي حلب خرج شاب اسمه صالح السفاحي ، على السلطة وانضم الى جماعة السكبانية ، وكان سلاحهم التفنك^(٦)، وقد زاد ظلمه للناس مما اضطر والداه أن يطلبان من حاكم حلب الوزير أحمد باشا كمكجي زاده^(٧) أن يقتله ، ألا ان الحاكم اقترح على الوالدين أن يرسل ولدهم الشاب صالح للعمل بالقذف بالسفن السلطانية في البحر ، تنفيذاً للأمر السلطاني القاضي بارسال المجرمين فقط إلى هذا العمل ، ألا ان امه رفضت ، وقد حسمت وفاة والده الأمر ، فتوجه الشاب صالح الى الحاكم وترك الخروج على السلطة فعينه الحاكم متولياً على وقف آباءه وأجداده^(٨) . كما وتعرضت حلب الى تعسف الينكجيرية (الانكشارية) وهم العسكر ، فقد افسدوا ، وأخذوا من أهل حلب الاولاد والعيال مما أضر بالأهالي ، فكان في ذلك الوقت مسؤول الأموال السلطانية إبراهيم باشا موجوداً في حلب بناء على أمر من السلطان لاحصاء الاموال فيها ، فأرسل إبراهيم باشا إلى العسكر ونصحهم بعدم التعدي على الأهالي ، ألا انهم لم يسمعوا النصيحة وزاد طغيانهم مما دفع إبراهيم باشا إلى مقاتلتهم ، وبالفعل قتل منهم الكثير ، يقول البوريني : " ..ودخل برؤوسهم إلى حلب على رؤوس الرماح .."^(٩) ، ويبدو إن السلطان تخوف من زيادة نفوذ الوزير فعزله عن حلب ، ليعهد اليه بالوزارة في الباب العالي يسمع شكاوى الناس^(١٠) . ولم تهدأ الأمور في حلب عند ذلك الأمر فقد بقي الجيش الشامي يتدخل في الشؤون الداخلية في حلب، وبعلبك ، فأما حلب فقد أرادت العساكر الشامية منحها الى الأمير دندن و عزل عمه الأمير أحمد الحيارى^(١١)، وأما بعلبك فقد أراد العساكر الشامية

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٢ ، ٢٨٩ .

(٢) تم التعريف به سابقاً ، وانظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧١ - ٢٩٦ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٢٠ .

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٣٢٠ .

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٧ .

تنصيب ابن سيفا عليها و عزل موسى ابن الحرفوش^(١) الذي قتل علي شقيق ابن سيفا ، ويصف البوريني الصراعات على المناصب مع تزامن ضعف السلطة بقوله : "وكل ذلك بغير أمر السلطان .."^(٢) ، اي من دون علم السلطان محمد بن مراد^(٣) ، في اشارة مهمة إلى تدهور الوضع وتدخل العساكر في الشؤون السياسية لبلاد الشام و ضعف السلطة المركزية ، والعداوات بين الأمراء وال اغتياالات في صفوف المسؤولين^(٤) . كما وتعرضت صفورية^(٥) الى تدهور في أوضاعها ولم تعد (طيبة العيش) على حد وصف البوريني ، بسبب سوء الحكم وانتشار الفساد فيها وكثر القتل وخصوصاً قتل الأعيان^(٦) .

أما على الصعيد الخارجي : يبدو من تراجم البوريني اهتمامه بالاوضاع الخارجية لبلاد الشام ، فقد اهتم بذكر أخبار خاصة بالشؤون الداخلية للسلطنة ، فأورد معلومات على جانب كبير من الأهمية، منها انتشار الخيانة داخل البيت السلطاني^(٧) ، واستمرار عزل الوزراء الصالحين، وتعيين وزراء بدلاً عنهم مفسدين وسارقين للأموال^(٨)، الا أن السلطة كانت في بعض الأحيان ترد بقسوة على مثل هؤلاء ، ومنها قيام السلطان أحمد بقتل الوزير قاسم باشا الذي كان له دوراً في جلوس السلطان أحمد على سرير الحكم بعد وفاة والده السلطان محمد بن مراد بن سليم^(٩) .

وفي زمن الوزير أحمد باشا سجل البوريني في تراجمه معلومات سياسية مهمة حول العلاقات بين العثمانيين وبلاد فارس واستمرار تبادل المراسلات لغرض عقد الصلح بين الطرفين ، مما كان له الأثر على ولايات الدولة وخاصة بلاد الشام في اشارة إلى اهتمام أهالي بتلك الأحداث وانعكاساتها عليهم ، ففي سنة ١٠٢١هـ / ١٦١٢م ذهب الوزير أحمد باشا ومعه العسكر الشامي إلى حلب بطلب من الوزير الأعظم نصوح باشا الذي كان في ديار بكر والذي تولى الوزارة العظمى بعد الوزير الأعظم مراد باشا^(١٠)، ولما جاء الوزير الأعظم نصوح باشا إلى حلب جاء معه رسول

(١) موسى ابن الحرفوش : موسى بن علي بن موسى الحرفوشي (ت ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧م) أمير بعلبك وأطرافها وفي أيامه أستفحلت فتنة علي ابن جانبلاط ، عزل بعد ذلك من ابن جانبلاط وولى عليها يونس ابن حسين ابن الحرفوش ، انظر الزركلي : أعلام، ج ٧ ص ٣٢٦ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) للمزيد انظر القصة التي اوردها البوريني ، نفس المصدر، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٥) صفورية : قرية من قرى فلسطين ، نفس المصدر، ج ١ ، ص ٨ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ١٣٠ و١٣١ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٨) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٩) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(١٠) نصوح باشا : وشهرته ناصف باشا خدم في بيت السلطنة وصار أمير آخور ، ثم تولى كفالة او اماره حلب في وقت كان جند الشام لهم الغلبة والقوة وساءت احوال حلب في وقته بسبب ابن جانبلاط ، وتولى الوزارة العظمى وقيادة الجيوش بعد وفاة الوزير الاعظم مراد باشا كما وتزوج بنت السلطان احمد الا ان السلطان قتله بعد ذلك سنة

ملك العجم وذلك إن سلطان العجم شاه عباس أراد عقد الصلح مع السلطان أحمد فأرسل إلى الوزير الأعظم نصوح باشا رسولاً ، لعلمه جيداً ان الوزير هو الذي يعرض مثل تلك الأمور المهمة على السلطان ، فمنذ عهد السلطان سليم المنتصر على الجراكسة في مرج دابق كانت علاقة الدولة العثمانية مع ملوك الشرق علاقة حربية لا سيما بعد سيطرة اسماعيل شاه على سائر ملوك العجم ، خراسان ، وإذربيجان ، وتبريز ، وبغداد وغيرها من البلدان^(١) ، ولما جاء السلطان سليمان القانوني كان ملك العجم شاه طهماسب ملكاً على العجم ، ولديه علاقات مع الدولة حتى أن أحد أولاد السلطان سليمان القانوني بعد خسارته في الحرب مع شقيقه هرب إلى شاه العجم فاستقبله وأكرمه ، ودخل سليمان أيضاً في حرب مع الشاه أنهت بالصلح^(٢) ، واستمر الصلح إلى أيام السلطان سليم بن سليمان ، إلا إن عهد السلطان مراد ابن سليم شهد عودة للاصرعات بين الدولتين العثمانية والعجم بعد استغلال العثمانيين اضطراب الوضع الداخلي للعجم فبعد موت طهماسب شاه سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م تولى ابنه حيدر لكنه توفي بعد ساعات، ثم جاء بعده اسماعيل بن طهماسب ومات أيضاً سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م فجاء بعده أخوه محمد خدا بنده فأرسل العثمانيون العساكر لأخذ مدينة تبريز^(٣) ، وفي عهد السلطان محمد بن مراد شهدت العلاقات نوعاً من الهدوء ، لأن هذا السلطان لم يهتم في بداية حكمه كأسلافه بالحروب ، ولكن مع ذلك اهتم بالحروب مع الغرب أكثر من الشرق^(٤) ، أما عهد السلطان أحمد فقد سجل البوريني بعض الإشارات إلى أن ملك العجم شاه عباس قد سار على نهج أسلافه خاصة في عهد طهماسب الذي تصالح مع سليمان القانوني ، فأرسل رسولاً إلى الوزير الأعظم نصوح باشا كي يسعى بذلك الصلح مع السلطان أحمد ، في إشارة إلى أن سياسة نصوح باشا كانت تتسم بالهدوء وتميل إلى الصلح ، على عكس من كان قبله من الوزراء كمراد باشا ، إلا أن البوريني لم يذكر بنود ذلك الصلح وهل تم فعلاً أم لا ، يقول : "....فورد إلى حلب ومعه رسول ملك الشرق شاه عباس بالصلح بينه وبين السلطان أحمد . ولما وصلوا إلى حلب استقبلهم أهل حلب ودخلوا بهيبة عظيمة وهيئة كبيرة ، ولم يبق أحد من أهل حلب إلا وقد خرج إلى الفرجة عليهم . وبلغنا أنه صدر بين الوزيرين المذكورين مناقشة أدت إلى منافسة ، وإلى برودة وركة ، ويقال إنه آل الأمر إلى الصلح"^(٥)، وقد أورد فريد في تاريخه^(٦) معلومات حول تلك العلاقات ، في وقت كانت الدولة مشغولة بقتال القوى الداخلية المحلية وتدهور جيشها

(٢٣) ١٠٢٣ هـ / ١٦١٤ م) للمزيد انظر ترجمته عند المحدي : خلاصة الاثر، ج٤، ص ٤٤٨ الى ٤٥١ ، وانظر

الغزي : لطف السمير، ج٢، ص ١٩٤ .

(١) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٤٦ .

(٢) انظر ترجمة أبو زيد ابن سليمان القانوني ج١، ص ٢٣٤ - ٢٣٨، والكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٥٦ .

(٣) فريد : تاريخ ص ١١٤ .

(٤) نفس المرجع ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٥ .

(٦) نفس المصدر، ص ١٢٩ - ١٣٣ .

بسبب تلك الحروب التي استمرت عدة سنوات وموت الوزير الأعظم مراد باشا سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١١ م ومجيئ نصوح باشا إلى الوزارة العظمى ، مما كان له أثراً بدفع القوى الخارجية الغربية والشرقية وخاصة شاه العجم عباس كي يسترجع بلاد العراق ، وتبريز ، ومهما يكن فقد استمرت المراسلات بين الطرفين على الصلح الذي تم سنة ١٠٢٣ هـ / ١٦١٢ م من خلال مساعي الوزير الأعظم نصوح باشا ، ووفق شروط ، منها أن تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الأقاليم والبلدان ، والقلاع ، والحصون التي استولت عليها الدولة منذ عهد السلطان سليمان ، وهذه المعاهدة قد أشار إليها البوريني وكانت أول معاهدة تركت فيها الدولة بعض مدنها التي استولت عليها^(١) .

لم يقتصر البوريني في تراجمه على تتبع الأحوال السياسية لبلاد الشام والقسطنطينية ، بل انه تتبع الأحوال في اليمن في إشارة إلى اهتمام الأهالي بما يدور حولهم من أحداث سياسية ، فقد أعلن الأشراف خروجهم في اليمن سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م في مكان اسمه وصاب^(٢) ، زمن السلطان محمد وكان حاكم اليمن في حينها أمير الأمراء حسن باشا^(٣) ، فخرج أحد الأشراف وهو أبو القاسم الحسن الحسيني ودعا إليه الناس للمبايعة ، وكانت دعوته لهم مسندة بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، فانتشرت دعوته وبايعه أهالي اليمن ومَلَكَ ما يقارب من عشرين حصناً ، من دون قتال ، حيث سلم أصحاب هذه الحصون لأبي القاسم^(٤) . واستمالوا لدعوته لتحقيق العدل والمساواة ، وتوصيل المال لأهله^(٥) ، ويبدو أن خروج أبو القاسم على الدولة ، كان حاسماً فقد قام بسك النقود ، ويورد البوريني نص السكة على نقوده : "... وكان يكتب في أحد الوجهين : لا اله الا الله ، محمد رسول الله . وعلى الوجه الآخر : المنصور بالله ابو القاسم أمير المؤمنين الحسيني^(٦)) ، فعرض أمره على الباب العالي من قبل أمير الأمراء حسن باشا ، فصدر الأمر بتوجه العساكر لمقاتلة أبو القاسم ، حيث تم استرجاع أغلب الحصون^(٧) .

ثانياً . بيان أثر الفوضى على الأوضاع الاجتماعية للمجتمع :

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٠٤ ، فريد : تاريخ ص ١٣٠ .
(٢) صقع متسع في اليمن يشتمل على وصاب عالي و وصاب اسفل ، ويقع غربي وادي زبيد في تهامة ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٧ .
(٣) حسن باشا : حاكم اليمن احد اعيان الوزراء كان محب للاشراف ، تولى الحكم في اليمن من قبل السلطان مراد ابن سليم في وقت كانت حصونها بيد الاشراف ، مات سنة (١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر ، ج٢ ، ص ٧٣ - ص ٧٦ .
(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٤٧ .
(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٧ .
(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٨ .
(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

لم يكن البوريني مهتماً فقط بذكر الأحداث اليومية السياسية والعسكرية في تلك الفترة^(١) وأثرها على تدهور الأحوال الاجتماعية ، وإنما اهتم بذكر ما كان يجري في صفوف السكبان الذين كانوا لا يتورعون عن النهب والسلب ، وقطع الطرق وترويع الناس^(٢) ، حيث ذكر بعض الأحداث التي تشهد لهم الالتزام بالأخلاق ، وقد نقل عن لسان الوزير سنان باشا حاكم دمشق^(٣) انه أخبر بأنه رأى بعينه حادثين يؤيدان ما ذهب إليه^(٤) :

الأولى : لما انتصرت العساكر الشامية على السكبان ، كان هناك رجلا من منهم توقعوا اعتقالهم من قبل العساكر ، فقام كل واحد بتوجيه السلاح (البندق) إلى الآخر وقتلا .

والثانية : قيام رجل من السكبانية بقتل زوجته ، خوفاً عليها من الوقوع بيد العساكر .
كما وسجل البوريني معلومات ، تدل على أخلاق علي ابن جانبلاط مع أهل دمشق فيقول :
"...وكانوا يأخذون الأموال والأولاد الذكور ، ولم يتعرضوا للنساء بوجه من الوجوه ، والحمد لله على ذلك . وكان ذلك بوصية ابن جانبلاط.."^(٥) ، فكانت المرأة مصانة محترمة حتى من قبل السكبان، ولم يتم نهب دمشق يقول البوريني : "وفي الحقيقة قد عفت نفسه عن مدينة دمشق ، إذ لو أرادها ، لأوصل نفسه مرادها ، لأنها ما كانت تحمل الحصار يوماً واحداً لقله ما فيها من الزاد ، لأن أهل دمشق غالبهم فقراء.."^(٦) . ومما يلفت النظر في تراجم البوريني اهتمامه بذكر دور النساء والأهالي في صد حركات السكبان والدفاع عن أنفسهم يقول البوريني في حديثه عن هزيمة عسكر دمشق بأن النساء أفضل منهم بقوله : "فإن النساء أحسن حالاً منهم بكثير ، لأن النساء أقمن في دمشق وغلقت أبوابهن ، وربما ضربت المرأة بعض من ورد عليهن من السكبانية"^(٧) . واهتم البوريني بذكر دور الأهالي بصد هجمات السكبان ، وبعض قطاعي الطرق ، بعدما كثر النهب والسلب في محلات دمشق من قبل جماعة ابن جانبلاط^(٨) ، كانت هناك بعض المحلات في دمشق تدمي نفسها وترفض ذلك الأعداء ومنها " مدلة الشاغور " وهي مدلة عظيمة خارج دمشق تمكنت من صد هجمات السكبان^(٩) ، ويبدو أن الأعيان كان لهم دوراً بارزاً في حماية مدنهم فلما ساءت الأوضاع في المحلات خارج دمشق لمدة ثلاثة أيام بسبب النهب والسلب^(١٠) ، اضطر

(١) للمزيد انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر الامان الذي اعطاه جماعه اليازجي لجماعه مسيح احد جنود إبراهيم يالتوز بأن يأتوا ويدفونه ، بعد ان قطع رأسه من قبل جماعة اليازجي نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

الاعيان إلى الاجتماع مع الأمير علي ابن جانبلاط وقالوا له ان الأمير يوسف ابن سيفاً قد أمّن مبلغ من المال عند قاضي الشام مقداره (١٠٠ الف قرش من الفضة الكبيرة) على أن تترك دمشق ومحلاتها^(١)، الا أن الأمير علي ابن جانبلاط طلب منهم مبلغاً اضافياً مقداره (٢٥ الف قرش فضي كبير) فوافق الاعيان على طلبه^(٢)، ويذكر البوريني ان المبلغ المذكور قد أخذ من أموال الأيتام التي كانت أمانة في قلعة دمشق و تم تسديدها من قبل يوسف ابن سيفاً^(٣)، وتم الصلح^(٤) في اشارة مهمة إلى تدهور الوضع الاجتماعي والأمني مما كان له الأثر على سوء الأوضاع الاقتصادية . كما نقل البوريني بعض الأخلاق الخاصة بالسكبانة ومنها انهم كانوا يتعاطفون مع أهل دمشق خاصة من المساكين والفقراء ، ويقولون لهم : "... أدعوا على عسكريهم فإنهم كانوا سبباً في نهبكم . نحن عرضنا الصلح فأبوا..."^(٥). وكان زعيمهم عبد الحلیم اليازجي له مروءة (وكرم عجيب) على حد وصف البوريني ، إذ كان يحضر بنفسه الفطور والقهوة البنية ويقدمها للأسرى^(٦) .

ومما تجدر الإشارة إليه ان البوريني سجل وانتقد بعض الجوانب الخاصة ببعض المفتين من خلال إصدارهم فتاوى بضرب العسكر في حلب بقوله :- "...وفي حلب رجل مفتي يقال له الشيخ أبو الجود البتروني ، كان قد أفتى بجواز ضرب الشاميين بالمدافع الكبيرة من قلعة حلب ..."^(٧) ، وقد جعلت تلك الفتوى أهل الشام يكرهون بعض المفتين بسبب الفتاوى^(٨) ، ويصف البوريني الأحوال في حلب بقوله : "... وبالجملة فالذي صدر من النهب والغارة والقتل والخراب في حلب ونواحيها لم يفعل في مدينة قط ... " وكان ذلك في سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م^(٩) .

رابعاً : أحوال العساكر ووظائفهم :

أورد البوريني في تراجمه مادة موسعة لأخبار ووظائف العساكر وانعكاساتها على الأهالي ، فقد أشار الى ان الجيش الشامي هو الجيش الوحيد الذي كان يتكلم العربية^(١٠) ، كان جيشاً قوياً مشهوراً

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٠-١٥١ .
(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .
(٨) للمزيد نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .
(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٧ .
(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

بالشجاعة^(١)، وشارك في قتال القوى التي كانت تطالب بالاستقلال و المناصب^(٢) ، وذكر بعض الصراعات بين العساكر مثلما حصل من صراع بين العسكر الشامي والعسكر الحلبي عند دخول الجيش الشامي إلى حلب بعد رجوعه من قتال السكبان ، وزاد تدخل الأمراء في شؤون العساكر لتحقيق مصالح ذاتية^(٣) .

كما ودخل العسكر الشامي في صراع مع ولاية صفد ، لتنفيذ أمر سلطاني بعزل واليها درويش باشا ومنحها إلى دالي علي الجركسي فحصل القتال وتم محاصرة صفد^(٤) في اشارة إلى تدخل العساكر في عزل وتنصيب الأمراء ، وشارك الجيش الشامي أيضاً بحصار قلعة الرها لغرض مطاردة اليازجي فكانت العساكر مرة تخسر ومرة تنتصر^(٥) . وقد ورد في تراجم الحسن البوريني أخبار عن الجيش الرومي وجيش الأكراد ، وجيش أرزن الروم ، وجيش وان ، وكلها شاركت في العمليات العسكرية، في اشارة إلى قوة خصومهم^(٦)، وتدخل العساكر في إدارة الأمور ومحاولة تغيير الأوضاع بالقوة العسكرية ، وهذا يؤشر على تدهور الحال في أرجاء السلطنة . أما الجيش المصري ، فقد طلب بموجب الأمر السلطاني وجاء من حلب لقتال قائد السكبانية محمد ابن القلقندر ومعه سعيد الاسود^(٧) . كما تدخل بعض العرب (البدو) وشاركوا في المواجهات العسكرية لتحقيق مصالح ذاتية ، وقد اختلفت تلك المشاركة فمنهم من قدّم الدعم للجيش الشامي ومنهم من اشترك في القتال^(٨)

وخلاصة القول من خلال تراجم البوريني ، بأن الوضع السياسي والاجتماعي لبلاد الشام كان سيئاً ، فقد زاد ظلم الولاة ، وكثرت الاعدامات وتنوعت ، وحصول مشاكل بين العساكر وازدياد حالات الفساد وانتشار شرب الخمر في صفوف العسكر ، وتدهور مؤسسات الدولة واليهوى في تمشية الأمور وزاد بيع الوظائف ومصادرات الناس ، وتعرض المدن الشامية الى ويلات ودمار بسبب حروب الجيش مع القوى المحلية التي أرهقت الدولة وسببت لها متاعب وقلق ، وهذا يبدو واضحاً من خلال كثرة تعيينات القادة العسكريين ، أو من خلال تقديم الدولة بعض الهدايا لهذه القوى لتهدئة الأمور داخلياً ، هذا كله أدى إلى ارتفاع الأسعار في المواد الأساسية كاللحوم والحبوب ، وارتفاع حالات السلب والنهب وقطع الطرق .

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٥ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١٩٧ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٥ .

(٤) للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٠ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٤ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٧) للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٢ ، ٢٩١-٢٩٢ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٢ .

كما وسجل البوريني معلومات حول بعض الوظائف العسكرية مثل وظيفة المقابل لدفاتر الجند بدمشق ، ومنهم بهرام آغا ، أحد أصحاب ومصادر البوريني ، زوده بمعلومات حول القتال مع عبد الحليم اليازجي زعيم السكبانية ، وكما هو واضح فهي وظيفة تختص بالشؤون الادارية العسكرية ووظيفته أن يذهب مع الجند في الحروب^(١). وورد ذكر لوظيفة الضابط القابي قولي^(٢) وهي كلمة تحريف للكلمة التركية " قبو قولي " وقبو تعني باب وقول تعني عبد وتعني عبيد الباب أي عبيد باب السلطان ، وأصبحت تطلق على جند السلطان وحرسه وهم موظفين تابعين للبلوكباشي ، يجبون الأموال من المحال التجارية وقد عرف عنهم الفساد والظلم ، ومنهم درويش آغا الذي تم تعيينه من قبل السلطنة لقتال الأمير فخر الدين المعني ، ومعه محافظ دمشق الوزير السردار أحمد باشا الحافظ . ومن خلال وظيفة الضابط القابي قولي يتم أحياناً تعيين بعض الموظفين في المناصب المهمة، مثلاً " سردار الباب " زعيم المدينة الدمشقية والصالحية، و" سردار المحكمة " قاضي القضاة ، وتعيين في كل شارع من شوارع دمشق الشام بلوكباشي^(٣)، وعند البوريني هم موظفين تم تعيينهم من قبل الضابط درويش آغا البوسنوي الأصل ، وهم كانوا في كل شارع من شوارع دمشق تحت زعامة بلوكباشي واحد ، وظيفتهم جباية الأموال من المحال التجارية ، وقد طغوا وظلموا في تحصيل الأموال ، ومنهم كنعان البلوكباشي بدمشق ، وكيوان البلوكباشي الذي كان تحت أمرته بعض أنفار من القابوقلية^(٤) ، الا ان البوريني يسجل من خلال تلك المعلومات ان جماعة الموظفين البلوكباشي ، كان عملهم شبيهاً بعمل المحتسب يدورون على المحلات التجارية ويأخذون الضرائب ، الا انهم طغوا في تحصيلها وزادوا عليها وظلموا ، وكانوا يدورون على الدكاكين ويأخذون من كل مكان قطعة . ثم زاد الأمر على ذلك من الظلم أواخر ذي القعدة من سنة (اثنتين وعشرين وألف) ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م^(٥).

من خلال ذلك يتبين تنوع الوظائف في دمشق الشام، فلم يكن مثلاً لقب " السردار " يطلق فقط على القائد العام للعساكر ، وانما كان يطلق على بعض الوظائف كلقب " سردار الباب " وهو وظيفة زعيم المدينة، و" سردار المحكمة " وهو وظيفة قاضي القضاة ، ويبين البوريني واقع حال وظيفة السردار في أيامه ، ويؤكد إن البعض كانوا يشترون الوظيفة ، فمنهم من اشترى منصب السردارية لغرض تحقيق مصالح ذاتية ، كما حصل مع الأمير يوسف ابن سيف أمير طرابلس الذي اشترى الوظيفة كي يصبح سرداراً على العساكر الشامية لقتال الأمير علي بك ابن

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٥٠ .

(٢) انظر نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٣ ، وصافي : حسين باشا مكي ، ص ٤١

(٣) تم التعريف به ، وانظر نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٨٨ . والخطيب : معجم ، ص ٨٦

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٣ ، وصافي : حسين باشا مكي ، ص ٤١ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٢٣ .

جانبلاط ، ونص صراحة على ذلك البوريني بقوله : "...ويقال انه بذل مالاً كثيراً.." (١)، وذكر المبلغ الذي دفعه وهو خمسون ألف دينار من الذهب تم دفعه الى السلطنة ليحصل على قرار تعيينه (٢). في إشارة إلى الفساد المالي والإداري وانتشاره في المؤسسات المهمة للدولة .

خامساً : العقوبات المستخدمة في تلك الفترة :

أورد البوريني معلومات مهمة عن العقوبات المستخدمة في بلاد الشام في تلك الفترة ، إذ كان الكثير من تلك العقوبات موجوداً في نهاية الفترة المملوكية وتوارثها العثمانيين كالصلب وقطع اليد ، والخازوق ، والاغراق عن طريق اثقال الشخص ، وكانت العقوبة تتم للرجل والمرأة في نهر بردى ، وعقوبة التوسيط والشنق (٣)، والحبس ، فقد حبس أمير الأمراء مراد باشا أحد الموظفين الحكوميين في قلعة دمشق ، وطلب اليه دفع الأموال ليتم اخراجه من الحبس (٤) ، وكانت عقوبة القتل بالسيف قصاصاً شائعة للذين يرتكبون فعل القتل ، فقد قتل بالسيف قصاصاً جماعة الأثقياء الذين قتلوا أحمد الحلبي الشهير ابن الملا (٥)، وكانت عقوبة قطع الرأس من العقوبات المستخدمة ، فقد قُطع رأس أحد أفراد بني شاهين واسمه (علي بن عمر) ، بسبب تعرضه لأحد أجناد غزة ، فقام أحد الجنود بضربه بالبندقية ، وتم قتله ومن ثم قطع رأسه ، وعلق رأسه على رمح حسبما أورد البوريني ، وهي معلومة على جانب كبير من الأهمية تؤشر على موقع العسكر وتعسفهم ، فلم يكتفِ الجندي بضرب الأمير بالبندقية بل قطع رأسه وعلقه على رمح ، لبث الرعب والخوف في النفوس وللحفاظ على هيبة العساكر في نفوس الناس ، كما قطع رأس حسن اليازجي ، وكان لحاكم بلغراد دوراً في قتله (٦). ومن العقوبات الأخرى التي كانت شائعة في تلك الفترة هي عقوبة الخنق ، فقد تم خنق السلطان أبي زيد ابن السلطان سليمان القانوني ، من قبل شخص يدعى " خسرو باشا " (أحد مربي السلطان) ، وفق الفرمان الصادر بخط السلطان سليمان الذي يقضي بقتله في قزوين عند شاه العجم طهماسب (٧) ، كما وخنق أحد أولاد الجند في دمشق واسمه ابن خضر الأسود ، لانه قتل أحد خدم الوزير الحافظ أحمد باشا بعد ممارسة الفاحشة معه ، فأمر الوزير أحمد باشا الحافظ بخنقه (٨) .

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٢٧٢ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٨ .

(٣) ابن طوق : التعليق ، ج٤، ص ١٧١٢ ، ١٧٧١ ، وانظر ابو الشعر : مجتمع دمشق، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٣٤ .

(٥) الشيخ أحمد الحلبي الشهير بابن الملا : جاء الى دمشق مع والده وكانوا من اعيان الناس وشغل عده مناصب وله وقف ذري انتقل له من اجداده للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج١، ص ١٨٠ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٢-٢٠٣ ، ٢٢٨ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٧ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٤٢ .

كما استخدم أسلوب الشنق فقد شنق أمير الأمراء في ديار بكر ، إبراهيم باشا الشهير بدالي^(١) وتم رميه في البحر في زمن السلطان محمد بن مراد بسبب ظلمه للناس وقتله لهم وتعذيبهم^(٢) .
ومن العقوبات الأخرى التي استخدمت هي الأرجوحة الخشبية^(٣)، وهي آلة لتنفيذ حكم الإعدام صلباً ، وكانت تتركب قريباً من دار الإمارة في دمشق ، وكانت موجودة عند المماليك وتوارثتها الأروام ، فقد تم صلب أحد موظفي السلطنة واسمه البواب محمود المعين للتفتيش عن أموال السلطنة ، ومن الذين صلبوا أحد موظفي السلطنة وهو البواب محمود المعين للتفتيش أموال السلطنة ، بعدما قام بنو الخطاب بأكل إرث أحدهم ، فجاء محمود للتفتيش عليها ، إلا أنه تمادى وظلم الناس^(٤) فتم تنفيذ الحكم فيه صلباً في خشبة مقابل دار الإمارة^(٥) ، وصُلب أحد الموظفين بسبب تزوير معاملات ، فعرض أمره على السلطان وتم صلبه ، كما وأمر أحمد باشا بصلب رجل حلبي يدعى رمضان لأنه ساهم بإخفاء جثة شاهين الشاطر أحد خدم الوزير حين قتلوه وألقوه في خندق القلعة^(٦) ، وصلب درويش باشا حاكم لواء صفد لأنه رفض تسليم اللواء للوالي الجديد دالي علي الجركسي^(٧) ، كما وصلب أمير الأمراء حاكم الحبشة في السابق حسين باشا لخروجه على السلطنة^(٨) .

وعرفت تلك الفترة انتشار عقوبة الإعدام بالخازوق^(٩) التي كانت منتشرة منذ أيام المماليك ، حيث أعدم جماعة من السكبان ومعهم جماعة من عرب أبي ريشة القادمين من العراق بعد موت أميرهم أحمد أبي ريشة ، وقد وصف البوريني عملية الإعدام بقوله : (وفي اليوم الثاني اتلفوهم بالخازوق وأتوا بخمسين رجلاً من السكبان وقتلوهم بالسياسة الشنيعة ، والهيئة الفظيعة ."^(١٠) في إشارة إلى استخدام السلطنة أساليب قاسية لتخويف الناس وردعهم ، وأشار البوريني إلى الحكم بالقتل بواسطة جلد ، إذ أقدم على قتل جماعة بحدود ١٢,٠٠٠ ألف وكان هؤلاء من (الأشقياء) على حد وصف البوريني ، من جماعة سعيد الأسود ومحمد ابن القلندر أوغلو، وكان ذلك بأمر الوزير الأعظم مراد باشا^(١١) .

(١) دالي : المجنون او المتهور ، تم التعريف به انظر دهمان : معجم، ص ٧٢ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٢٢ .

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤٤ .

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤٤ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥ ، ٧٤ - ٧٥ .

(٦) للمزيد انظر القصة الكاملة نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٤٢ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٦١ .

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٦٧ ، ٣٤٤ .

(٩) للمزيد انظر دهمان : معجم، ص ٦٦ .

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٣٣ .

(١١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٩٣ .

ومما يلفت النظر في تراجم البوريني اهتمامه بذكر تفاصيل عن عمليات الاعداد وبعض وجهات النظر حولها ، حيث كان يتم الحكم على المجرمين وقتلهم أمام الناس ، ومن العلماء من كانت له عادة رؤية قتل المجرمين مثل الشيخ تاج الدين القطان الشافعي^(١) أحد أصحاب البوريني، وكان قصده من ذلك العبرة والاتعاظ^(٢)، يقول عنه البوريني : " .. إذا أذلف الحكام من المجرمين رجلاً وأشهره فإنه (تاج الدين القطان) ، يتبع ذلك الرجل ، ولا يزال تابعاً له إلى أن يصل إلى المكان الذي يقتل فيه فيقف في أقرب مكان منه إلى ان يشاهد صورة قتله . ويستمر واقفاً إلى انتهاء الأمر وهذه عادته دائماً . وسئل عن هذا الأمر فقال : أقصد بذلك تأديب نفسي به وزجرها بمشاهدة ذلك .."^(٣) .

سادساً : الوظائف الإدارية والفساد الاداري والمالي وبيع المناصب :

الوظائف الادارية :

حرص البوريني في كتابه على تتبع الشؤون الإدارية للدولة في بلاد الشام وفي خارج بلاد الشام كالقسنطينية ، ومكة . ومن أهم تلك الوظائف التي سجلها البوريني، تعدد الوزراء في الباب العالي بسبب كثرة شكاوى الناس ، فقد كان للسلطان عدة وزراء يجلسون في الباب العالي يسمعون شكاوى الناس ومنهم الوزير إبراهيم باشا الشهير بحاجي إبراهيم باشا^(٤) . وكانت هناك وظائف شائعة ومهمة ، منها وظيفة الدفتري ورأس الدفاتر في القسطنطينية أو رأس أرباب الدفاتر يقول عنه البوريني : " ...وهو منصب كبير عندهم (عند العثمانيين) ، لأن جميع الأموال السلطانية في جميع أقطار الأرض تدخل تحت قلمه ، وهو حاكم على جميع أرباب الأقاليم ، وله عرض مقبول عند حضرة السلطان لانه أمين على أموال خزانته كلها.." ^(٥) ، والدفتري بدمشق علي أفندي الذي جاء من الروم إلى دمشق لغرض ممارسة عمله كدفتري وكان من الموظفين الجيدين وتولى منصب صاحب الدفاتر السلطانية أو الدفتردارية لعدة مرات فأصبح من خلال ذلك قريباً من السلطة ومسموع الكلام ، وحصل على الأموال ثم صار برتبة البكر بيك وهو لقب أعلى من كل الأفندية ويسمى " أمير أمراء الكرام " ، و ترقى و صار صاحباً للدفاتر السلطانية بديار بكر ، فجمع مالا

(١) تاج الدين القطان الحموي الشافعي : جاء الى دمشق مع عمه حسن القطان الحموي وكان عالما و هو احد اصحاب البوريني ، انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ١١١ - ١١٢ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٢ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٢٠ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٦٣ ترجمة أحمد بن قاسم المصري ، و ترجمة إبراهيم باشا الشهير بحاجي إبراهيم باشا ، نفس المصدر، ج١، ص ٣١٩ .

كثيراً من خلال تلك الوظيفة^(١)، ومنهم الدفتري بدمشق حسن شوينزة الذي وقع على يده الصلح مع الأمير علي بك ابن جانبلاط بقبض المال^(٢)، ومنهم رأس أرباب الدفاتر محمود أفندي الملقب " بفجل المزبلة " وكان وكيلاً للسلطان فيما يتعلق بالأموال ، وقد ادعى أن الوزير أحمد باشا الملقب بالحافظ قد سرق المال ، إلا أن اللجنة التي شكلها السلطان أثبتت عكس ذلك^(٣) ، وناظر الأموال السلطانية ومنهم محمد أمين الدفتري العجمي وكان أحد مصادر البوريني حين أخبره إن الوزير أحمد باشا متولي أمور الوزارة العظمى كتب دفترأ وأرسله الى دمشق بأسماء جماعة يُعطون في دمشق من الصدقات ومُنع عداهم مع أن الممنوعين في غاية الكثرة والاستحقاق^(٤) في اشارة إلى الفساد المالي والإداري وأكل حقوق الناس ، ويلاحظ من تراجم البوريني العلاقة الحسنة بين كبار الموظفين والعلماء، فصاحب الدفاتر السلطانية بدمشق محمد أمين أفندي الدفتري كان له الفضل في حث البوريني على تأليف كتاب التراجم الذي بدأ بتدوينه سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م بعد عودة البوريني من رحلته الحلبية^(٥)، ومن الدفتردارية من اتهم بالفساد وأُعفي من المنصب ، مثلاً رأس الدفتردارية في القسطنطينية إبراهيم باشا الشهير بحاجي إبراهيم باشا^(٦) ، الذي اتهم بخيانة مال السلطنة مما أدى إلى مصادرة ماله وإيقافه عن المنصب^(٧) ، ثم قدم بعد استدعاءً إلى السلطان لغرض صرف تقاعده ، فتم صرفه على شكل قري ، و مزارع ، وزعامات أو اقطاعات ، فتم ذلك واستقر في دمشق في بيت رجب آغا شمال جامع يلبغا^(٨).

ويبدو من خلال التراجم ، ان وظيفة الدفتردار كانت تترقى إلى وظيفة الحكم والسياف^(٩) فيكون صاحبها " حاكم سيف " أو جانب السيف حاكماً على دمشق أي أميراً للأمرء ، وقد ورد المصطلح في ترجمة أحمد أفندي ابن محمد الشهير بشيخ زاده (أبن الشيخ) حين جاء إلى دمشق لم يجد حاكم سيف فيها لأن حاكمها الوزير الشهير أحمد باشا كان مخيماً عند قلعة بانياس لقتال الأمير فخر الدين ، وإلى جانب حاكم السيف كان هناك جانب الشرع^(١٠) من خلال مؤسسة القضاء وكل ما يتعلق بأمر الشرع . كما ورد المصطلح في ترجمة إسماعيل النابلسي من خلال القصة التي أوردها البوريني حول سجن اسماعيل من قبل أحد بوابي السلطنة، فانتدب للدفاع عنه الشيخ محمد أفندي ، فتم عرض الموضوع أمام السلطان ، فكلف السلطان مراد جهتين مسؤولتين لحل المشكلة الأولى

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٥ ، ج ٢، ص ٢١٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٩ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٩ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٠٠ .

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢ من مقدمة المحقق .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٩ .

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٩ .

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٩ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣٢٣ .

(١٠) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

تمثل جهة السيف ويمثله أمير الأمراء حاكم دمشق والجهة الثانية يمثلها الشرع متمثلة بعلي أفندي ابن القاضي سنان أفندي وتم اتخاذ القرار بصلب البواب^(١).

وذكر أيضاً وظيفة كاتب عرض كما عرفه البوريني بقوله : "معناه في اصطلاح قضاة الأروام وحكامهم أن كل صاحب منصب من إمارة أو قضاء أو وكالة عن حضرة السلطان أن يكون له كاتب عارف بالانشاء والكتابة بلغة الرومية يكتب له المهمات التي يلزم ارسالها إلى عتبة حضرة الملك لتعرض على عتبه العلية ويمضي فيها ما تقتضيه آراؤه السلطانية من عزل وقبول ورد.....ويكتبون في أوائلها الفاظاً مفخمة تليق بجانب السلطنة.." ومنهم كاتب العرض جمال الدين جلبلي الفروري الحنفي عند قاضي القضاة علي بن سنان القاضي بدمشق سنة ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩م^(٢) ومنهم من كان متميزاً في كتابته ومن دون مسودة أو (تسويد) ، وهو ما سماه البوريني " الكتابة من رأس القلم " وهذا المصطلح أطلقه البوريني على تلميذه كاتب العرض أحمد جلبلي بأنه كان (يكتب العرائض من رأس القلم دون تسويد) وهو فن من فنون الكتابة مع الخط الحسن ، وسبب ذلك انه كان يتقن اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية يقول البوريني معللاً ذلك : "...وسبب مهارته في هذه الصناعة أنه أتقن الألسن الثلاثة العربي والفارسي والتركي اتقاناً كاملاً.." فكان صاحب معرفة وحتى أنه كان ينوب في القضاء من خلال قاضي القضاة وهو ما يسمى (الإنبابة)^(٣) ، ومنهم كاتب سجل محكمة الباب بدمشق صفي الدين الزهيري والد القاضي تقي الدين الزهيري الشافعي^(٤) ، وكبير الكتاب في محكمة حلب ومنهم الأديب صلاح الدين الكوراني الحلبي ، وكان محرراً لللكوك ورئيس بني الآداب ، وتعني وفق سياق كلام البوريني انه مسؤول عن الموظفين الإداريين في المحكمة ، وكان شقيقه نائباً في القضاء فيجلسان في باب قاضي القضاة أحدهما (للكتابة والآخر للنبابة)^(٥) ، والكاتب محمد جلبلي الذي كان شقيقه إبراهيم الدمشقي الحنفي كثير الاعتراض على القضاة حتى أنهم وصفوه بالمحتسب ، فحين أدركته الوفاة قال القضاة : "...خلصنا الآن من المحتسب ... " على حد وصف البوريني ، وكان محمد ملتزماً بتنفيذ وصية شقيقه إبراهيم بأن يدفن في مقابر الصوفية^(٦) في اشارة إلى انتشار الصوفية وانه كان يحبهم ، ورئيس الكتاب بمحكمة الباب بدمشق^(٧) وكاتب محكمة حماة ومنهم الكاتب عبد النافع الحموي الحنفي وكان شاعراً وترقى في وظيفته حتى صار يفتي على المذهب الحنفي ، وشاع صيته في البلدان واجتمع معه

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٧، ج ٢، ص ٧٤-٧٥.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٧٧-٧٨ ج ٢، ص ١٢٢.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٧ ، ٧٨.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١١٥ .

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٤٣ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣١٩ .

البوريني في رحلته الطرابلسية ، وكان عبد النافع على علاقة سيئة مع القاضي عبد اللطيف ابن القاضي محب الدين الحموي المعين في وظيفة القضاء من قبل السلطان (بالاستقلال) وكان مصدرأ مباشراً للبوريني في نقل بعض أخلاق القضاة وفسادهم وانتشار بيع الوظائف^(١) ، وورد ذكر لوظيفة الساعي خلال ترجمة أحمد أفندي ، ذلك أنه بعد ماتم عزله وخروجه من دمشق متوجهاً إلى مكة ، صدر الحكم السلطاني إليه فتم استنجاز ساعياً أخذها ولحقه في الطريق .

ومن الوظائف المهمة التي أوردتها البوريني وظيفة المتسلم ، منهم المتسلم محمد باشا السلحدار الجركسي الشهير ابن البالقجي سنة ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥م دخل إلى دمشق بعد عزل الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني ، ونزل عند حسن باشا الدفكري ، ثم وصل إلى القاضي محمد أفندي (جوي زاده) ، وسجل حكم ولاية الشام في السجل المحفوظ على العادة ، ثم توجه إلى دار السعادة^(٢) ، ومنهم المتسلم الذي جاء من قبل الوزير الأعظم أحمد باشا الحافظ وهو من داخل بيت السلطنة ، وأخذ دمشق ، من حاكمها سنان باشا الذي منح حكومة حلب بدلاً من دمشق^(٣) . وأيضاً وظيفة الخازن الخاصة بكتب الأوقاف وكانت إحدى وظائف أسلاف إبراهيم المقدسي ، ويقول البوريني عنها بعدما سأل إبراهيم عن سبب تلك التسمية: " ...فقال لما قدم جدي الأعلى من بيت المقدس نزل بالاشامية البرانية و صار خازن كتبها الموقوفة بها ، فلذلك وصف بالاخازن"^(٤) ، ووظيفة متولي الأوقاف وهي خاصة بالأوقاف ومنهم الشاب صالح السفاحي الذي عمل متولياً لأوقاف آباء واجداد حاكم حلب الوزير أحمد باشا الشهير كمكجي زاده^(٥) ، ومن الوظائف الأخرى التي سجلها البوريني وظيفة التفتيش على الأموال السلطانية ، وكان التفتيش على الأموال السلطانية يضر بالاناس كثيراً ، وكانت تناط مثلاً بأحد بوابي السلطنة ، ومنهم البواب محمود الملقب (تكري يلماز)^(٦) ، الذي جاء إلى دمشق بأمر سلطاني لغرض تفتيش الأموال الخاصة بالسلطنة ، وان بني الخطاب أكلوا ميراث رجل ليس له ورثة والمفروض ان ترجع الأموال إلى السلطنة ، الا أن البواب طغى في التفتيش وسجن العلماء ومنهم اسماعيل النابلسي ومحمد الحجازي الحمصي الشافعي ، وتم سجنهم في قاعة بني الزمن^(٧) ، مما دفع بالأعيان أن يشتكوا عليه إلى الباب العالي ، فوردت الشكوى إلى المفتي جوي زاده ، فعرضها أمام السلطان مراد بن سليم ، بواسطة الوزير سياوس باشا ، فقرر السلطان قتل البواب ، فورد الحكم السلطاني إلى دمشق ، وكان حاكماً بها للمرة الثالثة الوزير الأعظم أمير

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٩.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٨.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٤.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٠٧.

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٥.

(٦) وهي بالتركية تعني الذي لا يعرف ربه ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٣.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٣.

الأمرأ حسن باشا ويمثل جانب السيف ، وقاضي القضاة علي أفندي ابن قاضي العساكر سنان جبلي أفندي يمثل جانب الشرع ، فأمر الوزير الأعظم حسن باشا أصحاب الحبل والعقد والقول والرد في الاجتماع في الديوان بدمشق ، وقرروا اخراج مَنْ في السجن ويصف البوريني ذلك الحدث بقوله : " . وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً)^(١) ، فكان رد الدولة عليهم قاسياً يصل الى الاهانة والاعدام^(٢) صلباً في خشبة الارجوحة المنصوبة على باب دار الامارة بدمشق^(٣) ، وسجل البوريني معلومات بشأن هذه الوظيفة والتعسف في سوء الادارة من خلال الحديث الذي دار بينه وبين القاضي إبراهيم الفروري ابن قاضي قضاة الشام ولي الدين ، الذي كان عزيز الدولتين^(٤) على حد وصف البوريني ، ومات مسموماً في قلعة دمشق ، فكان إبراهيم الفروري رضيعاً فندشاً على بقايا الخير من والده ، إلا ان التفتيش قد أضر بأملأك والده ، وتصور أبيات الشعر التي نظمها ، حالة التعصب والضجر التي كان يعاني منها^(٥) . و من الوظائف الأخرى الإدارية التي سجلها البوريني ووظيفة المحافظ ، فمثلاً تم تعيين عبد الحليم اليازجي محافظاً على الرها من قبل السلطان^(٦) . ووظيفة قائم مقام الذي يتولى شؤون الحكم أثناء فترات خلو السلطة في الولاية إلى حين وصول حاكم جديد^(٧) .

وتتبع البوريني أيضاً بعض الوظائف خارج بلاد الشام وأوردها ، منها وظيفة مساعد أو معاون شريف مكة على الأوقاف ، ومنهم حمزة الرومي مصلي صاحب صنجق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذي تعرض للحبس في قلعة دمشق من قبل حاكم الشام ، بحجة انه لم يتأدب معه ، فتوسط له عدد من الشخصيات منهم ، محمد الشهير ابن الدردار كبير الجاويشية ، والشيخ محمد بن سعد الدين الجبالي الساكن في محلة القبيبات ، وبعض أكابر العسكر الشامي ، وقد نجحوا وتم إطلاق سراحه من القلعة وبقي في منصبه^(٨) ، و من الوظائف الأخرى خارج بلاد الشام ، وظيفة أو منصب دفتردار مصر ومنهم سنان باشا ، في زمن حاكمها أمير الأمراء إبراهيم باشا في عهد السلطان مراد بن سليم ، وتم ترفيعه فيما بعد إلى الحكم والسيف الخاص بشؤون الدولة السياسية^(٩) . ومما يلاحظ على تراجم البوريني انه لم يكن فقط مهتماً بتتبع الوظائف في البر ، فذكر

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٣ او ٤٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٣ او ٤٤ .

(٤) الدولة المملوكية والدولة العثمانية ، انظر نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٣-٣١٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٧) ريمون : المدن العربية ص ٢٤ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢١٣-٢١٤ .

(٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .

إحدى الوظائف الخاصة بالبحر وهي وظيفة أمير البحر ، ومنهم الأمير مر ادريس^(١) ، وقد حدد البوريني عمله ، بأنه كان مقتصرأ على غزو غير المسلمين ، وتقسيم الغنائم على نفسه وجماعته ، وقد توفي في سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م وكان عمره يناهز الثمانين سنة^(٢)، في اشارة مهمة إلى ان الإمارة لم تكن مقتصرة على البر فقط وإنما على البحر أيضاً .

ومما يلاحظ على اجراءات الدولة المالية والإدارية، منح التقاعد للموظفين عن المناصب التي كانوا يشغلونها، ومنهم مثلاً إبراهيم الطالوي الذي صرف له تقاعد عن منصب إمارة صنجد نابلس^(٣) ، ومحمد باشا الوزير الأعظم حيث منح التقاعد عن منصبه في الوزارة^(٤). وذكر البوريني من الخط " الهمايون " وهو مكتوب أو أمر بخط يد السلطان نفسه ، ومنه خط همايون الذي أرسله السلطان محمد بن مراد إلى السردار والي بغداد حسين باشا ، لتحديد بعض صلاحيات ممنوحة للسردار تشجيعاً له على قتال اليازجي كحق التعيين لمن أراده السردار ، وحق التصرف في المناصب والمراتب (الرتبة العسكرية) وعزل وتنصيب من يشاء^(٥) .

الفساد الإداري والمالي وبيع المناصب والوظائف:

تتبع البوريني واقع حال بعض الوظائف ، مثلاً وظيفة السردار في إيامه ويؤكد إن البعض كانوا يشترون الوظيفة ، فمنهم من اشترى منصب السردارية لتحقيق مصالح ذاتية ، في إشارة واضحة إلى الفساد المالي والإداري في بيع الوظائف والمناصب المهمة، ويذكر البوريني إن أحد الأمراء وهو الأمير يوسف بن سيف أمير طرابلس كان قد اشترى وظيفة السردار كي يصبح قائداً على العساكر الشامية لقتال الأمير علي ابن جانبلاط ، ونص صراحة على ذلك البوريني بقوله : "...ويقال انه بذل مالا كثيراً"^(٦)، وذكر المبلغ الذي دفعه وهو "خمسون ألف دينار من الذهب" تم دفعه إلى السلطنة ليحصل على قرار تعيينه^(٧)، ولم يقتصر الفساد المالي على منصب السردارية ، فقد شهدت وظيفة الإفتاء عمليات شراء من قبل بعض القضاة ، فكان أبي الجود المفتي قد اشترى منصب المفتي من قبل القاضي ، وتتم مثل تلك العملية بأن يكتب الشخص عريضة للقاضي ويأخذ موافقة مبدئية وإذا لم يوافق يعطيه المال ، ثم بعد ذلك يُرسل العريضة وعليها موافقة القاضي إلى الباب العالي ومعها أيضاً مال وهدية ، تساهم في إصدار قرار تعيينه مفتياً "...بأن أبي الجود الحلبي يستحق منصب الإفتاء " ، خاصة انه لا يوجد في حلب من هو عالم بفقهِ الأحناف ، مما يدل على

(١) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ٢٢٢ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٠-٣١١ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١٧ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٦٨ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٧٢ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٨ .

الفساد الإداري والمالي في تلك الفترة التي تحدث عنها البوريني^(١) ، وتم تعيين حسين باشا ابن جانبلاط حاكماً على حلب من قبل السردار سنان باشا ، وفق شروط مالية قاسية هي :

١. أن يدفع حسين باشا ابن جانبلاط إلى الوزير السردار سنان باشا مبلغاً من المال قدره "سبعة آلاف ذهباً"^(٢) في كل سنة.

٢. أن يدفع للسلطنة كل سنة ستة كرات من الذهب ، كل كرة تحوي (مئة ألف ذهباً)^(٣).

٣. أن يساهم حسين باشا ابن جانبلاط بخمسة آلاف مقاتل للمشاركة في قتال أمراء الفرس (القرلباش) وأميرهم شاه عباس^(٤) في اشارة إلى انتشار بيع الوظائف والمناصب المهمة في الدولة . وقد صورت القصائد والأبيات الشعرية الواقع المزري في بلاد الشام بسبب انتشار الفساد المالي والاداري وبيع الوظائف^(٥) .

سابعاً: الوظائف الدينية :

مثلما تحدث البوريني عن المؤسسة السياسية والعسكرية والادارية في بلاد الشام ، فإنه تحدث عن المؤسسة الدينية التي استمدت سلطتها الاساسية من الشريعة الاسلامية ، فهي وان كانت تعتمد في قوتها على المؤسسات السياسية والادارية ، الا أن الشريعة الاسلامية كانت هي الناظم الأساسي للحكم ، ومن خلال التراجم يمكن حصر أهم تلك الوظائف التي كانت تعتمد عليها الدولة بشكل أساسي (القضاء ، والمفتين ، ونقابة الاشراف ، ورئيس الحج الشامي) وهي :

القضاء:

عرف القضاء في الشريعة الاسلامية بأنه الفصل بين الناس في المشاكل والخصومات التي تنشأ بينهم ، وكان القضاء من عمل الوالي ابتداءً وتم فصله في زمن الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه^(٦) . ان الدارس لتراجم البوريني تتوضح عنده فكرة بأن الأولوية بين القضاة في ذلك الزمن كانت للقاضي الحنفي^(٧) وهو خلاف ما كان عند المماليك الذين كانوا يعترفون بالقضاة الأربعة^(٨) ، إذ كان القاضي الحنفي يعين في مركز الولاية العربية من قبل قاضي العسكر المستقر في القسطنطينية^(٩) وفي أكثر الأحيان كانت مدة ولايته قاضياً سنة واحدة ، وقد تمدد الفترة لنفس

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٦١ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧١ .

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٢٧١ .

(٥) للمزيد انظر الفصل الرابع ، الحياة الأدبية وواقع الشعر ومدى تأثيره في المجتمع .

(٦) الانصاري : شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٠هـ / ١٥٩٠م) ، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق عدنان محمد إبراهيم ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١ ، القسم الاول ص ٤٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٣٨ .

(٨) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣١٧ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٢١ .

المنصب^(١)، أما مكان جلوس القضاة فيكون في المحاكم التي انتشرت في مراكز ولايات بلاد الشام ومنها المحكمة الكبرى في دمشق وفيها قضاة من المذاهب الاربعة^(٢)، وكذلك المحكمة العظمى في دمشق أيضاً وهي محكمة باب الأفندي الكبير (قاضي القضاة)^(٣) وتسمى محكمة باب القاضي الكبير أو محكمة الباب^(٤)، ومحكمة في ميدان الحصار^(٥)، وكان هناك نائباً للقاضي^(٦) وقد تنوع هذا المنصب فقد وجد إلى جانبه من منصب قاضي العسكر الذي هو رأس الهيئة القضائية في زمن العثمانيين، ولم تكن سلطته قاصرة على النواحي العسكرية بل تتعداها إلى الجوانب المدنية، وكان قاضي العسكر يعين جميع الموظفين القضائيين والقضاة^(٧)، وقد وجد قاضيان للعسكر هما قاضي عسكر روم ايلى، وقاضي عسكر اناطولي^(٨)، وكان قضاة العساكر من المذهب الحنفي^(٩)، وقد تتطور وظيفتهم حتى يصبحوا مفتين في دار السلطنة القسطنطينية^(١٠)، وكان من مهام قاضي العسكر النظر في الشؤون المالية خاصة في نقص مال السلطنة عند الأمراء، فحين اتهم الوزير أحمد باشا الملقب بالحافظ^(١١) بنقص مال الخزينة في مصر، تم تشكيل لجنة من قبل السلطان مكونة من ثلاثة من القضاة أحدهما كان قاضي العساكر في ناحية اناطولي وهو يحيى أفندي (قوش يحيى)، والأثنان الآخران كانا سابقاً بمنصب قاضي القضاة في مصر وهما حسن أفندي (ابن القتلي)، وعثمان أفندي، من أجل سماع الدعوى وبالتالي صدر الأمر ظلاماً على الوزير لعدم استيفاء الشروط الشرعية من قبل القضاة، على حد ما أورده البوريني، فقرر الوزير عرض مظلمته على علماء الروم وعلى السلطان محمد، وبعد عناء طويل تبين أن الوزير قد ظلمه القضاة وبالتالي عدم شرعية دفع المبلغ^(١٢)، بل أن قاضي العسكر كان يعامل بعض العلماء بصورة سيئة، يذكر البوريني أن قاضي العسكر ابن معلول محمد أفندي، حقد على البدر الغزي لأنه لم يحضر جنازة ابنته في دمشق وأراد أهانته بدفع من أحدهم ويدعى بالحجازي الذي كان في الروم فاستغل قاضي

(١) رافق: العرب، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢٤٩، ج ٢، ص ٨٣، ٣٥٢.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٥، ١١٦.

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٦، ٣٥٢.

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٠٢.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٦ - ٥٨.

(٧) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢١، ٢٠٠، ١٩٩.

(٨) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣، ج ٢، ص ١١٠.

(٩) نفس المصدر، ج ١، ص ١٢١.

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٩.

(١١) الوزير الحافظ لكلام الله شغل عدة مناصب منها الوزارة العظمى، تولى مصر، ثم صار مشيراً في الباب العالي، وقائم مقام الوزير الاعظم لان الوزير الاعظم إبراهيم باشا سافر الى القتال فلزم ان يكون له نائب يعرض الامور المهمة على السلطان، للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٠.

(١٢) للمزيد انظر القصة كاملة ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠.

العسكر ذلك وأراد توجيه إهانة للبدن الغزي^(١) مما أثار غضب الناس عليه حين ورد الخبر إلى الشام، وحين عُزل القاضي ابن معلول وتم تعيين القاضي محمد أفندي عمل هذا على إعادة المدرسة التقوية^(٢) للبدن الغزي كرد اعتبار له^(٣). وإلى جانب القاضي وقاضي العسكر هناك منصب قاضي القضاة ، فقد تبنى العثمانيون هذا المنصب وهو ليس بجديد ، وإنما يعود إلى فترة العباسيين الذين أخذوه عن الفرس^(٤) ، كان منصب قاضي القضاة رأس الهيئة القضائية في نيابة الشام ومركزه في دمشق مركز الولاية أو النيابة ويجلس لتصريف الأمور المتعلقة به في محكمة الباب أو محكمة باب الأفندي الكبير^(٥) التي تقع في مواجهة المدرسة النورية الكبرى بدمشق^(٦)، ويصدّر عنها تنفيذ الأحكام السلطانية الخاصة بالتعيين في المدارس ، والفتوى^(٧) ، وكانت الدولة كثيراً ما تقوم بعزل قاضي القضاة حين تحس بضعفه أو فشله^(٨). وإلى جانب قاضي القضاة هناك نائب له اثناء غيابه ، فالقاضي الذي يولى قضاء دمشق وهو قاضٍ في إحدى المدن البعيدة في بلاد الأناطول ، كان لا بد له أن يُرسل مَنْ يستلم القضاء عنه إلى حين إنهاء علاقته في المدينة الأولى ، وفي الغالب كان من الأروام ، وقد يكون هذا النائب من السكان المحليين مثل ما حصل مع القاضي محب الدين الحنفي الحموي ، وهذا يعني أن منصب نائب قاضي القضاة يجب أن يكون من المذهب الحنفي ، كما ويجلس النائب في محكمة الباب وله نفس صلاحيات قاضي القضاة، مثل تعيين القضاة النواب في المحاكم^(٩) ، وتعيين المدرسين أو تقسيم الوظائف بين أكثر من شخص كمشيخة القراء^(١٠) كما حصل في الجامع الأموي حيث كانت مشاركة بين اثنين^(١١) ، أما نواب قاضي القضاة في المحاكم فهم قضاة يمثلون المذاهب الأربعة موزعين على المحاكم التي ذكرها البوريني ، محكمة الباب التي يقيم فيها قاضي القضاة الحنفي^(١٢) ، والمحكمة الكبرى وتقع في المدرسة الجوزية في سوق البزورية وتعرف أيضاً بمحكمة البزورية الكبرى أو المحكمة الجوزية^(١٣) ومحكمة ميدان الحصا وتقع في

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٩.

(٢) للمزيد انظر النعيمي : الدارس ، ج١، ص ١٦٢ ، ١٦٣.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، نفس المصدر، ج٢، ص ٩٣ - ١٠٥.

(٤) الانصاري : نزهة خاطر ص ٤٨ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١١٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢.

(٦) الانصاري : نزهة خاطر ص ٤٩ .

(٧) للمزيد انظر ترجمة جلال الدين جلبي ، اذ صدر حكم سلطاني بتعيين جده الشيخ عبد الصمد على المدرسة التقوية والفتوى فنفذ الامر قاضي القضاة ولي الدين ابن الفرفور ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٣.

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٦٦ ، ٨٥ ، ٨٧.

(٩) نفس المصدر ج١، ص ٨٧ ، ص ٧٧.

(١٠) مشيخة القراء : من الوظائف الدينية ومقرها في الجامع الاموي ، للمزيد انظر الغزي : الكواكب السائرة ، ج٣، ص ٥.

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٢.

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ٣١٩ ، ٣٥٢.

(١٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢٤٩ ، وللزيد انظر الانصاري : نزهة خاطر ص ٥٧.

حي ميدان الحصا قرب باب المصلى^(١) ، ومحكمة حلب وتقع في مدينة حلب^(٢) ، كما ورد ذكر لقاضي ركب الحج الشامي أو قضاء الحج الشامي ، فمن الأمور المهمة التي اهتم بها العثمانيون قافلة الحج الشامي^(٣) فمنذ بداية الحكم العثماني اهتموا بركب الحج وتيسير كل الأمور وتعيين كل ما تحتاج إليه القافلة من موظفين وقضاة ليقوموا بتسجيل الأمور الشرعية^(٤) . كانت المحاكم تحوي على موظفين ، وشهود من اجل تثبيت الوقائع ، وحفظها و عدم نكرانها ، وكانوا موظفين عند قاضي القضاة يعينهم في المحاكم ويعزلهم متى أراد ذلك ، وكانوا يكتبون القضايا في سجلات خاصة تُحفظ ليتم العودة اليها ، وكان على رأس هؤلاء موظف " كبير الكتاب " وكان هؤلاء من السكان المحليين منهم صلاح الدين الحلبي ، وكانت علاقاتهم جيدة مع الناس^(٥) ، كما واشتهرت عدة أسر بالقضاء منذ عهد المماليك الجراكسة إلى مطلع العهد العثماني ، منهم بيت الفر فور^(٦) وبيت القاضي محب الدين الحموي الحنفي^(٧) ، وأسرة أو بيت مفلح الحنابلة^(٨) ، وقد اشتهر بعض القضاة بحبهم للعلوم والتأليف خاصة في علوم تفسير القرآن الكريم^(٩) وغيرها من العلوم الشرعية^(١٠) ، فكان القاضي أحمد الخالدي الصفدي نائب في القضاء في صدد ومفتي وشاعر ومصنف^(١١) ، وقد ذكر البوريني في تراجمه حول القضاة بأن العديد منهم كانوا يُحبون الشعر ، ويعرفون قواعده^(١٢) ، ومنهم من كان يجلب معه الكتب للإفادة منها^(١٣) ومنهم من كان يحضر إلى الاموي ليسمع القرآن^(١٤) ، كما وعرف عن بعضهم أيضاً قلة التعفف في الدين والتساهل في الأمور الشرعية حتى وصل ببعضهم التحايل في بيع الأوقاف يقول البوريني : " ..يرتكب في ذلك طريق الاعتساف .."^(١٥) ، ومنهم القاضي أحمد بن روح الأنصاري قاضي القضاة بالشام ومصر وادرنه وقسطنطينية ، وتولى قضاء العسكر في ولاية أناطولي ، وولاية روم ايلي ، كان يتهاون في أمور القضاء ، فمثلاً كان لا يتأمل الحجة التي تعرض عليه للإمضاء بل كان يمضيها تقليداً للكاتب وثقة به وتغافلاً

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٤٣ .

(٣) رافق : العرب والعثمانيون ، ص ٥٠ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٢ .

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٤٣ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٣٦ ، وللمزيد انظر ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣١٧ ، ٢٣٣ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٨ وللمزيد انظر القصة كاملة بين اطرافها وهم (ابراهيم المدرس الدمشقي ، ونجم الدين ابن البدر الغزي ، ومحب الدين الحموي القاضي ، والبوريني ، وكذلك لطفي الضرير الشهير ابن اليازجي صهر ابراهيم المدرس) ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٤٩ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة ، ص ٢٣٣ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(١٠) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٣ .

(١١) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٣٢ ، وللمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر ، ج١ ، ص ٢٩٨ ، ٢٩٧ .

(١٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٧٨ .

(١٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧٣ - ٧٥ .

(١٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(١٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

عن التثبت خاصة في الشرائع ، وتولى قضاء مصر ، ثم رجع من طريق الشام ونزل بالميدان الأخضر^(١) ، وانتشار التزوير في تغيير صيغة الكتب المتعلقة بالأوقاف^(٢) وانتشار الفساد والتدخل في بيع المناصب^(٣) ، ومن المعلومات المهمة التي سجلها البوريني بأن المفتي أبي السعود ، كتب لابنه القاضي محمد بدمشق الذي كان متساهلاً في أمور القضاء ، يقول البوريني: "... وكان متساهلاً فيما يجب لمنصب القضاء من التحجب والصيانة" ، وقد عُزل من الشام وأُعطى حلب ، وكان والده المفتي أبي السعود يكتب له من القسطنطينية إلى الشام ينصحه بعدم تعاطي الرشوة في عمله^(٤) ، وقد سجل البوريني معلومات حول قاضي القضاة أحمد أفندي الأياشي^(٥) قاضي حلب ثم دمشق الذي عرف عنه الرشا والتزوير وعدم محبة الناس له ، وقد هجاه الشيخ درويش سبط آل طالو^(٦) الشامي بقصيدة طويلة سماها

(رفع الغواشي عن ظلم الاياشي)^(٧) فقد ظلم وأخذ المال بغير حق من الورثة^(٨) ، ومنهم القاضي المالكي بدمشق أبو الفتح ابن عبد السلام المالكي ، يقول عنه البوريني : "... وصار قاضياً بالمحكمة الكبرى ، وتقلب أحواله ، وتغيرت أعماله ، وصار متهماً بأمور لا تليق بأمثاله، ولا ينبغي أن تصدر عن أشكاله..."^(٩) ، ومما يلاحظ على الموظفين العاملين في تلك المؤسسة أنهم كانوا لا يقبلون التهاون في القضاء ، ففي المحكمة الكبرى كان هناك موظف كاتب اسمه أمين الصالحي الدمشقي له مع القضاة شعر فيه هجاء قاسٍ خاصة للقاضي كمال الدين ابن الخطاب، الذي يقول عنه البوريني : "... الذي ليس له من اسمه لا كمال ولا دين"^(١٠) ، وفيما يتعلق بالمفتي الحنفي ، أبو الجود البتروني فإنه كان يدهن قضاة السوء ، وحتى فتواه في حلب كانت تصب في مصلحة قضاة السوء^(١١) ، ومن القضاة مَنْ كان يدهن على حساب الحق وخاصة إذا كان أحد الطرفين حاكماً أو وزيراً، فمثلاً ما حصل مع أمير الأمراء دالي إبراهيم باشا ، حاكم ديار بكر الذي طغى وقتل وظلم الناس ، وكانت أخته قريبة من السلطان ، فما قدر القاضي أن يفعل له شيئاً، ولا حتى الذين اشتكوا

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٥٦ - ٥٨ ترجمة أحمد ابن الاكرم .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٦٠ .

(٤) للمزيد انظر الشعر الذي ارسله المفتي لولده يحذره من الرشوة ، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٤٠ و ٢٤١ .

(٥) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ٨٥ .

(٦) للمزيد انظر نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٠١ الى ٢٢١ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر، ج ٢، ص ١٤٩ الى ١٥٥ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٨٥ ، وللمزيد انظر كتاب **سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر** لمؤلفه درويش الطالوي ، ج ٢، تحقيق محمد مرسي الخولي ، عالم الكتب بيروت ، ط ١، ١٩٨٢ م .

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٥ فيه معلومات عن فساد القاضي وكيف ان العوام رجموه بسبب التزوير والرشا .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٤٩ .

(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٣ .

(١١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦٠ .

عليه ، بل ولاء السلطان ديار بكر^(١) . وكان بعض القضاة لا يرضوا أن يراقب عملهم أحد ، في إشارة إلى فساد بعضهم ، مثلما حصل مع المدرس إبراهيم الحنفي الدمشقي الذي وصف بالمحتسب من قبل القاضي تاج الدين ابن القاضي يحيى أفندي ابن القاضي زكريا أفندي ، فحين مات إبراهيم قال القاضي تاج الدين ".... خلصنا الآن من المحتسب .." ، فقد كان يعارض عمل القضاة لاسيما قضاة السوء والحكام^(٢) ، كما استغاث أهل الشام على لسان الطالوي الشامي بموالي الروم في التدخل عند السلطان محمد لعزل قاضي القضاة أحمد الأياشي^(٣) ، وتعرض البوريني نفسه إلى ظلم القضاة ومحاولتهم شراء وظيفته للتدريس في المدرسة الشامية البرانية^(٤) ، مقابل مبلغاً من المال ، إلا أن البوريني رفض ذلك لأنها كانت وفقاً لأعلم علماء الشافعية ، وفعلاً أخذها القاضي من البوريني بقوة المال والجاه والقرب من السلطة^(٥) ويذكر البوريني ان قاضي العسكر في انطولي الذي كان يقوم بتعيين المدرسين في مدارس دمشق ، لم يُرجع المدرسة للبوريني بل منحها إلى أحد أتباعه من الأحناف^(٦) ، حتى أن بعض القضاة كان يمتنع من هذا المنصب بسبب الفساد والصورة السيئة التي لحقت بهذه المؤسسة ، مما دفع بعض القضاة إلى التوسط عند الأعيان حتى يتم قبول المنصب^(٧) . إلا أن ذلك لا يعني ليس هناك قضاة صالحون ، فقاضي القضاة ابن بستان كان عادلاً ويصور البوريني عدله في الشعر الذي نظمته^(٨) :

قاضي القضاة ابن بستان الذي شملت عواطف الفضل منه السهل والجبل

قد انجلت عنده كل الأمور كما عن البرية ظلم الظالمين جلا

في إشارة إلى انتشار قضاة السوء وتزايد ظلمهم للأهالي ، وكانت سيرة القاضي تقي الدين الزهيري الشافعي ، الذي تولى قضاء الشافعية بمحكمة الباب بعد القاضي محمد بن جاذبك الشافعي حسنة ، بعكس مثلاً القاضي أحمد الأياشي^(٩) ، وكانت سيرة القاضي أحمد أفندي الشهير شيخ زاده (ابن الشيخ) حسنة ، وقد تولى قضاء دمشق من قبل السلطان أحمد بن محمد خان ، وكان قاضياً صارماً وله عفة عن أموال الناس ، إلا أنه كان يسيئ الظن بالناس خاصة العلماء ، ويكره أكثر الناس ، وكان يورد معلومات قبيحة عن موالي الروم يصفها البوريني بقوله : ".... ولا ندري هل

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٢١-٣٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٨٧-٩٠ .

(٤) للمزيد انظر نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، ٣٤٦ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٧) ورد ذكره في ترجمة أحمد بن عبد القادر حين ذهب إليه مع القاضي كمال الدين الحمزاوي واعيان دمشق

ليقبل منصب القضاء من قاضي القضاة ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٦١ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

هي مخترعة أم هي واقعة...^(١) ، ذلك أن أمر تعيينه في منصب قضاء دمشق سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م كان مباشراً من قبل السلطان أحمد ، ويصف البوريني ذلك النوع من التعيين بقوله : (قاضي من جهة سلطان الروم) أي بالاستقلال ، وليس بالإنابة من قبل قاضي القضاة ، فيكون موقفه أقوى وأشد بالاستناد إلى أمر السلطان ، وهو أمر تكرر عند البوريني ، منهم القاضي عبد اللطيف ابن القاضي محب الدين الحموي الحنفي كان لسانه لإذعاً ويشتم حتى القضاة ، نقل البوريني حادثة من مصدر مباشر له وهو القاضي عبد النافع الحموي الذي أخبره : "... وقعت بيني وبين عبد اللطيف المذكور محاورة ، أدت إلى مكابرة ، في أثناء مكابرة . فكان من قول عبد اللطيف له : وأنت أيُّ شدة تريد شتمه بالتركية ، مخلوطة بالعربية ، يعني أنت أيُّ أشك وأشك بلغة التركية الحمار . وقصد عبد اللطيف بذلك أن يُظهر أنه قاضي من جهة سلطان الروم فيريد أن يتكلم بلغتهم..."^(٢) ، وهذا يعني أن هناك نوعين من تعيينات القضاة ، الأول بالاستقلال ويتم عن طريق السلطان ، والثاني بالإنابة ويكون عن طريق قاضي القضاة ، فالنوع الأول قضاء " الاستقلال " يجعل من القاضي أكثر صرامة وقوة من النوع الثاني ، ومنهم شيخ زاده الذي كان يشتم الناس خاصة الذين يتصفون بالعربية ويعتبرها شيخ زاده من أكبر العيوب ، ويذكر البوريني انه كان يقول : "... بره عرب ... وكان تارة يزيد فيها بره عرب طاط..." وله علاقة سيئة مع متولي الأوقاف كشمس الدين الميداني الشهير في دمشق (ابن الحدوث) لانه كان متولياً على أوقاف جامع يلبغا الناصري^(٣) ، ومنهم القاضي علي الخفاجي الذي تولى القضاء بمدينة عدن في اليمن سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ، والقاضي عبد اللطيف الحموي الذي تولى قضاء حماة وكان يتباهى بذلك التعيين على حد وصف الحسن البوريني ، أما النوع الثاني فهو قضاء " الإنابة " وهو التعيين من قبل القضاة لا من قبل السلطان ، وقد أصبح بسبب ذلك تزوير في تغيير صيغة أمر التعيين من صيغة النيابة إلى صيغة الاستقلال لتحقيق مكاسب شخصية أكثر ، فمثلاً القاضي عبد الرحمن بن مرشد الحنفي المفتي بمكة ، الذي صدر أمر تعيينه من قبل قاضي مكة (بالإنابة) فقام بتزوير أمر التعيين بتغيير صيغته من الإنابة إلى الاستقلال ، يقول البوريني : "... أرسل عند ورود المکتوب إليه إلى قاضي مكة السيد محمد بن السيد محمد المجنون ، وكان السيد المذكور متولياً قضاء مكة بالاستقلال ، بأني (عبد الرحمن الحنفي) توليت القضاء لا بطريق النيابة بل بأمر السلطان..."^(٤) ، ومن المعروف بأن منصب القضاء يختص بالتنقل في البلدان المختلفة ، فكان القضاة ينتقلون من بلد إلى آخر ومن

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٩٦-١٩٧ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٩٦-١٩٧ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .

مدينة إلى أخرى، فقاضي الشام ينتقل من الشام إلى مصر ، وقسطنطينية ، ويكون قاضياً للعسكر^(١) ، وكان القضاة ينتقلون في أنحاء بلاد الشام وفي قصباتها^(٢) . وبعض القضاة العرب كانوا يشغلون منصب القضاء في مناطق الروم ، فالقاضي أحمد شهاب المصري ابن محمد المصري الحنفي كان قاضياً ببلدة أسكب (وهي مدينة في أرض روم ايلي) ويكون القاضي في هذه البلدة كبير الشأن وجليل القدر ومن الأعيان ، وفقاً لقوانين الدولة^(٣) ، وكان بعضهم يشغل منصب قاضي قضاة في مدينة آمد في ديار بكر ، وينتقل إلى طرابلس ، ثم مكة^(٤) ، ومنهم القاضي درويش محمد باشا الحنفي^(٥) الذي كان ينتقل في البلاد حتى شغل وظيفة قاضي القدس وما يتبعها من غزة ، ونابلس وصفد واللجون وعكا وكفر كنا ، ثم شغل منصب قاضي مكة ، ثم قاضي مصر والقاهرة ، وكانت له مع البوريني علاقة طيبة ومباحثات^(٦) .

إمارة الحج :

من الوظائف الدينية التي اهتمت بها الدولة ، وكانت تسند في بعض الأحيان إلى بعض العلماء مثلما حصل مع البوريني ، فقد شغل هذه الوظيفة في سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م^(٧) ، وأسندت وظيفة أمير الحج^(٨) إلى بعض الأمراء المحليون كأمرء الألوية والسناجق ، ومنهم الأمير أحمد بن رضوان بن مصطفى أمير غزة ، الذي تولى إمارة الحج الشامي أحسن تولية حتى تقاعد بإقطاع عظيم (تيمار)^(٩) في اشارة مهمة إلى أن منح التقاعد عن المناصب لم يكن فقط مادياً أي مقابل مبالغ مالية مع أهمية منصب متولي ركب الحجيج ، وفي سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م شهدت قافلة الحج الشامي الأمان والحماية بكل شجاعة^(١٠) حين تولاها الأمير فروخ بك ابن عبد الله، أمير لواء نابلس ، في اشارة إلى أن إمارة الحج الشامي لم تكن مقتصرة فقط على أعيان دمشق^(١١) ، وقد شغل الأمير فروخ^(١٢) وظيفة إمارة الحج الشامي منذ سنة ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م كما ورد عند البوريني^(١٣) ، وعند

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٦٦ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٧٦ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٣٧، ١٣٨ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٣، ٥٤ .

(٥) درويش محمد باشا : جاء الى دمشق سنة (١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) وكانت له مع البوريني علاقة جيدة شغل وظائف عديدة في أماكن عدة اماكن ، للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٠٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٩٣ .

(٨) إمارة الحج : مفرد ها أمير الحج وهو الرئيس المنتخب او المشرف المعين على قافلة الحج المتجهة من اسطنبول الى مكة او من مصر والشام الى مكة ، للمزيد انظر صابان : المعجم، الموسوعي ص ٣٧ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٩١-١٩٢ .

(١٠) للمزيد انظر المحبي : خلاصة الاثر، ج٣، ص ٢٦٦ وما تلاها .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٢ .

(١٢) للمزيد انظر ترجمته في المحبي : خلاصة الاثر، ج٣، ص ٢٧١ .

(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٢ .

المحبي أنه شغلها عدة سنوات إلى وفاته سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١م^(١)، ولما تولى الحكم بعده ابنه الأمير محمد بن فروخ أسندت إليه تلك الوظيفة ، وقام بالتصدي لعدد من الهجمات فاكتسب ثقة السلطة واعتبر من الشخصيات المهمة ، وشغل الوظيفة ما بين السنوات ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢م إلى ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٩م^(٢) ، ويُلاحظ أنه في أغلب الأحيان كانت إمارة الحج تُناط إلى سنجق نابلس واللجون^(٣) ، وبعد ذلك أصبحت الوظيفة متنقلة تارة تؤخذ من بيت فروخ وتارة ترجع إليهم ، وتارة يأخذها حكام الولايات والانكشارية^(٤) . كما وشهدت الأمان قافلة الحج المصري بوجود أمير غزة الأمير أحمد بن رضوان فلولاها لأخافها العربان (البدو) بسبب تكرار الهجمات على قوافل الحج^(٥) .

المفتي:

كان المفتي رأس السلطة الدينية في الدولة كما هو واضح من تراجم البوريني^(٦) ، وقد خضعت جميع الهيئات القضائية والدينية إلى سلطة مفتي القسطنطينية، وكان تثبيت الموظفين الدينيين في القسطنطينية منوطاً به ، في حين كان تعيين القضاة في الولايات من اختصاص قاضي العسكر ، وكان قضاة العسكر يترقون ليصبحوا مفتين في دار السلطنة القسطنطينية^(٧) . كان المفتون الذين اعتمدت عليهم الدولة في دمشق من المذهب الحنفي ، وهو المذهب الرسمي للدولة ، كما سمح لبقية المذاهب باختيار المفتين من قبلهم واعترفت بهم الدولة ، وقد تعرض هذا المنصب إلى حالات من الأبتزاز ، فكان يتم شراؤه مثلما حصل مع أبي الجود البتروني^(٨) المفتي الذي أقدم على شراء هذا المنصب من قبل القاضي بعد أن كتب عريضة إليه لأخذ موافقة مبدئية منه ، لأن تعيين المفتين كان يتم من الباب العالي ، ثم بعد ذلك يرسل العريضة ومعها المال والهدايا إلى الباب العالي وعليها موافقة القاضي ، كي يمكنه ذلك من أخذ موافقة السلطة العليا في الباب العالي لأصدار أمر التعيين في هذا المنصب (وبأن أبي الجود البتروني الحلبي يستحق منصب الافتاء) ، خاصة وأنه لا يوجد في حلب من هو عالم بفقهاء الأحناف ، مما يدل على الفساد الإداري والمالي حسبما بينه البوريني في تراجمه^(٩) ، وكان منصب المفتي في دمشق خاص لحل المشكلات العادية ، ولكن إذا كانت المشكلات كبيرة وتحتاج إلى قوة رأي وصرامة ، فإن مفتي القسطنطينية يتدخل في الرد على

(١) المحبي : خلاصة الاثر ، ٢٧٠ وما تلاها .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٧٣ ، وانظر المحبي : خلاصة الاثر ، ج١ ، ص ٢٢١ .

(٣) المحبي : خلاصة الاثر ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٤) للمزيد انظر رافق : العرب والعثمانيون ص ٢٠٤ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٢ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦١ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٩٩ .

(٨) ابو الجود البتروني : المفتي الحنفي الحلبي ، شغل منصب الافتاء وكان يدهن قضاة السوء ، للمزيد انظر

ترجمته نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٢ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٦١ .

المتخصصين^(١) ، ومن المفتين الأحناف الذين أوردتهم البوريني هو أحد شيوخه المفتي عماد الدين الحنفي^(٢) الذي وصفه بأنه شيخ مشايخ الاسلام^(٣) ، والمولى أبي السعود أفندي الذي كان والده صوفياً وعالماً ، ومن فتاواه التي اشتهرت عدم جواز شرب القهوة^(٤) ، أما المفتون من المذهب الشافعي ومنهم بدر الدين الغزي ، فوصفه البوريني بأنه شيخ الاسلام^(٥) ، كان مفتياً شافعيّاً بدمشق لمدة ستين سنة ، وله مركز مستقل في الاموي وله حجرة تسمى الحجرة الحلبية^(٦) ، وكان له دور كبير في إجازة^(٧) القضاة والمدرسين في العلوم الشرعية كعلوم الحديث والفقه^(٨) ، وكذلك إسماعيل النابلسي الشافعي أحد شيوخ البوريني^(٩) الذي انتشر صيته في بلاد الشام ، وكان قريباً من السلطة ، إلا أنه تعرض لبعض مضايقات من قبل موظفي السلطنة فتم حبسه ، وله مكان مخصص للإفتاء^(١٠) ، وفي دمشق كان هناك مفتين على المذهب المالكي ، ومنهم أبو الفتح المالكي^(١١) ، ومفتين على المذهب الحنبلي وكانوا من بيت مفلح الحنابلة المشهورين بالفتوى والقضاء منذ أيام الجراكسة^(١٢) . ومما يلفت النظر تطور العلاقات بين المفتين ، فقد كانت تسود بينهم علاقات الود والمحبة والاحترام وتبادل الزيارات والمباحثات^(١٣) .

نقابة الأشراف^(١٤) :

يعد نقيب الأشراف المسؤول عن شؤون الأشراف وكان مقره الرئيسي في القسطنطينية ، إذ كان يُعين من قبل السلطان مباشرة ويكون اختياره من كبار المفتين أو العلماء أو القضاة^(١٥) ، وتم تعيين

- (١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٩ .
(٢) العماد الحنفي : هو العماد ابن العماد الحنفي أحد شيوخ البوريني أصله من دمشق ، درس في عدة مدارس وأفتى وقرأ عليه كثيرون مات سنة (٩٨٦ هـ / ١٥٧٨ م) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ - ٣١٠ . وانظر الفصل الثاني شيوخ البوريني .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، وانظر مفتي المالكية بدمشق الشام ، أبو الفتح بن عبد السلام المالكي ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
(٥) انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٣ - ١٠٥ ، والغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣ ، ص ٣١ ، ٣٢ .
(٦) الحجرة الحلبية : في قرنة الجامع الاموي بالقرب من المدرسة الكاملة ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
(٧) انظر دهمان : معجم ، ص ١٢ .
(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٩٥ وما تلاها .
(٩) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦١ وما تلاها ، وانظر الفصل الثاني شيوخ البوريني .
(١٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٢ وما تلاها .
(١١) ابو الفتح المالكي : ابن عبد السلام اصله من تونس واستقر بدمشق مفتي المالكية بدمشق مات سنة (٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٥٥ .
(١٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٥٠ ، وللمزيد انظر ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣١٧ .
(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٥١ .
(١٤) الشريف : فعيل من الشرف وهو العلو والرفعة ولا يكون الا لمن له آباء يتقدمونه بالشرف وهو أعلى من الكريم واستخدم في الدولة الإسلامية واستمر استخدامه من قبل العثمانيين فقد ورد اللقب لاسيد أحمد البديوي المنسوب الى الإمام علي رضي الله عنه وهو يعني المقام الشريف ، للمزيد أنظر بركات : الألقاب ص ٢١٥ ، ٢١٦ .
(١٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

نقيب للأشراف في مركز الولاية ، من قبل نقيب الأشراف في القسطنطينية، كذلك الحال في حلب فقد عُين نقيب الأشراف في حلب السيد محمد الرامحمداني (نسبة إلى رام حمدان وهي قرية من قرى أريحا) ، وقد زاره البوريني سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م ووصف بيته في حلب^(١)، وكان الأشراف مقر بون من السلطة ويخلع عليهم السلطان الخلع^(٢)، و من مهام نقيب الأشراف دعم الأشراف في استيفاء حقوقهم ، والنيابة عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة وحل المشكلات بين الأشراف ، والولاية على أيتامهم وما ملكوه^(٣)، وقد سجل البوريني بعض المعلومات حولهم تفيد بأن بعضهم كانت لديهم بعض الأخلاق غير الحسنة، حتى أن أحدهم قُتل بسبب ذلك^(٤)، ومنهم من كانت أخلاقه حسنة ، فقد ترجم البوريني لأربعة من الأشراف وهم ، الشريف أبو طالب الحسيني أحد الأشراف الذين كانت سيرتهم حسنة ، والذي عهد إليه والده حسن بها في حياته ، وكانت الخلعة السلطانية من " الخوندكار " السلطان ترد إلى مكة كالعادة خاصة بالأشراف ، فألبسها الشريف حسن شريف مكة لابنه أبو طالب ، وكان أسم نقيب الأشراف يذكر على المنبر في مكة بعد أسم السلطان^(٥)، وقد تولى هذا المنصب قبل أبو طالب اخوته وكانت سيرتهم غير حسنة، منهم الشريف حسين ، والشريف مسعود ، يقول البوريني عن الأخير : " ... فلم يكن قي سعيه بمشكور ولا في فعله بمحمود "^(٦) ، كما وترجم البوريني للشريف الأمير ادريس بن حسن نقيب الأشراف بمكة^(٧) حيث كانت علاقة مكة بزمنه مع السلطنة على أحسن حال خاصة زمن السلطان أحمد ، فقد ذكر البوريني حين ذهب حاجاً ، بأن صاحب مكة في تلك الفترة الأمير ادريس بن حسن ابن ابي نمي بن بركات الحسني ، وكان الخطيب يدعو للسلطان أحمد أولاً، ثم للشريف ادريس ثانياً ، ثم للشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي ثالثاً ، فقد كان يعاونه على الإمارة ابن عمه ، ووصف البوريني كتابة الشريف ادريس بقوله : " .. ويكتب في أسفل عرضه إليه : المملوك ادريس بن حسن الحسيني لطف الله به أمين "^(٨) . وكانت للبوريني أشعار في مدح الأمير ادريس شريف مكة مدحه في سنتي ١٠٢٠هـ / ١٦١١م ، ١٠٢١هـ / ١٦١٢م ، حين كان البوريني متولياً

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٤.

(٢) وهي عادة معروفة من قبل السلطان ، وهي ثوب يلبسه الأشراف دليل على علوا المنزلة والرفعة . نفس المصدر، ج١، ص ٢٤٥. ووردت ظمن ترجمه ميرزا مخدوم الحسيني الشيرازي ، خلع عليه الخلع السلطان مراد ، نفس المصدر، ج٢، ص ٥٣ ، وانظر الخلع التي لبسها اعيان عسكر دمشق من خلال الأمير علي بك ابن جانبلاذ كنوع من الرشوة كي لا يقاتلوه عند المواجه نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧٥.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٧.

(٤) انظر القصة الكاملة التي اوردها البوريني التي حصلت بين مملوك ابيض وسيد من الأشراف كان يبيع البطيخ الذي تم قتله على يد المملوك . نفس المصدر، ج١، ص ٢١٧.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٤٥.

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٧) الأمير ادريس ابن حسن ابن ابي نمي ابن بركات الحسني شريف مكة ، التقى به البوريني سنة (١٠٢٠هـ / ١٦١١م) وقد مدحه البوريني بقصيدة ، للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٨٦ ، ٨٧.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٣.

لركب الحج الشامي ، وقد صورت الأبيات الشعرية مدى كرم وخلق هذا الأمير^(١)، أما الشريف الثالث الذي أورده البوريني في تراجمه ، فهو السيد زين نقيب الأشراف في بعلبك أحد أصحاب البوريني وكان أديباً وله أشعار ، إلا أن البوريني لم يزودنا بمعلومات وافية عنه^(٢)، وآخر الذين ترجم لهم من الأشراف السيد شرف الدين الحسني^(٣) الذي كانت له علاقة جيدة مع أمير الأمراء ببغداد الوزير محمود باشا ابن الوزير سنان باشا الشهير بابن جفال ، حيث طلب منه الأخير المجيء إلى بغداد ليتم تعيينه في إحدى الوظائف ، ولما ذهب إلى بغداد نكث به الوزير يقول البوريني : "ولم يوف رحيله ولا سفره"^(٤). ولم يقتصر الأشراف على مذهب معين أو طبقة اجتماعية معينة ، إذ وجد منهم مَنْ كان يعمل في المهن وامتلاك المحال التجارية الأمر الذي أفاد الأشراف من ناحية التنظيم والقوة ، فهم على العادة أصحاب سلطة سياسية في الولاية^(٥)، ومن الأمور المهمة التي تم رصدها، هي ان علاقة الأشراف بالأهالي أو السكان المحليين كانت قائمة على الود والاحترام ، وكانت قوانين الدولة صارمة من أجل استرداد حقوقهم وتصل بعض لعقوبات إلى حد القتل، مثلما حصل بالقرب من باب الفراديس بدمشق مع أحد المماليك الذين قاموا بقتل أحد الأشراف وهو جمال الدين ، فصدر الحكم على المملوك بالقتل^(٦) ، وكان بعضهم يتعرض إلى الاضطهاد من قبل القضاة والحكام حتى يصل به الحال إلى الموت من شدة القهر ، مثلما حصل مع نقيب الأشراف في دمشق الذي كانت علاقته غير جيدة مع متولي الجامع الاموي كون الأخير أراد إضافة بناء قرب مشهد الأمام زين العابدين بن علي (عليهما السلام) مما يؤثر على المشهد ، فلم يقبل نقيب الأشراف على ذلك التصرف ، ولما وصل الأمر إلى حاكم دمشق قرر تشكيل لجنة تتولى الكشف على البناء المراد انشاؤه ، وفيما بعد تعرض نقيب الأشراف إلى الزجر من قبل القاضي عبد الرحمن بن اسكندر وحاكم دمشق محمد الأصفهاني ، فمات من شدة القهر سنة ١٠٠٩ هـ / ٦٠٠ م^(٧) ، ويلاحظ من المعلومات التي سجلها البوريني ان لنقيب الأشراف موظف يساعده في أعماله ، وأشار إلى استمرارية خدمة الموظف وعدم تعيينهم لموظفين جدد ، ومنهم الموظف بهرام آغا وهو من الروم ، كانت له خدمة طويلة لأشراف مكة منذ أيام الشريف أبي نمي ، والشريف حسن ، والشريف مسعود

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٧-٨٨.

(٢) السيد زين : نقيب الأشراف في بعلبك وهو احد اصحاب البوريني وله معه مكاتبات شعرية ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٢٦.

(٣) السيد شرف الدين الحسني التبريزي كان قريباً من الوزير محمود باشا ابن سنان باشا ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٥) رافق : العرب والعثمانيون ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٢٨-٣٢٩.

، والشريف ادريس ، والتقى به البوريني وهو بمنزلة الوزير وكان بيته مقابل باب السلام^(١)، كان للأشراف مساعدين لهم ، منهم حمزة الرومي الساكن في باب الجابية في قلعة دمشق ، الذي تعرض للحبس بسبب مشكلة مع الوزير أحمد باشا الشهير بحافظ أحمد باشا ، مما دفع عدد من الشخصيات للتوسط له لأنه من اتباع الشريف ، ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد تدخل كبار العسكر الشامي وبعض الشيوخ ، فتم إطلاقه وبقي في منصبه معاوناً للشريف^(٢).

مشيخة القراء :

ومن الوظائف الدينية التي أوردتها البوريني في تراجمه ، وظيفة " مشيخة القراء " في الجامع الاموي التي كانت تقسم بين شخصين ، مثلما حصل حين توفي أحد شيوخ البوريني وهو الطيبي الصغير^(٣) فانحلت عنه هذه الوظيفة ، مما أدى إلى حصول مشاكل بين إبراهيم بن كسباي الحنفي وبين شمس الدين الميداني ، وتم عرض المشكلة على قاضي القضاة وعالم دمشق عبد الغني أفندي الرومي^(٤) ، إلا أنه كان لا يحسن القراءات السبع ، فتم إرسال المتخاصمين إلى المفتي الشمس ابن المنقار الحلبي الحنفي ، فتباحثوا تدارس مع المتخاصمين ، فكانت الكفة ترجح جانب شمس الدين الميداني ، بسبب ضعف إبراهيم ابن كسباي في الفقه وأصوله على عكس شمس الدين الميداني ، فغضب المفتي من إبراهيم ابن كسباي ، ولولا تدخل البوريني عنده والتوسط له كون إبراهيم (فقير الحال وعنده عيال) ، لما قبل المفتي أن يُقسم الوظيفة (مشيخة القراء) بين المتخاصمين (إبراهيم بن كسباي ، و شمس الدين الميداني) ، وبقيت الوظيفة مشتركة بينهما ، يقول البوريني : " ..وهي إلى الآن مقسومة ..."^(٥)، كما وتم ذكر هذه الوظيفة من قبل النجم الغزي^(٦) .

وأشار البوريني إلى وظائف دينية أخرى وسجل العلاقات القائمة فيما بين الموظفين وبين الناس ، مثلاً متولي الجوامع ، والأئمة والخطباء والمؤذنين والوعاظ ونظار المسجد إذ كانت وظيفة سامية ومباركة لأن عمل صاحبها هو الإشراف على بيوت الله ، وتأمين المستلزمات التي يحتاجها المسجد من مؤذنين وخدم لتنظيف المسجد ، وترميم البناء إذا أصابه شيء من الهدم ، وقد اتصف بعض نظار المساجد بالتهاون في أمور الترميم^(٧) ، ومن الوظائف الأخرى التي ذكرها البوريني وظيفة مؤدب الأطفال وكانت شائعة في المسجد والقائم عليها يجب أن يتصف بالأخلاق الحميدة والصلاح

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٧.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ١٦-٢٤. وانظر شيوخ البوريني الفصل الثاني .

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٢.

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٢-٣٣.

(٦) الغزي : الكواكب السائرة ، ج ٣، ص ٥.

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢٩-٣٠، ١٠٩.

والزهد ، ومنهم أحمد بن عبد القادر الشهير " إبن تينه " مؤدب الأطفال في مسجد ومدرسة المجاهدية البرانية^(١).

ثامناً :علاقات ولايات بلاد الشام مع القسطنطينية :

أهتم البوريني بتسجيل معلومات مهمة تفيد في توضيح علاقات بلاد الشام مع القسطنطينية في تلك الفترة من النواحي السياسية والثقافية . فمنذ أن عزم السلطان سليم الدخول إلى بلاد الشام كان الشارع في بلاد الشام متدبّع لتحركاته، حيث كانت تعاني في نفس الوقت من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية متدهورة ، وتعسف وظلم للأهالي ، وزاد احتكار الحكام للسلع الضرورية ، وتدخلو في العمليات التجارية لتحقيق مصالح ذاتية ، وتعطلت الحقوق الشرعية ، وزادت عمليات القتل والتخريب وتزايد خطر فئات الزعر وقطاع الطرق ، وكثرت السرقات والتلاعب بالعملة وإنفاص وزنها^(٢) ، فكان من الطبيعي أن يتطلع الأهالي إلى قوة تخلصهم من الوضع المزري الذي يعيشونه^(٣) ، فحين انتصر السلطان سليم الأول على قانصوه الغوري في مرج دابق سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م دخل إلى حلب ومن ثم دخل إلى دمشق ، فرح الناس بدخوله وانتصاره على المماليك^(٤) ، الا انه باشر بتغيير القوانين وفرض الضرائب على الناس ، فتعطلت الأحكام الشرعية وفرضت الجزية حتى على المومسات^(٥)، مما كان له أثراً على الأهالي ، فكان من الطبيعي بعد ذلك أن تكون بلاد الشام على اتصال وثيق بمقر الحكم " القسطنطينية " ، فكانت الأوامر تصدر منهم إلى الولايات العربية التي خضعت لحكمهم منذ الأيام الأولى ، حيث بدأ الأمراء ينفذون قوانينهم ويتسلمون المدن مدينة بعد أخرى ، وأخذ العثمانيون يرسلون الحكام إلى الشام من القسطنطينية^(٦) ، وحتى القضاة الذين تم تعيينهم في بلاد الشام كان غالبيتهم من الأروام من المذهب الحنفي^(٧)، ومنذ الأيام الأولى يذكر ابن طولون وهو معاصر لتلك الأحداث أن السلطان سليم عندما دخل بلاد الشام جلب معه عدداً من المدرسين من المذهب الحنفي وكلهم يتحدثون التركية^(٨) ، حتى انه قام بجلب الأسواق المتنقلة ، وجلب أيضاً الحكماء والأطباء ، والحدادون ، وتم إقطاع الأراضي للأروام^(٩) ،

(١) المدرسة المجاهدية البرانية : بين بابي الفراديس ، واقفها الأمير مجاهد الدين ، وهي من مدارس الشافعية ،

انظر البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٦٥ ، والنعمي : الدارس ، ج١ ، ص ٣٤٧ .

(٢) انظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٣١٧ وما تلاها منذ أحداث سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م وما تلاها ، وللمزيد انظر التمهيد الفصل الأول أحوال تاريخية عامة .

(٣) كرد : خطط ج٢ ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٤) الكرمي : نزهة الناظرين، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٤-٣٣٩ .

(٥) كرد : خطط ج٢ ، ص ٢١٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٣٤-١٣٥ .

(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٨) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٣٣٩ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

وفكر أن يجعل اللغة العربية اللغة الرسمية للدولة بدل التركية إلا انه مات ولم يحقق ذلك ، يقول كرد علي : " .. ولو وفق السلطان سليم إلى انفاذ هذه الأمدية لخلصت الدولة العثمانية في القرون التالية من مشاكل عظيمة ، ودخلت في جملة العرب عناصر كثيرة مهمة ولزاد انتشار اللغة العربية فأصبحت الاستانة موطناً لها كما كانت بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة" (١) ، ومهما يكن فأن تأثر الأتراك العثمانيين بالحضارة العربية الاسلامية لم يكن فقط في الجوانب السياسية أو الإدارية للدولة ، وإنما تغلغل ذلك إلى الجوانب الفكرية ، فكثير من المفردات التركية كانت ولا تزال زاخرة بمفردات عربية وفارسية وبالعكس ، واهتمت بالخط العربي ، فمنهم أحمد بن رجب الرودي (نسبة إلى جزيرة رودس) دمشقي الذي كان عارفاً باللغات العربية والفارسية إضافة إلى لغته التركية ، فكان يترجم هذه اللغات وبعض المؤلفات من الفارسية مثلاً إلى التركية ، أو من التركية إلى العربية وبالعكس ، ومنهم الأمير إبراهيم ابن الجراح محمد باشا الوزير الأعظم الذي كان أديباً عارفاً باللغات الثلاثة العربية والفارسية والتركية ، وقد اجتمع به البوريني وأعجب بثقافته ومدحه بشعر باللغة العربية ، ومنهم أيضاً بابا تاج محمد الرومي البرسوي دمشقي كان له قرب من العلماء والقضاة ، وكان يعمل في صناعة المقننات الفاخرة في القسطنطينية ، مات ودفن في دمشق بمرج الدحاح ، كان ينظم الشعر الذي يحوي اللغات الثلاثة مثلاً :

فراق أهل لبك يا دايتيه طوطي قندي وصف ايلر

بلن سويلر عجيدر حال عالم بلمين سويلر

وقد ترجم البوريني كلمة طوطي بقوله : " ..والطوطي بالفارسية هي البيغاء" وكان شائعاً مثل تلك الأشعار في المجالس يقول البوريني : " ... وكان يحفظ مثل ذلك كثير ، وينشده في كل مجلس خطير" (٢) ، وأورد البوريني العديد من الشخصيات التي اشتهرت بالتأليف واتساع الثقافة ، منهم أحمد أفندي الشهير " طاش كبري زاده " الذي تولى التدريس في مدارس عديدة في بلاد الروم ، وله مؤلفات وصلت إلى دمشق الشام من خلال ابنه كمال الدين محمد بن أحمد حين جاء إلى دمشق الشام قاضياً (٣) ، والقاضي أحمد أفندي الشهير شيخ زاده (ابن الشيخ) ، فقد ولي قضاء دمشق من قبل السلطان أحمد ، ومن ثم تم عزله ، وولي قضاء مكة ، كما ودرس في بعض مدارس السلطان سليمان (٤) ، ومنهم أحمد جلبي بن اسكندر الرومي أحد أصحاب البوريني (٥) ، والمولى أبي السعود،

(١) كرد : خطط ج٢ ، ص ٢٢١ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٢٢ ، ٣١٨ ، ج٢ ، ص ١٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧٣ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١ ص ٧٧ .

وكان والده أصلاً صوفياً وعالمًا^(١)، وأسعد أفندي قاضي دار السلطنة بقسطنطينية ، الذي كان أصله من تبريز واستقر في القسطنطينية وكان من شيوخه منلاً^(٢) توفيق الكيلاني أحد مصادر البوريني في التراجم^(٣) ، والمولى مصطفى أفندي الشهير بعزمي زاده قاضي قضاة بدمشق الشام^(٤) . وقد أورد عدد من المؤرخين مثل تلك الإشارات التي تدل ما ذهبت إليه ، منهم النجم الغزي^(٥) ، ورضي الدين الحنبلي^(٦) ، والمحبي^(٧) .

ان الثقافة العثمانية تأثرت بشكل كبير بالثقافة العربية الإسلامية وذلك عن طريق الدراسة المباشرة للقرآن الكريم وعلوم الدين من حديث وفقه وتفسير ، وعن طريق وفود بعض العلماء العرب إلى القسطنطينية ، وانتقال بعض العلماء الأتراك إلى البلاد العربية ومنها بلاد الشام للذهاب منها إلى الحج أو الاستقرار فيها لطلب العلم ، واحتكاكهم مع العرب ، فمثلاً أحمد أفندي الشهير طاش كبري زاده ، الذي ولد في بروسة ونشأ في أنقرة ودرس العربية والأدب والفقه ، وتدفق في البلاد التركية مدرساً للحديث وعلوم اللغة العربية والفقه ، وولي القضاء في القسطنطينية، يقول عنه البوريني : " .. له في العربية الباع الطويل والمعرفة التي إذعن لها الخليل وكان مع ذلك كله ينظم الشعر العربي المليح ويذشئ الإنشاء البديع الفصيح ..."^(٨) ، ومن قول طاش كبري زاده ما نقله البوريني : (إن كل نبي من الأنبياء إنما يوحى إليه بالعربية ، ويعود بعد ذلك النبي بترجمه لقومه بلسانهم الذي يفهمون وله يفقهون)^(٩) ، ومنهم أحمد أفندي قاضي دمشق^(١٠) الذي تولى والده القضاء في الشام ومصر وقسطنطينية^(١١)، فكانت الحضارة العربية الإسلامية الأساس في بناء الحضارة

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٣٩ ، وانظر مفتي المالكية بدمشق الشام ، ابو الفتح ابن عبد السلام المالكي ، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٤٩

(٢) منلاً : هو العالم او السيد او الشيخ وهي من مولى بالعربية ، انظر دهمان : معجم، ص ١٤٦ ، وللمزيد عن لقب ملا انظر ترجمة أحمد الحلبي الشهير ابن المنلا ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٨٠ ، كما وسمي العماد الحنفي احد شيوخ البوريني بالملا ، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦١ ، وانظر الملا إبراهيم الحلبي ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤ ، وانظر الملا توفيق الكيلاني احد شيوخ اسعد أفندي وكان عالم في العلوم العقلية ، وفي الفنون المنطقية ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٥٠ ، ٦٩ ، وانظر ملا توفيق نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٨ ، وانظر الملا الحسين الشيرازي الشاعر ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٧٠ الى ١٧٥ ، وانظر الملا علي الكذاوري الذي مات بطاعون سنة (١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م) الذي اصاب دمشق ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٥٠ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢٤ .

(٥) الغزي : لطف السمر ، ج ١، ص ٢٩٦ ترجمة أحمد بن شيخ زاده الذي تولى منصب قاضي القضاة بدمشق وجاء من المدارس السليمانية .

(٦) ابن الحنبلي : در الحبيب ج ٢، قسم ١ ص ١٧ ترجمة القاضي فضيل علي بن أحمد .

(٧) المحبي : خلاصة الاثر ، ترجمة محمد بن محمد بن حسن جان ، ج ٤، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٨) له كتب منها كتاب الشقائق النعمانية في أحوال الدولة العثمانية، وكتاب موضوعات العلوم ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٧٥ ، ٧٣ .

(٩) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٤ .

(١٠) أحمد أفندي تولى قضاء حلب ومن ثم تولى قضاء دمشق وكان ادبياً وقاضياً مشهوراً في بلاد الشام ومصر والقسطنطينية للمزيد انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٦٦ الى ٧٢ .

(١١) نفس المصدر، ج ١، ص ٦٦ .

التركية ، وهذا واضح حتى قبل دخول العثمانيين الأروامالى بلاد الشام ، وتعمق ذلك التأثير أكثر مع توسع الدولة في البلاد العربية ، ويلاحظ من تراجم البوريني ان اللغة العربية كانت لها أهمية خاصة في الدولة ، فالقرآن الكريم وترتيله والقراءات المختلفة والقراءات السبع ، والفقه وأصوله كان يُقرأ ويُدرس^(١)، وكانت بعض المدارس مثل مدرسة أم السلطان مراد في القسطنطينية التي كانت تؤهل المدرسين لإشغال وظيفة القضاء في بلاد الشام^(٢) ، ومدارس السلطان سليمان القانوني ، مهتمة بهذه العلوم^(٣) ، فكانت اللغة العربية والعلوم العربية الأخرى المختلفة تشكل أساساً في بناء ثقافة الفرد في تلك الفترة ، ويدل على ذلك ان الكثير من القضاة والمفتين ورجال الإدارة الأتراك الذين عينوا في البلاد العربية كانوا يتقنون اللغة العربية ، وكان لبعضهم اهتمام بالأدب العربي ولا سيما الشعر ، وكانت هناك ثقافة متبادلة بين العلماء^(٤).

لقد تركت الدولة بعد سيطرتها على البلاد العربية ، حق ممارسة التقاليد العلمية السابقة ، من مدارس وحلقات ذكر ووعظي كلأنحاء بلاد الشام ، مع الاحتفاظ باللغة العربية ، ولم يتمكنوا من فرض اللغة التركية على حساب اللغة العربية ، على الرغم من انها لغة الدولة الرسمية ، وفي المقابل كان هناك تأثير للأتراك عند العرب ، فنرى من خلال التراجم ان اللغات السائدة في تلك الفترة هي العربية والتركية والفارسية وكان بعض الشعراء ينظمون قصائدهم بهذه اللغات ، بل حتى البوريني نفسه كان متقناً لهذه اللغات وينشد الشعر^(٥)، مما مكن العرب من الاطلاع على الفكر والعلوم المختلفة لدى الأتراك والفرس ، إلا ان ذلك لا يعني تدهور الفكر العربي مع وجود الفكر التركي والفارسي ، بل ان المتتبع لتراجم البوريني يتوصل إلى حقيقة مفادها ان الفكر العربي لم يُصب بالضمور أو التدهور على الرغم من وجود موجة كبيرة لفكر المتصوفة في تلك الفترة ، وانتشار الكرامات (خوارق العادات) ، التي كانت أصلاً منتشرة منذ عهد المماليك^(٦) ، فقد عُرف عصر البوريني اهتمام الناس بأحوال العلماء الظاهرة والكمالات وزيارة الصالحين وحضور مجالس الذكر^(٧)، وكان البوريني نفسه مهتماً بتلك الكرامات ، فهو يعكس بذلك نظرة عصره لتلك

(١) نفس المصدر ، ج ١ ، ٩ ، ١٠٩ ، ٣٠٨ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ١٧٨ .

(٢) يصفها البوريني بانها عرفت بهذا الاسم نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، وهي إحدى مدارس القسطنطينية الكبيرة بناها السلطان سليمان القانوني بالقرب من جامعته المسمى (بالسليمانية) وفيها يصل طالب العلم والقضاء الى اعلى درجه علمية يمكن ان ينالها في الدولة العثمانية ، للمزيد انظر الغزي : لطف السمر ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٧ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

(٦) ابن طولون : مفاكهة ، ص ٧ ، ٨ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٩ .

الجوانب ، بقوله عن أحد شيوخ الصوفية "..وقبره هناك معروف يُزار ويُتبرك به ، وحكى أهل زمانه كرامات عجيبة وأحوال غريبة .."(١).

لقد تطورت العلاقات المتبادلة بين بلاد الشام والقسطنطينية (بلاد الروم) ، على صعيد التعليم وازدياد الرحلة في طلب العلم والعمل ، وتحقيق بعض مكاسب سياسية وشخصية ، فوجد مدرسين شاميين أتقنوا التركية وعملوا مدرسين في بلاد الروم ، في مدن مختلفة وليس فقط في عاصمة الدولة (القسطنطينية) ، ففي بروسة كانت تُمنح لهم الرواتب اليومية منها (أربعين درهم عثمانية في كل يوم) ، ومنهم المدرس إبراهيم الدمشقي في بروسة ، وبعد تدريس الأربعين رجع إلى الشام ووجدها خالية من العلماء ، فقرر ترك ديار الروم نهائياً ، في وقت كان الوزير في دمشق سنان باشا ، فتم تعيين علوفة له (راتب من مال أهل الذمة) يصل إلى ستين قطعة فضة كل يوم^(٢)، وكانت تُطبق عليهم القوانين التعليمية العثمانية ومنها قانون (زمان البرزخ) الذي يوضحه البوريني ، بان المدرسين كانوا خاضعين لقوانين تخص تعيينهم ويعرفه البوريني عند ترجمته للمدرس ابراهيم الدمشقي بقوله : "...ولما انفصل عن الأربعين حضر إلى وطنه الأصلي وهو دمشق لأجل أن يقطع زمان البرزخ وهوان الرجل إذا وصل إلى تدريس الأربعين يُعزل ، ثمان سنين أو عشر سنين مثلاً من غير منصب ، ثم بعد ذلك يتولى تدريس الخمسين ، ولا يزال ينتقل من مدرسة إلى مدرسة حتى يتولى قضاء مدينة كبيرة ، مثل حلب والشام ومصر وما أشبهها.." ^(٣) ، كما ويشرح البوريني مرة أخرى ذلك القانون بقوله : "...ومن قاعة موالى الروم أنهم يعزلون المدرس ما بين الأربعين والخمسين نحو سبع سنين...ففي هذه المدة ورد (درويش محمد ابن طالو) ، إلى مسقط رأسه (دمشق) ، ...واستمر هناك إلى أن قربت المدة بين الأربعين والخمسين فتجهز لسفر الروم..." ^(٤) ، وكان قاضي القضاة محمد أفندي الرومي الشهير بجوي زاده ، مفتي دار السلطنة قسطنطينية يحضر مجالس العلماء منها المجلس الذي عقده البدر الغزي بمناسبة ختم كتاب (التفسير المنظوم) ،ومعه كان مفتي الشام فوزي أفندي الرومي الحنفي ، والطبي الكبير الشافعي ، وكذلك أبي الفتح المالكي^(٥) ، في إشارة إلى عمق العلاقة بين علماء بلاد الشام وعلماء الأروام. وتشير تراجم البوريني خلال هذه المرحلة إلى ازدياد الرحلة في طلب العلم والعمل في المدارس في بلاد الشام والقسطنطينية وتبادل الطرفين تلك الرحلات ، فكان العلماء الشاميون يسافرون إلى القسطنطينية، وهم من مختلف المذاهب ، منهم أحمد الشويكي الذي سافر إلى القسطنطينية وهو حنبلي المذهب

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٤٢.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣٠٠.

(٤) للمزيد انظر ترجمة الأديب محمد درويش الطالوي ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٠٢.

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٩٧-٩٨.

وعالم ومفتي^(١)، وكان بعض العلماء يسافر إلى دار السلطنة القسطنطينية للعمل في إحدى المدارس للحصول على الرواتب (العلوفات) السلطانية، ومنهم أحمد البهنسي صاحب وتلميذ البوريني^(٢)، أو منهم من كان يسافر رغبة في الحصول على العلوم وفق قاعدة الأروام (أي على مذهبهم الحنفي) من خلال دراسة العلوم المصرفية واللغوية، حتى يمكنه ذلك من الترقى من مدرس إلى أعلى، حتى يُسمح له أن يكون من ملازمي المفتي^(٣)، وأورد البوريني تمييزاً في طرق التعلم، منها طريق العرب وطريق الروم أو (الأروام) الأول يكون على قانون الأدب والنثر والنظم، والثاني يكون على طريق الروم بالملازمة المصرفية واللغوية، ومن هؤلاء العلماء الذين سلكوا طريق الأروام أحمد شهاب المصري الحنفي، رغم قلة من يسلك هذا الطريق يقول البوريني: "...سلك طريق العلم أولاً على طريق العرب، ومشى فيه على قانون الأدب، ومهر في المنثور والمنظوم، ثم استحسن طريق الروم، بالملازمة المصرفية، التي تتبعها الملازمة اللغوية، فسلك هاتيك الطريق على قلة من بها من أبناء نوعه من الرفيق..."^(٤) في إشارة مهمة بأن تحصيل هذه العلوم يساعد في الحصول على الوظائف، وكذلك أحمد أفندي بن شاهين، وإبراهيم الدمشقي الشهير بابن الطباخ الذي كان يعرف لسان التركية، وكذلك ادريس الواعظ نزيل دمشق الذي قرء على شيخه بخاري زاده على قانون علماء الروم^(٥).

وترصد تراجم البوريني تلك الظاهرة في الرحلة لطلب العلم والتعيين، من البلدان المختلفة إلى القسطنطينية، ومنها إلى الشام، ومنها من بلاد فارس إلى القسطنطينية، فمثلاً قدم أحمد بن روح الانصاري إلى القسطنطينية من بلاد العجم وخدم فيها وتولى التدريس في مدارسها، ثم رجع منها إلى دمشق واجتمع به البوريني ثم رجع إلى القسطنطينية ومات بها سنة ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م^(٦)، وفي ترجمة أحمد بن المنقار ذكر البوريني بأن والده محمد بن المنقار سافر إلى القسطنطينية وصار قاضياً ببعض القصبات ومات هناك، فتبعه ابنه أحمد إلى القسطنطينية يقول عنه البوريني: "...لزم أن ينهض إلى قسطنطينية ليتناول ما خلف والده من المال ويسعى على منصب يكون سبب الإكرام والإجلال فاشتهر صيته بين موالى الروم..."^(٧)، وصار قريباً من المفتي زكريا أفندي على قاعدة علماء تلك البلاد (أي العلماء الأحناف) وأن يكون حنفياً، وفي ذلك رفعة لشأنه بين الناس^(٨)، وكان أحمد الحلبي الشهير ابن الملا له علاقة جيدة مع الأروام، وسافر إلى القسطنطينية ونظم

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٥١.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٨.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.

(٤) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٣٧.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٧، ١٤٥، ٣٠٠، ج ٢، ص ٩١.

(٦) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٦١-١٦٢.

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ١٦٣-١٦٤.

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ١٦٤.

الشعر في مدح المفتي أبي السعود (مفتي دار السلطنة) صاحب كتاب (التفسير الفائق على درر العقود)^(١)، إذ كانت للمفتي أبي السعود في القسطنطينية كلمة مسموعة عند الحكام والسلاطين، يقول البوريني: "... بحيث أنه كان يأمر فلا يُخالف في أمره، ويطلب فيعطى ما طلب مع أداء حمده وشكره.."^(٢). ومن الذين سافروا أيضاً جمال الدين جبلي الدمشقي الحنفي، فقد سافر إلى القسطنطينية وحاول التقرب من معلم السلطان سعد الدين أفندي حتى مات فيها غريباً^(٣)، وكذلك سافر مفتي القدس جار الله الحنفي إلى القسطنطينية، لغرض استكمال صدور الحكم السلطاني بتعيينه مفتياً ومدرساً بالعثمانية في القدس^(٤).

ولم يقتصر السفر على هذه الجوانب الخاصة بطلب العلم أو العمل، بل إن منهم من سافر لأغراض سياسية وتحقيق مصالح شخصية، ومنهم الأمير يوسف ابن سيف الذي سافر إلى قبرص عن طريق البحر، فذهب إليه الفرنجة وقدموا له الهدايا^(٥)، ويلاحظ أيضاً تبادل الهدايا بين العرب والأتراك لتحقيق مصالح ذاتية، منهم الأمير أحمد بن رضوان ففي سنة ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م، أرسل هدايا إلى باب السلطنة، وصار أميراً للأمرء ببعض المدن الكبيرة، واستمر بعمله حتى منح تقاعد بإقطاع عظيم وصارت غزة إمارة باسم بعض أولاده^(٦).

وسجل البوريني بعض الإشارات التي تعد استمراراً لما كان معمولاً به منذ أيام المماليك الجراكسة من خلال تزيين المدن فرحاً بالانتصارات في الحروب، فمثلاً حين انتصرت العساكر السلطانية على الفرنجة^(٧) ووصلت أخبار النصر من القسطنطينية إلى بلاد الشام، فرح الأهالي بذلك النصر وعملوا على تزيين مدنهم، ويصف البوريني المعاصر، تلك الأحداث بقوله: "... وجاءت البشائر بالنصر إلى بلاد الشام، وكُتبت كُتب البشائر بالتركية الفصيحة... وأرسلت إلى بلاد السلطان، وزين أهل دمشق بلدهم بزينة ما عهدت قط، واستمرت الزينة ثلاثة أيام بلياليها، وكان أمير الأمراء بدمشق السيد محمد الأصفهاني الأصل، وساس الناس وضبطهم ضبطاً حسناً، وركب في الزينة مرتين ليلاً ونهاراً، وأشعل الناس له الشموع العظيمة، فرحاً به، وأحرقوا أمامه العود المليح.."^(٨).

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٤٠.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٢٣، ١٢٦.

(٤) البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ١٢٧.

(٥) نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١٩٢.

(٧) للمزيد عن الحروب مع الفرنجة زمن السلطان مراد بن سليم، انظر فريد: تاريخ ص ١١٣.

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٢٤.

لقد وصف البوريني القسطنطينية بأن من دخلها ولو كان صالحاً فإنه يصبو عن جادة الصلاح ، يقول : " .. ومع كونه في قسطنطينية التي لو دخلها عابد من أمثال ذي النون ، أو زاهد من أقران سمنون^(١)، لربما صبا أو كاد . ولكن الهداية منحة من الله الكريم.."

(٢) ، ولم يغفل البوريني عن تناوله الأوضاع الاجتماعية في القسطنطينية ، فذكر بأن المجتمع في القسطنطينية كان يتكون من عدة فئات " .. عسكرية ، وعلماء ، ورعايا ... " ، فحين سافر الطبيب تقي الدين بن شرف الدين الدمشقي إلى القسطنطينية وجد المجتمع هكذا ، فلم يجد له بين العلماء مكاناً بسبب قلة علمه وجهله ، ولم يجد له فائدة إذا دخل ضمن عامة الناس (الرعية) ، مما دفعه إلى الدخول والتقرب من السلطان كونه صوفياً والسلطان مراد يحب المتصوفة^(٣) ، وقرب إليه تقي الدين لأنه من الداعين بالوراثة لسلطنة آل عثمان^(٤)، ومن المعلومات الأساسية عند البوريني ، اهتمامه في تراجمه بأمر الحجيج القادمين من القسطنطينية إلى الشام في طريقها إلى الحج ، فكانوا من مختلف فئات المجتمع ، ومن الأعيان ، فترى مثلاً مفتي السلطان صنع الله أفندي الذي قدم من القسطنطينية من دار السلطنة إلى دمشق بنية الحج ، والتقى بعدد من العلماء العرب ، في إشارة إلى ان علاقات بلاد الشام مع القسطنطينية ليست فقط علاقات سياسية ، أو فكرية ، وإنما كانت علاقات اقتصادية تجارية^(٥).

ومما يلفت النظر في علاقات بلاد الشام مع القسطنطينية ، تحول عدد كبير من العلماء إلى مذهب الدولة الرسمي الحنفي ربما لتحقيق مصالح ذاتية إضافة إلى ان الدولة لم تفرض على الناس اعتناق مذهبها ، وهذا الأمر يتبين من خلال العديد من العلماء الذين اعتنقوا مذهباً غير المذهب الذي يعنقونه آبائهم ، في إشارة مهمة إلى ان هذه الفترة كانت فترة انتقالية بين سيادة المذهب الشافعي في بلاد الشام زمن المماليك ، وبداية انتقال الناس إلى مذهب الدولة الحنفي ، لاسباب مصلحة خاصة ، فسجل البوريني مثل تلك الجوانب ، فكان ضمن العائلة الواحدة يوجد أكثر من مذهب كما هو الحال في ترجمة أحمد الخالدي الصفدي^(٦) حيث ذكر البوريني انه كان حنفياً ، في حين كان شقيقه شمس الدين شافعيّاً ، مما يعطي إشارة إلى انفتاح روح العصر في بلاد الشام وتقبل الآخر ، أو في ترجمة ابو بكر المقدسي الشافعي^(٧) وابنه جار الله الذي كان مفتياً للأحناف في القدس ، والشيخ اسحاق

(١) سمنون : سمنون بن حمزة الخواص ابو الحسن أو أبو بكر (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣م) صوفي متعبد ناسك من الشعراء له مقطوعات في غاية الجودة وهو من أهل البصرة في العراق سكن بغداد ومات بها ، انظر الزركلي : أعلام، ج ٣، ص ١٤٠.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٤٩ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١٠٩ .

(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١١٠ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٤٥ ، وللمزيد انظر الوظائف الدينية، الحج الشامي، الفصل نفسه.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١٢٤ - ١٢٨ .

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٩٧ .

مدرس الصالحية في القدس الشريف كان شافعيًا بينما والده الشيخ سراج الدين عمر كان حنفيًا ومفتي الحنفية في القدس الشريف ، وإسحاق الشافعي وابن عمه جار الله كان حنفيًا ويساعده في ضيافة زائري بيت المقدس^(١) ، وسجل البوريني بعض الإشارات تفيد بنزمت بعض القضاة الأروام وميلهم الشديد للمذهب الحنفي ، حتى انهم يجعلونه اساساً في بناء علاقاتهم ، خاصة عند بعض القضاة الأروام الأحناف الذين يردون من القسطنطينية إلى دمشق ، حيث كانوا يدقون على المذهب ، ومنهم قاضي القضاة محمد بن سنان ، الذي ورد إلى دمشق وسأل عبد الله المصري عن مذهبه هل هو مالكي أم حنفي ، فلما تأكد انه حنفي قربه إليه أكثر^(٢) في اشارة إلى ان البعض كان يترك مذهبه لتحقيق مصلحة شخصية .

لم تقتصر مادة التراجم عند البوريني ، على ذكر أحوال بلاد الشام وعلاقتها مع القسطنطينية، بل تجاوزتها إلى أقاليم أخرى ، ومنها مراكش وفاس ومكة ، فكانت مراكش وفاس في عهد مع العثمانيين ، وكانت رُسل سلطان مراكش وفاس تأتي إلى القسطنطينية عن طريق البحر ويدقون فترة زمنية طويلة فيها ، ولهم علاقات طيبة مع الوزراء والقضاة والأمراء ، وكانوا يتقربون من رجال الدولة القريبين من السلطة العليا^(٣) ، كما أن مكة كانت علاقتها على أحسن حال خاصة زمن السلطان أحمد ، فقد سجل البوريني معلومات حين ذهب إلى الحج ، وكان صاحب مكة في تلك الفترة السلطان ادريس بن حسن ابن ابي نمي بن بركات الدسني ، حتى ان الخطيب كان يدعو للسلطان أحمد أولاً ، ثم للشريف ادريس ثانياً ، ثم للشريف محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي ثالثاً ، وهي تُشير إلى معلومات على جانب كبير من الأهمية تُثبت علاقة بلاد الحجاز بالسلطة^(٤) .

وخلاصة القول ، فقد عرض البوريني في تراجمه للأوضاع السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية ، ويبدو منها إن الوضع كان مرتبكاً في بلاد الشام ، وحتى في خارجها بسبب الحروب مع الغرب ، وعدم الاستقرار ، مما كان له الأثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تلك الفترة ، فقد كثرت الاعدامات وتنوعت أساليبها ، وزاد طغيان الولاة وظلمهم للأهالي ، وزاد عدد الموظفين الفاسدين ، وانتشر بيع الوظائف بسبب الفساد الإداري والمالي في عدة مؤسسات كالمؤسسة العسكرية والمؤسسة القضائية ، وانتشرت بعض أعمال القتل ، وارتفعت أسعار المواد الغذائية الرئيسية كالحبوب ، والاحوم، الا انها كانت فترة حسنة من ناحية الجوانب الفكرية ، بانتشار المدارس ، والرحلة في طلب العلم ، والعمل في الوظائف ، وانتشار اللغات الثلاثة ، العربية ، والفارسية ، والتركية مما كان لها الأثر على ثقافة علماء تلك الفترة .

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٤، ٢٩٧، ٢٩٦، ج٢، ص ١٠٢-١٢٧، ج٢، ص ٨٠.
(٢) للمزيد انظر ترجمة عبد الله المصري ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٢٥ - ٣٢٧.
(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢١.
(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٣.

الفصل الرابع : الحياة الاجتماعية والتعليمية والأدبية

من خلال تراجم البوريني

أولاً : الحياة الاجتماعية .

- ❖ الفئات السكانية والأسر الشامية .
 - ❖ العلاقات الاجتماعية المتنوعة .
 - ❖ التصوف والطرق الصوفية .
 - ❖ المظاهر الاجتماعية التي رصدها البوريني .
 - ❖ الملابس والعادات .
 - ❖ الاطعمة والمشروبات .
 - ❖ القيم والأخلاق ورصد التجاوزات في السلوك العام .
- ثانياً : ثقافة العصر والتعليم والمدارس والأوقاف .

- ❖ ثقافة العصر
 - ❖ التعليم .
 - ❖ الاسس التي سجلها البوريني في التعيين .
 - ❖ المدارس .
 - ❖ دور الاوقاف في التعليم .
- ثالثاً : الحياة الادبية وواقع الشعر ومدى تأثيره في المجتمع .

أولاً . الحياة الاجتماعية :

إذا كانت المعلومات السياسية السابقة الوفيرة التي أمكن استخلاصها من تراجم البوريني على جانب كبير من الأهمية ، فإن ما يمكن استنباطه من معلومات عن الأحوال الاجتماعية والفكرية والأدبية في العالم الإسلامي وخاصة بلاد الشام يعتبر أكثر أهمية ، بسبب شحة المعلومات المتوفرة في هذا المجال ولمعاصرة البوريني للأعيان الذين ترجم لهم ، وهي فترة ستون سنة منذ سنة ٩٦٣هـ - ١٠٢٤هـ / ١٥٥٦م - ١٦١٥م ، واطلاعه الواسع ومتابعته للقضايا المهمة في المجتمع ، وإحتكاكه بصفة خاصة بأوساط العلم والعلماء والقضاة والمفتين ، إن تراجم البوريني تعكس من دون قصد صوراً كثيرة من حياة المجتمع ألا إنها مشتتة ومتفرقة ومن خلال التراجم يمكن رصد أهم صور المجتمع في تلك الفترة كما يلي :

الفئات السكانية والأسر الشامية :

يبدو للدارس لتراجم البوريني ان المجتمع في بلاد الشام كان يتألف من فئات سكانية مختلفة موزعين على المدن ، والقرى أو (الأرياف) ، والبدو أو (العربان) وهم كما يلي :

سكان المدن :

إن القارئ بشكل دقيق لمجموع كتاب البوريني يخرج بنتيجة أولية ان المجتمع ذلك الوقت كان منقسماً إلى فئتين متميزتين ترجم لهما البوريني ، فئة الحكام ، وفئة المحكومين . كانت الفئة الحاكمة في البلاد العربية وخاصة بلاد الشام تنقسم بدورها إلى فئات ، فهناك السلطة الحاكمة العثمانية^(١) وسلطة الأمراء المحليين والأسر المنتفذه^(٢) ، إذ كانت السلطة الحاكمة العثمانية هي الأخرى مقسمة إلى فئات متمثلة بأعلى قيادة فيها الا وهو السلطان وحاشيته ووزيره الأعظم ، وأمير الأمراء أو الحاكم وحاشيته وموظفوه المختلفون ، والجيش ممثلاً بالحاميات الانكشارية وموظفوه المختلفون ، حيث كانت هذه الفئة تشكل ثقلاً كبيراً في المنطقة^(٣) . أما فئة المحكومين وفق تراجم البوريني فكانت هي الأخرى تنقسم بدورها إلى فئات، مثلاً فئتي أكابر الناس و عامتهم ، فأما فئة أكابر الناس والذين عدهم البوريني من الفضلاء والأدباء والنبلاء^(٤) كان بعضهم رحيماً بالفقراء ويتصدقون عليهم ويرأفون بهم ويتوسطون لهم عند الأمراء لحل مشاكلهم وتوفير ما يحتاجونه ، منهم مثلاً أحمد ابن رجب الرودسي الدمشقي^(٥) ، ونقيب الأشراف محمد ابن عجلان النازل في بيت

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٨٨ ، ١٩٨ ، ٢٢٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٦ ، ١٣٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ج٢ ، ص ١٤٥ ، ١٤٨ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٨٨ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٢٢ .

الرفاعي في محلة الميدان^(١)، وهؤلاء الأكابر لم يكونوا فقط من أصول شامية عربية، فقد وصف البوريني بعض فئات الناس من الروم والعجم إضافة إلى العرب بأنهم من أكابر دمشق، وكانوا يحضرون كل ليلة بعد صلاة المغرب إلى الجامع الأموي للاستماع إلى جزء من القرآن الكريم بقراءة الشيخ أحمد المؤذن الضرير الحافظ يقول البوريني: "... فيحضره أكابر دمشق وأعيانها من سائر الأصناف ما بين روم وعجم وعرب..."، وهي إشارة مهمة إلى فئات المجتمع الدمشقي في تلك الفترة^(٢)، فكانت بلاد الشام تعج بأقوام ليسوا بعرب خاصة دمشق، كما صرح بذلك البوريني حين وصف جلوس أحد الأعيان في الحجرة الحلبية وهو أحمد ابن رجب الذي صار: "...معتقد الأنام من العرب والأروام وغيرهم من طوائف الأعجام..."^(٣). أما فئة عامة الناس فعرف عنهم احترامهم للأعيان خاصة العلماء والادباء وأكابر الناس، حتى أنهم كانوا حين يمر بهم أحدهم يقبلون يده ويبالغون باحترامه وأجلاله حتى ولو كان متكبراً عليهم^(٤)، وكانوا يحضرون إلى الجوامع للاستماع إلى الدروس والمواعظ، وكان البوريني يشير إليهم كثيراً خاصة في المسائل التي تخص حياتهم الاجتماعية، مثلاً ما ذكره في ترجمة أحمد الشويكي أحد المفتين على المذهب الحنبلي بقوله: "...ولقد صار مثلاً مشهوراً بتجويز بقاء التزويج بعد الطلاق الثلاث... ولقد كان العوام يضربون المثل برده الطلاق البائن، ويعدون له ذلك من جملة المحاسن..."^(٥) ومنهم العبيد فمثلاً ما ذكره البوريني عن العبد الحبشي الذي كان يخدم أحمد الحلبي ويصنع له قهوة البن^(٦) والعبد الحبشي (فرج) الذي أمره سيده الأمير أحمد ابن شاهين^(٧) أن يذهب إلى المدينة ليحضر فرساً لأحد شيوخ البوريني وهو العماد الحنفي بسبب سوء حالته الصحية^(٨) في إشارة إلى وجود العبيد بالقرب من الأعيان، وبعضهم كان يرتدي الثياب الرومية الفاخرة على قانون قضاة الروم، حتى إن أحد شيوخ البوريني وهو إسماعيل النابلسي (ت ٩٢٢ هـ / ١٥٨٤ م) كان يملك الكثير منهم لقدرة على شرائهم إذ كان غنياً، فقد وصف البوريني هيئة شيخه من خلال ارتدائه ملابس فاخرة كالفرء الطبيعية من الحيوانات كفراء السمور والوشق والسنباب، وركوبه " ..البغال الأسمان.." ^(٩) وكان يقتنى المماليك الحسان أصحاب البشرة البيضاء أيضاً، إذ كانوا يباعون

(١) انظر القصة الكاملة التي أوردها البوريني التي حصلت بين مملوك أبيض وسيد من الاشراف كان يبيع البطيخ الذي تم قتله على يد المملوك. نفس المصدر، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) انظر ترجمة أحمد المؤذن الضرير، نفس المصدر، ج ١، ص ١٠٩.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٢٢.

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٧٩، ٨٥، ١٤٤، ٢٠١، ٢٦٠، ٢٩٤.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥، ٥١، ٥٢.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٢.

(٧) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٩ - ١٥٥.

(٨) البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٩) البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٦٨.

ويشترون^(١) ويتعرضون إلى مضايقات ، فمثلاً أحد المماليكواسمه مستدام وقع بمشاكل مع أحد الأعيان وهو جلال الدين جذبي التركماني العكاري الذي أحب ذلك المملوك^(٢). ويضاف إلى فئة عامة الناس فئات أخرى هم الأشقياء ، وهؤلاء يبدوا أنهم كان يتزايد عددهم في القرى ولهم قوة وسطوة ، حتى انهم قتلوا أحد الأعيان وهو أحمد الحلبي الشهير ابن الملا الآ ان السلطة تمكنت من القبض عليهم والاقتصاص منهم^(٣) ، ومنهم بنو الخطاب في دمشق اللذين وصفهم البوريني بالاشقياء بسبب (أكلهم أرث أحدهم)^(٤). ومن الفئات الأخرى التي أشار إليها البوريني هم المجاذيب ، وكان منهم حسن المجذوب الذي سكن دمشق بعد قدومه من نابلس ، ويصفه البوريني بقوله : "...كان يكثر الكلام في الجامع بالصوت العالي " حتى انه قتل أحد الأشخاص في الجامع بسبب قتله هرة ، ولما ذهبوا به إلى الحاكم أطلق سراحه كونه (ليس له عقل فلا يكون مكلفاً وأطلقه..")^(٥) ، والصوفية فكانوا منتشرين في بلاد الشام وخاصة دمشق ولا يترددون إلى الحكام وكان الحكام هم اللذين يترددون إليهم^(٦)، والدروايش ، الآ ان البوريني لا يعدها من الفئات الكبيرة للمجتمع ، بل يعدها (فئة صغيرة)^(٧)، والطائفة المولوية في دمشق وكان لهم مكان مشهور بهم ، ومنهم الشخص المولوي الذي قتل هرة بجامع يلبغا فقام أحد المجاذيب وأسمه حسن المجذوب المكاشف ، بقتل الرجل المولوي إذ رمى فوق رأسه حجراً فقتله^(٨)، و " السامرة" وهم فرقة من فرق اليهود ، كانت لهم مدحة اسمها " مدحة السامرة " في نواحي دمشق ، ومنهم الجد الأعلى لأحد أصحاب البوريني وهو إبراهيم بن محب الدين الدمشقي الذي أسلم أولاً من هذا البيت على حد قول البوريني^(٩).

وتحدث البوريني أيضاً عن فئة الحرفيين ، والتجار ، وكانت المعلومات حولهم تتراوح بين قلتها ، وغزارتها في تراجم البوريني ، إذ ان المعلومات قليلة وفقيرة في تراجم البوريني عن أنواع الحرف التي كانت سائدة أو عن أسمائها ، الآ انه يورد بعض المعلومات على قدر كبير من الأهمية ، فقد كانت الاشارة إلى الحرفيين أو أصحاب الحرف ضعيفة ، بسبب النظرة المتدنية للعلماء عن أصحاب الحرف أرباب الصنائع ، فقد وصفهم البوريني : " بالجهال... " وكان من يشتغل بالحرف والصناعات يبتعد عن أصحاب الفضل والكمال ، يقول البوريني عن أبو بكر العمري :

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٧.

(٢) للمزيد انظر القصة التي اوردها البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٥-١٣٧.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٨٢.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٣.

(٥) للمزيد انظر ترجمة حسن المجذوب ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٢ - ١٦٤.

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ١٧٩.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٣١٧.

(٨) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ١٦٢.

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٣.

"... قد سد فضله ، وحجب نبيله ... ولتلبسه بلباس أرباب الصنائع الجهال...."^(١)، وقد اشتهر عمل بعضهم بالصوف ونسجه ، منهم مثلاً أحمد الصوفي المكفاتي الذي اشتهر ببيع الكفن الذي يُلف به الميت^(٢) ، ووالد الشيخ الصوفي أحمد بن سليمان الذي كان يكسب قوت يومه من نسج الصوف^(٣) ، وبعضهم اشتهر بصناعة السروج ، فقد اشار إليها البوريني وأبدى عدم اقتناعه بتلك الصناعة ، بسبب انها أجبرت أحد أولاد عبد الله المصري الحنفي بترك طلب العلم ومزاولة هذه الصناعة^(٤) ومنهم درويش محمد الشهير في دمشق بابن طالوا الحنفي ، الذي عمل في صناعة السروج ومن ثم تركها واشتغل بالعلم وصار أديباً وله مع الأدباء كالحسن البوريني مكاتبات ومطارات شعرية^(٥) ، ومنهم من اشتهر بحرفة النجارة التي انتشرت في بلاد الشام وخاصة بدمشق^(٦) ، وهذه الاشارات وان كانت قليلة إلا انها مهمة وتؤكد النظرة المتدنية من قبل العلماء عن اصحاب الحرف والصناعات .

أما فئة التجار فقد أورد البوريني عنهم معلومات تشير إلى انتشارهم في بلاد الشام ، وخاصة دمشق حيث كانت تعج بالأغنياء والتجار الذين كانوا يشتغلون بالتجارة داخلياً وخارجياً ، كمصر والقسطنطينية^(٧) ، خاصة تجارة البهار ، فقد كُف أحد التجار وهو الحاج أحمد العجمي الصالحي الدمشقي من قبل أمير الأمراء بأن يكون أميناً على البهار لما لها من أهمية تجارية^(٨) ، وأورد البوريني معلومات عن غنى بعض التجار في دمشق وعن توفيق بعضهم بين عملهم بالتجارة وبين طلبهم للعلم وتحصيل بعض العلوم والادب ، وحضور مجالس العلماء^(٩) ، مثلاً أبو بكر الجوهري الذي دأب على تحصيل العلوم وعمل بالتجاره مع أخيه المتواجد في مصر ، وكان يرسل بعض البضائع اليه ومع ذلك كان ملتزماً بالدرس^(١٠).

الأسر الشامية وفق تراجم البوريني :

كانت تراجم البوريني قادرة على طرح بعض فئات المجتمع وتسجيل معلومات حول بعض الأسر في هذه المرحلة من التاريخ ، كالكنى التي تجمع الأسرة وأصالة تسميتها ، وشهرة بعضها ، فمثلاً كان السادات الحسينيين مشهورين بدمشق كونهم خادمين لِمزار السيدة رقية الصغرى الواقع

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٥٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٦ .

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٢٨ .

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٠١ - ٢٢١ .

(٦) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٧١ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٦٠ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٣٣ .

(٩) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣١٩ .

(١٠) نفس المصدر ، ص ٢٨٣ - ٢٨٧ .

قرباب الفراديس^(١)، والسادة بني حمزة الحسينيين كان منزلهم في دمشق قرب منزل البوريني في زقاق النحاسين على نهر بردى وهم مشهورين بعلاقاتهم الجيدة بالناس^(٢)، وكان آل الجوهري أو بيت الجوهري مشهورين وأغنياء ، فقد ترجم البوريني لأحد أبناء هذه الأسرة ، وهو أحمد الجوهري إذ كان جده لأمه حسن الجوهري مشهوراً وله أملاك كثيرة في بلاد الشام وخاصة دمشق ، منها عمارات ومسجد وأوقاف ، وكان أحد أقاربهم يزود البوريني بالمعلومات حولهم ، يصفه البوريني بأنه من الثقة يقول : " أخبرني من أثق به من أقاربهم .."^(٣) ، حتى أنه زوده بمعلومات عن حسن الجوهري حول كرمه وقربه من السلطة ، فحين دخل سليم العثماني إلى دمشق قام باستقباله حسن الجوهري ، يقول البوريني : "...ولما دخل المنصور الغازي السلطان سليم إلى بلاد الشام استقبله الجوهري المذكور . وكانت له عنده الرفعة التامة.." ، وكان يكرم الضيوف وخاصة الحجيج الواردين إلى دمشق في طريقهم إلى الحج ، واشتهر بيت الجوهري بين فئات المجتمع كثيراً ، فحين يتوفى منهم أحد تكون جنازته (عظيمة جداً) على حد وصف البوريني^(٤) ، ومن الأسر الأخرى التي اشتهرت اسرة أو بيت مفلح الحنابلة، وهم من البيوت المشهورة بالعلم بدمشق وكان منهم (العلماء العاملين والقضاة العادلين) على حد وصف البوريني^(٥)، وهم من الحنابلة المشهورين ، جاءوا إلى صالحية دمشق من نابلس من قرية اسمها " رامين " وهي من وادي الشعير من توابع نابلس ، وسكنوا الصالحية وصاروا بطوناً ، وكان منهم العلماء المؤلفين كالمفتي البرهان بن مفلح صاحب (الفروع) ، والمفتي أحمد ابن أبي الوفا^(٦) وابنه الشيخ عبد اللطيف الشهير بابن أبي الوفا الحنبلي^(٧)،والكل يرجع بنسبه إلى مفلح الحنبلي ، وقد أرجع البوريني نسبهم إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام)^(٨)، وكان هؤلاء مشهورين بالقضاء منذ أيام المماليك الجراكسة، وقد أشار اليهم ابن طولون كثيراً من خلال أخبار سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩م إلى أخبار سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦م ، وهي السنة التي سقط فيها المماليك الجراكسة في بلاد الشام ، وحتى منصبهم في القضاء لم يعد يشغله أحد من بيت مفلح الحنبلي^(٩) . ومن الأسر الأخرى المشهورة أسرة أو بيت الشاغوري نسبة إلى محلة الشاغور بدمشق ، فقد نُسبت إليها إحدى العوائل وهي عائلة أحمد بن عبد القادر الشاغوري الشافعي وأولاده وأولاد أولاده ونسله ، وكانوا مشهورين في هذه المحلة ، وهم يرجعون

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ٢١٦ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٣٧٥ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٦ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ١١٦ .

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٤٩ .

(٦) انظر ترجمته نفس المصدر، ج ١، ص ٤٨ - ٥٠ .

(٧) انظر ترجمته ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٤٦ .

(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥٠ .

(٩) ابن طولون : مفاكهة، ص ٧ - ٣٤٦ .

بنسبهم إلى عبد الرحمن ابن عوف (رضي الله عنه) ، وكان أحد أولاد أحمد الشاغوري يزود البوريني بمعلومات عنهم ، فقد أخبره بأن عائلتهم كانت كثيرة ومتدينة ومشتغلة بالقضاء ومعروفة بالنزاهة ، حتى أن قاضي القضاة محمد ابن المفتي أبي السعود أفندي كان يلتمس من أحدهم أن يكون نائباً في القضاء على المذهب الحنفي ، إلا انه رفض ذلك ، ويصف البوريني ذلك بقوله : "..... وألح عليه فما انغر بالدنيا ولا انخدع.." وهنا إشارة مهمة إلى انتشار الفساد في مؤسسة القضاء ، ونزاهة ورفض الاسر لهذا الفساد رغم الحاح قاضي القضاة في تعيين أحدهم نائباً له في القضاء^(١). ومن البيوتات الأخرى المشهورة التي زودنا البوريني بمعلومات عنهم ، هم بيت أو أسرة أبي اللطف وكانوا منتشرين في الشام وخاصة بدمشق ، والقدس ، إذ كانوا من البيوت المعروفة بالعلم وحبهم للمعرفة ، ومنهم العلماء والأفاضل^(٢) ، ففي القدس كان مفتي الحنفية جار الله ابن ابي بكر ابن محمد ابن ابي اللطف المقدسي الشافعي مشهوراً ومحباً للعلماء ، ولعامة الناس^(٣) ، واشتهرت أيضاً بدمشق أسرة عبد الهادي ، وكان منهم أحمد الشهير بابن عبد الهادي الشافعي ، وقد أرجع البوريني نسبهم إلى عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) وهم بيت كبير اشتهر بالعلم والصلاح ، وكان لهم أقارب وأهالي خاصة في " صفورية "^(٤) ، وغالبهم من السادات والموالي ، وقد أكد البوريني نسبتهم إلى عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله بأنها : " .. صحيحة .. "^(٥) ، وأسرة المنقار ، وكان منهم الشيخ أحمد ابن المنقار وهم من البيوت الكبيرة في حلب ، يرجعون بالنسب إلى العباس (رضي الله عنه) عم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، في إشارة مهمة إلى معرفة البوريني بنسب من يترجم لهم وكان لهم أقارب كثر في الشام^(٦) ، وكانت شهرتهم تتعدى بلاد الشام إلى القسطنطينية ، فوالد أحمد كان قاضياً مشهوراً ببعض القصبات في القسطنطينية ، مما مكن أحمد من التقرب من السلطة والسفر إليها والتقرب من المفتي ، حتى انه شغل التدريس في مدارسها^(٧) ، ومن الأسر الأخرى المشهورة ، أسرة بني سعد الدين ، ففي سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م ، وكانت تربط فيما بينها علاقات حسنة ، وعلاقات مصاهرة فقدزوج شيخهم سعد الدين بن سعد الدين الشافعي ابنه الشيخ موسى من بنت أخيه الشيخ محمد ابن محيي الدين بن حسن بن الشيخ حسين ، وقد جعل لهذا الزواج أبهة ، ودعى الأعيان بهذه المناسبة في القاعة المعظمة بدمشق وكان البوريني من ضمن المدعوين ، ويصف البوريني تلك القاعة بقوله :

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٦١ .
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١٩ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦٣ .
(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

"..... وكان الاجتماع في القاعة المعظمة التي كانت مبنية على أسم الشيخ عيسى بن محمد بن سعد الدين ، وهي في الحقيقة من محاسن الأبنية في دمشق... "(١) . كما وذكر البوريني بيوت وأسر أخرى كانت مشهورة ، منهم مثلاً بيت أسد نسبة إلى الشيخ أسد وكان أولاده معروفون ، فقد كان أحمد ابن اسد مستقراً في صفد ومشهوراً هناك ، وكان له زاوية معروفةً به كانت جامعاً في السابق(٢) ، وقد أشاد بهذه العائلة البوريني بقوله : "... وقد بارك الله في نسلهم فانتشروا ، وبمحاسن الصفات قد اشتهروا..."(٣) ، وأسرة الخالدين اللذين حصلت لهم مشكلة مع القاضي في صفد شهاب الدين ، بسبب الأخوين أحمد الخالدي الصفيدي وشمس الدين الخالدي ، بعد وقوع الأخير في حب ابن القاضي ونال منه مُراده ، فغضب القاضي لذلك الأمر وجاء إلى دمشق يريد حقه منهم ، يقول البوريني : "... وحضر إلى دمشق مستعدياً على الخالدين"(٤) ، وأسرة المنجكي أو بيت منجك ، وهم ينتسبون إلى جدهم الأعلى الأمير منجك اليوسفي ، المشهورين والمعروفين بالإمارة في البلاد وخاصة دمشق ، وكانت لهم أعمال خيرية من مساجد وأوقاف(٥) .

ومثلما ذكر البوريني الأسر الكبيرة بدمشق وشهرتها وكرمها وعلمها ، فإنه ذكر أسرة كان يهجوها الشعراء ويذمونها ، وهي أسرة بنو الخطاب في دمشق بسبب أخلاقهم الغير حسنة وأكلهم ميراث أحدهم ، حيث كان بعض الشعراء يهجونها ، ومنهم الشاعر أمين الدين الصالحي الهلالي الدمشقي الذي قام بجمع أشعاره في الهجو الخاصة ببني الخطاب وسماه (قرع القبقاب في قرعة ابن الخطاب)(٦) في إشارة الى ان سيرتهم كانت غير حسنة ، كما وذكر البوريني عنهم معلومات لا تقبل الشك حسب رأيه بقوله : "..... الجامعين لجميع القبائح بلا ارتياب " ، وكانت لا تقبل شهادتهم في المحاكم ، ومعروفين عند(الخاص والعام)(٧) ، ووصفهم البوريني بالأشقياء ، وكانوا لا يتورعون في أكل مال أحدهم ، فقد أكلو ميراث رجل ليس له وارث وكان من المفروض ان ترجع تلك الأموال إلى السلطة ، مما دفع السلطة إليإصدار حكم بتعيين البواب محمود كي يفتش عن تلك الاموال ، إلا انه طغى وسجن العلماء ، وانتهى أمره بالإعدام صلباً على خشبة الأرجوحة(٨) ومهما يكن فان السبب المباشر لمجيئ هذا الموضع هو للتفتيش عن الاموال التي عند بنو الخطاب . كذلك أورد البوريني معلومات أخرى عن الأسر المشهورة في بلاد الشام كأسرة بني البكري ، وكان منهم

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٥ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ١٧٨ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٧٩ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٥ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٣١٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٨٣ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٨٢-٨٣ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٣-١٤٤ .

أحد تلاميذ البوريني وهو تاج الدين القر عوني خطيب جامع السقيفة^(١) ، يقول عنه البوريني بأنه كان من اخوان بني البكري المقيمين في دمشق بمحلة باب توما^(٢) ، وأسرة أو بيت الفر فور ، وهم بيت عريق في القضاء بدمشق وأورد البوريني معلومات تشير إلى سعة اطلاعه عنهم ومعرفته بأنسابهم ، فقد ذكر نسب جمال الدين جلبي الفر فوري بأنه ابن القاضي عبد الرحمن ابن قاضي القضاة ولي الدين ابن قاضي القضاة شهاب الدين ابن قاضي صفد وناظر الجيوش محمود ، وقد اشتهروا بالقضاء على المذهب الشافعي منذ أيام المماليك الجراكسة إلى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م^(٣) .

ومما يلفت النظر في تراجم البوريني انه ذكر عدد آخر من الاسر والفئات المشهورة خارج دمشق كانت موزعة على الضواحي والمدن فمثلاً الدروز اللذين كانوا يشكلون ثقلًا سياسياً لا يُستهان به ، ومنهم الأمير فخر الدين ابن معن الذي أقلق السلطنة وسيطر على بلدان كثيرة^(٤) . والتركان الخرقية ، الذين كانوا في حوران ولهم غنم يرعون به ، وقد وقع بينهم وبين العسكر الشامي قتال بسبب يذكره البوريني بقوله : " .. ولقد بلغني أنهم كانوا قد طغوا وبغوا ، وأنهم كانوا يرعون زرع أهل حوران ، وكانو يتباطئون في إعطاء مال السلطنة ، وربما منعوا الاعطاء بالكلية ، فقابلهم الله تعالى على يد الوزير المذكور (أحمد باشا الحافظ) ، ولكل ظالم ظالم ينتقم منه ..."^(٥) ، واسرة أو بيت آل جانبلاط في حلب الشهباء ، ومنهم علي بك ابن جانبلاط الذي أقلق السلطنة ، وكان رد السلطنة عليه قاسياً ، فقد وصف البوريني بيوتهم بقوله : (..وأصبحت بيوتهم خالية)^(٦) ، وأسرة ابراهيم ابن الأحذب في قرية الزبداني^(٧) ، وكانوا مشهورين بالعلم وحبهم له^(٨) ، وأسرة الصفوري في صالحية دمشق كان منهم القضاة والمشايخ والواعظون ، وكانوا مشهورين أيضاً في قرية عقربا^(٩) ، وأسرة طرباي الحارثية في حيفا على طرف البحر في بلاد اللجون ، وكان منهم أحمد ابن طرباي الذي اشتهر بأمانته و عدم غدره بيوסף باشا ابن سيفا الهارب من الأمير علي بك ابن جانبلاط ، والأمير ابن معن ، اللذين طلبا من أحمد ابن طرباي ان يسلمهم اياه مقابل مبلغ من المال فرفض ذلك ، يقول البوريني : ".... وصدر من ابن طرباي مروءة عظيمة فقال : حاشا وكلا لا ينتزل إلى الدنيئة من كان على مولاه كلاً ، هذا ضيفي ، ودونه غرار سيفي ، أنا أحمد بن طرباي الشهير الذي ليس له في العرب والعجم من نظير والولد سر أبيه" في اشارة الى حفظ الموثيق

(١) في محلة السيد ارسلان في دمشق خارج باب توما ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٣ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٣ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢١ ، وانظر ابن طولون : مفاكهة، ص ٨٤ - ٣١٧ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٩ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠٤ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٢ .

(٧) من ضواحي دمشق تبعد ٤٧ كيلو متر من دمشق الى الشمال ، نفس المصدر، ج١، ص ٣٠٤ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٣٠٤ .

(٩) احدى ضواحي دمشق وهي من غوطة دمشق ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

وعدم الغدر^(١)، ومن الاسر أيضاً أسرة أو أولاد الجيوسي ، وهم مشايخ بلاد نابلس ، وكان منهم شاب اسمه توبة يقول عنه البوريني واصفاً أياه : ".... وكان من أحسن خلق الله تعالى صورة ..."^(٢) ، لكنه وقع في مشكله مع أمير غزة الأمير أحمد الذي أرسل إلى أمير نابلس مبلغاً من المال قدره (ثلاثة آلاف دينار من الذهب) لقاء أن يرسل له الشاب توبة ، ولكي يضمن استمرار العلاقة بينهما، ويساعده في امور نابلس ، وكان الأمير ابراهيم محتاجاً لهذا المبلغ من المال، كما هو واضح من قوله الذي نقله البوريني: ".... وبالله لقد كنت محتاج إلى عشرة دنانير ، وما كنت أنفق على عسكري الآ من السوق بالخرج) ، ومع ذلك لم يسلم الشاب إلى أمير غزة ، في اشارة أخلاقية بانه ليس من عادته ولا شيمه نقض العهود ، وان هذا الشاب قد دخل في عهده^(٣). وأسرة آل رضوان في غزة وكان منهم الأمير أحمد بن رضوان ، ولهم سطوة وقرب من السلاطين ، فكان أبوه رضوان قد وصل إلى رتبة الوزراء في زمن السلطان سليم بن مراد ، وأما جده مصطفى فقد كان من الأمراء الكبار في زمن السلطان سليمان الذي كان يكلفه بأمر سياسية كبيرة ، منها ان السلطان أرسل معه رسالة إلى سلطان اليمن فيها تهديد ووعد ، وقد حكم أحمد ابن رضوان غزة مدة ثلاثون سنة من يقول البوريني : "من غير عزل..". ، فكانوا أسرة كبيرة مشهورة يقول عنهم البوريني : "... ما منهم إلا من هو أمير ابن أمير ، وكبير ولد كبير..". ومنهم من كان نادباً على القدس الشريف ، ومنهم من تولى إمارة نابلس ، حتى أحمد ابن رضوان ترقى وصار أمير الأمراء ببعض المدن الكبيرة ، وبقي على هذا الامر حتى تقاعد ، يقول البوريني : "...تقاعد عن ذلك بإقطاع عظيم وصير إمارة غزة باسم بعض أولاده .."^(٤) ، وفي صدد فقد اشتهرت بالعلماء والأعيان ، يقول البوريني عن عائلة المفتي البدر بن حامد الصفدي انه: "... من بيت رفع الله دعائمه ، واعلى بالعلم معالمه ، لهم التقدم في حديث المكارم .."^(٥) ، وفي حماة أيضاً حيث اشتهرت هي الأخرى ببعض البيوت ، ومنهم بيت الحموي أحد أصحاب البوريني واسمه تاج الدين القطان الحموي الشافعي حيث كان والده الشيخ رجب من أهل العلم ، وهم من بيت كبير في حماة ولهم أقارب ، منهم أولاد الأعوج الذين صاروا حكاماً لحماة في تلك الفترة التي عاصرها البوريني^(٦) ، ومنهم أيضاً القاضي الشافعي تقي الدين الزهيري الذي يرجع نسبه إلى الشيخ الزهيري أحد علماء الحنفية . حيث يصف القاضي محب الدين الحموي بيت الزهيري بأنه (بيت مشهور بالعلم)^(٧) ،

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٩.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٣١١-٣١٢.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٣١١-٣١٢.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٩١، ١٩٢.

(٥) للمزيد انظر ترجمة البدر بن حامد الصفدي ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٦.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١١١.

(٧) انظر شعر القاضي محب الدين الحموي الذي اورده البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٦.

وبيت أو بني الأعوج وكانوا في حماة وهم من الأسر الكبيرة والقريبة من السلطة ، وكانوا يتوسطون لبعض الافراد والشيوخ للحصول على الوظائف ، إذ قاموا بالتوسط للاشيخ عبد النافع الحموي الحنفي ومساندته في حماة حتى يتمكن من الوصول إلى مرامه في التعيين^(١)، ومن الأسر أو العوائل المشهورة الأخرى ، عائلة أو بيت القطناني نسبة الى قطنا^(٢)، وكان منهم الولي الرفاعي حسن القطناني ، وهم من بيت كبير في هذه القرية ومنهم (الخُفاء والنقباء في سائر البلاد) ، ولهم عند الناس (اعتقاد)^(٣) ، وذكر البوريني أحد البيوت المشهورة في حلب وهم بيت السفاحي ، والتي كان لبعض أفرادها دوراً في ارباك السلطة ، ومنهم الشاب صالح السفاحي ، الذي خرج في حلب على السلطة وانظم إلى السكبانية^(٤) ، وكان سلاحهم يسمى التفنك^(٥) ، ولما زاد ظلمه للناس اضطر والديه أن يطلبوا من حاكم حلب الوزير أحمد باشا الشهير كمكجي زاده^(٦) ، أن يقتله إلا إن والده مات قبله فترك ابنه ذلك الأمر وتقرّب من السلطة وعمل متولياً على وقف آباء وأجداد الوزير حاكم حلب^(٧).

أهل الذمة :

لم يتطرق البوريني في الواقع لأهل الذمة إلا عرضاً ، من خلال حديثه عن أحمد ابن رجب بأنه مُنح علوفة من جزية أهل الذمة ، حيث كانوا يدفعون الجزية ومنها ما يذهب علوفات للأعيان كالقضاة ، ويذكر البوريني معلومات تفيد بان تلك العلوفات مكنت أحمد ابن رجب من الزواج^(٨) ، وحديثه عن الدير الذي في سفح أحد الجبال الذي كان يسمى قديماً (دير الخضر) في اشارة مهمة إلى وجود هذه الفئة منذ فترات قديمة ، إذ كان هذا الدير سكناً للنصارى فأخرجهم منه السلطان سليمان القانوني^(٩) ، وأورد البوريني اشارات عن قرية حران مقر بطريك النصارى اليعاقبة ، وهي من قرى مرج دمشق ، وقد ورد ذكرها ضمن بيت شعري نظمه البوريني حين زار قرية يبرود لتحصيل ريعها المخصص للمدرسة الناصرية^(١٠).

فئات أخرى :

- (١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٣.
(٢) قطنا : وهي قرية كبيرة هي مركز قضاء قطنا اليوم ، وتبعد عن دمشق ٢٤ كم في الجنوب الغربي منها نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٨.
(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٨.
(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤.
(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤.
(٦) وتعني ابن الخباز، وهو حاكم مستقيم في حلب سيرته حسنة ، للمزيد انظر ترجمته نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٥ و٢٥٤.
(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٤.
(٨) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٢.
(٩) نفس المصدر، ج١، ص ١٧٩.
(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٦-٢٥٨.

كما وسجل البوريني معلومات عن فئات أخرى كانت منتشرة في دمشق وشغلت وظائف كبيرة ، كالجراكسة ، فمنهم المتسلم محمد باشا السلحدار الجركسي ، وكذعان الجركسي أحد أعيان عسكر دمشق حيث كان مملوكاً لقاوض اسمه شيخي جليبي ، ومنهم أيضاً الأمير ابراهيم المنجكي الجركسي الدمشقي^(١) ، ودالي علي الجركسي الذي تم تعيينه بموجب أمر سلطاني والياً على ولاية نابلس ، الآ ان واليها درويش بك رفض تسليمها فتدخل العسكر بعزله^(٢) في اشارة إلى قوة هؤلاء الجراكسة وسطوتهم . وكان للترکمان أيضاً وجود وقرب من السلطة وفق ما أورده البوريني ، وكان منهم السردار (قائد العساكر السلطانية يوسف باشا ابن سيفا التركماني) الذي حكم طرابلس وشارك في مطاردة علي باشا ابن جانبلاط^(٣) ، ومنهم أيضاً جلال الدين جليبي الحنفي التركماني العكاري ، كان مُعتمداً على أبنية سنان باشا في مصر ، وله أملاك في دمشق والصالحية وبستان على نهر يزيد^(٤) . ومن فئات المجتمع الشامي الأخرى ، من كان أصله كردياً ، ومنهم أحد أصحاب البوريني وهو أحمد الكردي العمادي ، وأبو بكر العمادي الكردي^(٥) ، وبعضهم من استقر في حلب كإبراهيم بن أحمد الشهير ابن الملا الشافعي ، كان عالماً وشاعراً ، ومحققاً^(٦) ، حتى ان الاكراد كانت لهم مشاركة في الجيش السلطاني في تحقيق الاستقرار والأمن^(٧) ، وشغلوا مناصب مهمة ، منهم حسين باشا ابن جانبلاط الذي تولى حلب من قبل السردار سنان باشا الذي قام بقتله فيما بعد ، كون حسين باشا لم يلتزم بالعهد المبرم بينه وبين سنان باشا^(٨) ، ونتيجة لذلك تحرك بالخروج عليه أحد الأمراء الاكراد وهو علي بك ابن الأمير أحمد ابن جانبلاط الكردي ، الذي خرج بسبب مقتل عمه على يد السردار سنان باشا^(٩) في اشارة واضحة بأن ليس كل الأكراد كانوا إلى جانب السلطة .

كما ورصدت تراجم البوريني فئات أخرى من المجتمع الدمشقي من أصوله غير شامية ، ولكنهم من أعيان الشام ، مثلاً أبو سعيد بن صنع الله التبريزي الذي كان أصله من تبريز ، وله معرفة بالسلطان سليمان القانوني ، وأسد الدين التبريزي ، وأسد أفندي التبريزي الأصل ، والسيد شرف الدين الحسن التبريزي الذي كان أحد سادات لاله^(١٠) ، وله علاقة مع المسؤولين كمحمد أمين الدفتري ، وأمير امراء بغداد محمود باشا ابن سنان باشا ، وقد سار اليه بطلب من أمير الأمراء إلى

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٨-٢٢٦ ، ٣١٤ ، ج٢، ص ١٥٨ .

(٢) للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٨ .

(٤) للمزيد انظر ترجمة جلال الدين جليبي التركماني العكاري ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٣-١٣٤ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٤ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٦٩ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧١ .

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٧١ .

(١٠) لاله : مربى السلطان في مفهوم آل عثمان وله فعاليات سياسية وعسكرية فقد يكلف بفتح بلد معين مثلاً مصطفى باشا لاله الذي عين لفتح اليمن زمن السلطان سليم ابن سليمان ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٤ ، ١٦٧ ، ٢٣٧ .

بغداد سنة ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م كي يشغل الوظائف^(١)، وأشرف ميرزا مخدوم الشيرازي^(٢) ،
والحسين الحافظ التبريزي^(٣) ، والشاعر حسين الشيرازي أحد اصحاب البوريني، حيث كان له
ممالك ، وجارية ماتو في الطاعون الذي أصاب دمشق سنة ٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م أو بعدها بسنة وهم
يمثلون جزء من فئات المجتمع الدمشقي^(٤) ، والملا علي الكناوري ، من مدينة كذاور من توابع
همدان ، وكانت وظيفته كاتب بقلم نسخ التعليق ، وله شعر بالفارسية^(٥)، وقد مات بطاعون سنة
١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م ودفن في تربة مرج الدحاح ، في اشارة الى تنوع فئات المجتمع الاشامي^(٦) ،
ومنهم من كانت أصوله ترجع إلى بهرام آباد إحدى قرى أصفهان ، وصارت لهم شهرة في دمشق ،
على مستوى أسر معروفة ومشهورة كبيت الجوهري^(٧) ، أو منهم من كانت أصوله مغربية كأبو
بكر المغربي مفتي المالكية بدمشق، الذي استقر فيها حتى مات ، أو من أصول يمنية كأبو بكر
السقاف الذي كان أصله من حضرموت من قرية تسمى تريم ثم انتقل بعد ذلك إلى قرية عينات من
قرى اليمن حتى استقر بدمشق ، وكان نسبه يرجع إلى الامام جعفر الصادق (عليه السلام)^(٨) ،
ومنهم من كان أصله من مدن الأناطول كبروسا ، مثلاً بابا تاج محمد الرومي (البرسوي الأصل
والدمشقي السكن)^(٩)، أو من كانت أصوله من بلاد كيلان كملا توفيق^(١٠)، ومنهم من كانت أصوله
مصرية^(١١)، وقد عرف عنهم حبههم لقراءة القرآن^(١٢) ومنهم الشيخ عبد الله المصري الحنفي^(١٣).

وقد سجل البوريني بعض اشارات حول صراعات كانت قائمة بين الأسر ، كالأسرة أصحاب
المشيخة السعدية نسبة إلى الشيخ سعد الدين الجباوي^(١٤)، والأسرة أصحاب المشيخة الكاملة نسبة
الى الشيخ كمال الدين بن ابراهيم^(١٥)، وقد تطورت المشاكل بينهم بسبب المشيخة أدت إلى قتال
ونزاع داخل الأسره ، وقد أوضح البوريني طبيعة ذلك الصراع وأسبابه ، بأن ابن اخ سعد الدين

- (١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٧.
(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧٤، ج٢، ص ٣٤، ٤٩، ٥٢.
(٣) للمزيد انظر ترجمة الحسين الحافظ التبريزي ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٥ - ١٦٩.
(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١٧١.
(٥) للمزيد انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٧-٣٣٨.
(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣٧ و٣٣٨.
(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٢٤٩، ٢٧٥، ٢٨٣.
(٨) بفتح التاء وكسر الراء ، اسم قبيلة سميت القرية بها ، وعينات تبعد عن تريم نحو فرسخين ، نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٢.
(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٠.
(١٠) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٨.
(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٤.
(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٤.
(١٣) كان فقير الحال الا انه كريم الطباع تزوج بدمشق أكثر من مرة ، انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٣٢٥.
(١٤) سعد الدين الجباوي : سعد الدين بن مزيد الجباوي الشيباني ت ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م ، متصوف مشهور من أهل جبا (من قرى دمشق) كان في بداية أمره من قطاع السبيل ثم تاب وتندسك وأقام مع أبيه في زاوية بدمشق واشتهر وهو مدفون في جبا ، انظر الزركلي ، أعلام ، ج٣، ص ٨٤ - ٨٥ .
(١٥) لم أعثر له على ترجمة ، على قدر علمي .

كمال الدين ابن ابراهيم أراد أن ينازعه المشيخة بعد استقرار سعد فيها، إلا انه فشل بسبب نفوذ عمه سعد الدين وقوة (سهمه) وقربه من السلطة ، فقد كان الحاكم في تلك الفترة في ولاية الشام الحافظ أحمد باشا ، فبعد ان قام الشيخ محمد في حياته بتسليم شارات المشيخة (السجاده والأعلام)^(١)، إلى شقيقه الشيخ سعد الدين شهد الحاكم وشاهد ذلك الحدث بالاستخلاف ، وانقطعت المشيخة الكاملة يقول البوريني : (كونها غير موافقة للطريقة السعدية سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م)^(٢) . كما ولم تقتصر معلومات البوريني عن الفئات الاجتماعية والعلاقات فيما بينها على بلاد الشام فقط ، وانما تعدت معلوماته إلى خارج بلاد الشام كالقسطنطينية ، فقد ذكر معلومات حول التكوين الاجتماعي لهذه المدينة وهم (أعيان العلماء ، اصحاب المناصب ، وارباب الدولة من اكابر الوزراء والامراء) على حد وصف البوريني ، في اشارة الى وجود تنوع واضح فيها^(٣) وكان منهم قاضي القضاة الحنفي محمد ابن سنان^(٤) ، وفي بلاد فارس سجل البوريني اشارات اجتماعية تشير الى قوة ودور النساء السياسي، فكانت أخت الشاه اسماعيل ابن طهماسب سبباً بموته ، بعد ان وضعت له الاسم وكان ذلك في رمضان^(٥) .

سكان القرى (الفلاحون) :

لم يهمل البوريني الاشارة في تراجمه إلى فئة مهمة وهم سكان القرى أو الفلاحين الا انه لم يُسَعِّفنا بمعلومات وافية عن أحوالهم ، ولكن وردت معلومات تشير إلى علاقاتهم بالعلماء ، فمثلاً أحمد الحلبي كان يُكثر الإقامة في القرى وله علاقات مع الفلاحين ويحل لهم بعض المشاكل ، مما أوقعه فيما بعد ببعض المشاكل أدت الى مقتله في إحدى القرى ، فحين طلب منه أحد الفلاحين أن يساعده في الزواج من بنات أحد أعيان المنطقة ، وفي المقابل كان يريد الزواج بها ابن عمها ، فكلم أحمد الحلبي والدها فوافق على تزويجها، ولم يزوجها لابن أخيه الذي رفض ذلك التصرف وعاتب عمه فرد عليه ، يقول البوريني : (فقال له عمه وما فعلته إلا بإبرام من الشيخ أحمد فإنه أستأذنا وهو الحاكم علينا، وهو صاحب المرتبة العلية في الديار الحلبية ...)^(٦) مما دفعه لقتل أحمد الحلبي ، إذ دخل عليه ومعه فرقة من الأشقياء فكسرو باب الدار وكان أحمد الحلبي يداره يشرب قهوة البن^(٧) .

سكان البدو (العربان) :

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٧١ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٧١ ، ج٢ ، ص ٩١ .

(٣) نفس المصدر، ج١ ، ص ٢٢٤ .

(٤) نفس المصدر، ج٢ ، ص ٣٢٥ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٥٨ .

(٦) نفس المصدر، ج١ ، ص ١٨٢ .

(٧) نفس المصدر، ج١ ، ص ١٨٢ .

وأما البدو (العربان) فقد ميز البوريني سكان البدو في البيئة الصحراوية عن غيرهم ، خاصة في نظم الشعر ، فكانت البيئة الصحراوية بالنسبة للبوريني قاعدة يتم عليها قياس كفاءة الشعراء ، فمثلاً إذا كان الشاعر من بيئة صحراوية ونشأ فيها وشارك الوحوش في الطباع فإن الشاعر (معذوراً) في نظم الشعر الرديء ، وإذا كان الشاعر من أهل الحضرمثلاً ، وخالطهم وسمع رقيق المعاني منهم فانه ينظم الشعر الحسن^(١) ، وقد ترجم البوريني لرؤساء البدو ، وزودنا بمعلومات متنوعة عنهم وعن قبائلهم وتحركاتها ، منها معلومات تشير إلى تناحر رؤساء القبائل فيما بينهم ، وبعض تحركات قبائلهم في هذه الحقبة وبعض عاداتهم ، وتعرضهم للقوافل ونهبها وقطع الطرق ، فقد ترجم لشخصيتين ، الأول الشيخ رشيد بن نعيم شيخ عرب السرييين ومضاربه من البلاء إلى العلا ، وكان له دور في حماية ركب الحج الشامي ، ولما أراد عسكر دمشق مكافأته بأعطائه إمارة العرب في أرض حوران ، تحرك عليه عمرو بن جبر شيخ عرب المفارجة^(٢) سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩م وانتصر عليه ، إذ كانت إمارة العرب بيد عمرو بن جبر ، مما زاد من اصرار الشيخ رشيد على أخذها منه ، فأرسل أولاد اخيه كي يجتمعوا بالأمير شديد أمير آل حيار وكانت خيمته في حلب لكي يساعدهم في الانتصار على عرب المفارجة ، إلا ان البوريني لم يذكر ما آلت اليها الامارة في أرض حوران^(٣) . والشخصية الثانية التي ترجم لها البوريني هو الأمير شديد بن الأمير أحمد أمير آل حيار ، وكانت خيمهم في صحراء حلب ، وله ابن عم اسمه مدلج بن ظاهر ، حيث كانت بينهما عداوة قديمة وثأر بسبب أن أحمد والد شديد سبق وقتل والد مدلج ، فبينما كان الأمير شديد يلعب الشطرنج مع بعض أقاربه في الخيمة، اغتتم مدلج الفرصة فقام بقتله ، يقول البوريني : (كانت روحه في تلك الضربة ، وذهبت إلى غضب الله لكونه كان مدمناً على تعاطي القبائح ، مع زيادة الظلم والقهر ، و عدم الانصاف عند الشكاية من أحد وكان مع ذلك جباراً عنيداً خسيساً قبيح المنظر.. " ، حتى ان خبر موته وصل إلى الأمير فخر الدين المعني فأرسل مكتوباً قال فيه (مدلج قتل شديد ولد أحمد) على حد وصف البوريني ، وقد شرح البوريني ذلك المكتوب بانه مكتوب أدبي ، فحين يتم حساب حروفه بطريق حساب الجمل تكون السنة التي قُتل فيها هي ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩م^(٤) . وقد زودنا البوريني بمعلومات عن بعض عادات العرب وعلاقاتهم فيما بينهم من جهة

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) عرب المفارجة : نسبة إلى المفرج أمير العشائر الطانية في بلاد الشام في القرن الرابع الهجري ، وكانت تعرف أيضاً بامارة بنو الجراح نسبة إلى جده جراح ، وامارة بنو لام نسبة إلى الجد الأعلى ، والتي امتد نفوذها من جبال طيب إلى العريش في سيناء ، وطبريا في الاردن، والمشهور انهم من لام من طيب ، للمزيد انظر أوبنهايم : البدو، ج٣ ، ص ٦٥٤-٦٧٦ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٢٤ .

(٤) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٣٩ .

، ومع السلطة من جهة أخرى، فكان من عادات عرب آل حيار^(١)، أو آل جبار^(٢) انه من استولى على خيمة المال والسلاح يكون اميراً أو حاكماً على كل العرب ، إذ تحتوي هذه الخيمة على صناديق مقللة ومحكمة الأقفال ، وفيها الذهب والفضة والجوهر والسلاح وغيرها من النفائس ، وتكون هذه الخيمة عادةً من الشعْرُ كبيرةً جداً ولها حراس على طول الوقت^(٣) ، وكان مركز هذه العشيرة بلاد عانه وحديثة وغيرها من البلاد^(٤). وكان بعض العرب البدو لا يميلون إلى التدخل بالامور السياسية والعسكرية ، منهم الأمير ابن قانصوه أمير بلاد عجلون وكرك الشوبك تعذر من المساهمة مع الجيش الشامي لمطاردة السكبان بقيادة الوزير الأعظم مراد باشا ، يقول ابن قانصوه : "... أنا بدوي عربي وما عندي عسكر يسافر إلى بلاد الروم"^(٥)، والأمير أحمد ابن طرباي أمير عرب حارثة^(٦) ، الذي عُرف بشهامته وعدم غدره ، فقد رفض المال المقدم له من الأمير علي بك ابن جانبلاط لقاء تسليمه الأمير يوسف ابن سيفا ، وقال له الأمير أحمد ابن طرباي: ".... دخل في جوارى وثبت حقه بدخوله إلى داري والمال يزول والثروة تحول ، ولا يبقى سوى الثناء الجميل وأما الدنيا فإنها ذاهبة عما قليل .."^(٧) .

العلاقات الاجتماعية المتنوعة وفق تراجم البوريني :

علاقات المصاهرة :

رصد البوريني بعض العلاقات القائمة بين مختلف فئات السكان وهي تمثل جانب كبير من الاهمية ، منها رصده لحالات زواج كانت تقام بين أهل دمشق وغيرها من المدن ، كزواج بين العوائل الكبيرة ، وبين العلماء كزواج البوريني من أخت زوجة أحد شيوخه وهو أحمد بن يونس العيثاوي وهما بنات محمود الصناديقي ، حتى أن الزواج لم يكلفه كثيراً وكان بسيط للغاية^(٨) ، والشيخ ابن أبي الوفا الذي كانت له مصاهرة مع أحد شيوخ البوريني وهو الشهاب أحمد العيثاوي^(٩) ، وأسرة بني سعد الدين ففي سنة ١٠٢٢ هـ / ١٦١٣ م ، كان شيخهم سعد الدين بن سعد الدين الشافعي ، قد زوج ابنه الشيخ موسى لابنة عمه الشيخ محمد ابن محيي الدين بن حسن بن الشيخ

(١) تم ذكرهم بهذا الاسم ، انظر نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٢٤ .

(٢) تم ذكرهم بهذا الاسم ولم يوضح المحقق الاختلاف ، انظر نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٣٩ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٤) عانه ، وحديثة الآن من الاقضية التابعة لمحافظة الانبار في العراق ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٤٠ .

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٩ .

(٦) عرب حارثة : في السهل الساحلي إلى الغرب من طولكرم ، في وادي الحوارث ، وكانوا قبيلة من طي ، وورد أول ذكر لهم في القرن السادس عشر الميلادي ، وكان رئيسهم آنذاك يشغل منصب " أمير الدريين " أي انه كان مسؤولاً عن أمن الطريق المصرية المؤدية إلى القدس عبر لجون ، والطريق المؤدية إلى القدس عبر جنين . للمزيد انظر أوبنهايم : البدو ، ج٢ ، ص ٨٤-٩٠ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ ، ٢٨٩ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٤ .

(٩) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٩ .

حسين ، وقد عمل دعوة للأعيان بهذه المناسبة في القاعة المعظمة بدمشق ، ويصف البوريني تلك القاعة بقوله : " .. وكان الاجتماع في القاعة المعظمة التي كانت مبنية على اسم الشيخ عيسى بن محمد بن سعد الدين ، وهي في الحقيقة من محاسن الابنية في دمشق ... " (١) ، وكان البوريني حاضراً وقد ذكر قيمة المهر المحدد من قبل الطرفين المتعاقدين ، يقول البوريني : " ... وكان المهر ست مئة دينار من الذهب : أربع مئة المقدم ، ومئتان المؤخر ... " (٢) ، وكان ضمن الحاضرين الشيخ كمال الدين وأخيه حسين ، والشيخ شمس الدين الميداني الشافعي وهو وكيل من جانب الزوجة ، والشيخ شرف الدين الدمشقي الشافعي وكيل عن الزوج فخاطب وكيل الزوجة ، وكيل الزوج وكان هناك خطأ في الكلام فتم تصحيح الكلام من قبل الشيخ أحمد العيثاوي وتم الزواج (٣) ، في إشارة إلى النمو الاقتصادي الذي شهدته الشام وخاصة دمشق في تلك الفترة ، إضافة إلى أن الزواج قد تم بين الاعيان ، والطرفان شافعية ، فكان للعلماء علاقات مصاهرة فيما بينهم وكانت زوجاتهم يعرفن القراءة والكتابة ، كزوجة الطيبي الصغير ابنة الشيخ الشهاب الفلوجي (٤) ، وزواج العلماء من نساء يملكن الأوقاف حتى ينالهم جزء منها ويقسم غلتها فمثلاً ابن أبي الوفا تزوج من امرأة ذات مال ولها أوقاف مكنه ذلك الزواج من تقسيم بعض غلات الأوقاف على عشيرته " ... حزبه المفلحين " على حد وصف البوريني (٥) ، ومنها أيضاً زواج والد الأديب درويش محمد (ابن طالوا) وكان رومياً الأصل ، من بنت الأمير علي ابن طالوا وهذا الأمير كان أحد أتباع السلطان سليم لما جاء إلى بلاد العرب واستولى (٦) ، وكانت لآل طالوا مناصب كبيرة كمنصب نقيب الجيش ، كان يشغله العلاء ابن طالوا منذ أيام الجراكسة (٧) ، كما وزوج نقيب الأشراف في الباب العالي المدعو أشرف والملقب بميرزا مخدوم الشافعي بنته لأحد اشراف مكة ، وكان ميرزا مخدوم قاضياً فيعدة مدن فقد تولى قضاء مدينة آمد في ديار بكر ، ثم طرابلس الشام ، ثم قضاء مكة (٨) ، وزوج ادريس المواعظ بنته لأحد الأعيان في مصر ، وكان يذهب إلى مصر لرؤية ابنته يقول البوريني : " ... ولصلة بنت له هناك (مصر) ، كان قد تزوج بها بعض أعيان الدولة ... " (٩) ، وقد سجل البوريني معلومات على جانب كبير من الأهمية تخص عادات آل عثمان في الزواج بقوله : " ... إذ عادتهم (آل عثمان) ، تزويج بناتهم لعبيدهم ، ومنعهن عن الاماثل والأعيان وخرج خالياً (الأمير ابراهيم) ، من

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٣) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٤) نفس المصدر، ج ١ ، ص ١٩ .

(٥) نفس المصدر، ج ١ ، ص ٥٠ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٧) ابن طولون : مفاكهة، ص ٣٢٤ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٩) نفس المصدر، ج ٢ ، ص ٩٢ .

ميراث أبيه حتى من السكن الذي يقرء به ويأويه... " ، في اشارة الى ان الأمير ابراهيم بن محمد باشا الوزير الاعظم حُرِم من ميراث أبيه بعد زواجه من إحدى بنات السلاطين ، كما وجرت العادة فقد تزوج الوزير الأعظم ابراهيم باشا من بنت السلطان مراد وهي شقيقة السلطان محمد^(١) ، وزواج أحمد الصوفي من إحدى بنات قاضي القضاة ابن الفرفور، وكانت ام أبو بكر الجوهري ابنة الشيخ بدر الدين بن حسام الدين التبريزي^(٢) . كما ووردت معلومات ضمن ترجمة أحمد الشهير بابن عبد الهادي بان والده كان قد تزوج من ابنة أحد اعيان دمشق وهو الشيخ عبد القادر بن سوار فولدت له أحمد^(٣) ، وزواج الاديب أحمد أفندي ابن شاهين من ابنة مفتي السلطان صنع الله أفندي ، وكان المفتي يأتي إلى دمشق للذهاب إلى الحج لرؤية ابنته التي عند أحمد أفندي ، وكانت لأحمد هذا علاقة ود مع البوريني^(٤) ، وكان للأمير أحمد بن رضوان بن مصطفى أولاد من زوجته ابنة صاحب المدرسة الدرويشية درويش باشا بدمشق الشام ، وكان خال أولاده لأهمهم حسن باشا الوزير ابن الوزير، ومن اولاده الأمير سليمان نائب القدس الشريف وأخوه الذي اصغر منه كان أميراً على نابلس ، وكان والدهم الأمير أحمد بن رضوان كثير الخيرات للعلماء والفقراء في شتى انحاء بلاد الشام يقول البوريني : " .. طالما يسعفهم في الازمات ، ويمن عليهم بجزيل الهبات وقد يحضر الى دمشق في بعض الأعوام ، فيمن على من بها من العلماء والأمراء والأعوام.. " وكان له بيت في دمشق من محاسن الشام^(٥)، كما وتزوج أحد شيوخ البوريني وهو العماد الحنفي من خالة أحد أصحاب البوريني وهو ابراهيم ابن محمد^(٦) ، ورصد البوريني بعض حالات الزواج السياسي بين الامراء ، فقد دخل الأمير يوسف ابن سيفا بعلاقة مصاهرة مع الامير علي بك ابن جانبلاط من خلال الصلح الذي تم بينهما^(٧)، كما وسجل البوريني حالات زواج تمت بين أسر دمشقية وأروام ، كزواج أحدهم من بنت في صالحية دمشق ، وزواج أحد الجنود القادمين من الروم وهو حسين ، كان صديقاً لأحد المجاذيب واسمه حسن وقد مات حسن وحسين بسبب سيول التي ضربت الصالحية في يوم ١٤ صفر من سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م ، وكان يوماً غريباً على حد وصف البوريني كون فصل السنة كان ربيعاً^(٨). وهنا لا بد من الاشارة الى ان هذه العلاقات كانت استمراراً لما كان أيام الجراكسة ، فقد ذكر ابن طولون في أحداث سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م حالات

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣١٧ ، ٣٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ٢٨٣ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٧ - ١٤٨ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٨ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ ، وللمزيد انظر تفاصيل الصلح الفصل الثالث الاوضاع السياسية .

(٨) للمزيد انظر ترجمه حسن المجذوب المكاشف ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

زواج مشابهة ، كزواج بنت زين الدين الهديري على ابن تاج الدين الصلتي على مبلغ أشرفية ، وشقتين حرير وزجاج أمياه وبلح ، وحضر عقد القران عدد كبير من الاعيان^(١) .

العلاقات بين العلماء والأهالي :

عُرِفَت علاقات العلماء فيما بينهم بالود والتواصل ، فكان مثلاً علماء البلدة وقاضيها ومفتيها يحضرون ختم الدروس و يقيمون الاحتفال بمناسبة ختم أحدهم للدرس مثلما حصل في ختم التفسير المنظوم للبدر الغزي^(٢) ، وقد سجل البوريني أسماء العلماء والأعيان الذين كانوا يحضرون مثل تلك الأحتفاليات ، فكان علاقة البدر الغزي طيبة مع العلماء ، في داخل وخارج بلاد الشام بمختلف مذاهبهم فكان هو شافعيّاً والاحناف والمالكية والحنابلة كانوا يحضرون ختم دروسه ، وقد عمل الغزي مجلساً عند مزار يحيى ابن زكريا عليه السلام ، وقد سجل البوريني اسماء الحضور في اشارة الى عمق العلاقات فيما بينهم^(٣) ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط ، فكان الوقت مهماً عندهم ويتباحثون في علوم أخرى كالتباحث في علوم اللغة ، كصاحب القاموس المحيط وبعض الكلمات ، فكان رأي البدر الغزي ان صاحب القاموس قد غلط في بعض الأمور منها يقول البوريني : " .ان الجزل والخزل بالجيم والحاء المعجمة متساويان" ، وقد صحح لهم البوريني وشرحه لهم وقال: " ..وهو غلط ، بل كل واحد منهما له معنى خاص، ووضع مستقل"^(٤) ، كما وتباحث البوريني في هذا الموضوع مع الطبيي الكبير الشافعي، وحتى القوائد الشعرية كانت تطرح مسائل مهمة للتباحث^(٥) ، وقد توسعت علاقات البدر الغزي مع العلماء ، فمثلاً مع المفتي في مصر الشمس العلمي ، وقاضي القضاة ابن الفرفور في الروم، ومع العلامة السيد عبد الرحيم العباسي وكانت بينه وبينهم مراسلات وأشعار ، منها ما كتبه عبد الرحيم العباسي إليه^(٦) ، وهو الذي سما له كتابه في الرحلات (المطالع البدرية في المنازل الرومية)^(٧) ، وجعل الغزي ختماً أيضاً لكتابه (فتح المغلق ، في تحرير الخلاف المطلق)، في مشهد الامام زين العابدين في دمشق في الجامع الاموي ، وقد حرص البوريني مرة أخرى على تسجيل وتوثيق اسماء الحاضرين ، وهم من داخل وخارج بلاد الشام وتنوعت وظائفهم ومذاهبهم فمنهم المفتي الفقيه ، ومنهم المدرس^(٨) ، ولم يقتصر ختم الدرس أيضاً على كتاب فتح المغلق بل تعداه الى التباحث ، فقد تناقشوا في مواضيع فقهية وأدبية ، ثم بعد انتهاء الدرس ، رجعوا إلى الحجرة الحلبية للبدر الغزي وقد عمل لهم الطعام ، يقول البوريني

(١) ابن طولون : مفاكهة، ص ٧ .

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١ .

(٣) للمزيد انظر الاسماء الواردة ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٧ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ٩٧ .

(٥) للمزيد انظر شعر البدر الغزي الذي اورده البوريني ، ج ٢، ص ٩٧-٩٨ .

(٦) انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٠-١٠١ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٠ .

(٨) للمزيد انظر الاسماء الواردة ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٦ .

"...فوجدوا سماطاً ، ممتداً فأكلوا وتفرقوا بعد ذلك .."^(١)، وكان الشيخ عبد الرحمن العمادي الحنفي حين يلقي الدرس في المدرسة السلطانية السلمية يحضره من العلماء الشافعية والأحناف ، والقضاة ، وأعيان دمشق من غير الشيوخ والعلماء ، منهم مثلاً أحد النبلاء واسمه عبد اللطيف جلابي^(٢) ، وليس فقط حضور الدرس بل للاجتماع بعد الدرس لتناول الطعام الجماعي ، يصف البوريني ذلك اليوم بقوله : "...وكان يوماً مشهوداً ومد في القصر المذكور (بيت القاضي اكمل الدين ابن مفلح" ، سماطاً حافلاً ، وكان لنفائس الأطعمة كافلاً...."^(٣) ، فكانت علاقات العلماء فيما بينهم قائمة على الأخوة كما في ترجمة أحمد بن أحمد الطيبي الكبير ، فقد رفض الإفتاء مع وجود البدر الغزي^(٤) ، وكان البدر الغزي يجيزه بالفتوى حتى قبل الطيبي الصغير ان يتولى الإفتاء وقبل يد البدر الغزي، في إشارة إلى عمق تلك العلاقة^(٥) ، وكان الشيخ ابو الفضل الموصللي يدعو العلماء إلى بستانه في محلة ميدان الحصا ، في زمن زهر التفاح ، وهو زمن كان العلماء يخرجون فيه للفسحة، ويقرأون الشعر ويتدارسون مختلف العلوم ، يقول البوريني : "... فكان النسيم يهب وينشر الزهر كأنه لؤلؤ قد انتثر...."^(٦) ، وعُرف عن بعض العلماء علاقاتهم الجيدة مع المصريين ، فكان بعض العلماء يأخذون العلم من المصريين في المذهب الشافعي كي يجيزه ويعطيه الإذن بالفتوى والتدريس^(٧) ، وكان عوام الناس يحضرون مجالس العلماء في مسائل الإفتاء^(٨) ، وبعض العلماء كان يُحب مجالسة الفقراء^(٩) ، ويحضرون مجالس العزاء ، فحين مات أحمد شهاب الدين الغزي وصلى عليه أمير الأمراء بالشام في الجامع الاموي حضر جنازته الكثير من أهل الشام^(١٠) ، فكان الناس يحبون العلماء ويجلونهم ويقبلون أيديهم وحتى الأمراء ، فمثلاً أمير الأمراء بدمشق كان يقبل يد البدر الغزي والد أحمد الغزي في وفاة ابنه ، فكان للعلماء صبر على البلاء الذي يصيبهم^(١١) ، وقد سجل البوريني بعض عادات كانت سائدة كتقبيل يد العلماء ، حتى انه صرح علانية بأنه قبل يد البدر الغزي^(١٢)، سيما وان علاقة العلماء بالفقراء كانت قائمة على الرحمة والمودة وكانوا (يرأفون بحالهم ويرحمونهم)^(١٣)، وحين توفي الغزي رثاه العلماء وحزن عليه الناس كثيراً ، ومنهم الشيخ

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٩.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٣١٩.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ١٤.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ١٦، ١٧.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٧٠.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ١٦.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٥.

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧.

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٢٨.

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٨.

(١٢) نفس المصدر، ج١، ص ٣١.

(١٣) نفس المصدر، ج١، ص ٣٦.

محمد الصالحي الهلالي^(١)، وكان العلماء يتلاطفون فيما بينهم في إشارة إلى سعة علاقاتهم ومدبتهم لبعضهم في تلك الفترة^(٢)، إذ كانت الزيارات قائمة مستمرة فقد عرف عنهم زيارتهم للمريض والدعاء له بالشفاء^(٣)، و عرف عنهم أيضاً التواضع للصغير والكبير^(٤)، فلما حضر الشيخ ابراهيم ابن البدر الغزي مع البوريني في الحجرة الطلبيية عند أحمد ابن الاكرم، اراد الجلوس تحته إلا ان البوريني رفض ذلك وجذبه من قميصه وأجلسه بمكانه، وأنشده بيتاً من الشعر يشير الى العلاقة بين العلماء وأكرام الضيف^(٥)، وإلى جانب حضورهم ختم الدروس وعبادة المريض، كانوا ايضاً يحضرون الأعراس والمناسبات والموالد مع عامة الناس، وكان يحضر قارئ الموالد مثل تلك المناسبات^(٦)، ومما يلفت النظر في تراجم البوريني ان العلماء كانت لهم جلسات يتباحثون فيما بينهم بعيداً عن الطلبة سيما في الجامع الاموي، وكانت جلساتهم لا تخلو من فائدة، كمدارسة أشعار بدر الدين الغزي^(٧)، كما وشهدت علاقة التلميذ بالأستاذ هي الأخرى نوعاً من الود والرحمة والاحترام، فكان الشيخ أحمد القابوني تلميذاً عند أحمد بن أحمد الطيبي الكبير، وكان يعد له الطعام صباحاً ومساءً^(٨).

وسجل البوريني معلومات تفيد بأن تلك العلاقات لم تكن حسنة في جميع الأوقات وكانت متفاوتة، فقد كانت علاقة بعض المفتين بالناس سيئة بسبب يقول البوريني: (قلة عفة في الفتوى والقضاء)، مما خلق بعض عداوة مع المفتين^(٩)، وكانت هناك خصومات^(١٠)، فعلاقة أحمد ابن الأكرم مع مؤذن جامع بني أمية كانت ليست جيدة فقد كان الأخير يشتمه ويدعو عليه، ويصف البوريني تلك العلاقة بانها كانت تؤثر حتى في أداء الصلاة المفروضة، حيث لم يصلي أحمد ابن الأكرم مع الجماعة الأولى في المسجد، بل مع الجماعة الثانية فكان يصبر على إذى الناس، وقد أبدى البوريني اعجابه بتلك الأخلاق بقوله: "يا مولانا هذا غاية مكارم الأخلاق"^(١١)، وكانت علاقة بعض العوام بالقضاة سيئة بسبب الرشى والفساد، ويصور ذلك الأديب درويش الطالوي الشامي من خلال اشعاره حول قاضي القضاة أحمد أفندي الأياشي قاضي حلب ثم دمشق الذي جاء خلفاً بعد

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٣١.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٥.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٤٤-٤٥، ١٦٤.

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٠.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٩.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٧.

(٧) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٠، وللمزيد انظر اجتماع مفتي المالكية بدمشق ابو الفتح المالكي ومعه مجموعة من الاصدقاء يتدارسون الاشعار، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٨) نفس المصدر، ج ١، ص ١٤.

(٩) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٥١.

(١٠) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦.

(١١) نفس المصدر، ج ١، ص ٥٨.

القاضي عبد الوهاب وعرف عنه الرشاش والتزوير وعدم محبة الناس له، وقد هجاه الشاعر درويش سبط آل طالوا الشامي بقصيدة طويلة سماها (رفع الغواشي عن ظلم الأياشي) فقد ظلم وأخذ المال بغير حق من الورثة، وكذلك القاضي محب الدين الحنفي وهو نائب عن قاضي القضاة أحمد الأياشي، أشار إليه الطالوي ضمن إشارته في القصيدة بخصوص قاضي القضاة أحمد الأياشي، وإلى فساد القضاة وبيع الأوقاف والرشاش والتزوير، ومنهم كمال الدين ابن الخطاب المالكي، وهو نائب أيضاً عن قاضي القضاة أحمد الأياشي، وأشار إليه الطالوي في قصيدته^(١)، وبسبب ذلك فقد استغاث أهل الشام على لسان الطالوي الشامي بموالي الروم في التدخل عند السلطان محمد لعزل قاضي القضاة أحمد الأياشي^(٢)، وكان الأديب محمد الصالحي الهلالي يكثر من قذح وذم أحمد العناياتي الشاعر الصوفي، وقد أبدى البوريني رفضه لذلك الأمر وعده من التحاسد بقوله: " .. عملاً بما عليه الأقران من التحاسد والخذلان وكان إذا أغضبه يذكر حسبه ونسبه ويقول هذا لقيط سبيات مكة وما كان ذلك إلا للحسد الذي لا يخلو في الغالب منه جسد لاسيما أهل الفضائل فان الحسد عندهم مركز في الطبائع لا يزائل.." وفي المقابل كان أحمد العناياتي أيضاً يسب بعض شعراء عصره ويعارض كثيراً من الكتاب والشعراء^(٣)، كما وأثارت قضية شرب قهوة البن في تلك الفترة بعض المشاكل، فمنهم من كان يحرمها، ومنهم من يرى وجوبها، ويصف البوريني تلك المشاكل حينما تحدث عن أبو الفتح المالكي المفتي الذي دخل في نقاش لمدة طويلة أدى إلى حصول خلاف يقول البوريني: " ... وله (أي أبو الفتح المالكي) في القهوة البنزية مواقف ومشاهد وذلك مع شيخ الإسلام يونس العيثاوي الشافعي، فإنه كان يرى تحريمها (أي يونس العيثاوي الشافعي). وكان الشيخ أبو الفتح يكاد يرى وجوبها، فحصل شقاق)، وتطور الخلاف بينهما حتى وصل إلى قاضي الشام على أفندي، حيث تغلب أبو الفتح المالكي على الشيخ يونس العيثاوي الشافعي لعدم كفاية أدلة التحريم، وتدل هذه الإشارات ان الخلافات التي كانت قائمة ليست بين اناس عاديين بل أناس على مستوى الأعيان فهم يمثلون مذاهبهم، فقد كانوا مفتين (احدهم للمذهب المالكي، والآخر يمثل المذهب الشافعي)^(٤)، وكانت علاقة الطبيب تقي الدين بن شرف الدين الدمشقي بعلماء دمشق سيئة، بسبب أنه كتب فوق كتابة العماد الحنفي أحد شيوخ البوريني، مما أدى إلى غضب العماد الحنفي، فأراد الطبيب الاعتذار فجاء إلى بيت العماد إلا ان العماد رفض ذلك، ولم تكن علاقة هذا الطبيب فقط سيئة بالشيخ العماد، بل ومن والده أيضاً، ومن الشيخ أحمد ابن سليمان، مما دفعه إلى

(١) البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) قصيدة مهمة تصور الواقع الذي عاناه الأهالي من قاضي القضاة أحمد الأياشي ونوابه نفس المصدر، ج ١، ص ٨٩، ٩٠.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٥ - ١٠٨.

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٥٣.

السفر إلى القسطنطينية في زمن السلطان مراد لكي يبتعد عن تلك المشاكل^(١) ، ومن القضايا المهمة التي سجلها البوريني هي قضية التعيين في المدارس و عزل المدرسين من مدرسة ما على الرغم من علمية هذا المدرس أو ذلك، وخدمته الطويلة ، فكانت تثير الحزازية بين العلماء ، ومنها مثلاً عزل البوريني من المدرسة الدرويشية ومنحها إلى الشيخ عبد الغني النابلسي الشافعي^(٢) ، وعزل الشيخ علاء الدين ابن عماد الدين الشهير عند العرب بالأحذب وعند الأروام بكجك ملا ، من المدرسة العادلية الصغرى ، وتم منحها الى الطيبي الكبير ، واعطوه بدلا منها المدرسة التقوية ، ويقول البوريني موضحاً وجه نظره من ذلك التصرف الذي يتكرر ليس معه فقط وانما مع علماء غيره : "... وأخذ العادلية منه مع غزارة فضله..."^(٣) .

كما ورصدت تراجم البوريني معلومات حول المذاهب تفيد في رسم طبيعة العلاقات القائمة بين الناس ، فقد اشتهرت العوائل الشامية بتنوعها في المذاهب في مرحلة انتقالية مهمة ، كانت السيادة فيها للمذهب الشافعي المذهب الرسمي للدولة المملوكية ، ولما جاء العثمانيون تم تغيير مذهب الدولة الرسمي من المذهب الشافعي الى المذهب الحنفي ، فوجود أكثر من مذهب ضمن العائلة كان السمة المنتشرة والواضحة في بلاد الشام ، فمثلاً في ترجمة أحمد الخالدي الصفي كان حنفياً وأخوه شمس الدين شافعيًا ، أو قد يكون الأب شافعيًا والابن حنفياً ، أو العكس ، كما ورد في ترجمة ابو بكر المقدسي الشافعي وابنه جار الله مفتي الحنفية في القدس الذي تزوج من ابنة عمه محمد ابن ابي اللطف الشافعي^(٤) ، أو الشيخ اسحاق مدرس الصالحية في القدس الشريف كان شافعيًا ووالده الشيخ سراج الدين عمر كان حنفياً ومفتي الحنفية في القدس الشريف ، وليس فقط على مستوى الاب والابن بل تعداه الى ابن العم ، فمثلاً ابن عم اسحاق الشافعي واسمه جار الله كان حنفياً ويساعد ابن عمه في ضيافة زائري بيت المقدس^(٥) ، وكان القاضي تقي الدين الزهيري شافعي المذهب ، وجده الزهيري أحد علماء الحنفية^(٦) ، وقد تحول مذهب الشيخ علاء الدين الطرابلسي الشافعي الحنفي ، من المذهب الشافعي الى المذهب الحنفي ، لامور تعيين في مناصب الدولة وتحقيق مصالح خاصة^(٧) في اشارة واضحة إلى ان بعضهم كان قصده من اعتناق مذهب ما هو لتحقيق مصلحة شخصية .

العلاقات بين الحكام والأهالي :

- (١) للمزيد انظر ترجمه تقي الدين بن شرف الدين بن يونس الطيب الدمشقي ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٨-١٠٩ .
- (٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .
- (٣) للمزيد انظر الشعر الذي يجسد حالة المدرسين حين يعزلون من وظائفهم ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .
- (٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- (٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ٢٩٦-٢٩٧ وانظر ايضا نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٢-١٢٧ ، ج ٢ ، ص ٨٠ .
- (٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٥-١١٦ .
- (٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

سجل البوريني معلومات على قدر كبير من الاهمية تفيد في توضيح علاقة الحكام بالناس ، هل هي علاقة ود واحترام متبادل ام هي عكس ذلك ، ومن خلال التراجم تتوضح لنا فكرة بان العلاقات كانت متفاوتة . فقد كان الوزير خضر باشا حاكم مصر يدفع الأموال لشراء الأعيان ويخلصهم من الأسر في مالطة ، مثلاً ما حصل مع أحد أولاد أحمد الجوهري واسمه سليمان الذي أُسر في نواحي البحر عند دمياط ، وعندما خرج من السجن التقى بالوزير ، وقال له (ان فك الاسرى من أهل مالطة يعدل عند الله حج مبرور) فأرسل الوزير الأموال لفك اسر الأعيان وكان منهم جماعة من دمشق^(١) ، إلا ان الحكام لم يكونوا في دمشق على مسافة واحدة من العلماء ، فالوزير حسن باشا ابن ابن الوزير محمد باشا لم يكن عارفاً بكل العلماء إذ زجر أحد العلماء بسبب أنه يخفي أحد اقربائه ، والعلاقة بين أمير الأمراء حاكم الشام والأعيان لم تكن في جميع الأحوال حسنة ، منها ما تعرض له أحمد العجمي أمين البهار من قبل أمير الأمراء مراد باشا الذي قام بحبسه في قلعة دمشق حتى اضطر لدفع الاموال فخرج ، ولما جاء أمير الأمراء محمد باشا الوزير الأصفهاني الأصل حاكماً للشام بعد مراد باشا أعاد أحمد العجمي على أمانة البهار بل الزمه هذه المهمة لامانته وكونه أصلاً غنياً له بيوت فخمة ، في اشارة الى ان الحكام كانوا لا يعينون على أمانة البهار إلا الأمين ، وذهب أحمد العجمي للحج وخلال رجوعه التقى بأمرام محمود باشا ابن الوزير سنان باشا فحبسه الأخير بسبب مال البهار ، وتطورت المشاكل بينهما حتى توفيت زوجته بسبب حبسه، وقد حضر محمود باشا الجنازة تلبيةً لرغبة أحمد ، وأرسل معه موكل بعد ذلك توفي أحمد بسبب مشاجرة مع الموكل به (ويقال انه ضربه فمات)^(٢) ، ولما جاء الوزير أحمد باشا الحافظ حاكماً على دمشق يوم الاثنين حادي عشر ربيع الثاني سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩م بموجب الأمر الفرمانى القاضي بتعيينه حاكماً على دمشق ، دخلها من قرية حرستا^(٣) فخرج الأعيان للترحيب به ومنهم (العسكر ، وقاضي القضاة بدمشق محمد ابن محمد الحميدلي ، والعلماء ، ومحمد ابن سعد الدين الجباوي يقول البوريني عنه : "...ولم يكن من عادته الطلوع الى لقاء الحكام...." ، ولكن بسبب العلاقة الجيدة لهذا الحاكم مع الأعيان دفعته الى الخروج للقاءه^(٤)، ولما وصل الحاكم الى دمشق أرسل بعض الرسائل الى الاعيان ، وكان أولهم الشيخ محمد ابن سعد الدين الجباوي (محمد السعدي) ، ومن الذين وصلتهم الرسائل ، البوريني إذ يقول : "... وكنت عازماً على أن أطلع الى القرية للقاءه ، ولكن جاءني مكتوب يتضمن السلام وعرض المدبة والوداد ، فطلعت اليه ملاقياً ، وصافحته في اثناء البساط ... وجلست عنده ساعة ... ووجدته عارفاً بشئ من أشعار التركية ، والفارسية ، وبشيء من

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١١٣ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٣٣ - ١٣٥ .

(٣) قرية قريبة من دمشق وهي من قرى الغوطة ، نفس المصدر، ج١، ص ٢١٤ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٤ .

علم العروض ، وبشئ من علم العربية ، الى غير ذلك من الفضائل والفواضل ..."^(١)، وكان متطوعاً الى العمل على نشر العدل بين الرعية ، ولما دخل الى دمشق رحب به الاهالي وأناروا الاسواق (بالشموع والسرچ) ، وسلم على الاهالي ، وقد سبق أن رأى البوريني وتبسم له في مسجد القصب وتم تذكيره بتلك الرؤية والتبسم ، فيشير البوريني الى أن ذلك يدل على : " .. تيقضه وتفتنه .. " وكانت له علاقة طيبة مع البوريني^(٢) ، كان يحب أهل العلم وهم أدبوه أيضاً، ويعطي المكافآت للجنود ، ويعطيهم فرصة للاعب من خلال الخيل فكان الخيل يصطف فريقين، وكل من يصيب الجريدة يعطيه الوزير ملء كفه دراهم ، وكان الجنود في يفرحون بذلك التصرف، كما صرف على اصحاب الجوالي بدمشق علوفاتهم قبيل عيد الفطر من سنة ١٠٢١هـ / ١٦١٢م ، ولكن مع ذلك كله فقد شهدت دمشق بعض الظلم منه ، فقد عملت الحكومة على تقليل وقطع بعض رواتب الموظفين ، مما أدى الى ظلمهم وانعكس بطبيعة الحال على علاقة الحاكم بالرعية ، فمنهم من أعطوه نصف ما كان له ، ومنهم من قطعوا ماله كاملة ، ومنهم من أبقوه على حاله دون استقطاع أو تبديل أو تحويل أو تغيير ، ويصف البرويني فرحه بانه لم يشمل بالقرار الدفترى إلا انه صرح علانية بان الحاكم قد أفحش في قطع أرزاق الناس بقوله : " ... والفقير الحسن البوريني من الذين أبقوه على حاله ، وما قطعوا ماله ، ولا خيبوا السعيد من أماله . ولعمري انهم افحشوا في قطع الارزاق ... " ثم أورد شعراً لتلك المناسبة :

لا تقطعن عادة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه

فان اثم الافك من مسطح يحط قدر النجم من افقه^(٣)

وقال ايضاً البوريني واصفاً تلك الحالة بقوله : (قطع الخشوم ، أسهل من قطع الرسوم)^(٤) ، وحين سُجن صاحب صنجق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعاون شريف مكة على القرى في قلعة دمشق ، من قبل حاكم دمشق بسبب عدم تأدبه مع الحاكم ، مما دفع عدد من الشخصيات للتوسط له ، ومنهم (محمد الشهير ابن الدردار كبير الجاويشية لكن أحمد باشا رفض ، أما الشيخ محمد الجبوي الساكن في محلة القبيبات وأكابر العسكر الشامي، فقد نجحوا وتم اطلاق سراحه من القلعة وبقي في منصبه) معاوناً لشريف مكة^(٥) .

وسجل البوريني بعض علاقات الأمراء فيما بينهم ، منهم حاكم حيفا الأمير أحمد ابن طرباي وحاكم طرابلس الأمير يوسف ابن سيف ، الذي دخل في جوار حاكم حيفا بعد هزيمته من قبل الأمير

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٥ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢١٥ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٥ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٤ .

علي ابن جانبلاط والأمير فخر الدين المعني ، فكان ابن طرباي كريماً أميناً على ابن سيفا ورفض تسليمه إليهم^(١) ، وكان لابو يزيد ابن السلطان سليمان القانوني رسائل مع الشيخ منصور الدمشقي المعروف بخطيب السقيفة ، حيث سأله عن أمر السلطنة هل هو له فأجابه الشيخ منصور بالشعر ، وفيه إشارة الى ان ذلك مقدر وكل شخص محدد له رزقه^(٢) .

التصوف والكرامات والطرق الصوفية :

تتبع البوريني قضايا مجتمعه التي انتشرت كالتصوف والكرامات ، التي كانت موجودة ومعروفة قبل عصر البوريني ، فقد ورد أول ذكر لهم في أحداث سنة ٨٨٤ هـ / ١٤٧٩ م عند ابن طولون مثلاً أبي بكر الحريري المتصوف^(٣)، فقد عُرف ذلك العصر باهتمام الناس بأحوال العلماء من خلال (الأحوال الظاهرة والكمالات الباهرة) على حد وصف البوريني ، وزيارة الصالحين أحياءً وأمواتاً، وحضور مجالس الذكر فكانت تلك الامور السمة البارزة في المجتمع^(٤) ، وقد ورد أول ذكر لهم عند البوريني من خلال ترجمته لعدد منهم مثلاً أحمد بن سليمان الصوفي القادري (نسبة إلى السيد عبد القادر الجيلاني) ، فقد كانت له كرامات (عجيبة) ، إلا ان البوريني كان غير متأكد من صحتها ، فيقول : (يعلم الله تعالى حقيقتها)، في إشارة الى ان الذي يتداوله الناس من انتشار الكرامات قد لا يتحملة العقل ، وكانت لأحمد كلمات في التصوف يقول عنها البوريني : "....وكانت له كلمات في التصوف رائقة.....ولقد شاهدت له واقعة ربما تدل على كرامة...." وكان له مُريد اسمه ناصر بن عبدان وكان (وضيعاً) ، ولما أختص بخدمة شيخه رُفِع مقامه ، إلا انه طغى على الناس فنصحته شيخه وخاف عليه بعد موته ، وفعلاً بعد موت شيخه طغى وتغير حتى اضطرت السلطة من القبض عليه وصلبه يقول البوريني : ".. فخطر للناس ما حذر به شيخه في حال حياته ، بل أخبرني بعض الناس انه أخبره بهذه الواقعة على الصورة التي حصلت ، فدل ذلك على كرامة الشيخ^(٥) ، فعكس البوريني بذلك رؤية عصره فيما يخص الكرامات والمريدين إلا انه لا يجُزم بصحتها، ومنهم أيضاً الشيخ الصالح أحمد ابن الشيخ حسين الذي اشتهر بين الناس بالكرامات^(٦) ، كما ويُبدي البوريني موافقته على ذلك الأمر بقوله : (وقد تنتج ببركة السلف) وخاصة في مسائل معالجة الجن التي كانت شائعة في بلاد الشام في تلك الفترة^(٧)، أو بقوله: (وقبره

(١) انظر القصة كاملة ، نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٣٨ .

(٣) ابن طولون : مفاكهة، ص ٧ ، ٨ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٩ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٣٦ - ٣٩ .

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٤٠ .

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٤١ .

هناك معروف يزار ويتبرك به وحكى أهل زمانه كرامات عجيبة واحوالاً غريبة^(١) ، وسجل البوريني بعض اشارات حول تاليف بعض الكتب في التصوف ، منها كتاب اسمه (المحمدية في أحوال الفقراء السعدية) وكان مصدراً مكتوباً له في نقل معلومات حول أحد الصوفية المترجم لهم^(٢) ، وكان للمتصوفة مجالس يحضرها العلماء والمفتين ويتلهفون عليها ، ومنهم المفتي أحمد ابن قاسم المصري الشافعي كان يحضر مثل تلك المجالس من غير توقف^(٣) ، وقد شكل السيد عبد القادر الجيلاني قيمة روحية ، فحين اجتمع البوريني مع أحد الصوفية وهو توفيق أفندي قال عنه بانه عالم رباني منسوب الى بلدة السيد عبد القادر الجيلاني^(٤) ، ويصف البوريني اعتقاده بالأولياء من خلال وفاة ودفن القاضي أحمد أفندي بقوله : (ان الله يسر له الدفن في الأرض المقدسة ، وبالقرب من تربة هذا الولي الكبير سيدي نور الدين الشهيد رحمه الله تعالى.."^(٥) ، وكان بعض الصوفية من الأدباء والشعراء ، كأحمد العناياتي الشاعر والاديب الصوفي الذي كان يتعمم بالصوف الذي يقال له المنزر^(٦) ، وقد سجل البوريني في تراجمه بعض الكرامات حول أحد الصوفية وهو الشيخ عمر الحرستاني الذي رأى في منامه الشيخ أحمد العمادي الكردي الشافعي الذي أعطاه ديناراً من الذهب ولما استيقظ وجد الدينار بيده ، وطلب منه رجل ان يبيعه ذلك الدينار بثلاثة لغرض التبرك به فرفض الشيخ أحمد ، وكان له اهتمام بالتدريس ونفع الناس بدعائه^(٧) ، وذكر البوريني أيضاً معلومات في ذلك الصدد من خلال ترجمته لأحمد الجوهري ، بأنه كان صاحب : (كرامات وأحوال ومكاشفات صدرت منه قرب الانتقال وكان عاكفاً على العبادة والسبحة والسجادة وله كرامات وخوارق عادات تدل على أنه من أهل الولاية وأنه وصل إلى الكمال إلى النهاية)^(٨) ، وكانت لأحد الشيوخ وهو الشيخ جلال الدين الصفوري الشافعي مشيخة في بيته ، وكان يجلس على (سجاده التصوف فيها) على حد وصف البوريني ، أما زاويتهم في قرية صفورية فكان يجلس فيها أيضاً ويعض ويعلم الناس أمور دينهم ويفتي^(٩) في اشارة إلى اهتمام بعض الصوفية بأحوال الناس وحل مشاكلهم فلم يكونوا بعيدين عنهم ، وهناك أيضاً قصة سجلها البوريني نقلاً عن والده الذي أخبره أياها ، فقد كان والده محمد له اعتقاد بولاية وكرامة الشيخ جلال الدين الصفوري ، وهي ان

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧١ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٩٣ - ١٩٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١١١ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٩) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٩ .

والد البوريني ذهب مرة مع الشيخ جلال الدين الصفوري إلى كفر كنه^(١) ، للتوسط عند الأمير عمر ابن علاء الدين في رجل سجنه الأمير ، إلا أن الأمير رفض تلك الوساطة ، مما أغضب الشيخ جلال ، فبعد أيام قُتل الأمير كما قُتل شقيقه ناصر الدين ، واعتقد والد البوريني ان السبب في مقتلهم هو اغصابهم للشيخ جلال ، في اشارة الى قوة اعتقاد والد البوريني بقوله حين قتل الأمير : "...فبعد أيام قتل الأمير المذكور كما قُتل أخوه ناصر الدين ، على طبق ما ذكر الشيخ (جلال الدين الصفوري الشافعي) .."^(٢) ، كما ووردت ضمن ترجمة أحمد ابن رجب معلومات حول ذلك الفكر ، ذلك انه بعد رجوع أحمد إلى الشام قادماً من مكة لم يكن يملك شيئاً في الشام فتوجه بالدعاء ، ويصف البوريني توجهه بالدعاء بقوله : "..... فلم يزل يتوجه الى مولاه والى أوليائه الأحياء والأموات حتى سُهل له طريق الإقامة وحباه الله من فضله بالكرامة..." ، وقد حدد البوريني بعض الأمور لحصول الكرامات وهي من خلال التوجه بصدق إلى الله بقوله: "... وقد توجه بصدق الى باب الملك العلام"^(٣) ، ويعبر البوريني عن نظرة مجتمعه فيما يتعلق بالأولياء ، ودعائهم للناس ، ففي حديثه عن عائلة أبوالمواهب البكري المصري ، يقول البوريني : "... وهذا البيت بارك الله فيهم وذلك لمصادفة دعوة القطب الغوث لجدهم الشيخ أبي الحسن"^(٤) ، ومن الملاحظ على البوريني وبإعتباره أحد افراد المجتمع ، ان له ميل حول ذلك الفكر ، ففي حديثه عن أبو بكر الذباح الحنبلي يقول : "... أنه كان صاحب درجة كبيرة من الولاية ، شهدت له كرامة.." ، وذكر أكثر من قصة حول هذا الشيخ، كقصة الفأر الذي يأكل زيت السراج ، بعد أن حذر الشيخ ذلك الفأر أنه لو أعاد التخريب مرة أخرى سيهلكه الله ، ويقول البوريني واصفاً الأمر: (رأيتهم يخرجونها ميتة من بيته) ، وقصة دعاءه على وكيله في الامور الدنيوية وهو أبو بكر بن زيتون الذي كان يسرق من ماله كثيراً ، وهنا اشارة مهمة إذ كان بعض الصوفية أغنياء وغير منقطعين عن الدنيا بل لهم مصالح دنيوية ، وعندهم وكلاء يجمعون لهم الأموال^(٥) ، وترجم البوريني أيضاً لأحد الصوفية وهو أحمد المكفناتي الدمشقي الذي كان يعمل ببيع الكفن وكان : (محظوظاً من كلام الصوفية و اشاراتهم) ، وكان علماء دمشق يحبونه ويجلونهم (ويفرحون بكلامه)^(٦) ، ووردت معلومات في تراجمه حول ابوبكر السقاف الذي كانت له كرامات يقول عنه البوريني : "... صاحب كرامات

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٣٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢٥٨ .

(٥) للمزيد انظر القصة التي اوردها البوريني ، حول كرامه ابو بكر الذباح الحنبلي ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٥٩ .

... " (١) ، وكان أحد أصحاب البوريني صوفياً وهو أحمد الصامتي المقدسي الذي (روى الطريقة عن أبيه وجده) على حد وصف البوريني ، فهو ابن الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ موسى ابن الشيخ الصالح عبد المنعم الصامتي الانصاري الخزرجي المقدسي ، جاء إلى دمشق من بيت المقدس عدة مرات منها سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ، وقد رأى البوريني مع أحمد اجازة لبعضهم من حضرة السيد الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني على حد وصف البوريني ، ويصف ذلك بقوله : "... فرأيت اجازة عظيمة متوجة بحضرة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في أعلاها كتابته : أجزت الشيخ الصالح السعيد الفالح الشيخ عبد المنعم لما علمت من صلاح حاله ، وصدق أقواله ، وطهارة أفعاله وما نُسب الي في هذه الاجازة عندي مقبول ، والله تعالى هو المأمول . وأنا عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الحنبلي وفقه الله ووفق به ، وهدى الناس الى الخير بسببه . انه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو حسبي ونعم الوكيل) كما نقلها البوريني في تراجمه ، وفي بيت المقدس كان الناس يحكي عنهم أنهم أصحاب كرامات وخرق للعادات ، ولهم حقة ذكر في المسجد الاقصى (٢) ، ويصف البوريني الوجاهة التي وصل اليها بعض البيوتات ، بسبب دعاء الصالحين لهم كبيت أبي اللطف بقوله : "..... كأنهم أدركتهم دعوة وليّ كامل ، أو نظر قُطب صالح فاضل ... " (٣) ، وقد سجل البوريني معلومات أخرى حول الصوفية وبعض عاداتهم ومنها أنهم كانت لهم مقابر خاصة بهم (٤) ، وسجل البوريني معلومات حول بعضهم بانهم كانوا لا يتورعون عن اتهام احد ، فكان بعض الصوفية له علاقات غير حسنة مع بعض العلماء ومنهم أحد شيوخ البوريني وهو اسماعيل النابلسي ، حيث اتهموه بأنه أحب صبيياً وقد دافع البوريني عن شيخه وقال انها : (تهمة كاذبة) في اشارة الى ان بعض الصوفية قد كذبوا بهذا الشأن (٥) ، وكان للمتصوفة مشايخ ومن عاداتهم كانت عقد مجالس الذكر في دمشق (٦) ، وقد وصف البوريني نطق شيخه البدر الغزي ، بأنه كان ثقيل النطق إلا في القرآن الكريم ، وهو بذلك يرجعها إلى كرامة لكتاب الله عز وجل ، كما ويؤكد البوريني ان للبدر الغزي كرامات (٧) ، وكان بعض تلاميذ البوريني من الصوفية كتاج الدين القرعوني الشافعي ، ويلبس العمامة الصوف المسماة المنزر ، وكان لأهل دمشق فيه اعتقاد واحترام وكانوا يقبلون يده إذا مر في السوق (٨) ، ومن الصوفية اللذين تم ذكرهم في التراجم هو الولي الرفاعي حسن القطناني

(١) انظر القصة كاملة حسب ما اوردها البوريني ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٩٢ و ٢٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٩٤-١٩٥ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(٤) تقع في طرف الطريق على جانب الشمال للذهاب الى جهة المزة في مقابلة نهر باناس ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٨-٩٩ .

(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٣-١١٤ .

نسبة الى قطنا، وهو من بيت كبير في هذه القرية ومنهم الخلفاء والنقباء في سائر البلاد ، ولهم عند الناس اعتقاد على حد وصف البوريني^(١) وكان قليل الملابس والمأكل ومحترم من قبل الناس حتى انهم كانوا يقبلون يده ، ويطلبون منه الدعاء ، وكانت له كرامات كثيرة في دمشق^(٢) ، وقد أخبر أحد اصحاب البوريني وهو محمد بن العلم المقدسي الصوفي، انه رأى في المنام الولي حسن القطناني الرفاعي وأمره بتترك الدنيا والاشتغال بالآخره ففعل محمد بن العلم المقدسي ما أمره الولي الرفاعي ، وأن يكون نائباً على طريقته^(٣) ، وقد توفي الشيخ حسن الرفاعي القطناني في قرية قطنا سنة ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م ، وقد نظم البوريني تاريخ وفاته ببيت من الشعر وهو قوله : (مات قطب الشام واحزنا)^(٤) فيقول البوريني بانه حين حسب بيت الشعر بحساب الحروف ، تبين له نفس تاريخ الوفاة ، وبعد ذلك أكمل البيت وأضاف خمسة أبيات أخرى من الشعر تشير الى أخلاقه والتزامه الديني والى وفاته وكراماته ، ويصور البوريني نظرة عصره إلى الكرامات بقوله : "... فشرعت أحسب المصراع المذكور فإذا هو حساب مطابق لتاريخ وفاة الشيخ المذكور (حسن الرفاعي) ، كما ذكرناه ، وهذا من أعجب العجائب ، ومن أغرب الغرائب التي تحار لها الأبواب ..."^(٥) ، وكان بعض المجاذيب لهم مريدين ومنهم حسن المجذوب المكاشف ، حيث كان له مريدين ومنهم أحد الجنود القادمين من الروم وهو حسين ، ومن مريديه النساء ويصف البوريني ذلك بقوله : "... ووقع اهل دمشق عليه لا سيما النساء وقد كان يجتمع عنده منهن في الوقت الواحد ما يزيد على مئة امرأة ..."^(٦) ، وقد اعتبره البوريني أحد اولياء الله الصالحين بسبب ، علاجه بسرعة من ضربات السيف التي ضربه بها أحد المصريين بسبب اقبال النساء عليه ، فيقول البوريني : "... وكان ذلك دليلاً على كمال ولايته^(٧) ، وأشار البوريني أيضاً إلى شدة اعتقاد الناس بالصالحين فكان الحال يصل ببعضهم إلى تقطيع كفن أحدهم إذا اعتقدوا فيه أن له كرامة وصلاح^(٨) ، وكان الشيخ عبد اللطيف الحنبلي قد تمنى أن يرى أحد الصوفية في منامه وهو الشيخ الزاهد الفقيه عماد الدين أحد اعيان الصالحية ، وبالفعل رآه في منامه وأدشده الشعر يقول الشيخ عبد اللطيف : "... فجلست مرعوباً وكتبت الأبيات المذكورة ... " على حد وصف البوريني^(٩) .

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٨ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٨ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٨ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٩ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٦) للمزيد انظر ترجمة حسن المجذوب ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٢-١٦٤ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ١٦٤ .

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٣١ .

(٩) انظر ابیات الشعر التي اوردها البوريني . نفس المصدر، ج٢، ص ٣٥١-٣٥٢ .

ومما يلفت النظر في تراجم البوريني هو ان السلاطين والأمراء وبعض الموظفين كانوا يحبون الصوفية ، فكان السلطان مراد قد أصدر أمراً بفتح الابواب ليلاً أمام هذا الشريف في أي وقت يحضر يجلب فيه الطعام للسلطان ، وهو أمر جديد لم يسبق لأحد من السلاطين فعله لأنه خارج عن القانون على حد وصف البوريني ، لكن بسبب قرب هذا الشريف من السلطان تم ذلك، ويُبدى البوريني تعجبه من هذا التصرف بقوله : ".... واعجب من ذلك أن السلطان كان يأكل ما يرسل مع أنه من قسم المحال العادي عندهم"^(١) ، وكان السلطان مراد يحب المتصوفة ويقربهم إليه ومنهم الطبيب الصوفي تقي الدين بن شرف الدين الدمشقي الحنفي ، وهنا اشارة مهمة حول بعض الصوفية من اشتغل بتحصيل العلوم كالطب^(٢) ، وكان بعض الأمراء يحبون الصوفية أيضاً ، ومنهم أمير الأمراء أحمد باشا الذي بنى خانقاه في دمشق يقول عنها البوريني : (وتقع قبالة قلعة دمشق من جانبها القبلي ملاصقة لخندقها ، وجعل بها حجرات للصوفية ، وجعل لها وقفاً يطبخ منه الطعام كل ليلة بعد العصر طعام يأكله المجاورون بها وهي من محاسن دمشق) كما ويصف البوريني تلك الخانقاه بقوله : (وبها بركة عظيمة وبستان لطيف واقع في وسطها ، ودائماً يكون بها شيخ يتناول مباشرط للمشايخ من علوفة وطعام وعوائد وفوائد)^(٣) ، كما ولم يعارض الوزير أحمد باشا الحافظ ، طلب أحد خدمه ويسمى الشاطر شاهين لما اراد ترك خدمته ويسلك طريق الفقراء (التصوف) على حد وصف البوريني ، بل وأمر الوزير وكيله ان يخطط لاشاهين ملابس التصوف وهي الخرقة الطويلة من الصوف ، و اراد ان يسلك طريق جلال الدين الرومي^(٤) ، ومنهم والد المفتي أبو السعود أفندي ، حيث كان شيخاً صوفياً وعالمأ ، ومعلماً للسلطان أبي يزيد ابن السلطان محمد الافاتح ، في اشارة واضحة الى قرب بعضهم من السلطة^(٥) ، وأيضاً الشريف الحسيني ميرزا مخدوم يقول عنه البوريني : " .. وكان رحمه الله غير خال من جذبة ، ولذلك كانت تصدر عنه أفكار عجيبة خارجة عن حد الاعتدال ، ومع ذلك كان أرباب الدولة ، يتلقونها بالقبول .."^(٦) ، وكان أيضاً للوزير الأعظم سنان باشا اعتقاد بالصوفية^(٧) ، وسجل البوريني معلومات حول الأمير يوسف ابن سيفا الذي كان يحب الصوفية كعبد النافع الحمصي ، وكان ابن سيفا يرسل له المال ، ويصف البوريني عبد النافع الحمصي بأنه (متصوف جاهل) إلا ان الأمير يوسف ابن سيفا كان يوده^(٨) ، وبعض الموظفين من كانت له ملازمة للصوفية، فبعد ان عزل رئيس أرباب الدفاتر المسؤول عن خزينة الدولة وهو

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٥.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٩.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٤١.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٩.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٤-٥٥.

(٧) للمزيد انظر القصة في شرب ماء الشعير المسموم ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٤.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤١.

ابراهيم الشهير بحاجي ابراهيم باشا ذهب إلى محمود الاسكداري وأخذ منه العهد يقول البوريني :
 " ... ولبس منه خرقة التصوف)، وكان لا ينفذ أمراً للسلطان من دون موافقة شيخه الصوفي ومنه
 مثلاً الأمر السلطاني الخاص بضبط الأموال في حلب ، فلما وافق الشيخ الاسكداري يقول البوريني:
 ".... فأشار عليه بقبول قول ولي الأمر .."^(١) في اشارة مهمة الى قوة بعضهم وتدخلم في شؤون
 الدولة ، وتأثيرهم على بعض الموظفين في الوظائف المهمة كالدفتار دار ، ومنهم أيضاً الجاويش
 الذي كانت لديه خدمة للسلطنة ، فرأى في المنام والد حسن باشا الوزير الأعظم يوصيه بأن يخبر
 رجال الدولة أن يعتنوا بحسن ابنه ، خاصة وان حسن الوزير الأعظم قد حصلت بينه وبين السردار
 فرهاد باشا مشاكل أدت إلى فراره الى القسطنطينية ، فأخبر الجاويش رجال الدولة بذلك الرؤية
 واعتبروها من الكرامات ، كون موضوع صراعه مع السردار لم يسمع بها أحد حتى السلطان مراد
 لم يعلم بالأمر^(٢) .

الطرق الصوفية :

أورد البوريني في تراجمه بعض جوانب عن الكيفية التي يتم فيها اعتناق التصوف وكان
 حريصاً على ذكرها في اشارة الى قربه منهم واطلاعه على عاداتهم ، منها أن الشيخ كان يجلس
 بين يديه من يريد الانابة ويقص له خصلة من شعر رأسه ويقول له : "أعاهدك عهد الله تعالى على
 أن تكون فقير الشيخ سعد الدين ، قدس الله روحه ، على الدين والتقوى والاخائن يخونه الله تعالى ،
 فيقول المرید : نعم . ثم إن المرید يتواجد . وقد يقع على الأرض بعد التواجد كالخشبة . فيأتي اليه
 نقيباً يقولان له : قم على بركات الشيخ سعد الدين قدس الله روحه ... " وشريطة ان يكون فقيراً
 وكانت هذه الطريقة شائعة في بلاد الشام كما هو واضح من تراجم البوريني^(٣) ، ومنها أيضاً أن
 الشيخ يقول البوريني : ان الشيخ كان (يخط خطوطاً في ورقة لا يعلم منها حروف في الظاهر ،
 ويدفعها للمريض فيأخذها معتقداً ، ويأمره الشيخ بالحمية . وقد يقص له الورقة على مقادير صغيرة
 ويأمره بأن يشرب كل يوم واحدة . وفي الغالب تنتج أوراقه ببركة السلف.... " ، وهذه الامور كلها
 يقول عنها البوريني : "...وحاصل الامر أن طريقتهم شائعة في بلاد الشام..."^(٤) ، وفي ترجمته
 لاحد الصوفية و هو الشيخ حسن القطناني ، يقول عنه البوريني : "... تتنقل عنهم أحوال عجيبة

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٢٠.

(٢) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٤١.

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٤١.

موجبة لغاية الاعتقاد .." وطريقته هي ترك الدنيا والانابة من شيخ الطريقة^(١) ، بل وحتى البوريني يعتقد ان له كرامات فيقول : " .. واتفق له في ذلك كرامة عجيبة^(٢) .

ومن الطرق الصوفية الأخرى التي سجلها البوريني هي العلوانية (بشكوى الخواطر من المرید والجواب عنها من الشيخ) على حد وصف البوريني ، وان الشخص ينزل من مكان مر موق ويتركه ويأخذ بالتصوف ويكون القياس على ذلك انه ذا همة عالية ومحبيب ومرغوب فيه عند الشيخ ، بسبب تركه المذات والمناصب ، فمثلاً ما أورده البوريني في ترجمة أحمد ابن الأكرم وكيف أن والده أخذ التصوف بطريق العلوانية إذ أقبل على ترك أربعون مملوكاً وترك الفضة والزعامة وخدمة السلطنة واعتنق التصوف^(٣) ، وكانت للصوفية ملابس خاصة يُعرفون بها ، إلا ان البوريني لم يذكرها صراحة ، وكان المأزر من الصوف هو اللباس المعروف عندهم^(٤) ، كما وأشار البوريني في تراجمه الى الطريقة الاويسية ، نسبة الى صاحبها الشيخ أويس الرومي وكان عالماً وله أتباع ومريدين ، أما معتقدتهم فهو أن الولي حين يموت ينقطع مدده وكراماته ، إلا أنه يأتي بالجسد المثالي حسب قول الصوفية على حد قول البوريني واستشهد البوريني بحديث للذبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : " فقد قال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد إذنته بالمحاربة .."^(٥) . وخلاصة القول ان التصوف كان منتشرأ في بلاد الشام ، ولم يقتصر على فئة معينة من الناس ، فقد كان لبعض السلاطين والأمراء وبعض الموظفين اهتمام بالصوفية ، ولم يكن الصوفية كلهم بعيدين عن الدنيا ، فكان بعضهم له اهتمام بالناس وحل مشاكلهم ، وبعضهم لهم مصالح وكلاء يجمعون أموالهم ، والبعض كان له اهتمام بتحصيل العلوم كالطب والأدب ، والبعض الآخر انقطع عن الدنيا وترك كل ما يتعلق بها ، ومن خلال التراجم تتوضح فكرة ان الطرق الصوفية كانت متعددة منها الطريقة القادرية ، والطريقة الرفاعية ، والطريقة السعدية ، والطريقة الاويسية ، وكل من هذه الطرق لها أصحاب ومريدين .

الملابس والعادات ، والأطعمة والمشروبات :

الملابس :

سجل البوريني بعض ملابس المجتمع التي اشتهرت والتي كان يرتديها العامة والخاصة ، كالبس القبقاب^(٦) ، فكان أحمد الضرير المؤذن الحافظ بدمشق يلبس القبقاب العالي ، ووصف البوريني أحمد الجوهرى بأنه كان (ظريف اللبسة لطيف العمامة) ، وكان لبس العمامة بالنسبة لامام الجامع

(١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣٨-١٣٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٥٤-٥٥ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٣ .

الاموي هي الميزة الواضحة من خلال التراجم فكان الحسين بن عبد النبي يرتدي العمامة ، وقد انتقد البوريني لبسه العمامة الكبيرة ومشيته في الشارع على الرغم من صغر سنه ، ويصف البوريني كبرها بانها مثل قبة جيرون فيقول : "...غير أنه مع حداثة سنه يلبس عمامة توازن قبة جيرون كبراً ويتصنع في مشيته" (١) ، وكان يستخدم القواعد النحوية في كلامه خاصة المد في الكلام (٢) ، وفي حديث البوريني عن الأديب درويش محمد ابن طالوا وصف لبسه للعمامة بقوله منتقداً ذلك : "...ووضع على رأسه قبة تنازع قبة الذنر كبراً .." (٣) ، فكانت الملابس تشد النظر اليها ويهتم المجتمع بها (٤) ، وكان لبس القميص شائعاً في تلك الفترة (٥) ، وقد سجل البوريني بعض الاشارات بأن بعض الوزراء كان لا يتكلف بار تداء الملابس الفاخره ، وكانت ملابسهم بسيطة ، فمثلاً الوزير حسن باشا يقول البوريني : (لا يتكلف في لبس الثياب) (٦) ، وكانت بعض الملابس التي يرتديها موالى الروم وخاصة قضاتهم تُلبس على طريقة موالى العرب كلبس الفرجية ، بالأكمام الكبيرة الطويلة (٧) ، فكان حسن بك والد أحمد أفندي يقلد العرب في لبستهم وهم من القضاة من خلال لبسه الفرجية بالأكمام الطويلة (٨) ، وكان لبس العمامة البيضاء مشهوراً أيضاً ، فكان بعضهم يعدها من الزينة ومنهم الصوفية إذ كانوا حين يريدون السير على طريق التصوف فأنهم يغيرون هذه العمامة بواحدة أخرى من الصوف المسمى (المنزر) وهي عمامة من الصوف لبسها العديد من الصوفية كأحمد ابن الاكرم ، وقد وصف البوريني هيئته في لبسه لها بانه كان يترك شعر رأسه " وربى له نوائب من الشعر الابيض وكانت بارزة من جانبي رأسه وكان ذلك من صلاحه " على حد وصف البوريني ، ولبسها أحمد العناياتي الشاعر والأديب والرحالة (٩) ، وكان بعض الحكام يهتمون بمظاهرهم وملابسهم ويرتدون أفخر الملابس ، وفي سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م حين دخل الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني إلى دمشق بموكب عظيم كان يلبس " أطلس فروة سمور (١٠) عظيمة القيمة ، وأمامه سبعة جنب عليها سروج من الذهب المرصع بالجواهر النفيسة ... " (١١) في اشارة الى ان الفروة السمور كانت من الملابس الفاخرة ولا يرتديها إلا من كانت له علاقة بالسلطة أو ذا شأن ،

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١٧٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٧٨ .

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٩) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٥٩ - ص ٨٥ .

(١٠) السمور : حيوان من بلاد الروس يشبه النمس ، ومنه أسود لامع وأشقر ، وتسوى من جلوده فراء غالية الاثمان ، انظر الصباغ : ليلى ، من أعلام الفكر العربي ، محمد الامين المحبي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٩٩ ، وسيشار له لاحقاً الصباغ : من أعلام الفكر .

(١١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٢١٦ ، ص ٢٤٠ .

ومنها مثلاً السمور الذي أعطاه السلطان للمفتي أبي السعود أفندي^(١) ، وكانت للوزير أحمد باشا الحافظ علاقة حسنة بالعلماء ، وكان يحبهم ويحبونه ، وكان لطيفاً على الجند ويمنحهم المكافآت ويلعب معهم بعض الألعاب كلعبة الخيل وضرب الجريدة ، وكان يخرج بنفسه لاستقبال الحجيج ومعه القاضي محمد الشهير بابن السيد برهان الدين الحسيني ، وكان يلبس العمامة الخضراء لاستقبال الحجيج ومعه العسكر بالزينة اللطيفة (العظيمة) على حد وصف البوريني ، وكان الوزير يلبس الأبيض الاطلس بالفروة السمور ، ومن خلفه كان الحماية معه يقدر عددهم تقريباً أربعون خاصكياً وصفهم البوريني بقوله : "... أربعين خاصكياً ما بين من طر شاربه ومن هو أمرد لا نبات بعارضيه ، والكل بالرماح والأتراس المرصعة ، والتراكيش الى غير ذلك من انواع الزينة" ، وكان حينها أمير الحج فروخ بك أمير لواء نابلس ، في اشارة واضحة الى ان المجتمع كان يهتم بالمظاهر كثيراً والملابس ، فقد وصف البوريني أحدهم بانه ذو وجه حسن ، بقوله : "... وكان حسن الشكل جداً ولا نبات بعارضيه .." ، وقد أورد البوريني معلومات من مصدر لم يصرح باسمه ولكنه ثقة من وجهة نظره ، بان بعض الأمراء كان يلبس في القتال عباءة^(٢) ، وكانت الجوخة الحمراء ومعها السمور من الملابس الفاخرة فقد ألبسها عبد الحلیم اليازجي قائد السكبانية للسرदार عثمان باشا المعين لقتاله والذي وقع اسيراً بيد السكبان ، وبسبب شدة البرد لبس تلك الجوخة الحمراء ومعها السمور في اشارة الى أخلاق عبد الحلیم اليازجي مع أعدائه^(٣) ، وكان مشهوراً لبس الذهب والفضة ، والشاشات الهندية ، واقتناء التحف الرومية ، والمكمخات الفرنجية ، وكل هذه الزينة كانت قد وجدت في مدينة آمد معقل حسن أخو عبد الحلیم اليازجي مؤسس السكبانية^(٤) ، وكانت بعض الملابس غير مرغوبة عند السلاطين فحين أرسل السلطان سليمان أحد اتباعه الى بلاد فارس كي يقتل ابنه ابي زيد كعادتهم بقتل ابنائهم وأحفادهم ، سئل أحد من ذوي الجريمة عن لباس ابنه المقتول ، فقال له ان لباسه كان الصوف الفستقي وتحته المثقالي الأزرق ، فكان هذا اللباس من وجه نظر السلطان سليمان غير لائق بالسلاطين ولا بأولادهم فقال موجهاً كلامه إلى طهماسب شاه : "... اما كان يوجد عنده ثوب مذهب يلبسه لولدي ..."^(٥) في اشارة غير أخلاقية بان السلطان سليمان كلف جماعة بقتل ابنه ومعه أولاده وفي ذات الوقت كان يرغب بان يلبسه أفخر الثياب .

(١) البوريني : تراجم الأعيان، ج ١، ص ٢١٦، ص ٢٤٠.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٠٩.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٥٣.

(٤) للمزيد انظر نفس المصدر، ج ١، ص ٢٢٧.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٣٧.

وكان مفتي المالكية بدمشق أبو الفتح التونسي الأصل يلبس عمامة سوداء لما جاء الى صالحية دمشق وصار خادماً لمزار الشيخ محي الدين ابن عربي ، وبعدها تغيرت أحواله وسكن دمشق وصار قاضياً ، بالمحكمة الكبرى^(١) ، كما ووصف البوريني ملابس مفتي الحنفية بحلب أبي الجود البتروني ، وكان وصفه له عبارة عن أنتقاد له، فقد تكبر أبي الجود على أبناء جلدته وداهن قضاة السوء ، يقول البوريني: "...أما العمامة فتنازع القبة كبراً ، وأما الاكمام فانها تكنس في الطريق ما تمر عليه ، وإذا مر في طريق رفع يديه من الجهتين ويستمر رافعاً لهما كل ذلك لتقبيل العوام لهما ..."^(٢) ، وكانت العمامة من الملابس الضرورية في تلك الفترة^(٣) ، والزنار أيضاً من الملابس التي أشار إليها أحد أصحاب البوريني وهو ابو الطيب الغزي الشافعي ابن البدر الغزي الشافعي^(٤) ، والحياسة من الذهب ، والطاقيّة من الذهب إذ كانت من ملابس الجاشنكير وهو (كبير متذوق طعام السلطان) على حد وصف البوريني ، ومنهم ابراهيم أغا جاشنكير^(٥) ، ووصف البوريني ملابس شيخه اسماعيل النابلسي ومماليكه (المماليك الحسان) ، والعبيد الحبش الذين معه بان ثيابهم كانت فاخرة رومية على قانون قضاة الروم، وكان شيخهم اسماعيل النابلسي يلبس الفراء السمور والشق والسنباج ويركب البغال السمان^(٦) ، وأما البدر الغزي فحين ختم كتابه (فتح المغلق ، في تحرير الخلاف المطلق) ، عقد مجلس في مشهد المديي^(٧) ، وحضره عدد من الشيوخ^(٨) ، وكان يلبس عمامة سبكية جميلة وقد أرخى لها يقول البوريني : "...عذبة صغيرة احترازاً عن الامتعاط المكروه، وعليه صوف عظيم فستقي .."^(٩) ، وتاج الدين القرعوني الشافعي أحد تلاميذ البوريني وخطيب جامع السقيفة^(١٠) خارج باب توما ، كان يلبس العمامة الصوف المسماة بالمنزر وفق مفهوم أهل دمشق ، لانه كان من الصوفية^(١١) ، وكان لبس الثياب القطنية البيضاء والعمامة من الصوف (المنزر) من الامور الشائعة في بلاد الشام ، فقد كانت من لبس المتصوفة و عاداتهم كلبس الشيخ جلال الدين الصفوري الشافعي لهذه الثياب^(١٢) ، ومن الملابس التي لها شهرة وتعطى كهديّة

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٤٩.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٠.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٨.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧٠.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٣٢٩.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٦٨.

(٧) هو مشهد الإمام زين العابدين عليه السلام في الجامع الاموي بدمشق ، نفس المصدر، ج٢، ص ٩٥ ، ٩٦.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٦.

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٦.

(١٠) في محلة السيد ارسلان في دمشق وهو خارج باب توما ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٣.

(١١) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٣.

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٩.

منها (الثوب الموصل الرقيق) على حد وصف البوريني والذي أهداه اليه مفتي حلب الشافعي الشيخ عمر العرضي، وقد فرح البوريني بذلك الثوب^(١).

العادات:

سجل البوريني بعض عادات كانت مستخدمة في تلك الفترة منها مثلاً استخدام زجاجة الرمل لمعرفة الوقت^(٢)، وكانت من عادات بعض الأمراء في زمن السلطان سليمان حمل الشاهين في الصيد^(٣)، وكانت عادة بعض الأشراف الاهتمام والتفاخر بالنسب الشريف، فكان السيد أشرف الملقب بميرزا مخدوم الشريف الحسيني بعد ان تولى قضاء مكة وصار فيما بعد قاضياً في العسكر في ولاية انطولي، ثم ولاية روم إيلي، كان يكتب نسبه الشريف في قطعة قماش ويذكر نسبه إلى أن يصل بالنسب الشريف إلى أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) ويضعها في عمامته، وكان كريماً خالياً من الخداع والتحايل^(٤)، وتاج الدين القطان الدموي الشافعي كان من عادته مشاهدة تنفيذ حكم الاعدام بالمجرمين للعبرة والعظة، وكذلك لعب الشطرنج في دكاكين باب الجابية، وكان لا يغطي رأسه عند اللعب ويضع العمامة على جنب إلى مغيب الشمس في أكثر الاوقات^(٥)، ولم تكن هذه اللعبة مقتصرة على المناطق الحضرية، فكانت خيم أمراء العشائر في الصحراء تشهد لعبة الشطرنج ومنهم الأمير شديد ابن الامير أحمد أمير آل حيار وخيمته في صحارى حلب كان يلعب الشطرنج مع أقاربه^(٦)، وسجل البوريني اشارات تفيد بان بعض التركمان كانوا لا يحبون الأبهة والمظاهر خاصة في لبسهم ومعيشتهم، ومنهم الشيخ أدهم التركماني العكاري^(٧) الحنفي معلم الوزير الاعظم سنان باشا، يقول البوريني ".. وكان الشيخ أدهم هذا صالحاً غير متكلف في لبسه ومعيشته، على أسلوب التركمان"^(٨)، ومن العادات التي سجلها البوريني هي منح الكسوة السلطانية، وهي من لباس الموظفين المعيّنين من قبل السلطان، ولكن هذا الموظف إذا ما أخل بوظيفته وطغى فإنه يتم خلع الكسوة منه ويلبسونه لامية سوداء على رأسه من الشعر وهي دليل على الذل والاهانة، فمثلاً ما حصل لمحمود البواب الذي طغى في التفتيش عن اموال السلطنة، فتمت عقوبته بخلعه الكسوة السلطانية، والبسوه لامية سوداء^(٩)، ومن العادات الشائعة التي سجلها البوريني هي لبس السواد في الحزن كموت سلطان أو غيرها ومعها منزر من

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٧.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٩، ص ٢٧٠.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٩١.

(٤) البوريني: تراجم الأعيان، ج٢، ص ٥٦.

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ١١٢.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٣٩.

(٧) عكار من توابع لبنان اليوم، نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٣.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(٩) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٤.

الصوف على الرأس ، يقول البوريني بانها كانت من عادات آل عثمان عند موت أحدهم^(١) ، كما لبس السردار عثمان باشا السواد بعد أن علم أن السلطة مصررة على قتل عبد الحلیم اليازجي مؤسس السكبانية ، الذي سبق واعتقله اليازجي إلا أنه أكرمه ولم يذله ، فحزن السردار عليه ولبس السواد^(٢) ، وكان لبس (البازي عليه سواد) من الألبسة التي أشتهرت في مناسبات حزينة، أو في شدايد الامور على حد وصف البوريني^(٣) ، وسجل البوريني بعض العادات الخاصة بالنزه في أوقات محددة كزمن زهر التفاح ، حيث كان العلماء يخرجون للفسحة في البستان ويقرأون الشعر ويتدارسون العلوم يقول البوريني : " .. فكان النسيم يهب وينشر الزهر كأنه لؤلؤ قد انتثر...."^(٤) ، وكان من عادات بعض الأمراء التي اشار اليها البوريني بان السردار عثمان باشا المعين لقتال اليازجي في الجبال من قبل السردار حسن باشا ، كان لا يغسل يديه بعد الطعام إلا في " ...أباريق من الفضة .." على حد وصف البوريني^(٥) على الرغم من وقوع السردار عثمان بالأسر عند عبد الحلیم اليازجي ، إلا ان الأخير كان كريماً معه^(٦) في اشارة الى ان بعض الأمراء كان من عاداتهم ان يكرم بعضهم البعض . ومما يلفت النظر ان البوريني كان حريصاً على تسجيل انتقاده على بعض العادات عند العلماء ، منهم العالم أبو سعيد التبريزي الذي كان حينما يسلم على الناس ويصافحهم بيده يقوم على غسل يده بعد المصافحة^(٧) فعد ذلك البوريني حسب قوله : " ... الوسوسة .." ، وانتقد البوريني غضب أحمد الكردي العمادي على تلميذه أبو بكر العمادي يقول البوريني : " .. وهذه سنة في المشايخ إذا غضبوا على الطلبة ، فإن ذلك والعياذ بالله تعالى سبب لفوات ما أراده أحدهم وطلبه .."^(٨) ، وانتقد البوريني تصرفات بعض المدرسين ومنهم ابراهيم الدمشقي بأن لسانه كان لا ينزل منه الناس لكن من باب النصيحة وليس الغيبة ، كما وانتقد البوريني عادة بعض الناس في وصف أحدهم بالسفه (سفيهاً) إذا كان كريماً جداً (كرم زائد)^(٩) على حد وصفهم .

الأطعمة والمشروبات :

من الواضح للدارس في كتاب تراجم الأعيان للبوريني أن مؤلفه كان حريصاً على تسجيل معلومات مهمة اجتماعية تكاد تكون مفقودة في مصدر آخر ، ومنها ما يخص بعض الأطعمة والمشروبات المشهورة في المجتمع ، فكان أكل الحمص المتبل شائعاً عند أهل الشام خاصة إذا بات

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٢٢٤ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٤ .

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٠١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٧٠ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥١ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٥٠-١٥١ .

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧٤ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٩٥ .

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٣٠١-٣١١ .

يقول البوريني : (يحبونه إذ بات)^(١) ، وأكل السمك المقلي^(٢) ، والتفاح والبيض^(٣) ، والعنب الزيني وكان له موسم خاص يقول عنه البوريني : (زمن العنب الزيني) ، وهو وقت كان التلاميذ لا يحضرون إلى الدرس^(٤) ، وكان العلماء أيضاً يذهبون للنزهة وأكل العنب الزيني، ومعه الخبز الكماج ومعه قريشة^(٥) ، وكان البرش من المشروبات الشائعة وكان البوريني نفسه يتناول^(٦) وهو تركيب مشهور أكله أو شربه يؤدي الى ضيق ويؤثر على التفكير ، وقد وصفه البوريني بان من يدمن على أكله لا يستطيع تركه ، وكان البرش مشهوراً أيضاً على مستوى بلاد فارس فقد أكل منه الأشاه اسماعيل^(٧) ، ومن المشروبات الأخرى الشائعة هو شرب القهوة والتي كانت تثير بعض المشاكل بين المفتين ، فمنهم من كان يجوز شربها ومنهم من هو عكس ذلك ، فكان أحمد العناياتي الشاعر والأديب الصوفي كل صباح بعد الصلاة يسير إلى بيت من بيوت القهوة ، وكان الشعراء يقولون الشعر الخاص بحياتهم اليومية ومنهم من كان يحرض على شربها^(٨) في اشارة مهمة إلى المشاكل التي كانت تثيرها قضية شرب القهوة في تلك الفترة، ويصف البوريني تلك المشاكل من خلال حديثه عن أبو الفتح المالكي المفتي الذي دخل في نقاش لمدة طويلة أدى إلى حصول خلاف بينه وبين المفتي يونس العيثاوي الشافعي، يقول البوريني " ... وله (أي أبو الفتح المالكي) في القهوة البنية مواقف ومشاهد وذلك مع شيخ الاسلام يونس العيثاوي الشافعي ، فإنه كان يرى تحريمها (يونس العيثاوي الشافعي) . وكان الشيخ ابو الفتح يكاد يرى وجوبها ، فحصل شقاق"^(٩) ، وكان شائعاً شربها في الفطور صباحاً ، ويبدو من تراجم البوريني اهتمامه بذكر مادة البهار التي كانت مهمة من خلال تعيين بعض الأعيان الأغنياء في هذه الوظيفة (أمانة البهار) كأحمد العجمي في زمن الوزير مراد باشا و محمد باشا الوزير الاصفهاني ، وكذلك العنبر ، في إشارة الى كونها مطلوبة في السوق وتجاريتها رائجة^(١٠) ، ومن الفواكه التي كانت شائعة البطيخ ، فكان بعض الأشراف يتعاطون بيده و شراؤه^(١١) كونه مطلوباً عند الشاميين ، وسجل البوريني أسماء مجموعة من الحبوب الضرورية الشائعة في تلك الفترة ، كالشعير ، والكشك ، والبرغل ،

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١٤ ، ٣٤ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ١٨ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٥٨ ، ٨٥ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٦٣ .

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٠٤ .

(٦) البرش : عرفه الخفاجي ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م ، في كتابه ربحانة الألبا بأنه اسم معجون معروف ، واصله بَرَشَعْنَا ، ومعناه براء ساعة باليونانية فَعْرَب ، وهو تركيب مخدر كالأفيون ، وهو صورة مصغرة عنه ، وهو خلاصة عشب يسميه العرب (البرش) ، انظر الصباغ : من اعلام الفكر ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٧٤ ، ج٢، ص ٥٨ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٩٣ ، ١٢٣ ، ١٨٢ .

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٢٥٣ .

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ١٣٣-١٣٤ ، ١٥٥ .

(١١) نفس المصدر، ج١، ص ٢١٧ .

والطحين ، وكذلك التين لعلف الحيوانات^(١) ، وكان السكر والبن من المواد المهمة ، حتى انها كانت تدخل ضمن معاهدات السلام ، مثلاً ما حصل بين علي ابن جانبلاط وأهل دمشق ، حين وافق علي ابن جانبلاط على ترك دمشق ، فطلب منهم مبلغاً قدره (١٢٠.٠٠٠) الف دينار ١٠٠ الف هذه صافية و ٢٠ ألف أراد من أهل دمشق تجهيزه بالسكر والبن^(٢) ، وأشار البوريني إلى مشروبات أخرى كانت شائعة كشراب مادة الأفيون^(٣) ، فقد كان يتناوله أحد شيوخ البوريني وهو العماد الحنفي ، وقد برر البوريني لشيخه شرب هذه المادة، بقوله : "... لاجل ما نقل من منافعه عن أستاذ الحكماء أفلاطون .."^(٤) ، وشرب الشعير المحلى بالسكر^(٥) ، وشراب (العنبر اللطيف)^(٦) ، وشرب الخمر ، وقد أبدى البوريني رفضه الصريح لهذا الشراب ووصفه بقوله : "... أم الخبائث .."^(٧) ، وشرب الخمر المعتق ، فقد كان حسين جلبي كاتب العسكر بدمشق يخزن منه في بيته بأطراف دمشق^(٨) .

القيم والأخلاق ورصد التجاوزات في السلوك العام :

مثلاً كانت تراجم البوريني قادرة على تقديم صورة عن بعض الملابس والعادات ، والطعام والشراب فأنها قادرة أيضاً وبشكل لافت للنظر تقديم صورة عن بعض قيم ذلك العصر ، مع وجود بعض الأخلاق السيئة هنا وهناك ، إلا انها لا تمثل صورة عامة للمجتمع ، فكانت القيم الحميدة شائعة ومنتشرة في بلاد الشام ، وكان مقياس الأخلاق كما هو واضح عند البوريني هي الدين والورع والزهد والتقشف في العبادة وسلوك طريق السلف ، والكرم والجود والسخاء^(٩) ، والحق والصدق^(١٠) ، والوعد والإيفاء به كان من القيم التي اهتم بها المجتمع^(١١) ، والاعتذار والخجل^(١٢) ، والحلم والكرم واللطف والسلم والإعفاء عن الظالم والبعد عن المظالم والعفو^(١٣) ومما يلفت النظر مسألة مهمة في قيم ذلك العصر هي مدبة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) وذكر فظائله^(١٤) ، ومدبة آل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والتابعين ،

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٢٧٦ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٣١ .

(٣) الأفيون : عصاره لبنية تستخرج من نبات الخشخاش ، يستعملها المدمنون للتخدير ، انظر الصباغ : من أعلام الفكر ، ص ٢٠٢ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ١١٨-١١٩ .

(٥) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٣٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٤٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٤٢ .

(٨) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٢٨٠ .

(٩) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٤ ، ج٢ ، ص ٨٠ .

(١٠) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٥ .

(١١) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٩ .

(١٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢١ .

(١٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٤ .

(١٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٦٨ .

والاهتمام بمنازل الحج وتنظيم الشعر فيه^(١)، ومن خلال قصائد ابن أبي الحديد في محبة آل البيت (عليهم السلام) فقد اعتبرت قصائده قاعة سار عليها الأدباء ، ومنهم درويش الطالوي فقد نظم القصائد في حب آل بيت النبوة عليهم السلام وقد اشتهرت كونها معروفة ومكتوبة في تلك الفترة^(٢) ، ومن القيم المهمة في ذلك العصر التي أشار إليها البوريني ، ان من يبغض الامام علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) ، يُعد منحرف الاعتقاد ، ويبعد صاحبه عن جادة الصواب^(٣) ، والاهتمام والتفاخر بالنسب الشريف ، فكان السيد أشرف الملقب بميرزا مخدوم يكتب نسبه الشريف في قطعة قماش ويذكر نسبه إلى أن يصل بالنسب الشريف الى أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) ويضعها في عمامته ، وكان كريماً خالياً من الخداع والتحايل^(٤) ، ومنهم الدفتري محمد أمين افندي الجعفري الطياري ، الذي كان قد ساند البوريني وشد على ساعده في تاليف كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان^(٥)، اضافة الى قيمة العبادة فقد كانت مهمة وكان البوريني يصف عبادة أحدهم بذي الذنون^(٦) ، ومن القيم الدعاء وصلاة الاستسقاء ، فحين حصل القحط بسبب قلة المطر في ديار الروم ، قام الأشراف بالاستسقاء يقودهم نقيب الأشراف في الباب العالي وهو أشرف الملقب بميرزا مخدوم الشافعي ، الذي خرج حافياً في شوارع القسطنطينية ومع الأشراف وهم يذكرون الله (بلحن على نغمات) ، يذكر البوريني انه لم يرجع إلى مكانه الا والماء قد غمرهم^(٧)، لقد اهتم البورين بتسجيل أحداث مجتمعه والقيم السائدة فيه ، فحين توفي أحدهم وصف البوريني جنازته بانها كانت في غاية الوجاهة والعظمة^(٨) في اشارة الى اهتمام المجتمع بتلك القيم .

ومن القيم الأخرى التي وردت في تراجمه كاللطف والمودة والرحمة بين العلماء^(٩) ، والدين والصلاح والكرم والفلاح يقول البوريني : (في الكرم حاتم زمانه ..)^(١٠) وقد وردت أكثر من اشارة حول كرم (حاتم الطائي) ، ووفاء العهد فقد كانت من الامور التي لا يعادلها أي مبلغ من المال^(١١) ومنها وصف البوريني لكرم الشيخ محمد الجباوي بأن كرمه يشبه كرم حاتم فيقول : "... ولعمري كان حاتم زمانه ... يعطي ولا يبطي .."^(١٢)، ومن القيم المهمة التي اشار إليها البوريني هي العدالة

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ١١-١٢ .

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢١٣-٢١٤ .

(٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣٢٩ .

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٦ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٥ ، وانظر الشعر الذي نظمه درويش الطالوي ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٢١ .

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٤٩ .

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٥٣-٥٤ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ٢٦ ، ٣١ ، ١١٦ .

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٣٠ ، ٣٥ .

(١٠) نفس المصدر، ج١، ص ٤٠ .

(١١) نفس المصدر، ج١، ص ٣١١-٣٢٩، ٣١٢ .

(١٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٦ .

، فكان يضرب المثل بعدالة أحدهم بعمر ابن عبد العزيز^(١) وبالزهد بالحسن البصري الذي كان قيمة في المجتمع ويضرب به المثل من خلال تقليل اللباس و عدم التكلف فيه ، والبعد عن الناس وأكثر العبادة والسجود^(٢) ، وبالعلم والعمل بالسعد التفنازاني وبالشريف الجر جاني الذين كان في غاية (العلم والعمل)^(٣) ، وكان الأستاذ شهاد بأشعار سفيان الثوري شائعاً في الزهد والتدين^(٤) ، إضافة الى السكون والحلم والعبادة والعلم وتلاوة القرآن كلها قيم انتشرت في تلك الفترة^(٥)، ومن قيم العصر الأخرى ان الناس كانوا لا يُدبون من يتساهل بالدين والفتوى والقضاء ، فكانت بعض المسائل تثير غضب الناس كقضية جواز بقاء الزوجة بعد الطلاق بالثلاث^(٦) ، ومن القيم التي اهتم بها البوريني ونقلها في تراجمه ، الذكاء والسخاء وكرم النفس ومكارم الاخلاق والحشمة^(٧) ، والزهد والورع^(٨) ، وكانت القيم مهمة عند البوريني الذي كان معاصراً للمجتمع الذي يتحدث عنه ، منها عدم ابخاس الناس أشياءهم^(٩) ، و عدم التكثير من الكلام(فخير الكلام ما قل ودل) وقال البوريني : (القطرة تنبئ عن الغدير - اعلماً بأن البعرة تدل على البعير"^(١٠) ، والصدق و عدم الأغتيا ب والتكبر والابتعاد عن الشك وإيها م الناس^(١١) ، والتوبة عند ارتكاب الذنوب^(١٢) ، ومما يلفت النظر في تراجمه هو الاهتمام بالاسم والنسب والأصل والحسب فكلها كانت قيم سامية لذلك العصر^(١٣) ، والاجتهاد على تحصيل العلوم ليلاً ونهاراً ليس لإدراك شئ من الأموال وإنما لطلب العلم^(١٤) ، في اشارة الى ان قيم الإجلال والكمال ليست بكثرة المال وإنما في تحصيل العلوم ،فقد ذكر البوريني معلومات عن أحمد البهنسي الحنفي في تحصيله للعلوم بقوله : "... ثم انه رام الى مدارج الكمال وسام التأهل لمدارك التعظيم والإجلال .."^(١٥) ثم قال : "... وله الحشمة الزائدة والحرمة المتزايدة بحيث أنه معدود من الأعيان الكرام ..."^(١٦) ، وكانت مرافقة الصحبة الطيبة من

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٤٨.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٦٢.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٥١.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٤٨.

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٥١.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٥٢ ، ٥٧.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٦٥.

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٧٢.

(١٠) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٨٢.

(١١) نفس المصدر، ج١، ص ٨٢ - ٨٤.

(١٢) نفس المصدر، ج١، ص ٩١.

(١٣) نفس المصدر، ج١، ص ٩٧ ، ٢١٧.

(١٤) نفس المصدر، ج١، ص ١١٠ ، ١١٢.

(١٥) نفس المصدر، ج١، ص ١١٨.

(١٦) نفس المصدر، ج١، ص ١١٨ ، ١٢٢.

الصالحين والكرماء ، ومدارسة أحوال السالفين ، والتأسي بهم ميزة في ذلك المجتمع^(١) ، ومن القيم التي اهتم بتسجيلها البوريني فك الأسير وان ذلك يعدل : (عند الله حجة مبرورة) على حد وصفه^(٢) ، والعفة عن أموال الناس^(٣) ، ومن قيم العصر الأخرى عدم الخيانة ، فقال البوريني واصفاً العمل الذي قام به طهماسب في تسليم أبي زيد ابن السلطان سليمان إلى خسرو باشا الذي قام بخنقه بناءً على طلب والده سليمان كعادة جرت عند الاسلاطين بقتل أبنائهم يقول البوريني : " .. ولعمري أن جميع الناس عابوا على طهماسب ما فعله مع أبي زيد ، فانه ضيفه ، وقد خانه ، وأخذ ماله ... " ، وهنالا بد من الاشارة ان البوريني لم يكن منصفاً ذلك ان ابى زيد هرب من والده واستقبله طهماسب وأكرمه ، إلا ان العداوة بدأت بين طهماسب وأبى زيد حين حاول الأخير أن يضع الاسم لطهماسب عندما كانوا في بستان طهماسب يطبخون الطعام كل على طريقة بلاده ، فلما علم طهماسب بذلك خرج من البستان ، وأضمر حقداً على أبي زيد^(٤) ، وكان الاهتمام بالشكل الجميل والنظافة شائعاً ، ومنهم النجار الجميل الذي قال فيه شعراً اسماعيل النابلسي^(٥) ، ورفض التكبر خاصة عند من يريد أن يصبح عالماً ، فيقول البوريني عن أبى الجود البتروني : " ... طالباً أن يكون معدوداً في العلماء ، لكنه تزيب وهو حصرم ، وتكبر فوق قدره .."^(٦) وقد أكد البوريني رفضه للتكبر حتى وان كان من اقرب الناس ، فقد ترك البوريني أحد اصدقائه الكبار المقربين من الدولة وهو علي أفندي صاحب الدفاتر السلطانية فلما (تكبر وتجبر) تركه البوريني على رغم قوة العلاقة بينهما يقول البوريني : " .. وكانت لنا معرفة به في المرة الاولى واختلاطاً زائد ويعاملنا بأنواع الرعاية ، فلما رجع متكبراً متصلفاً ، متكثرأ ، جفوناه وبالصد عاملناه .."^(٧) ، وكان الجامع الاموي مركزاً وقيمة مهمة للشاميين وغيرهم فعند اقتناء أحدهم بيتاً قرب الجامع أو ملاصق له فأن ذلك يعد من المحاسن ، فمثلاً بيت الشيخ اسماعيل النابلسي الملاصق للجامع الاموي الذي قال فيه شعراً جسدت تلك القيمة في مجاورته للجامع بقوله^(٨) :

قد قلت في تاريخ بيتي بيت شعر قد تلاه

داري جوار الجامع الاموي من نعم الاله

ومن قيم العصر احترام المرأة وعدم التجاوز عليها ، فقد سجل البوريني اشارات تدلل على مكانة المرأة في المجتمع حتى عند السكبان، فحين دخلوا الى أطراف دمشق لم يعتدوا على النساء

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١١٢، ١١٦.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ١١٣.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٩٧.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ٢٥٩، ج٢، ص ٧١.

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٠.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٨.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٦١.

وفق توصية من الأمير علي بك ابن جانبلاط على الرغم من وجود بعض المحاولات للاعتداء عليهم الا انهن دافعن عن انفسهن ، وقد أبدى البوريني أعجابه بذلك الفعل^(١) . كان السكبان شجعاناً في القتال ومواجهة جيش السلطنة ، فيصف البوريني القتال الذي دار بين جماعة سعيد الاسود ومحمد ابن القلندر وبين الجيش السلطاني أنهم كانوا قاهرين وهزموا عسكر السلطنة في اشارة الى اهمية قيمة الشجاعة ، ولولا تدخل القوة الالهية لما استطاع الجيش السلطاني من الانتصار اخيراً عليهم^(٢) ، ومن قيم العصر الأخرى هي محبة الآباء لأبنائهم فكان القاضي ابراهيم أفندي الفروري ، حين مات ابنه محمد سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م، هجر الناس كلهم و حزن حزناً شديداً ، ووصف البوريني حاله بقوله : " .. وكبده من الحزن كادت تتقطع . وهو يئش بصوت حزين .."^(٣) ، ومنهم الشيخ محمد الجبوي حين مات ابنه الشيخ عيسى في مصر حزن عليه حزناً شديداً واصابه مرض الشوصة ومات على أثرها بعد ابنه في سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م^(٤) ، ومما يلفت النظر ولكون البوريني مؤرخاً وأديباً فقد كان الأهتمام باللغة العربية وبالعرب شائعاً ، وكان ذلك جزءاً من ردة فعل أمام اللغات الأخرى والقوميات التي انتشرت في بلاد الشام كاللغة والقومية التركية ، واللغة والقومية الفارسية ، وقد جسد تلك النظرة القومية من خلال ماتعرض له أحد العرب وهو المفتي عبد الرحمن المرشدي في مكة وهي (لب العرب) على حد وصف البوريني وكان من بني هاشم ، إلا أنه تعرض للإذى بسبب مشاكل بينه وبين أحد الموالى الترك ، يقول البوريني : " .. و صدر من السيد محمد المذكور تعصب على عبد الرحمن المرشدي المذكور بسبب النياية المذكورة وكان يقول : أنا أعزل بمجرد قول رجل من العرب ويقول بالتركية بره عرب .."^(٥) ، وكان البوريني قد رفض ذلك الامر ولم يرضَ أن يستهان بالعرب فقال له : " .. يا مولاي (عبد الرحمن المرشدي) ، انت أن صح نسبك فأنت أشد الناس علاقة بالعرب والعربية ، لان بني هاشم هم صميم العرب ولب العربية"^(٦) ، ومن قيم العصر الشوق الشديد لزيارة بيت الله الحرام ، وقبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٧) ، واحترام أهل العلم من قبل عامة الناس ، مثلاً ما فعلت العجوز التي أخفت الشيخ عبد النافع الحموي كي لا يقتل على يد أمير طرابلس يوسف ابن سيفا الذي سبق و صلب أحد اصحاب عبد النافع ، ومكنته من الهرب ووصل الى حلب^(٨) ، ومما يلفت النظر في تراجم البوريني

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٨٠.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٣) للمزيد انظر الابيات الشعرية التي نظمها بمناسبة موت ابنه ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٣١٥.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٥) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٧.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٧.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٢٦.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٤٤.

استخدامه للأمثال كقوله : " .. فالبعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير (١) ، وقال أيضاً واصفاً رفضه قطع أرزاق الناس: (قطع الخشوم ، أسهل من قطع الرسوم) (٢) . وقال أيضاً (البوم العبوس خيرٌ من الوجه العبوس) (٣) .

ومثلما قدم البوريني الصورة الحسنة لقيم ذلك العصر ، فإنه رصد أيضاً بعض الأخلاق والقيم التي شجَّها ومنها بعض العادات السيئة التي كانت سائدة في المجتمع ، فقد سجل البوريني بعض من تلك الحالات كمحبة العلماء للأحداث أو الغلمان ، كما وسجل اشارة مهمة في ذلك الصدد فحين أصيب أبو الطيب الغزي (بعارض سوداوي) على حد وصف البوريني(٤) دفعه الى تطليق زوجته ووزع ثيابه على أصدقائه وأراد قتل طفله خوفاً من تعرضه للفاحشة، في اشارة واضحة الى وجود مثل تلك الحالات وقد نقل البوريني قول الغزي: ".... لأنني أخاف أن تفعل به القبيحة بعد كبره ..."(٥) ، فكان بعض العلماء وهم أناس ليسو من عامة المجتمع على حد وصف البوريني ، إذ كانوا من الاعيان ، لهم ميل في محبة الصبيان(٦) ، وقد أنكر البوريني بعض القيم الغير محمودة في المجتمع، كالقدح والذم والجرح والحسد والخذلان وذكران الحسب والنسب والسب والبغض ، فقد كانت حالات الحسد مثلاً مشهورة بين العلماء وكانوا يتبادلون الألفاظ السيئة(٧) ، ومنهم أحمد العناني الصوفي حيث اتهم بان لديه مال كثير على الرغم من ظهوره بمظهر الفقير ، وقد أحب بعض أحداث دمشق الذي شكاه عليه بمبلغ مائة دينار من الذهب عند القاضي محب الدين الحموي الحنفي فقال له : (يا مولاي أنا في حبس دبه وهو في حبس مالي) (٨) والأخوين أحمد الخالدي الصفدي وشمس الدين الخالدي قد حصل لهما قصة ، ذلك أن شمس الدين أحب ابن القاضي في صفد شهاب الدين وقد ذكر البوريني أوصاف ذلك الشاب بقوله : " ..خنث الأعطاف ، نحيل الخصر ، ثقيل الإرداف ... فعلق به شمس الدين .." وكان الولد يتردد الى شمس الدين لتصحيح تجويد القرآن بين يديه ، وقد أبدى البوريني رفضه لذلك الأمر الذي وصفه بقوله : " ...الخضوع والتعلق..." وبقوله : " ...والمطلوب مارق ولا سمح.. " فوصل الأمر الى الحاكم فأرسل اليهما جاويشاً ، (فأتيا ووقعا على العلماء مثل الحريم) على حد وصف البوريني ، وأخذوا بالبكاء فساعدهم البوريني على تثبيت البراءة وفقاً للشرع ، علماً أن التهمة قد وصلت وأخذت مكانها ، ومما يلاحظ ان البوريني قد أبدى أعجابه بالصبي إلا ان الأمر لا يتعدى الأعجاب ، ويبدو أن هذا الأمر كان طبيعياً ، إلا انه

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٨٣.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٥.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٣، ١٤٧.

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٨.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٨.

(٦) نفس المصدر، ج١، ص ٥١.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٩٤.

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٩٥-٩٦.

حين يصل إلى الفحش فأن ذلك يكون مرفوض دينياً واجتماعاً^(١)، ووصف البوريني أحدهم بقوله :
 "... فاتفق أن صبيهاً جميلاً يقال له دري ..."^(٢) ، وسجل البوريني بعض الأقيم الشائعة تلك الفترة
 كالشتم من الغراب فيصفه البوريني بقوله : (غراب البين) ، وقد تشائم القاضي محب الدين الحموي
 بعد وفاة أحد العلماء ، ونظم الشعر وفيه إشارة تشائم من (غراب البين)^(٣) ، كما وذكر في ترجمة
 أحمد أفندي ابن شاهين مثلاً في الشتم من طائر ألبوم بقوله : (ألبوم العبوس خيرٌ من الوجه العبوس
)^(٤) ، وانتقد البوريني بعض أخلاق الوزراء ، كالوزير أحمد باشا بقوله : "... كان في بداية قدمه
 الى دمشق سالكاً مسالك الصالحين . ولكنه تغير وتكبر وتتكبر ، وأظهر صورة الكبر مقلداً الصورة
 في غيره من الوزراء .."^(٥) ، وقد نقل البوريني خبراً في هذا الصدد الآ انه لم يكن متأكد منه ، فقد
 كان هناك شخص من الأشراف اسمه جمال الدين يبيع الفواكه ، فصلى يوم الجمعة في الجامع
 الاموي فخرج ووقف عند دكانه فجاءه مملوك أبيض ، يصفه البوريني حسب ما سمعه ولم يتحقق
 من الخبر ، بقوله : "... كان شكله غاية لا تدرك على ما يقال ، بل قيل أنه لانظير له في الحسن ...
 فيقال أن الشريف المذكور كلم المملوك ، كلاماً يتعلق بطلب ما لا يليق من الفادشة ، ولا أتدقق
 صحة ذلك .."^(٦) ، وهذه القضية (حب الصبيان) قد وردت في تراجم البوريني أكثر من مرة ، الآ
 ان البوريني كان يحاول ان لا يصرح ببعض تلك الامور بقوله عن أحدهم : "... وينقل عنهما افعال
 الاولى بنا الاعراض عن تفصيلها ، لاننا لا نذكر في الغالب الا المحاسن)^(٧) ، وقد سجل البوريني
 بعض ما قاله شيخه اسماعيل النابلسي يهجو فيها القاضي علي القدسي العلمي الذي كان (يحب
 الصبيان ولا يميل الا لهم)^(٨) ، كما واتهم المفتي جار الله الحنفي مفتي القدس بأنه كان يميل الى
 الذكور ، يقول البوريني: "... وليست التهمة له بصحيحة .."^(٩) ، وكان جلال الدين جلبي أحد
 موظفي الوزير الأعظم سنان باشا لما كان حاكماً على مصر يحب أحد الغلمان المماليك وهو مستدام
 ، يقول البوريني : "... فابتلاه الله تعالى بمحبة غلام له مملوك يقال له مستدام .." ، في إشارة
 واضحة الى ان الامر حين يصل الى حد الفحش فأن ذلك يعد من ابتلاء الله للشخص على حد رؤية
 البوريني للامر^(١٠) ، وكان أحد خدم الوزير أحمد باشا الحافظ واسمه شاهين الشاطر الذي يصفه

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٢٧ .

(٣) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٦٧ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٢٣ ، ١٤٧ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢١٧ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، وللمزيد انظر الشعر وفيه إشارة واضحة إلى ذلك ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٧١ .

(٩) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٢٨ .

(١٠) للمزيد انظر القصة التي اوردها البوريني ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .

البوريني بأنه كان جميلاً ويشبه البدر قد تعرض إلى التحرش وُفعلت به الفاحشة ومات بسبب ضربه على رأسه حين رفض ذلك من قبل أحد أبناء العسكر بدمشق واسمه ابن خضر الأسود الذي كان قد شرب الخمر وساعده على الجريمة شخصين ، الاول اسمه خليل ، والثاني شخص حلبي اسمه رمضان ، فلما عرف الوزير بذلك أمر بخنق الأسود و صلب الحلبي رمضان تحت القلعة^(١) . وقد بين البوريني وجهة نظره من ذلك الفعل بقوله : "... وطاوعه فشربوا الشراب المحرم وطاشت الخمرة في هاماتهم ، فطلب ابن خضر فعل الفاحشة من الشاب المذكور (شاهين الشاطر) ، فلم يرض ... وإذا بالخبيث الاسود ابن خضر دخل عليهما بعد كسره الباب.." ^(٢) ، ودعا عليهم البوريني بسبب تلك الافعال وقال : "..... خذلهم الله تعالى ، ما صدهم ما فعلوه عن الميل الى أم الخبائث.." ^(٣) .

ثانيا : ثقافة العصر والتعليم والمدارس والأوقاف :

ثقافة العصر :

رصد البوريني ثقافات المجتمع المختلفة ، والتي بعضها قريباً جداً من ثقافته التي اكتسبها من اللغات المختلفة وتنوع العلوم ، منها القراءان الكريم ، وترتيله والقراءات المختلفة ، والتفسير^(٤) ، والفقهاء وأصوله^(٥) ، والحديث والسند^(٦) ، وعلوم اللغة العربية^(٧) وعادةً مرجعهم كان إلى كتاب القاموس المحيط^(٨) ، وعلم البلاغة^(٩) ، والنحو والصرف^(١٠) ، وعلم التجويد^(١١) ، وأشكال المنطق الأربعة ، ومن الذين برعوا في الفنون المنطقية منلا توفيق أحد شيوخ أسعد أفندي ، والتأليف في مناسك الحج^(١٢) ، وشعر البهاء بن زهير ، والمعري ، وأبو إسحاق الصابي ، والشريف الرضي ، والشعر الأرتجالي ، والمعارضة في الشعر ، واللغز في الشعر^(١٣) ، والغزل في الشعر^(١٤) ،

(١) للمزيد انظر القصة الكاملة التي اوردها البوريني ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤١-٢٤٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٩ ، ١١ ، ١٠٩ ، ٣٠٨ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٣٠١٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ٩٥ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦ ، ٣١ ، ٨٢ ، ١٤٧ ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، ٣٣٥ .

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٢٥ - ١٢٨ ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١ ، ٤٩ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ج ٢ ، ص ٧ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٥٠ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٧ ، ٣٤ ، ٨١ ، ٥٢ ، ١٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ج ٢ ، ص ٩ ، ٥١ ، ١٩٥ .

(١٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

والهجاء في الشعر وهو خاص بمناقب الناس أو عيوبهم ويدل على ذلك أنه لما عُزل الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني من حكم دمشق الذي دام سبع سنين ، هجاه الأدباء بالشعر وفيه تأريخ عزله^(١) ، وكان هناك شعراء مختصين لا يعر فون سوى هذا النوع من فنون الشعر ومنهم أمين الدين الصالحي الدمشقي أحد الموقعين على الأحكام الشرعية بدمشق ، وكان يهجو عمه ولي الدين البزوري^(٢)، والمناظرة في الشعر^(٣)، ومراعاة الوزن والقافية ، والتخميس في الشعر ، ويفهم من سياق القصيدة التي أوردها البوريني ، بأنه حين ينظم أحد الشعراء قصيدة معينة فإنه ينظمها على شكل بيتين من الشعر ثم البيت الثالث يكون منفرداً في وسط البيتين ويتكون من خمس كلمات وينتهي بقافية تختلف عن قافية البيتين ولكن يتشابه في القافية مع أي بيت ثالث في القصيدة ومنها أبيات البوريني التي خمسها لأسعد أفندي ، وكانت أشعار بعض الشعراء شائعة ومشهورة كأشعار أبي نؤاس ، وأبي فراس الحمداني و أبي عبادة البحتري ، وعبد الملك ابن قريب الأصبغي والمهلب بن أبي صفرة^(٤) ، والأرجوزة في الشعر ، وهو من فنون الشعر وتكون للرد أو اعتراض على رسالة أو على شخص ، وتحوي على عدة معاني ضمن الكلمة الواحدة ، فمثلاً كلمة القدوري التي وردت آخر بيت الشعري الذي أورده البوريني فإذا تم حذف الياء فتكون الكلمة بمعنى (القدور) التي تستخدم للطبخ ، وأما مع الياء تعني القدوري وهو كتاب في الفقه الحنفي للمبتدئين^(٥) ، وانتشار اللغات الثلاث ، العربية ، والفارسية ، والتركية^(٦)، وقد تم نظم الأشعار باللغة التركبية واللغة الفارسية ، ومن المهتمين بالأشعار التركبية القاضي محب الدين الحموي ، والشاعر أحمد بن رجب^(٧) ، والأشعار الفارسية التي انتشرت وألفت فيها الكتب ، والأدب الفارسي ، مثلاً كتاب " شاه نامه " الذي ألفه الحسين الشيرازي أحد أصحاب البوريني الذي كان قريباً من السلطة ، كان الكتاب باسم الوزير السردار حسن باشا، و يعرف بذلك عند الفرس أسلوبه على نفس أسلوب الرجز في العربية لأن كل بيت بقافيتين لذلك يسمونه أيضاً المثنوي وهو في غزوات تتعلق بأمرأ سلاطين بني عثمان ومنهم الوزير السردار حسن باشا الذي عُين من قبل السلطان محمد لقتال اليازي وجماعته من السكبانية وغيرهم ، في إشارة إلى أن المؤلف كان فارسياً مما يدل على انتشار اللغة والأدب الفارسي القديم حول سياسة نامه أو سير الملوك أو مرأة الأمراء وكلها لها علاقة بالأدب

(١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢١٨ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٧ .

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٧ ، ج ٢، ص ٩ .

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ١٣٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ج ٢، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١، ص ١٢٢ ، ج ٢، ص ١٢٠ ، ٣٠ - ٣١ .

الفارسي المشهور بتلك الفترة في الشام وخاصة دمشق^(١) ، فلم تكن اللغة الفارسية جامدة فقد ألفت فيها مختلف العلوم والفنون كالأدب والشعر^(٢) ، وانتشر فن الأمثال ومنها مثلاً (البوم العبوس خير من الوجه العبوس)^(٣) ، كما وانتشرت علوم أخرى كعلم الهيئة أو الفلك^(٤) ، وعلم الكلام^(٥) ، وعلم الكيمياء ، وعلم النجوم^(٦) ، وفن الموسيقى وعلوم الحساب^(٧) ، وممارسة الحرف أو الصنعة وكان الحكام يحذبونها ويشجعون على تعلمها وممارستها ، وقد ادعى بعضهم أن له معرفة بعلم الحرف وهو بعيد عنه مثلاً الطبيب تقي الدين بن شرف الدين بن يونس الدمشقي^(٨) ، وعلم الطب^(٩) ، وعلم الحساب والفرائض ، ومن الذين برعوا فيه الشيخ اسحاق الشافعي ابن المفتي عمر الحنفي ، وإبراهيم ابن الأحدب أحد شيوخ البوريني^(١٠) ، وعلم الجبر والمقابلة مع الهندسة^(١١) ، وأشار البوريني إلى علم خاص بالأسرار الألهية أو الغيبيات ، فقد كانت منتشرة في بلاد الشام ، والقسطنطينية التي كانت تزخر بمثل تلك العلوم^(١٢)

وعلم الفلسفة وانتشار فكر افلاطون^(١٣) ، وابن سينا في الطب والفلسفة ، وسيبويه في النحو ، وياقوت الحموي المشهور بحفظه وله مؤلفات شائعة كمعجم البلدان ومعجم الأديب ، والفارابي في الموسيقى ، وإسحاق الموصلي في الأدب والشعر ، ويمثلون العلوم التي انتشرت في تلك الفترة ، وهي متداولة بين العلماء، وقد حدد البوريني كل عالم وتخصصه أو العلم الذي اشتهر فيه^(١٤) ، وانتشار الدراسات التاريخية والاهتمام بها^(١٥) ، والأديب عمر ابن الفارض حيث كان شعره شائعاً ويدرس في الزوايا^(١٦) ، ومحبي الدين ابن عربي في التصوف الذي كانت أفكاره تثير بعض ردود الأفعال كخوضه في صفات رب العالمين ، ومن الذين أيدوه في فكره الأديب درويش الطالوي^(١٧) .

التعليم والمدارس :

- (١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٢ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ج ٢ ، ص ٥٢ .
(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٩ .
(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١٥ ، ٢٧٦ ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، ٩٩ ، ٣٣٥ .
(٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، ١٠٨ .
(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .
(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦ ، ٣٠٤ ، ج ٢ ، ص ٨٠ .
(١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ .
(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .
(١٣) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
(١٤) نفس المصدر ، ح ٢ ص ١٢١ - ١٢٢ .
(١٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .
(١٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ٩٥ ، ٩٦ .
(١٧) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

حفلت تراجم البوريني برصد الجوانب المهمة الخاصة بالتعليم والمؤسسات التعليمية ، كيف كانت وما هية تلك الدروس التي تُدرس فيها ، إذ كانت بعض المدارس تحوي سكناً للمدرس ولعائلته خاصة التي تكون على شرط الواقف ، وحتى من غير المشروطة ، وكانت تتألف من غرف للأساتذة والطلاب الذين كانوا يقيمون في تلك المدارس كمدرسة أحمد باشا الشهير شمسي أحمد باشا^(١) ، والمدرسة الناصرية الجوانية ، حيث سكن فيها البوريني في حجرة هيئها له شيخه العماد الحنفي وتكفل بمعيشته ومساعدته في تلقي العلوم^(٢) ، وكانت بعض المدارس محددة لمذهب معين كالمدرسة الظاهرية^(٣) إذ كانت مشروطة للاشافعية^(٤) والمدرسة الشراييشية^(٥) التي كانت مشروطة للمذهب المالكي ، وتولى التدريس فيها ابو بكر المغربي مفتي المالكية^(٦) ، والمدرسة الدرويشية الشافعية كانت وفقاً لاعلم علماء الشافعية^(٧) ، وكان التعيين فيها يتم عن طريق قاضي قضاة دمشق ، وقد تعين البوريني فيها بعد وفاة شيخه اسماعيل النابلسي إلا أن القاضي ابن بستان أخذها منه وأعطاها الى ابن الشيخ اسماعيل وهو عبد الغني النابلسي كونه فقير الحال ، وقد أغضب ذلك التصرف البوريني بأن اسماعيل غير مؤهل للتدريس بقوله : "..وابن الشيخ هذا ليس اهلاً للتدريس . فقال القاضي هو فقير جداً .."^(٨) في اشارة الى اعطاء المدارس الى بعض الناس من الجهال وإهمال العلماء ، وكان للطلبة رواتب ، فقد ذكر البوريني في ترجمة أحمد العمادي الكردي الشافعي بانه صارت له (علوفة) أو راتباً نحو عشرين درهماً عثمانياً (كل يوم) وكان أنفع الموجودين من الطلبة على حد قول البوريني ، وكانت بعض العلوفا تذهباً وبشكل يومي كالمدرسة الصلاحية^(٩) ، إذ كانت كل يوم علوفتها مثقال من الذهب^(١٠) أو من الفضة كعلوفة المدرس ابراهيم الدمشقي في زمن وزارة سنان باشا فقد وصلت علوفته الى ستين قطعة فضة كل يوم في دمشق ، وكانت في بروسة من بلاد الروم تصل الى أربعين درهماً عثمانياً في كل يوم ، في اشارة الى

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ٢٧٩ ، ج ٢ ، ص ٩١-٩٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٣) المدرسة الظاهرية : وعند النعيمي مدرستان من مدارس الشافعية ، الظاهرية البرانية خارج باب النصر بمحلة المنبيع ، شرقي الخاتونية وغربي الخانقاه الحسامية ، بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م ، والاخرى الظاهرية الجوانية ، داخل باب الفرج والفراديس بينهما جوار الجامع شمال باب البريد ، وكانت دار ايوب والد صلاح الدين سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م ، انظر النعيمي : الدارس ، ج ١ ، ص ٢٥٧ - ٢٧١ .

(٤) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٤ .

(٥) المدرسة الشراييشية : يدرب الشعارين ، لصيق حمام صالح ، داخل باب الجابية ، وهي معروفة بأسم نور الدولة علي الشراييشي ، وكانت وفقاً ، انظر النعيمي : الدارس ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

(٨) للمزيد انظر ترجمه الشيخ عبد الغني النابلسي ، البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٧١-٣٧٢ .

(٩) في القدس الشريف بناها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

تطبيق القوانين الخاصة في بلاد الروم على العرب الشاميين ، كقانون (قطع زمان البرزخ)^(١) ، وكانت علوفة عبد الرحمن العمادي الحنفي ابن شيخ البوريني العماد الحنفي خمسون درهماً عثمانياً في المدرسة السلطانية السليمية بصالحية دمشق التي تولى التدريس فيها سنة ١٠٢٣هـ / ١٦١٤م^(٢)، وكانت بعض العلوفة (الرواتب) تُصرف للأساتذة والطلبة قبيل مجيء المناسبات ، فقد صرف حاكم دمشق العلوفة لهم قبيل عيد الفطر سنة ١٠٢١هـ / ١٦١٢م^(٣) وبعض المدارس كانت علوفتها تصل إلى مثقال من الذهب يومياً مما جعلها عرضة للفساد والبيع كالمدرسة الصلاحية في القدس الشريف كانت لا علم علماء الشافعية، فقد تولى التدريس فيها الشيخ إسحاق الشافعي ابن الشيخ عمر الحنفي بقوة المال والجاه لان علوفتها كبيرة يقول البوريني : " ... لأعلم علماء الشافعية في ديار العرب ، وعلوفتها في كل يوم مثقال من الذهب" ، وكانت مقسمةً بينه وبين ابن عمه الشيخ يوسف بن أبي اللطف ، الا أن التصرف فيها كان بيد أسحاق^(٤)، وكان طلب دراسة القرآن الكريم وتعلمهم شهوراً في تلك الفترة وطلب الفقه أيضاً ومختلف العلوم ، فكان بعض الطلبة يسافرون لطلب العلم كأحمد ابن رجب الذي سافر إلى القسطنطينية التي كان فيها نظام خاص بها (أو قاعدة) وقرأ على علماءها وتتنقل من مدرس إلى أعلى حتى صار قريباً من المفتي^(٥) ، أو منهم من كان يسافر إلى مصر لطلب العلم وأخذ الاجازة في التدريس والفتوى على أحد المذاهب^(٦) ، ومما يلفت النظر في تلك الفترة نشاط حركة الترجمة لانتشار اللغات الثلاث ، اللغة العربية ، واللغة الفارسية، واللغة التركية ، فكان أحمد ابن رجب يترجم بعض الكتب منها المثنوي للمؤلف جلال الدين البلخي الرومي^(٧) ، وورود تمييز في طرق التعلم ، لأول طريق العربوالتاني طريق الروم أو (الأروام) ، حيث كان الأول يشتمل على تعلم الأدب والنثر والنظم ، أما الثاني فكان يشتمل على تعلم العلوم المصرفية واللغوية ، وكان من العلماء الذين سلكوا طريق الأروام هو أحمد شهاب المصري الحنفي ، وأحمد أفندي ابن شاهين ، وابراهيم الدمشقي الشهير بابن الطباخ الذي كان يعرف (لسان التركية) على حد وصف البوريني ، وإدريس الواعظ نزيل دمشق الذي كان يقرأ على شيخه بخاري زاده على قانون علماء الروم^(٨) ، وكانت بعض الدروس ، تقسم بين اثنين أو أكثر بين التلاميذ ، ويصف البوريني قراءته لكتاب (التلخيص المختصر) بأنه قرأه مشاركةً مع

(١) تم التعريف به انظر الفصل الثالث من البحث ، علاقات بلاد الشام مع القسطنطينية . ونفس المصدر، ج١، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٨.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢٠٥.

(٤) البوريني : تراجم الأعيان، ج٢، ص ٨٠.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ١٢١.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٥٠.

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ١٢٢.

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١، ص ١٣٧، ١٤٥، ٣٠٠، ج٢، ص ٩١.

صاحبه ابراهيم ابن محمد الدمشقي^(١) ، وكانت هناك بعض العادات عند الطلبة مثلاً عند تغيب أحدهم فان ذلك يدفع باقي الطلبة الى التغيب أيضاً وفق إتفاق مسبق بينهم ، فحين كان البوريني من جملة تلاميذ الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي ، تغيب عن الدرس لأول مرة منذ ثلاث سنوات بسبب دعوته للمبيت في الصالحية في تلك الليلة وكان الاتفاق فيه شرط وهو أنه أي تلميذ يغيب عن الدرس فان بقية التلاميذ يتركون الدرس لأجل ذلك التلميذ الغائب^(٢) ، وكان الألتزام بالوقت وحضور الدروس على جانب كبير من الأهمية وكأنها أداء الفريضة ، فيقول البوريني عن نفسه حين كان يحضر دروس البدر الغزي " .. ونلازم دروسه في أوقاتها ، وفتاواه في ميقاتها ... أربعة أعوام كاملة .. كأداء العبادة المفروضة أو النافلة ، وذلك ابتداء عام ثمانين وتسع مئة (٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م) ، إلى أن توفي رحمه الله^(٣) ، كما ولم يقتصر تحصيل العلوم وممارسة تدريسها على فئة معينة من الناس ، فكان سلطان بلاد كيلان خان أحمد الكيلاني عالماً بالانجوم وبعلم الهيئة وكان يمارس تدريس التلاميذ^(٤) ، وقد سجل البوريني في تراجمه بعض الجوانب التي تشير إلى تدهور مؤسسة التعليم ، منها ترك العلماء التدريس والدرس ، وكثرة الجهال حتى (ضاع العلماء بينهم) على حد وصف البوريني ، وحتى المدارس لم تسلم هي الأخرى فقد بيعت لمن (يدرسها ولا يُدرس فيها... وكبر الجهلاء العمائم ... " على حد وصف البوريني في اشارة الى الفساد وانتشار بيع الوظائف وتدخل القضاة فيها^(٥) ، مثلاً ابو الطيب الغزي ابن البدر الغزي الشافعي حيث ترك التدريس في المدرسة القضاة الشافعية مقابل مبلغ من المال قدره ستون ديناراً (قبضه) من أحمد ابن القاضي ولي الدين ابن قاضي القضاة ولي الدين ابن الفرور الحنفي^(٦) ، ولم يكن جميع المدرسين على مستوى من العلم والفقہ ، فمثلاً أحد المدرسين الذي أخذ المدرسة الجوزية^(٧) من القاضي تقي الدين الزهيري الشافعي ، لم يكن على مستوى من العلم يؤهله للتدريس ، وقد أشارت الى ذلك بعض الأشعار التي كتبها القاضي محب الدين الحموي ، والحسن البوريني ، إذ يقول البوريني^(٨):

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍّ مقفر العَرَصات

(١) نفس المصدر، ج ٢، ص ٧.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٦٣.

(٣) نفس المصدر، ج ٢، ص ٩٨.

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ١٥٦.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ١٨٠-١٨١.

(٦) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦٧.

(٧) المدرسة الجوزية : من مدارس الحنابلة عند النعمي ، وهي بسوق القمح بالقرب من الجامع ، أنشأها محيي الدين ابن الشيخ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله ، أيام الملك الصالح عماد الدين وكانت وقفاً، انظر النعمي : الدارس ، ج ٢، ص ٢٣- ٥٠ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢، ص ١١٦ .

وكان البوريني يسجل اشارات حول تدهور مؤسسة التعليم فقد ترك أحمد الحطبي الشهير ابن الاملا التدريس والدرس لأسباب يقول عنها البوريني قوله : (ولما رأى العالم قد صار للجاهل مطلوباً وأصبح العالم مقلوباً ، بحيث أن العلماء ضاعوا بين الجهال وسقطت مرتبتهم الى الحضيض بعد المنزل المتعال وأصبحت المدارس تُباع لمن يدرسها ، ولا يُدرس فيها ، وطارت معاني الكتب في آفاق الاضياع من قوادمها الى خوافيها ، وكبر الجهلاء العمائم ، حتى ارتفعوا الى الغمام ، وقطنو لجهلهم فيما كان ينزله العلماء من المعالم ، تخلى عن المناصب ، وما تجلى في منصات المراتب بل ترك التدريس ، ودرسه ونسي الدرس وما درسه)^(١) في اشارة مهمة الى ان بعض المدارس أعطيت لغير أهلها من الجهال كالمدرسة الدرويشية الشافعية التي كانت وفقاً لاعلم علماء الشافعية^(٢)، وكان التعيين فيها يتم عن طريق قاضي قضاة دمشق ، فبعد تعيين البوريني فيها بعد وفاة شيخه اسماعيل النابلسي لم يستمر فيها لأن القاضي ابن بستان أخذها منه وأعطها الى ابن الشيخ اسماعيل وهو عبد الغني النابلسي كونه فقير الحال ، وقد أغضب البوريني ذلك التصرف كون اسماعيل غير مؤهل للتدريس فيها بقوله : "...وابن الشيخ هذا ليس اهلاً للتدريس . فقال القاضي هو فقير جداً .."^(٣) في اشارة الى اعطاء المدارس الى بعض الناس من الجهال وإهمال العلماء ، وكان التعليم في تلك الفترة أساسياً للوصول الى المناصب والوظائف ، فكان التلاميذ يبدأون بتعلم اللغة العربية ، ثم المنطق ، ثم البلاغة ، ثم بعد ذلك يتعلمون العلوم الشرعية ، وكل هذه العلوم كانت تؤهل صاحبها إلى التعيين ، مثلاً عبد الرحمن الفروري الذي لم يتمكن من أن يصبح خطيباً في العمارة السليمانية^(٤)، إلا بعد دراسته للعلوم المذكورة ، ويقول عنه البوريني أنه قرء العلوم (على المعتاد) ، في اشارة الى أهمية دراسة تلك العلوم وفق التسلسل الذي أورده البوريني (اللغة العربية ، ثم المنطق ، ثم البلاغة ، ثم العلوم الشرعية ...)^(٥) ، فكان الشيخ عمر القاري يدرس العربية بإتقان ثم المعاني والبيان ، ثم الأصول والفقه^(٦) .

أسس التعيين في المدارس وأساليب التدريس :

ومثلما رصد البوريني المعلومات الخاصة بالتعليم والمدارس ، فإنه رصد أيضاً بعض الأسس التي كانت متبعة في التعيين في هذه المدارس ، منها ان القانون كان يسمح لبعض الوظائف الجمع بين وظيفتين في آن واحد كالخطابة والتدريس والوعظ ، فمثلاً كان المدعو ادريس الواعظ يجمع

(١) نفس المصدر ج ١، ص ١٨٠-١٨١ .

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧١ .

(٣) للمزيد انظر ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي ، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٢ .

(٤) وهي المدرسة التي بناها السلطان سليمان في الميدان الاخضر بدمشق بمكان القصر الابلق ، البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣١١ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣١١ .

(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٣٠ .

بين أكثر من وظيفة (الخطابة ، والتدريس ، والوعظ) فبعد وفاة الواعظ بُستان أمر السلطان مراد ابن سليم بإعطاء الوظائف الثلاث إليه وجميع علوفاتها (الرواتب) وله مشيخة في مدرسة أحمد باشا (شمسي احمد باشا) (١)، في إشارة الى ان الدولة كانت تسمح لبعض الوظائف جمع أكثر من وظيفة ، ومما يلفت النظر في تراجم البوريني بان التعيينات في بعض المدارس كان مقتصرأ على مذهب معين كالمدرسة الشامية البرانية كانت (لأعلم علماء الشافعية) (٢) ، والمدرسة الظاهرية كانت مشروطة للشافعية أيضاً (٣) ، والمدرسة المقدمية الجوانية الحنفية (٤) كانت عن وراثة وشرط واقف للأحناف ، أي بمعنى ان يكون من الذرية مثلما كان أحمد ابن الاكرم وابنه محمد الذي تولى التدريس فيها بعد وفاة والده ، وكانت تتألف من مساكن خاصة للمدرس وأولاده (٥) ، والمدرسة الصلاحية (٦) في القدس الشريف كانت لاعلم علماء الشافعية، فقد تولى التدريس فيها الشيخ إسحاق الشافعي ابن الشيخ عمر الحنفي بقوة المال والجاه لان علوفتها كبيرة يقول البوريني : " ... لأعلم علماء الشافعية في ديار العرب ، وعلوفتها في كل يوم مثقال من الذهب .. " ، وكانت مقسمة بينه وبين ابن عمه الشيخ يوسف بن أبي اللطف ، الا أن التصرف فيها كان بيد أسحاق (٧) في إشارة الى الفساد وانتشار بيع الوظائف المهمة الى جانب موافقة السلطة تقسيم تلك الوظائف بين أكثر من شخص ، وكان التعيين في المدارس يتم بإصدار منشور من قبل قاضي عساكر أنطولي لأن دمشق كانت داخلة فيها يقول البوريني : " ... ولما وصلنا منشور المدرسة (كتاب تعيين) ، فتدنا بها باب الإغلاق .. " في إشارة الى أنها كانت مغلقة ولم تفتح الا بأمر من السلطة نتيجة بعض التدهور الذي أصاب هذه المؤسسة (٨) ، أو عن طريق قاضي القضاة كما حصل في تعيين البوريني بالمدرسة الدرويشية الشافعية التي كانت وفقاً لاعلم علماء الشافعية (٩) إلا أن القاضي ابن بستان أخذها منه ومنحها الى عبد الغني النابلسي ابن الشيخ اسماعيل النابلسي أحد شيوخ البوريني كونه فقير الحال ، وقد أغضب ذلك التصرف البوريني بأن اسماعيل غير مؤهل للتدريس فيها بقوله : "... وابن الشيخ هذا ليس اهلاً للتدريس . فقال القاضي هو فقير جداً..." (١٠) ، وكانت المدارس تطرح حصصاً متنوعة لمختلف العلوم كالمدرسة الناصرية الجوانية ، فكان البوريني مثلاً حين يفرغ من تدريس

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٤٤ .

(٤) المدرسة المقدمية الجوانية : داخل باب الفراديس الجديد ، أنشأها الأمير شمس الدين محمد ابن المقدم في الايام الصلاحية ، انظر النعيمي : الدارس ، ج١ ، ص ٤٥٦ - ٤٦٠ .

(٥) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ٥٥ .

(٦) في القدس الشريف بناها الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٠ .

(٧) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٨٠ .

(٨) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢ ، ص ٣٤٦ .

(٩) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٧١ .

(١٠) للمزيد انظر ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

أحد تلاميذه وهو أحمد العمادي الكردي الشافعي (شرح جمع الجوامع) ، فإنه كان يسرد عليه حصة أخرى من شرح المواقف^(١) ، وكان المدرسين خاضعين لقوانين تخص تعيينهم كقانون (زمان البرزخ) الذي كان يطبق على العرب في بلاد الروم ويعرفه البوريني عند ترجمته للمدرس ابراهيم الدمشقي بقوله "...ولما انفصل عن الأربعين حضر الى وطنه الأصلي وهو دمشق لاجل أن يقطع زمان البرزخ وهو أن الرجل إذا وصل الى تدريس الأربعين يُعزل ، ثمان سنين أو عشر سنين مثلاً من غير منصب ، ثم بعد ذلك يتولى تدريس الخمسين ، ولا يزال ينتقل من مدرسة الى مدرسة حتى يتولى قضاء مدينة كبيرة ، مثل حلب والشام ومصر وما أشبهها ..."^(٢) ، كما ويشرح البوريني ذلك القانون بقوله "... ومن قاعدة موالي الروم أنهم يعزلون المدرس ما بين الأربعين والخمسين نحو سبع سنين ... ففي هذه المدة ورد (درويش محمد ابن طالو) ، الى مسقط رأسه (دمشق) واستمر هناك الى أن قربت المدة بين الأربعين والخمسين فتجهز لسفر الروم..."^(٣) ، وبعض المدرسين كان حين يسافر الى بلد ما كان يكتب للشخص الذي يريد ان يستنيبه في التدريس ، منهم جمال الدين جلبلي الفروري الحنفي الذي سافر الى الروم من الشام فكتب للبوريني مكتوباً لغرض الاستنابة في بعض المدارس التي كانت له^(٤) ، ومما يلفت النظر في تراجم البوريني وجود معيد اللدرس كأسلوباً من أساليب التدريس كان شائعاً في تلك الفترة^(٥) وعادة يكون أحد التلاميذ ، منهم تاج الدين القرعوني الذي كان من تلاميذ البوريني ومعيداً للدرس في المدرسة الدرويشية لمدة أربع سنوات^(٦) والفقير زكريا ابن خضر البقاعي الذي كان معيداً للدرس بعد البوريني في المدرسة الناصرية الجوانية^(٧) ، والعماد الحنفي أحد شيوخ البوريني كان معيداً للدرس بعد شيخه ملا مصلح الدين اللاري^(٨) ، والشيخ لطفلي المنقاري الحلبي الأصل (الدمشقي المولد والمدنشا) كان معيداً للدرس في المدرسة السلطانية السليلية بصالحية دمشق^(٩) ، وقد سجل البوريني بعض أساليب المدرسين في ممارستهم التدريس ، فكان بعض الأساتذة يستخدمون القسوة^(١٠) ، والبعض الآخر كان لطيفاً مع الطلاب (رحيماً بهم)^(١١).

(١) نفس المصدر ج ١ ، ص ١١٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٨ .

(٧) للمزيد انظر ترجمه الفقير زكريا بن خضر ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٨ .

(٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٠ .

كما وأشار البوريني في تراجمه إلى بعض المدارس التي كان لها الدور في النشاط الثقافي لبلاد الشام ويوضح الجدول أدناه مجموعة منها مبيناً مواقعها ومذاهبها على النحو الآتي:

جدول رقم (٢) : المدارس في بلاد الشام			
ت	أسم المدرسة	ج ، ص	الملاحظات
١	أحمد باشا شمسي	ج١- ص ٨٥	تقع قريبة على سوق الأروام وهو اول سوق الحميدية وتسمى اليوم مسجداً لأحمدية.
٢	البادرانية	ج١- ص ٩٣ ، ج٢، ٩٦ ص ٣١٢	تقع بدمشق ، وجاور بها أحمد العناتي الصوفي .
٣	البهرامية	ج١- ص ٢٦٤	تقع في حلب وتسمى اليوم جامع البهرامية بناها بهرام باشا والي حلب أواخر القرن العاشر ، ونزل بها البوريني في رحلته الحلبية
٤	الأتابكية	ج١- ص ٤٩	تقع بدمشق قرب دار الحديث الأشرفية .
٥	التقوية	ج١- ص ٢٧ ، ج٢٣ - ص ٧٤ ، ٩٩	مدرسة مشتركة للطلبة بدمشق أصحاب المذهب الشافعي ، والحنفي .
٦	الحاجبية	ج١- ص ٥٢	تقع في صالحية دمشق وكان أمامها بها أحمد الشوكي الحنبلي .
٧	حاجي حسن	ج٢- ص ٩١	تقع بدمشق تولى التدريس فيها أديس الواعظ أحد مصادر البوريني .
٨	الخاتونية	ج٢ ، ٣٠٢	تقع في دمشق للأحناف وتولى التدريس فيها العماد الحنفي أحد شيوخ البوريني .
٩	خير الدين باشا	ج٢- ص ٢٠٣	تولى التدريس فيها أحد اصحاب البوريني ، درويش الطالوي الأديب .
١٠	الجمقية	ج١- ص ٥٥ ، ج٢- ص ١٠٨	تقع بدمشق من مدارس الحنفية .
١١	الجوزية	ج١- ص ٤٥ ، ج٢- ص ١١٦	تولى التدريس فيها أحد تلاميذ أحمد العيثاوي الشافعي .
١٢	الجوهريه	ج١- ص ١٢٢ ، ٧٩	تقع داخل دمشق أنشأها الصدر نجم الدين ابو بكر محمد بن عياش التميمي الجوهري من مدارس الأحناف .
١٣	الدرويشية أوجامع درويش	ج١- ص ٧٩ ، ٢٣ ، ج٢ ، ١٩١ ، ص ١١١ ، ١١٣	أنشأها درويش باشا حاكم الشام خارج دمشق في محلة باب الجابية ، تولى التدريس فيها العديد من العلماء ويبدووا من العلماء الذين درسوا فيها أنها للشافعية .
١٤	الدولعية	ج٢- ص ٣٣٥	تقع بدمشق .
١٥	الريحانية	ج٢- ص ٣٠٢	تقع في دمشق تولى التدريس فيها أحد شيوخ البوريني العماد الحنفي.
١٦	السلمية ، وهي جامع	ج١- ص ١٨٠ ، ٥٧ ، ج٢ ، ٢١٤ ، ص ٩٢ ، ٣٣٣ ، ٣١٩ ، ٣١٨	تقع بصالحية دمشق ، بناها السلطان سليم الفاتح.
١٧	السليمانية	ج١- ص ٢٦٣ ، ٢٦٢-٢٦٠	تسمى النكبة السليمانية وتقع بدمشق .
١٨	السييانية	ج٢- ص ٣٢	تقع خارج دمشق في باب الجابية نسبة الى سييائي نائب الشام .
١٩	الشامية الجوانية	ج١- ص ٢٧ ، ج٢- ص ٣٣١ ، ٩٩	تقع بدمشق ، تولى التدريس فيها البدر الغزي الشافعي أحد شيوخ البوريني .
٢٠	الشاذبكية	ج٢- ص ٣٢٥ ، ٣٢٦	تقع في محلة القنوات خارج دمشق .
٢١	الشامية البرانية	ج٢- ص ٤٨ ، ٣٤٦	تقع بدمشق وهي مشروطة لأعلم علماء الشافعية .
٢٢	الشرابيشية	ج١- ص ٢٧٥	تقع في دمشق للمذهب المالكي .

٢٣	الشريفية	ج٢، - ص ٧	تقع في دمشق .
٢٤	الصابونية	ج٢، - ص ٨،٧، ١١٥	تقع بدمشق قرب قبر أوس ابن أوس .
٢٥	الصلاحية	ج٢، - ص ٨٠	تقع في القدس الشريف .
٢٦	الضياينة	ج٢، - ص ٣٣٥	تقع بدمشق .
٢٧	الظاهرية	ج١، - ص ٤٤	مشروطة للشافعية .
٢٨	العادلية الكبرى	ج٢، - ص ٣١، ٧٣، ١١٦، ج٢، - ص ١٣٣	للطلبة الشافعية ، والأحناف .
٢٩	العثمانية	ج١، - ص ٢٩٧، ٢٩٦، ج٢، - ص ١٢٧	تقع في القدس الشريف .
٣٠	العمرية	ج١، - ص ٩	تقع في الصالحية شمال دمشق ، انتقل لها البورين بعد جامع منجك ، أنشأها فلسطيني وكان للبورين له فيها حجرة .
٣١	العادلية الصغرى	ج١، - ص ١٠، ١١٨، ٢٦٥، ج٢، - ص ٢٩٧	تقع بدمشق للشافعية قرب دار الحديث الأشرفية وهناك عادلية للأحناف فيحلب .
٣٢	الغزالية	ج١، - ص ٤٥، ٢٧٥، ج٢، - ص ٧	تقع بجامع بني أمية بدمشق ، تولى التدريس فيها المالكية والشافعية
٣٣	الفارسية	ج١، - ص ١٦٣	تقع في دمشق .
٣٤	القصاعية	ج١، - ص ٢٦٧	تقع بدمشق للطلبة الشافعية وعند النعيمي من مدارس الحنفية ^(١) .
٣٥	الكاملية	ج٢، - ص ٩٤	تقع قرب الجامع الأموي وفيها تربة تسمى التربة الكاملية .
٣٦	الكلاسة	ج١، - ص ٣٣، ٢٩٤	تقع بدمشق جوار الجامع الأموي .
٣٧	الكوجانية	ج٢، - ص ٣٣٥	تقع بدمشق .
٣٨	الماردينية	ج٢، - ص ٣٥	تقع بصالحية دمشق .
٣٩	المجاهدية البرانية	ج١، - ص ٦٥	تقع عند باب الفراديس (باب العمارة من شمال المدينة) .
٤٠	ألمسمارية	ج١، - ص ٣٣	تقع بمحلة القيمرية بدمشق .
٤١	مدرسة مزار سيف الدين	ج١، - ص ٣٦-٣٨	تقع بالجامع الأموي وفيها مدفن .
٤٢	المقدمية الجوانية	ج١، - ص ٥٥، ٢٦٢، ج٢، - ص ٩٩	تقع بدمشق نسبة الى أمير الأمراء الشمس ابن المقدم من كبار أمراء الملك العادل نور الدين الشهيد من كبار الأمراء الصلاحية وهما مدرستان في دمشق وفي حلب ووقف عليها قريتين في دمشق قريبة جسرين وقرية المحمدية من قرى غوطة دمشق .
٤٣	الناصرية الجوانية	ج١، - ص ٩٩، ١١٠، ٢٧٦، ج٢، - ص ٣٠٢	تقع بدمشق للطلبة الشافعية والأحناف .
٤٤	الناصرية البرانية	ج٢، - ص ٣٥	تقع في صالحية دمشق .
٤٥	النحاسية	ج٢، - ص ٢٢٧	تقع قرب مقبرة مرج الدحاح بدمشق .
٤٦	نور الدين الشهيد	ج١، - ص ٨٦	للطلبة الأحناف ، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود زنكي .
٤٧	اليونسية	ج٢، - ص ٣٣٥	تقع بدمشق .

(١) النعيمي : الدارس، ج١، ص ٥٦٥ .

الأوقاف ودورها في التعليم :

أوردت تراجم البوريني معلومات حول الأوقاف ومرافقها التي كان لها دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية وخاصة التعليمية ، والجدول أدناه يوضح بعضاً من تلك الأوقاف :

جدول رقم (٣) : الأوقاف ودورها في التعليم				
ت	الاسم	المكان	ج - ص	الملاحظات
١	بني منجك ومنهم محمد ابن منجك وله علاقة بالعلماء مثل أحمد ابن رجب وكان له بستان الذي في الشرق ، و أوقاف ابراهيم المنجكي أشارة الى الوقف الذري ، وجامع منجك	يقع بدمشق الشام ومحلة مسجد الاقصاب أو مسجد القصب إذ فيه جامع المنجكي أو الأمير منجك أوقاف الجوامع التبيدمشق ، وكانت الأوقاف أيضاً مواد غذائية منها القمح ، والشعير وجامع منجك .	ج١- ص ١٠ ، ١٢٣ ، ٢١٥ ، ٣٠٧ ، ١٣ ، ٣١٥ - ٣١٦ ، ج٢ ، ص ٣٦	ضمن أعمال أحمد بن أحمد الطيبي الكبير ، وفي جامع مسجد القصب رأى الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني البوريني وتبسم له ، وبعد فتره لما وصل الوزير الى دمشق حاكم من قبل السلطان أحمد النقي بالبوريني وذكره بتلك الرؤية والتبسم ، نفعت كثيراً من الناس دون تمييز وكانت مختلفة منها القمح والشعير ، ومنها بيت جميل وبستان وقفها على الشيخ أسد الدين التبريزي وذريته. وجامع منجك من جملة أوقاف بني منجك ومن الأوقاف التي أوقفها الأمير ابراهيم ابن منجك لأسد الدين التبريزي وأولاده وأحفاده (ذري) البيت : في باب الجامع الاموي والحوانيت : محلة ميدان الحصا وبستان : في جهة الشرف الأعلى في مقابلة القصر الأبلق.
٢	مسجد	يقع بمحلة السليمانية	ج١- ص ٢٩ ، ٣٠	لم يسمه البوريني وناظر المسجد يأكل من وقف المسجد.
٣	حمام السلسلة الكبير	وقف الخانقاه الشميصاتيه	ج١- ص ٣١	لم يذكر عنها شيء.
٤	بني مزلق	لم يحدد مكانها	ج١- ص ٣٨	ورد ضمن ترجمة أحمد بن سليمان .
٥	المدرسة المقدمة الجوانية	وقف أمير الأمراء شمس الدولة بن المقدم من أمراء الملك العادل نور الدين الشهيد ثم صار من أمراء الصلاحية	ج١- ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٢٦٢	وهما مدرستان واحده في حلب والأخرى في دمشقعبد الملك ابن المقدم ووقف على هاتين المدرستين (قريتين في دمشق ، قرية جسرين وقرية المحمدية) وكان أبو الجود يرسل وكيل يقبض له ما يخصه من جهة مقدمة حلب وكان شرط التدريس فيها عن وراثة وشرط واقف وكان الذي يدرس فيها من حقه أن يعمر فيها بيوت له ولأولاده وفق كتاب الوقفان المتولي عليها من حقه التصرف في ذات المدرسة وفي اوقافها وجهاتها كما يريد وغير صيغتها الا ان القاضي أحمد أفندي الانصاري أرسل نائبهمصطفى أفندي فهدم ما ثبت أنهتغير ثم تدخل الناس فوافق القاضي أن تكون العمارة جزء منالمدرسة وقفاًعلى المقدمة يتصرف فيها من يأتي بعده من المدرسين والمتولين وكتب بذلكتمسك شرعي (كتاب) وكانتمساحتها كبيرة حيث بنى فيها قاعهوقصراً.
٦	العمارة السليمانية	يقع في دمشق	ج١- ص ٧٨	كان يتولاها عبد الكريم أفندي وكانعارفاً بالإنشاء التركي مشهور.
٧	الأوقاف في زمن القاضي أحمد أفندي الأياشي	يقع في دمشق	ج١- ص ٨٦	كانت تباع حيث نقل البوريني أخبار تشير الى فساد هذا القاضي حيث كثرت الرشا والتزوير وبيع الأوقاف
٨	للحسن جد أحمد الجوهري لأمه مسجد عليه أوقاف	يقع في دمشق	ج١- ص ١١٦	ضمن ترجمه أحمد الجوهري الكيمائي.
٩	أوقاف المدرسة السليمية	يقع في الصالحية	ج١- ص ١٨٠	تولى أوقافها والد أحمد الحلبي الشهير ابن الملا.

١٠	أوقاف أحمد الحلبي	يقع في حلب	ج ١، - ص ١٨٠	وكانت له أوقاف أنتقل إليه من بعض أسلافه (وقف ذري).
١١	خانقاه	يقع في دمشق	ج ١، - ص ١٨٩، ١٨٨	أمير الأمراء أحمد باشا بنى خانقاه في دمشق وتقع قبالة قلعة دمشق من جانبها القبلي ملاصقة لخندقها وفيها حجرات للصوفية ولها وقفاً يطبخ منه الطعام كل ليلة بعد العصر يأكله المجاورون بها وهي من محاسن دمشق كما يصفها لنا البوريني ، وبها بركة عظيمة وبستان لطيف واقع في وسطها ودائماً يكون بها شيخ يتناول ما شرط للمشايخ من علوفة وطعام وعوائد وفوائد
١٢	المدارس الموقوفة	يقع في دمشق	ج ١، - ص ١٩٧	ورد ضمن ترجمة القاضي أحمد أفندي (شيخ زاده) وقال البوريني "... وما كان صنعه بدمشق إلا تعمير المدارس الموقوفة بدمشق وأتمثل الناس أمره في ذلك إلا القليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) .
١٣	أوقاف جامع يلبغا الناصري	يقع في دمشق	ج ١، - ص ١٩٧	كان المتولي عليها شمس الدين الميداني الشهير (أبن الحنتوش) وبسببها كانت له علاقة سيئة مع القاضي أحمد أفندي (شيخ زاده).
١٤	كتب علمية	يقع في الشامية البرانية	ج ١، - ص ٣٠٧	فقد ذكر ابراهيم المقدسي صاحب البوريني سبب لقبهم بالخازن هو أن جدهم الأعلى لما جاء من بيت المقدس ونزل بالشامية البرانية صار خازناً كتبها الموقوفة بها .
١٥	وقف النور الشهيد	يقع في داريا	ج ١، - ص ٣١٥	ومنها أوقاف كآرزاق جافة كالمقح تدفع كراتب لفئات العامة
١٦	أوقاف لأكراد أستقروا في حلب	يقع في حلب	ج ٢، - ص ٢٧	صارت للأكراد خلال المصاهرة
١٧	أوقاف بنو الفرور	يقع في نواحي صيدا	ج ٢، - ص ١٢٣	وكان جمال الدين جلبي الحنفي ، يتوجه الى تلك النواحي لتحصيل الغلال ، وجباية الأموال وهي أوقاف أجداده
١٨	حمام العقيقي ، والبيت الذي خلفه	يقع في دمشق	ج ٢، - ص ١٣٥	وقف على أماكن كثيرة ومنها موقوفة على أئمة الجامع الاموي ، ويصف البوريني البيت الذي بناه جلال الدين جلبي أحد موظفي الوزير الأعظم سنان باشا على أملاك مصر ، بقوله " ولاطمأن خاطره فيه ... " بسبب كونه تابع للوقف للحمام فأعتبر وقفاً .
١٩	وقف آباء وأجداد حاكم حلب أحمد باشا الشهير كمكجي زاده	يقع في حلب	ج ٢، - ص ٢٥٥	ومتولياً عليها الشاب صالح من بيت السفاحي في حلب علماً قبل تعيينه بذلك كان صالح خارجاً على السلطة الى جانب السكياتية إلا انه ترك ذلك بسبب وفاة ، وعينه حاكم حلب بتلك الوظيفة .
٢٠	أوقاف وكتب	يقع بدمشق	ج ٢، - ص ٢٨٩	تعود إلى صاحب الدفاتر السلطانية علي أفندي وقفها على علماء دمشق ووصف البوريني الكتب بأنها كتب جيدة وعظيمة ودعا الله أن يحميها من المحرفين اللذين يشتركون الكتب فيعملون على تحريفها
٢١	من الأوقاف بيت أشتره القاضي عب اللطيف	يقع بدمشق	ج ٢، - ص ٣٤٥	البيت في سوق السيور مقابل باب الزيادة من الجامع الاموي وكان وقفاً على مكتب الأيتام بدمشق فاشتره وأعطى الثمن لمن أكله .
٢٢	الشامية البرانية	يقع بدمشق	ج ٢، - ص ٣٤٦	وهي وقف لأعلم علماء الشافعية إلا أن ذلك لم يمنع من تعيين من هو غير شافعي بقوة المال والوجاهة .
٢٣	قرية كفر مشكا	يقع في وادي التيم	ج ٢، - ص ٣٧٠	بعضها أوقاف لعبد الغني الدوبدار وكانت وقف أجداده وهو وقف ذري يقول البوريني عنه من أبناء السلف الماضين الذين لهم أوقاف (وقف ذري)
٢٤	المدرسة الدرويشية الشافعية	يقع في دمشق	ج ٢، - ص ٣٧١	وقف للشافعية يتولى التدريس فيها العلماء الشافعية وأن يكونوا مؤهلين للتدريس فيها .

ثالثاً . الحياة الأدبية وواقع الشعر ومدى تأثيره في المجتمع :

رصد البوريني الأديب والمؤرخ صورة عن الحياة الاجتماعية في بلاد الشام من خلال الشعر الذي انتشر في تلك الفترة ومدى تأثيره في المجتمع من نواحي مختلفة إلى جانب انتشار اللغات الثلاثة العربية ، والفارسية ، والتركية ، ، فقد جسدت الأشعار حياة العلماء ومباحثاتهم، وعلاقاتهم فيما بينهم وبين الناس وما شهدته تلك الأشعار من تنوع لفنون وأساليب الشعر، وحياة المجتمع والعلاقات القائمة ، وعلاقة السلطة والقضاء بالأعيان وبالمجتمع ، فكان الشعر والنثر يشكل أهمية للناس وخاصة الأدباء ، فقد كان وسيلة للتعبير عن آرائهم ومعالجة مشاكلهم، وهي كما يلي :

صورة العلماء في مباحثاتهم من خلال الشعر وتنوع فنونه : جسدت الحياة الأدبية أروع صور العلاقات الاجتماعية بين مختلف فئات السكان وخاصة العلماء ، وهي متنوعة فمنها في المباحثات والعلاقات بينهم ، ويوضح ذلك البدر الغزي العامري الشافعي مع أحمد الطيبي الكبير في موقفه حين رد على صاحب القاموس في مسألة الخزل والجزل في العربية ، فرد عليه الغزي بأبيات من الشعر تشير إلى روح العصر وثقافة التواصل والنقاش^(١)، فكانت للعلماء جلسات للمباحثة فيما بينهم خاصة في القصائد الشعرية الحسنة^(٢) وكان الطيبي الصغير الشافعي يكتب كثيراً من الأشعار للبوريني ، فذات مرة دعاه البوريني إلى أكلة سمكٍ مقلي ، فلما حضر الطيبي لم يجد إلا القليل ، فنظم الشعر في ذلك مما يدل على علاقة الود بينهما ، وتصور الحياة الأدبية واقع حياة الناس والعلماء فحين وقع أحمد ابن الأكرم في مسجد السلطان سليم بصالحية دمشق قال فيه العلماء شعراً^(٣) ، ولما حضر مع البوريني الشيخ إبراهيم ابن المفتي البدر الغزي في الحجرة الحلبية عند أحمد ابن الأكرم أراد الجلوس تحته ، الا أن البوريني جذبه من كفه وأجلسه فوقه وأنشده بيتاً من الشعر فيه إشارة إلى عمق العلاقة بينهما، وإلى اكرام الضيف^(٤)، وصورت الحياة الأدبية العلاقة بين التلميذ وأستاذه ، فلما كان البوريني أحد تلاميذ الشيخ اسماعيل النابلسي قد أخذ رخصة منه للذهاب إلى الصالحية وأن لا يُعقد الدرس ، الا أن إسماعيل عقد الدرس وأخل بالإتفاق أو الشرط ، فأرسل البوريني له قصيدة يعاتبه بها ، وقد تأثر شيخه بذلك مما دفعه إلى الاعتذار من تلميذه ، الا أن البوريني لم يقبل اعتذاره واستمر على عدم حضور دروسه إلى وفاة اسماعيل النابلسي سنة ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م^(٥) في إشارة إلى علاقة الاستاذ بالتلميذ وأهمية الوفاء بالعهد ، ونظم البوريني

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج١ ، ص ١٢ ، ج٢ ، ص ٩٧-٩٨ .

(٢) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٣٤ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٥٧ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٥٩ .

(٥) للمزيد انظر قصيدة البوريني كاملة ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

قصيدة سنة ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م ، تشير إلى اعتذاره من الشيخ جلال الدين الصفوري الشافعي في اشارة مهمة على أخلاق العلماء فيما بينهم والمودة والاحترام المتبادل^(١)، وحين التقى البوريني في المدرسة الشاذليكية بأحد أصحابه وهو عبد الله المصري ، نظم الشعر له وطلب من البوريني الجواب^(٢) في اشارة إلى مكانة البوريني عند الأعيان وتبادل الأشعار ، ولما قام المفتي أبي السعود بتنقيح تفسير كلام الله في الرد على الزمخشري جار الله وأرسله إلى طاش كبري زاده لأخذ رأيه فأعجب طاش كبري زاه بذلك الرد وقام بمدحه بقصيدة^(٣) في إشارة إلى الدور المهم الذي كانت تلعبه القصائد الشعرية في تصوير الواقع الاجتماعي ، وحين خاض القاضي أحمد جليبي في كلام ابن الفارض وابن عربي حول صفات رب العالمين أنكر البوريني عليه ذلك لأنه دخل في أمر لا يعنيه وقال فيه شعراً يصور استياء البوريني منه^(٤) ويقول عنه البوريني : (ادعى أحمد جليبي الوعظ وهوليس بواعظ وادعى الحفظ وهو ليس محتفظاً)^(٥) ، ووردت ضمن ترجمة أحمد العناني أموراً لها واقع من الحياة الأدبية بين الشعراء في تلك الفترة ، منها ما حصل بينه وبين محمد الصالحي الهلالي من نقاشٍ حول بعض القضايا من خلال الشعر ، وتدخل البوريني في النقاش^(٦) ، ومما يلفت الانتباه في تراجم البوريني بأن الأدباء كانوا مهتمين بواقع المجتمع وحل مشاكله ، منهم الأديب أحمد بن رجب الحنفي الذي كان ينظم الشعر الخاص بالتحريض على شرب قهوة البن^(٧) ، والفائدة من شربها^(٨)، والمفتي أبو الفتح المالكي الذي كتب شعراً يرد فيه على المفتي أحمد العيثاوي الشافعي بقوله^(٩) :

أنا أفتي بمقتضى الظاهر انها مغنم
ليت شعري من أين للماهر أنها تحرم ؟

في إشارة مهمة إلى ما أثارته هذه المسألة من ردود للأفعال إذ كانت تسبب قلقاً للمجتمع فمنهم من كان يجوز شرابها ومنهم من يرى عكس ذلك ، ولما صنف أحمد الخالدي الصفدي كتاباً في العروض قام بعرضه على البوريني فكتب قصيدة مدح فيها الكتاب ومؤلفه، ولم يكتب في ذلك فقد استمر بإرسال القصائد للبوريني من صفد وكانت متنوعة كالمدح منها ما نقله البوريني بقوله :

(١) للمزيد انظر القصيدة كاملة ، نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٣١-١٣٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج٢ ، ص ٣٢٦-٣٢٧ .

(٣) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧٥ .

(٤) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٧٩-٨٠ .

(٥) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٨٢ .

(٦) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٩٥ .

(٧) نفس المصدر ، ج١ ، ص ١٢٣ .

(٨) نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٥٥ .

(٩) للمزيد انظر المواقف والأشعار التي حصلت بين مفتي المالكية ومفتي الشافعية ، وبعض أعيان العصر حول شرب قهوة البن التي نقلها البوريني ، نفس المصدر ، ج١ ، ص ٢٥٣-٢٥٥ .

تحل لطلاب العلوم غوامضا فاننت بجود الفهم للعلم جامع

متظماً تاريخ وصول المکتوب في سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م ، في إشارة إلى مكانة البوريني عند الأدباء ، وكان يرسل له قصائد في الغزل والدعاء يقول البوريني : " .. ومنها في الدعاء .." (١) ، وكانت المباحثات فيما بينهم على شكل قصائد مثلما كان بين البوريني وأحمد ابن المنقار (٢) ، وكان أحمد الحلبي ينظم الشعر في بعض القضايا التي تستوجب الرد والتباحث منها حين رد على أحد نقيب الأشراف من خلال الشعر (٣) ، ومما يلفت النظر اهتمام الأدباء بشعر الشريف الرضي خاصة فيما يتعلق بمواقف للعبارة والعضة (٤) ، وقد اشارت الأشعار إلى تدهور العلوم والقوانين (٥) ، وصورت الحياة الأدبية حياة العلماء في معيشتهم، مثلاً ما نظمه بدر الدين الغزي في الشيخ محمد الأيجي نزيل جبل قاسيون في قوله (٦) :

مولاي خفاش الدجى قد هجا حمامة السفح بذات الشقاق
فانقض بازي الحي من شاهق يأبها الصقر تفضل بقاق

وفسر البوريني معنى هذا الشعر ، فخفاش الدجى ، المقصود فيه الغزي لانه كان لا يطلع من حجرته الا " ... من الليل إلى الليل .." (٧) ، وحمامة السفح المقصود فيه الشيخ محمد الأيجي نزيل جبل قاسيون (٨) ، وبازي الحي المقصود به الشاعر نفسه (الغزي) (٩) ، والمقصود بالصقر الشيخ علاء الدين لأنه كان أحذب مثل الصقر (١٠) ، ونظم البوريني الشعر وكان شيخاً شيخاً كبيراً ويصف حاله حين صعد إلى سلم أحد بيوت أصحابه وهو القاضي أكمل الدين ابن مفلح ، ويقع مقابل دار الحديث الأشرافية بصالحية دمشق فيقول (١١) :

أصبحت شيخاً كبيراً لا أستطيع النهوضا

مما دفع أصحابه إلى نظم شعراً مشابها وكان الشعر يصور حالة كبر سنهم (١٢) في إشارة إلى عمق العلاقات الاجتماعية بين العلماء في تلك الفترة على الرغم من بلوغهم سن الشيخوخة ، كما وصورت الأشعار الأشتياق بين العلماء في الجلوس والاجتماع والخروج إلى الزه ، مثلاً الشعر

(١) انظر ج ١ ، ص ١٢٥ - ١٢٨ . وانظر صورة المکتوب البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٦٥ - ١٦٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٥) للمزيد انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥١ .

(٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .

(٩) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

(١٢) للمزيد انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ - ٣٢٢ .

الذي أرسله أحد أصحاب البوريني إليه وهو أبو بكر الجوهري يطلب فيه العودة إلى ممارسة الخروج إلى النزه والمباحثات التي كانت يتخللها الغناء على العود والدف^(١)، وتضمنت الأشعار في تلك الفترة مباحثات في مختلف العلوم منها ما يخص القضايا الشرعية الخاصة بالمسافر منها (الصلاة، والصوم، والوضوء، وأكل لحم الميتة، وصلاة الجمعة)، فكان الحفل فيها يتم بفن الشعرون الذثر، ومنها ما يخص مسائل في قواعد اللغة العربية، فكان السؤال يتم عن طريق الشعر أو النثر، ويكون الجواب بواسطة الشعر أو النثر أيضاً، ولم تكن تلك الأسئلة تقليدية وإنما كانت لحل مشاكل واقعية^(٢)، ومما يلفت النظر تنوع فنون الشعر وأساليبه، كالغز في الشعر، والعتاب، والغزل، والهجاء، مثلاً ما كتبه إبراهيم الحلبي الشهير بأبن الملا للبوريني في لغز حول أسم (حسن)^(٣)، كانت قصيدة طويلة تضمنت عتاب بينهما بسبب تأخر البوريني في إرسال جواب لقصيدة سابقة^(٤)، أو ما كتبه الأديب محمد الصالحي الهلالي للشيخ إسماعيل النابلسي فكان في لغز (عقرب)^(٥)، والشيخ عبد النافع الحموي كتب للبوريني حين كان بطرابلس قصيدة في لغز بدر، وقد أجابه البوريني بسرعة ويصف ذلك بقوله: "... فكتبت إليه الجواب، ورسوله واقف بالباب..."^(٦)، وفي العتاب، فحين جاء إسحاق ابن أبي اللطف الشافعي المقدسي من القدس إلى دمشق التقى بالشيخ أبي الطيب الغزي ولم يكن السلام بينهما على حقه، مما أغضب أبي الطيب الغزي فنظم شعراً يعاتبه^(٧):

بني اللطف ولا لطف خذوها مرة العتب
وسحقاً لك يا إسحاق من قشر بلا لب

ومنه عتاب الشاعر عبد الحق الحمصي الشافعي على شيخه محمد بن فواز أحد اصحاب البوريني^(٨)، وفي الهجاء، إذ كان الشاعر أمين الدين الصالحي الدمشقي أحد الموقعين على الأحكام الشرعية بدمشق ينظم شعر الهجاء (خاص بعيوب الناس) كبني الخطاب "... الجامعين لجميع القبائح بلا ارتياب"^(٩)، وكان لا يجيد إلا هذا الفن من الشعر حتى مع أقربائه على حد قول البوريني، ومن أشعاره يهجو فيها عمه ولي الدين البزوري^(١٠):

- (١) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٨٦، ٢٩١.
(٢) للمزيد انظر الشعر الذي نظمه ابو بكر المقدسي، نفس المصدر، ج ١، ص ٢٩٧، ج ٢، ص ٤٠ - ٤٤.
(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج ٢، ص ١٥-١٦.
(٤) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٩-٢٠.
(٥) للمزيد انظر القصيدتين لمحمد بن الصالحي الهلالي، وجوابهما قصيدتا اسماعيل النابلسي، حول اللغز في عقرب وسؤال فقهي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٧٨-٧٩.
(٦) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٤١-٣٤٢.
(٧) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨١.
(٨) نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٥٩.
(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٢-٨٣.
(١٠) نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٢-٨٣.

إذا رأيت ولي الدين مفكراً منكساً رأسه أنسانه ساهي
فذاك من أجل دنيا لاآخرة خوفاً من الفقر لا خوفاً من الله

، وصورت الحياة الأدبية عادة العلماء فيما يقفون عليه من المؤلفات ، إذ جرت العادة حين يؤلف أحدهم كتاباً فإنه يطلب أو يلح لصاحبه أن يكتب شيئاً حول ذلك الكتاب كمدح بفن الشعر أو النثر^(١) ، وكانت أشعار بعض العلماء والأدباء تطرح قضايا خاصة منها أشعار الرضي والد البدر الغزي ، وكان البدر الغزي شاعراً مهتماً بأشعار زهير ابن أبي سلمى ، خاصة تلك الأشعار التي تجسد العمر وسلامة البدن بقوله^(٢) :

و ابو الفضل كنيته وانتسابي من قريش لعامر بن لؤي

أما شعر زهير فقال البدر الغزي^(٣) :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين عاماً لا اباً لك يسأم

ومن شعر البدر الغزي يجسد سلامته من الأمراض قوله^(٤) :

أن الثمانين وبلغتها ما أحوجت سمعي إلى ترجمان .

وحين أخذت المدرسة التقوية من الشيخ البدر الغزي الشافعي من قبل قاضي العسكر ابن معلول ومنحها إلى محمد الحمصي الملقب بالحجازي ، إلا أن بعد عزل ابن معلول ومجيئ القاضي محمد أفندي الملقب (جوي زاده) قام بإرجاع المدرسة إليه ، مما دفع بالبدر تنظيم قصيدة ، تشرح قصته مع ابن معلول والقاضي الحجازي ، يقول البوريني عن القصيدة : "... وشرح فيها جميع ما صدر من أمر ابن معلول وعزله وتولية جوي زاده"^(٥) ، ومما يلفت النظر أن الأشعار في تلك الفترة لم تصور فقط علاقة علماء الشام فيما بينهم ، وإنما تعدت إلى علماء مصر ، فكان للبدر الغزي مجلس علم في مصر ، وكان يترقب دائماً حضور المفتي (الشمس العلقمي) وحين لم يحضر في إحدى الجلسات كتب البدر الغزي أبيات من الشعر ، ومطلعه قوله^(٦) : والله ما يحلو لنا مجلس إلا إذا حل به العلقمي

وكان البدر الغزي ينظم الشعر في مختلف العلوم ، منها تفسير القرآن الكريم الذي كان يثير بعض أشكاليات بين العلماء ومنهم البوريني ، ومنها في معنى حديث نبوي شريف ، ومنها في دعاء

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٢١-٢٢، ٢٤.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٣.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٨.

(٤) نفس المصدر، ج٢، ص ٩٨.

(٥) للمزيد انظر ، عزل البدر الغزي من المدرسة وتولية الحجازي ، و عزل ابن معلول وتولية جوي زاده ، نفس

المصدر، ج٢، ص ٩٩-١٠٠.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٠٠.

خاص لتفريج الهم والكرب يقول البوريني : " ... وقال أنه مجرب للفرج" (١) ، وكانت العلاقات والاحترام المتبادل بين العلماء من الأمور الشائعة ، فحين لم يستطع البوريني أخذ بعض الأشعار من البدر الغزي أضطر إلى طلبها من أبنه يقول لبوريني : " ... لرفعة مقامه ، و عزة مرامه فطلبتها من ولده شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين ..." (٢) . وصورت الأشعار أيضاً علاقة العلماء فيما بينهم ، وأخلاقهم ، فمثلاً ما حصل بين البوريني وبين أحد أصحابه وهو الحسين الحافظ التبريزي حيث تبادل الطرفان المدح والقصائد الشعرية باللغتين العربية والفارسية (٣) ، وكان الشاعر الحسين ابن عبد النبي له قصيدة سماها القصيدة القرمحشية وهي خاصة بمدح القاضي محمد بن محمد الحسيني ، وقد شرحها البوريني (٤) ، وأبو بكر العمري (٥) ، وقد وردت فيها معلومات قيمة عن أهمية الشعر ، وأصناف الشعراء (٦) ، وأثر الجغرافية المحيطة بالشاعر ، فمثلاً عذر البوريني الشاعر الحسين ابن عبد النبي كونه من بيئية صحراوية (٧) في إشارة إلى اختلاف النظم الشعري بين سكان الصحراء وسكان المدينة ، ويصفه القاضي محمد الحسيني بأنهمجنون ويجب أخذه إلى (البيمارستان) أو المستشفى (٨) في إشارة إلى عدم قبولها لما تحتويه من عبارات غريبة ، وقد نظم الأديب محمد الصالحي الهلالي قصيدةً في سنة ٩٨٧ هـ / ١٥٧٩ م وكان فيها إشارات حول صعوبة الأيام التي يعيشونها ، بسبب الأحداث السياسية والعسكرية التي كانت سائدة كقتال السكبان وغيرهم ، حيث وصف شدة تلك الأحداث بأنها أكبر من يوم داحس والغبراء (٩) . ، وصور الشعر قيم العصر في الحب الشديد لزيارة قبر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، والبيت الحرام ، منها قول الشيخ عبد الله المصري الحنفي (١٠) واصفاً حبه لمكة ومسجد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١١) :

- (١) للمزيد انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠١ .
(٢) للمزيد انظر الشعر الذي يصور حياة البدر الغزي مع القوم ويطلب من الله اخذ حقه منهم ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
(٣) انظر الشعر الذي اورده البوريني بحق الحسين الحافظ التبريزي ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٦٦ - ١٦٨ .
(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٨٦ - ١٩٤ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧٩ - ١٨٣ .
(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٧) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
(٨) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .
(٩) يوم داحس والغبراء : وهو يوم لبني عبس على نديان ، وعبس من القبائل الشهيرة التي تنتسب إلى معد بن عدنان أي قبائل شبه الجزيرة العربية وحظيت قبيلة عبس بمكانة كبيرة بين القبائل بسبب قوتها ، كانت داحس فرساً لقيس بن زهير ، والغبراء فرساً لقيس أو لحذيفة بن بدر وكانت الحرب بسبب سباق خيول ، للمزيد انظر القصيدة نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١١ ، وابن المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ، نسب عدنان وقحطان ، تحقيق عبد العزيز اليميني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر ١٩٣٦ م ص ١٠ - ١١ ، والقريشي : حسن عبد الله ، فارس بني عبس ، دار المعارف - مصر ١٩٦٩ م ، ط ٢ ، ص ٢٨ - ٣٠ .
(١٠) انظر ترجمته البوريني : تراجم الأعيان ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ - ٣٢٨ .
(١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ .

أرى نفسي بأشواق رهينة لقبر قد ثوى وسط المدينة

وللبيت الحرام وما حواه من الدرر المعظمة الثمينة

صورة المجتمع وعلاقاته من خلال الشعر : ومما يلفت النظر اهتمام الادباء في تلك الفترة بعدة جوانب من فرحٍ وحزن^(١)، ومرض أو تعرض أحدهم لمحنة^(٢) فمثلاً نظمه البوريني ارتجالاً بعد أن طلب منه ابن أخ أحمد العجمي أبيات من الشعر ينقشها على قبره لتصوير الظلم والاعتداء الذي وقع عليه من السلطة التي كانت سبباً بموت زوجته وموته ، وكانت أبيات الشعر تشير إلى أنه مات شهيداً ، كما وتطرق إلى نسبه ، وسبب شهرته بالعجمي ، ووصف هيئته، وإلى سبب موته هو وزوجته في يوم واحد ، وأرخ زمن الوفاة يقول البوريني^(٣) :

هذه البقعة التي حل فيها من قضى راحلاً لرب كريم

أحمد من غدا شهيدا بظلم واعتداء والله خصم الظلوم

والعجمي شهرة من أبيه كان ذا همة وجود جسيم

وهو مع زوجة له وسط قبر دفنا جملة بحكم الحكيم

هو بالقتل وهي بالموت حزناً قد أريحا من حكم دهر غشوم

وزمان الرحيل في عام عشر بعد ألف إلى جوار الرحيم

و صورت الأشعار الحزن الشديد بوفاة أحد شيوخ البوريني وهو الشيخ إسماعيل النابلسي الشافعي، الذي رثاه بعض العلماء في إشارة إلى عمق العلاقات فيما بينهم^(٤) ، وقد وصف البوريني وفاة أحدهم بقوله : (تعطلت بموته الدروس وتودشت بوفاته الذفوس ... " في إشارة إلى عمق العلاقة بين الأدباء^(٥) ، ولما توفي الشيخ حسن الرفاعي القطناني في قرية قطنا سنة ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م ، نظم البوريني تاريخ وفاته ببيت من الشعر وهو قوله^(٦) (مات قطب الشام واحزنا) فيقول البوريني أنه حين حسب الكلام بحساب الحروف تبين له نفس تاريخ الوفاة ، بعد ذلك أكمل البيت وأضاف خمسة أبيات أخرى من الشعر وكلها تشير إلى أخلاقه والتزامه الديني ووفاته ، وكراماته^(٧) ، ولما توفي محمد ابن القاضي إبراهيم أفندي نظم الشعر الذي صور فيه حالة الحزن الشديد الذي عانى منه^(٨) . وصور العلماء حالهم في أبيات من الشعر كيف أن الزمان قد طوى

(١) نفس المصدر، ج١، ص ٣١.

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢.

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) للمزيد انظر قصيدة أسد الدين التبريزي ، في تصوير حالة الحزن ، وشعر القاضي محب الدين الحموي ، نفس المصدر، ج٢، ص ٦٦.

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ١٨ ، ٢٤.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٩.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ١٣٩-١٤٠.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٤-٣١٥.

ظهورهم وإذهب الشباب منهم وأن الانسان يجب أن يكون مع الحق^(١) ، ونظم أحمد ابن المنقار الشعر لما كان مريضاً ومربوطاً بسلسلة طويلة حتى أن البوريني تعاطف معه وبكى عليه ، فقال أحمد وهو في حالته^(٢) :

إذا رأيت عارضاً مسلسلاً في وجنة كجنة ياعاذلي
فاعلم يقيناً اننا من أمة تقاد للجنة بالسلاسل

ووردت مكاتبات شعرية بين البوريني وصاحبه أبو الطيب الغزي ، حول مرض و عارض أصاب الغزي^(٣) ، في إشارة الى أهمية القصائد الشعرية في تصوير حياة الناس وخاصة العلماء والأدباء ، وعند هطول المطر كان الأدباء ينظمون الشعر^(٤) في إشارة إلى أهمية المطر لاعتماد بلاد الشام عليه في الزراعة ، وصورت أشعار بعضهم الفرح بالربيع وبطلوع الأزهار ، كأشعار أحمد الحلبي^(٥)، أو باقتناء أحدهم بيتاً خاصة إذا كان ملاصقاً لأحد الجوامع المشهورة ، فكان أحد شيوخ البوريني وهو أسماعيل النابلسي يملك بيتاً ملاصقاً للجامع الاموي وكان ذلك يفرحه كثيراً إذ يقول^(٦) :

قد قلت في تاريخ بيتي بيت شعر قد تلاه
داري جوار الجامع الاموي من نعم الاله .

، وكانت بعض الأشعار تتطرق إلى مشاكل عائلية كما حصل بين أبناء المشيخة السعدية وأبناء المشيخة الكاملية ، وحصل بسبب هاتين المشيختين قتال ونزاع داخل الأسره الواحدة ، أدت إلى تدخل السلطة لفظ النزاع^(٧) ، الذي أدى في النهاية إلى انتصار أبناء المشيخة السعدية سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م^(٨)، وصورت الأشعار بعض البيوت المشهورة بالعلم والعلماء ، والذي ينتسب إليه القاضي تقي الدين الزهيري الشافعي قاضي الشافعية في المحكمة العظمى^(٩) ، وللقاضي تقي الدين الزهيري أشعاراً منها في تهنئة البوريني على وظيفة التدريس في المدرسة العادلية الكبرى بدمشق^(١٠) . وقد سجل البوريني بعض الحرف ومنها النجارة ومن كان يعمل بها^(١١) . وتكشف

(١) نفس المصدر، ج١، ص ١٣ .

(٢) نفس المصدر، ج١، ص ١٦٤ .

(٣) نفس المصدر، ج١، ص ٢٦٦-٢٦٧ .

(٤) نفس المصدر، ج١، ص ٦٧ .

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ١٨٣-١٨٥ .

(٦) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ٦١ .

(٧) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧١ .

(٨) نفس المصدر، ج١، ص ٢٧١ .

(٩) البوريني : تراجم الأعيان ، ج٢، ص ١١٦ .

(١٠) للمزيد انظر القصيدة التي نظمها القاضي تقي الدين الزهيري ، بحق البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٦-١١٧ .

الأبيات الشعرية التي رآها البوريني منقوشةً على العتبة العليا لأحد دور قرية يبرود إلى العبرة والعظة ، وقد اهتم بها البوريني الا انه لم يتعرف على قائلها الا بعد مرور فترة طويلة من الزمن ، من خلال اقتنائه ديوان شعر يعود للشاعر ابن التعاويذي حيث وجد الأبيات الشعرية في هذا الديوان^(٢) في اشارة إلى محبة الناس للشعر والشعراء في تلك الفترة .

صورة السلطة وبعض القضاة من خلال الشعر: لقد سجل البوريني في أشعاره جوانب مهمة منها ما يتعلق برجال الدولة ، وتضمنت الأشعار مدحاً أو هجاءً لأناس في الدولة من السلاطين والأمراء وغيرهم من الأعيان^(٣) ، فكانت الأشعار مصدراً مهماً لمعرفة الواقع ومعرفة حقيقة الشخصيات خاصة الأمراء والسلاطين ، فمثلاً ألقى قصيدة التي أرسلها من بلاد الروم إلى الشام الشاعر درويش الطالوي أحد أصحاب البوريني ، ويشير فيها إلى كرم أحد وأخلاق أحد الأمراء وهو الأمير إبراهيم الطالوي أمير نابلس^(٤)، وحين أخذت بلاد كيلان من سلطانها أحمد خانمن قبل شاه عباس بن خدائي بنده الضرير بن طهمااسب ذهب إلى القسطنطينية ومدح السلطان مراد ابن سليم بقصيدة ، تشير إلى طلبه بارجاع بلاد كيلان من شاه عباس^(٥) ، وعندما دخل الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني إلى دمشق حاكماً بها من قبل السلطان أحمد ، نظم البوريني شعراً مدح فيه الوزير وحدد تاريخ وصوله^(٦) ، وبعد عزل الوزير أحمد باشا الحافظ الثاني من حكم دمشق ومنحه ولاية أنطولي بأرض الروم ، نظم الأدباء تاريخ عزله من خلال الشعر ، ويشير ذلك النظم إلى أنه كان (حاكم جور) وقد ظلم الناس بسنه أنواع المظالم في دمشق الشام وزادت الجرائم^(٧)، وصورت الأشعار كرم أشرف مكة ومنهم الأمير إدريس الحسني ، فلما رفض البوريني الذهاب إليه لوداعه كونه لا يريد أن يقال عنه أنه جاء لمنفعة خاصة ، مما دفع الشريف بأرسال هدية للبوريني ، فنظم الشعر بحق ذلك الشريف الكريم وكان ذلك ما بين عامي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١م و ١٠٢١ هـ / ١٦١٢م^(٨) وصورت الأشعار ظلم بعض القضاة كوالد أحمد أفندي قاضي العسكر الذي أصدر حكماً ضد أحدهم بغير وجه حق^(٩) ، الا أن البوريني مدح هذا القاضي حين جاء إلى دمشق بقصيدة تشير إلى أنه صاحب فضائل في وقتٍ يصفه البوريني بقوله : (نفاق سوق الفضائل والآداب في زمانه لكونه فاضلاً... " ، كما ومدحه عبد الحق بن محمد الحجازي ، وقد نظم البوريني تاريخ مجئ القاضي

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٧١.

(٢) للمزيد انظر ابيات الشعر التي اوردها البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ٢٥٧.

(٣) البوريني : تراجم الأعيان، ج١، ص ١٤٥.

(٤) للمزيد انظر ترجمه الأمير إبراهيم الطالوي ، نفس المصدر، ج١، ص ٣١١

(٥) نفس المصدر، ج١، ص ١٥٧-١٥٨.

(٦) للمزيد انظر نفس المصدر، ج١، ص ٢١٥-٢١٦.

(٧) للمزيد انظر الشعر نفس المصدر، ج١، ص ٢١٨.

(٨) نفس المصدر، ج٢، ص ٨٦-٨٨.

(٩) نفس المصدر، ج١، ص ٦٧.

أحمد أفندي إلى دمشق في سنة ٩٩٤ هـ / ١٥٨٦ م بقوله : " ... بحساب الجمل : خير مقدم. ونظمناه في قولنا(١):

أتيت دمشق الشام كالغيث هاطلاً فأهلاً وسهلاً بالوفا والتكرم
ولما منحت الخير للناس كلهم قدومك قد أرخته خير مقدم ،

وكان قاضي حلب ثم دمشق أحمد أفندي الأياشي معروفاً عنه تعاطي الرشوة والتزوير و عدم محبة الناس له ولوكيله ، وقد هجاه الشيخ درويش سبط آل طالوا الشامي بقصيدة طويلة سماها (رفع الغواشي عن ظلم الأياشي) ونقل البوريني بعض الأبيات الشعرية من هذه القصيدة ، تشير إلى فساد هذا القاضي وانتشار ظاهرة بيع الوظائف والأوقاف بقوله:

كيف استحلا الف قرش له وجملة المال ثلاث كبار
ومنها أيضاً ما نقله :

وجملة الاوقاف في عهده تباع في الدلال بيع الخيار

في إشارة إلى الوضع السيئ الذي وصلت اليه الحال في زمنه ، وقد أبدى البوريني استغرابه حين قام الأديب درويش الطالوي بمدح الأياشي بأنه كان قاضياً عادلاً حين قال ضمن أبيات شعرية(٢):

ساق عدلا بالشام حتى شهدنا مشي ذئب الفلاة بين المواشي ،

ومما يلفت النظر اهتمام الأدباء بحياة الناس وحل مشاكلهم ، خاصة في تعرضهم للإذى كقطع أرزاقهم من خلال السلطة أو القضاء وأخذ الرشوة منهم ، فكان البوريني يورد الأشعار والأمثال لوصف تلك الحالة بقوله :

لا تقطن عادة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه

والشيخ إسماعيل المقري كتب تحت الأبيات الشعرية ، هذا البيت وهو كما نقله البوريني(٣):

لو لم يتب مسطح مما جنى ما عوتب الصديق في حقه

وكانت الأمثال لها دور في وصف الواقع كقوله : (قطع الخشوم ، أسهل من قطع الرسوم) ، أو كما قال مفتي المالكية بدمشق رداً على المفتي عبد النبي ابن جماعة المقدسي (جعجة ولا طحن . ورب صلف تحت الراعه(٤)) ، وكانت هناك أبيات شعرية مرسله من المفتي في القسطنطينية أبي السعود أفندي إلى ابنه محمد القاضي بدمشق ، ينصحه ويحذره من تعاطي الرشوة فيقول(٥):

(١) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٦٨ ، ٧٢ .

(٢) البوريني : تراجم الأعيان ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .

(٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

الاخذ الحكمة مني واخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا قبول الحاكم المالا ،

مما يلفت النظر أن البوريني سجل بعضاً من أسماء الوظائف وفساد بعض القضاة^(١)، فقد صورت الحياة الادبية ما كان قائماً في المحكمة الكبرى من قضاة سوء وشهود ، فيقول الشاعر أمين الصالحي دمشقي الشافعي الكاتب في المحكمة^(٢) :

قالت لنا الكبرى أما أن لكم ما توعدون
قضاتنا أربعة لكهنم لا يعلمون
شهودنا عدتهم تسعة رهط يفسدون

وقد كثر عزل المدرسين الكفوئين وهذا ما صورته الأشعار في تلك الفترة^(٣) ، في إشارة إلى انتشار حالات تعاطي الرشوة في هذه المؤسسة خاصة في بيع الوظائف ، وتدهور حالة دمشق وعلماؤها ، بسبب الفساد الاداري والمالي الذي انتشر فيها ووصفها البوريني بأنها : (ظلام بعد الضياء)^(٤) ، وتدهورت المدارس حيث لم يكن المدرسين جميعهم على مستوى من العلم والفقه ، بل منهم مثلاً المدرس المدعو موسى الذي مُنح المدرسة الجوزية من قبل القاضي تقي الدين الزهيري الشافعي ، كان مستواه سيئاً ، فقد أشارت إلى ذلك الأشعار التي كتبها القاضي محب الدين الحموي ، والحسن البوريني الشافعي ، فيقول البوريني^(٥) :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

ولما شعر القاضي إبراهيم أفندي أن حقوق آبائه قد سلبت وأن المناصب التي يستحقها قد صارت لغيره ، نظم الشعر ليصور الحالة السيئة التي عاناها^(٦) . كما و صورت الحياة الأدبية الواقع العسكري والسياسي في بلاد الشام كالقتال الذي كان دائراً مع جماعة الاسكبان وقائدهم عبد الحلیم اليازجي ، فحين انتصر الجيش الشامي على الاسكبان ، نظم أحمد آغا كبير الطائفة الانكشارية (الينكجريه) بدمشق ، الشعر بقوله^(٧) :

من صد عن نيرانه فأنا ابن قيس لا يراح
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

(١) نفس المصدر، ج٢، ص ٧١.

(٢) نفس المصدر، ج٢، ص ٨٣.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص ٣٧٢.

(٤) للمزيد انظر نفس المصدر، ج٢، ص ٨-٩ ، ٣٨.

(٥) للمزيد انظر الشعر الذي اورده البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١١٦.

(٦) نفس المصدر، ج٢، ص ٣١٤ و٣١٥.

(٧) نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٨.

وخلص القول فقد جسد الشعر كل مفاصل الحياة في المجتمع الشامي من فرح وحزن ، ومباحثات بين العلماء والأدباء ، وعلاقات اجتماعية متنوعة بين الحاكم والمحكوم ، وبين العامة والخاصة ، وقضايا اجتماعية (شرب قهوة البن) ، وقضايا سياسية وعسكرية ، وأبرز صورة التدهور الذي أصاب مؤسسة القضاء من خلال انتشار بيع الوظائف وتعاطي الرشوة ، وكانت هناك أشعار للعتاب ، وأشعار في اللغز ، وأشعار في الغزل ، وأشعار تطرقت لأحوال الناس الخاصة كالموت والمرض ، والظلم الذي تعرض له البعض وأشعار خاصة بتعيينات المدرسين . فكانت القصائد الشعرية والكتب والمراسلات النثرية ، الوسيلة المهمة للتواصل في تلك الفترة^(١).

(١) للمزيد انظر صورة الكتابين اللذين اوردهما البوريني أحدهما من البوريني إلى صاحبه جمال الدين جلبي والثاني جواب من جمال الدين جلبي إلى البوريني ، نفس المصدر، ج٢، ص ١٢٣-١٢٦.

الخاتمة

وفي الختام فقد حاولنا فيما سبق من الصفحات وضع أيدينا على مجمل ما في بلاد الشام من مظاهر للحياة السياسية والادارية والعلمية والفكرية ، التي تناولها كتاب الحسن البوريني المطبوع المسمى " تراجم الأعيان من أبناء الزمان " لنؤكد على أهمية مثل هذا المصدر ، الذي حفظ لنا كوثيقة تاريخية إرثاً تاريخياً حضارياً عن أحوال بلاد الشام ، بدءاً بالحدِيث عن أحوال بلاد الشام في أواخر أيام دولة المماليك الجراكسة ومطلع العهد العثماني فيها ، حيث كانت الأوضاع مرتبكة جداً على جميع ميادين الحياة ، مما كان له تأثير سيئ على حياة السكان وتدهور معيشتهم وفرض الضرائب عليهم مع ارتفاع في الأسعار ، وانتشار الامراض والأوبئة ، وضعف السلطة المحلية ، وانتشار حركات القوى المحلية التي تطالب بالاستقلال ، وانتهاءً بالأحوال الاجتماعية وانعكاس مثل تلك الظروف عليها ومدى تفاعل المجتمع مع نفسه وتطوره واهتمامه بالعلم والعمران رغم الظروف القاسية التي عاشها المجتمع الشامي خلال الفترتين.

ويتبين لدارس تراجم البوريني حقيقة أن الحركة الفكرية لم تنعدم في تلك الفترة ، على الرغم من تدهور بعض المؤسسات التعليمية بسبب انتشار بيع الوظائف وتفشي الفساد الاداري والمالي ، وتعيين مدرسين غير مؤهلين لممارسة التدريس ، إلا أن المجتمع كان يعيش فعاليات متنوعة على الرغم من طغيان التصوف الذي أغرق عامة الناس بالكرامات ، ومن تلك الفعاليات (العلوم النقلية كعلوم القرآن والحديث والأدب ، والعقلية كالكيمياء والطب والفلك والحساب وغيرها) وازدهار المؤلفات التاريخية العربية، خاصة في التراجم التي تظهر لنا جوانب مهمة سياسية واجتماعية وتعليمية قد لا نجدها في مصدر آخر. وتعطينا تراجم البوريني فكرة أن الحضارة العربية الاسلامية كانت حجر الزاوية في بنية حضارة الدولتين المملوكية والعثمانية، فكانت اللغة العربية ذات قوام فيها ، وكانت العلوم العربية والاسلامية من المقومات الأساسية لغير العرب في ذلك العصر ، لا سيما في أوساط الفئة الحاكمة العليا في المجتمع ، سواء كانت دينية ، أو سياسية ، ولا أدل على ذلك من أن عدداً من القضاة والمفتين ، ورجال الإدارة المماليك والأروام ، الذين عينوا في بلاد الشام كانوا يتقنون اللغة العربية وكان لبعضهم ثقافة أدبية عربية متينة ولا سيما في الشعر . والمتتبع لكتب التراجم في ذلك العصر خاصة عند البوريني ، والغزي ، والمحبي ، يجد العديد من تلك الشخصيات سواء كانوا موظفون ، أو حكام ، أو علماء ، وانتشرت اللغات الفارسية ، والتركية إلى جانب اللغة العربية، وهذا يعني أن الحضارة العربية الاسلامية تأثرت بهذه الثقافات وما تحمله من عادات ، ونظم تعليمية ، وأساليب التدريس ، وقد سعى العلماء إلى دراسة هذه اللغات ، فاطلعوا خلالها على الذئاج الفكري في الآداب والعلوم المختلفة عند الفرس والأروام. ويتبين للدارس في

الأحوال الاجتماعية في بلاد الشام في تلك الفترة أن بلاد الشام عاشت حركة فكرية رغم انتشار التصوف ، بل كان فاعلاً يؤكد ذلك الاهتمام بالعلم ، وانتشار المدارس و عددها وكثرة الاوقاف عليها ونشاط في الحركة التعليمية في المدارس والجوامع ، بالإضافة إلى تنقلات العلماء والرحلة في طلب العلم بين البلدان العربية فمن بلاد الشام إلى الحجاز وبالمقابل ، ومن الشام إلى القسطنطينية وبورصة وأدرنه وبلاد فارس وبالمقابل ، ومن اليمن إلى الحجاز ، ومن مختلف البلدان العربية ولأقامة طويلة أو قصيرة ، وكثرة المؤلفات في مختلف العلوم النقلية كاللغة العربية والأدب ، والعقائدية كالرياضيات والطب والكيمياء والفلك أو علم النجوم ، فالقارئ لتراجم البوريني يخرج بحصيلة خصبة عن عمل نشيط في ميدان علم الجبر ، والمساحة ، والحساب مع ارتباطه بعلم ديني الا وهو " علم الفرائض " ، مع ازدهار التأليف التاريخي العربي بمدارسه التقليدية ، ومنه التأليف في التراجم فقد عرف ذلك العصر كثرة من المؤرخين الذين اشتهروا بغزارة عطائهم الفكري ، وتفصيلهم للحقائق التاريخية مع الألتزام بشروط البحث التاريخي ، وهذا واضح من خلال دراستنا لتراجم الحسن البوريني خلال تحريه للمصادر الموثوقة ، والمتنوعة ، ولا سيما المكتوبة منها ، ونقد للمصادر والوقائع ، وتعديل واقعي عقلائي ، وهذه المنهجية طبعاً سار عليها كثير من المؤرخين ، من أمثال ابن طولون الصالحي ، والمديبي ، والغزي ، وابن الحنبلي .

ويتضح من هذه الدراسة تطور الأدب في تلك الفترة ، تطوراً في الأسلوب ، وفي فنون الشعر وأوزانه ، وتنوعاً في أغراضه ، مع الاهتمام الكبير باقتناء الكتب وجمعها والحفاظ عليها ، وإنشاء المكتبات الخاصة والعامة ، ووقفها على طلبة العلم ، حتى أن تجارة الكتب كانت رائجة عند الرجال والنساء . وتكشف تراجم البوريني صورة الحراك العلمي والاجتماعي الكبير الذي كان منتشرًا في مجتمع بلاد الشام ، وباقي المجتمعات التي ارتبطت بعلاقات معها كمجتمعات بلاد فارس واليمن ومصر .

التوصيات

من خلال دراسة الحياة الاجتماعية لبلاد الشام في كتاب " تراجم الأعيان من أبناء الزمان " للحسن البوريني ، من النواحي السياسية ، والادارية ، والاجتماعية والعلمية ، وفي ضوء النتائج التي تم التوصل إليها ، يوصي الطالب بما يلي :

١. دراسة الحياة الاجتماعية والعلمية من خلال كتاب در الحبيب في تاريخ أعيان حلب لابن الحنبلي الحلبي رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي ت ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م، وهذا المصدر رجع إليه البوريني في تأليفه لكتاب التراجم .

٢. دراسة تاريخية للحركة الأدبية في بلاد الشام في ضوء تأثيرها بالثقافة الفارسية ، والتركية في بلاد الشام في تلك الفترة ، ومنهم مثلاً الحسين الشيرازي مؤلف كتاب شاه نامه أو سير الملوك .

٣. دراسة دور مربي السلاطين في بلاد الشام ودورهم السياسي والعسكري والتعليمي ضمن الفترة الزمنية لهذه الدراسة.

٤. البحث عن القطعة المفقودة من الكتاب وتحقيقها تحقيقاً علمياً ونشرها .

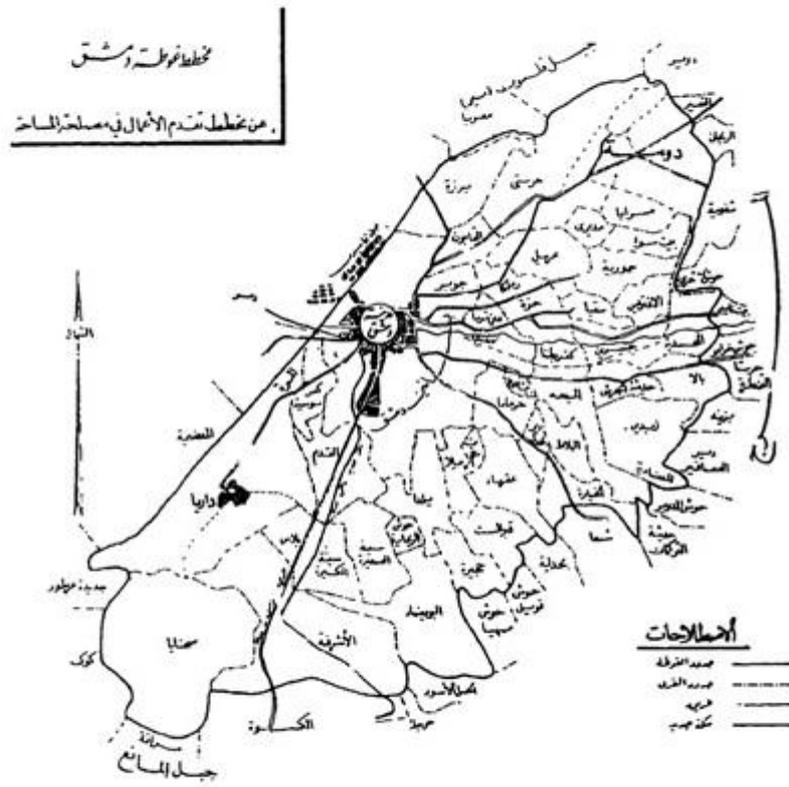
الملاحق

ملحق خرائط بلاد الشام

خارطة مدينة دمشق نقلاً عن ريمون : المدن العربية ص ٤٣.



خارطة مدينة دمشق وضواحيها نقلاً عن الأرنؤوط : معطيات ص ٢٠٩ .



دمشق وضواحيها

المصادر

١. القرآن الكريم .
٢. ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني العراقي (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ م) شرح نهج البلاغة ٢٠ ج مطبوع ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط ١ ، ١٩٥٩ م .
٣. الأشبيلي : أبو بكر محمد بن خير بن عمر (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) فهرسة ابن خير الأشبيلي وضع حواشيه محمد فؤاد منصور ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط ١ ، ١٩٩٨ م .
٤. الأصفهاني : عماد الدين بن عبد الله محمد بن محمد الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) : الفتح القسي في الفتح القدسي . تحقيق محمد محمود . د ط ، القاهرة ١٩٦٥ م .
٥. الأنصاري : شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٠ هـ / ١٥٩٠ م) ، نزهة الاخطر وبهجة الناظر ، تحقيق عدنان محمد إبراهيم ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٩١ م ، القسم الأول .
٦. البكري : أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ٤ ج تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب بيروت ، ١٩٤٥ م .
٧. البكري : محمد بن أبي السرور الصديقي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية ، تحقيق ليلى الصباغ ، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ١٩٩٥ م .
٨. البلاذري : أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) : فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، وعمر أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٧ م .
٩. البوريني : الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) تراجم الأعيان من أبناء الزمان ، ٢ ج تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٩ م .
١٠. البيضاوي : عبد الله بن عمر بن علي ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار احياء التراث العربي – بيروت ط ١ ، ١٩٩٧ م .
١١. ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (ج ١ ، – ج ٦ ، ١) نشر وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، دار الكتب ، مصر د س ، د ط .

١٢. ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م) ، رحلة ابن جبير . دار صادر بيروت .
١٣. الجرجاني : علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ / ١٤١٣م) ، الحاشية على المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (علوم البلاغة) ، علق عليه رشيد أعرضى ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ٢٠٠٧م .
١٤. جلال الدين البلخي : محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين (ت ٦١٢ هـ / ١٢٧٣م) ، المثنوي ، ج ٦ ، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة ١٩٩٦ ج ١ ، (الكتاب الأول) .
١٥. حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٨ هـ / ١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ٢ ، دار إحياء التراث العربى بيروت - لبنان ١٩٤١م .
١٦. ابن الحنبلي : رضى الدين محمد الحلبي (ت ٩٧١ هـ / ١٥٦٣م) . در الحبيب في تاريخ أعيان حلب . ج ٢ ، تحقيق محمود الفاخوري ، ويحيى زكريا عبارة ، نشر وزارة الثقافة دمشق د ط ، ١٩٧٢م .
١٧. ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ٦ ، تحقيق محمد عبد المعيد ، نشر مجلس دائرة المعارف الهند ، ط ٢ ، ١٩٧٢م .
١٨. — أنباء الغمر بأبناء العمر ، ج ٢ ، د ت ، ط ١ ، نشر دائرة المعارف .
١٩. ابن حزم الأندلسى : أبي محمد بن أحمد بن سعيد (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م) ، التقريب لحد المنطق ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
٢٠. ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) مقدمة ابن خلدون ج ١ ، ط ٥ نشر دار القلم بيروت لبنان ١٩٨٤م .
٢١. الخفاجي : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩م) ربحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، ج ١ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، نشر مطبعة عيسى الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٧م .
٢٢. الدماميني : محمد بن أبي بكر (ت ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥م) ، شرح الشمني على مغني اللبيب (المغني بحاشية الشمني) ، ج ٢ ، علق عليه أحمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربى بيروت - لبنان ط ١ ٢٠٠٧م .
٢٣. الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤م) : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٥ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦م ط ١١ ج ١٩ ، تحقيق شعيب الارنؤوط .

٢٤. السبكي : تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ ج تحقيق محمود محمد الطناحي ، و عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ١ ، هجر للطباعة والنشر ، ١٩٩٢ .
٢٥. — جمع الجوامع في أصول الفقه الشافعي ، علق عليه عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط ٢ ٢٠٠٣ م .
٢٦. ابن شاهين : غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، طبع في باريس ١٨٩٣ م .
٢٧. أبو شامة : شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م) ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٥ ج ، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين ، د ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٢٨. الشهابي : حيدر أحمد ، تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي ، ٤ ج ، ٣ ج ، علق عليه مارون رعد ، إشراف نظير عبود ، بيروت ١٩٩٣ م .
٢٩. الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٠٧١م) ، الوافي بالوفيات ، ٢٩ ج ، تحقيق أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، ط ١ ، دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠٠ م .
٣٠. الصنهاجي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ، المقدمة الأجرومية ، نشر دار الصمعي - الرياض ط ١ ، ١٩٩٨ م .
٣١. الطالوي : درويش بن محمد الرومي الدمشقي (ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) ، سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر ، ٢ ج ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، عالم الكتب بيروت ط ١ .
٣٢. الطوسي : حسين ألقب نظام الملك الطوسي (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م) ، سير الملوك أو سياست نامه ، ترجمه عن الفارسية يوسف بكار ، نشر وزارة الثقافة - عمان - الاردن .
٣٣. ابن طولون : شمس الدين محمد بن علي الصالحي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١ ١٩٩٨ م .
٣٤. — أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار الفكر ، دمشق ط ٢ ١٩٨٤ م .
٣٥. — الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ، مطبعة الترقى ، دمشق .
٣٦. — القلائد الجهرية في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ط ٢ ١٩٨٠ م .
٣٧. ابن طوق : شهاب الدين أحمد بن طوق (ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) ، يوميات شهاب الدين أحمد ابن طوق ٨٣٤هـ - ٩١٥هـ / ١٤٣٠م - ١٥٠٩م ، التعليق ، مذكرات كذبت بدمشق في

أواخر العهد المملوكي ٨٨٥هـ - ٩٠٨هـ / ١٤٨٠م - ١٥٠٢م ، ج ٤ ، تحقيق الشيخ جعفر المهاجر ، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ج ١ ، سنة ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، سنة ٢٠٠٢م ، ج ٣ ، سنة ٢٠٠٤م ، ج ٤ سنة ٢٠٠٧م .

٣٨. ابن عربي : محيي الدين بن عربي : محمد بن علي بن محمد الأندلسي (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م) ، الفتوحات المكية ، تحقيق عثمان يحيى ، ١٤ ج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ط ٢ .

٣٩. ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن علي الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (ج ١- ج ٨) دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت ١٩٩٤م .

٤٠. عبد الرحمن : محمد بن محمد ابن الشافعي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) : شرح الورقات في أصول الفقه تحقيق عمر غني سعود العاني ، دار عمار ، ط ١ ، ٢٠٠١م .

٤١. العسقلاني : شافع بن علي الكاتب المصري (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م) الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٩٨م .

٤٢. العلمي : محير الدين (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠م) ، الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ٢ ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد ، مكتبة دنيس عمان د ط ١٩٩٩م .

٤٣. العمري : ألقاضي شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م) التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م .

٤٤. العيدروس : عبد القادر بن عبد الله (ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨م) انور الاسافر عن أخبار القرن العاشر ، تحقيق محمد حالوا وآخرين ، دار صادر - بيروت - لبنان ط ١ ، ٢٠٠١م .

٤٥. الغزي : نجم الدين محمد بن محمد (١٠٦١ هـ / ١٦٥١م) ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ج ٣ ، وضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١ ١٩٩٧م .

٤٦. _____ لطف الاسمر وقطف الثمر ، ج ٢ . تحقيق محمود الأشيخ ، نشر وزارة الثقافة والأرشاد القومي دمشق .

٤٧. فريد : محمد ، تاريخ الدولة العثمانية ، دار الجيل ، بيروت ، د ط ، د س .

٤٨. الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب بن محمد (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥م) القاموس المحيط ، ١ مج ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ط ٨ ، ٢٠٠٥م .

٤٩. القلقشندي : ابي العباس أحمد القلقشندي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، ١٤ ج ، د ط دار الكتب السلطانية القاهرة ١٩١٨م .

٥٠. الكرمي : مرعي بن يوسف (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٣م) ، نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ، تحقيق أميرة دبابسة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة النجاح ، ٢٠٠٠م .
٥١. ابن منظور : محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، ١٥ ج ، ط ١ دار صادر بيروت .
٥٢. ابن المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م) ، نسب عدنان وقحطان ، تحقيق عبد العزيز اليمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر ١٩٣٦م .
٥٣. ابن منقذ : الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الكناني أبو المظفر (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ، الاعتبار ، تحقيق قاسم السامرائي ، نشر دار الأصاله للثقافة والنشر والإعلام ، عمان - اردن ١٩٨٧م .
٥٤. المحبي : محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ٤ ج ، دت ، د ط .
٥٥. المحلي : جلال الدين محمد ابن شهاب الدين أحمد الشافعي (ت ٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) شرح الوراقات في أصول الفقه ، تحقيق محمد حسن محمد ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط ١٢٠٠٣م .
٥٦. المقدسي : أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، قدم له محمد مخزوم ، بيروت دار إحياء التراث ١٩٨٧م .
٥٧. المقرئ : أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٤-١٩٣٦ ، ج ١ ، القسم الثاني ، القاهرة ١٩٥٦م .
٥٨. المكي العاصمي : عبد الملك بن حسين بن عبد الله الشافعي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) سمط النجوم العوالي ، تحقيق ، عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد عوض ، ٤ ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م .
٥٩. المنصوري : بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) ، التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ المماليك البحرية في الفترة ٦٤٨هـ - ٧١١هـ) ، نشره وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان ، ط ١ ، دار المصرية اللبنانية ، القاهرة ١٩٨٧م .
٦٠. النعيمي : عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ / ١٥٧٠م) الدارس في تاريخ المدارس ٢ ج ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٩٩٠م .

٦١. النيسابوري : أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) : معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه ، تحقيق أحمد بن فارس السلوم ، دار أبن حزم بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
٦٢. الهمداني المصري : ابن عقيل عبد الله العقيلي (ت ٧٦٩ هـ / ١٣٦٧ م) ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين ، ط٤ ، ج١ ، ط٢٠ دار التراث - القاهرة ١٩٨٠ م .
٦٣. اليوسفي : موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٦ م .
٦٤. اليونيني : قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م) : ذيل مرآة الزمان ، ط٢ ، ج٤ ، دت ، دار الكتاب الاسلامي - القاهرة ، ١٩٩٢ م .

المراجع

١. الأرنؤوط : محمد ، معطيات عن دمشق وبلاد الشام الجنوبية في نهاية القرن السادس العشر ، دار الحصاد للنشر والتوزيع ، دمشق ط١ ، ١٩٩٣ م .
٢. أبو الشعر : هند غسان ، مجتمع دمشق أواخر أيام الدولة المملوكية ، يوميات شهاب الدين أحمد بن طوق الشافعي (ت ٩١٥هـ / ١٥٠٩م) (٨٨٥هـ - ٩٠٨هـ / ١٤٨٠م - ١٥٠٢م) المعروفة بـ (التعليق) مصدراً ، ط١ ٢٠١٢م ، نشر جامعة آل البيت (ع).
٣. الأشقر: محمد عبد الغني : أتابك العسكر في القاهرة عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ / ١٣٨٢م - ١٥١٧م) ، ط١ . مكتبة مدبولي ، مصر ٢٠٠٣م.
٤. بركات : مصطفى : الألقاب والوظائف العثمانية (١٥١٧م / ١٩٢٤م) ، دار غريب للنشر والطباعة - القاهرة ٢٠٠٠ ، ط١.
٥. بيات : فاضل ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ط١ ، بيروت ٢٠٠٧ م .
٦. البستاني : بطرس ، دائرة المعارف ، ١٢ ج ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان.
٧. آل جبعان : ظافر بن حسن : ترجمة الأمام النووي ، سلسلة التراجم (١) النشرة الأولى ٢٠٠٧ م .
٨. حسن : إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤ ج ، ط١٤ ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٩٦ م .
٩. الحويري : محمود محمد : تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات .
١٠. الحجى : حياة ناصر ، صور من الحضارة العربية الاسلامية في سلطنة المماليك ، ط١ ، دار القلم للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٩٢ م .
١١. الخطيب : مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٩٩٦ م .
١٢. دهمان : محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر دمشق ، ط١ ، ١٩٩٠م .
١٣. الدوري : عبد العزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، ط٥ ، ١٩٨٧ م .
١٤. رافق : عبد الكريم ، العرب والعثمانيون (١٥١٦م / ١٩١٦م) ، دمشق ط١ ١٩٧٤م .
١٥. الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ٨ ج ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط١٥ ،

٢٠٠٢ م .

١٦. الصباغ : ليلي ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول ، محمد الأمين المحبي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ، ط ١ ١٩٨٦ م .

١٧. صابان : سهيل ، ألمعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ٢٠٠٠ م .

١٨. طرخان : إبراهيم ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٦٥ م

١٩. ————— النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

٢٠. العليبي : أكرم حسن ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ، الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق .

٢١. ————— خطط دمشق ، ط ١ ، دار الطباع ، دمشق ١٩٨٩ م .

٢٢. عبد المهدي : عبد الجليل حسن ، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ج ٢ ، ط ١ ، مكتبة الاقصى ، عمان ١٩٨١ م .

٢٣. عون : فيصل بدير ، التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس ، د ط ، ١٩٨٣ م .

٢٤. القرشي : حسن عبد الله ، فارس بني عيس ، دار المعارف – مصر ١٩٦٩ م ، ط ٢ .

٢٥. كحالة : عمر بن رضا بن محمد (ت ٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) : معجم المؤلفين ، ج ٣ ، مكتبة المثني بيروت – دار إحياء التراث العربي بيروت د ط .

٢٦. كرد علي : محمد ، خطط الشام ، ج ٦ ، مكتبة النوري ، دمشق ، ط ٢ .

٢٧. المنجد : صلاح الدين : معجم المؤرخين الدمشقيين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ط ١ ١٩٧٨ م .

٢٨. مجموعة من العلماء والباحثين : الموسوعة العربية الميسرة ، ج ٧ ، المكتبة العصرية ، بيروت – صيدا ، ط ٣ ، ٢٠١٠ م .

٢٩. نقولا زيادة : دمشق في عصر المماليك ، مكتبة لبنان ١٩٦٦ م .

٣٠. نوار : عبد العزيز سليمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة د ط .

المراجع العربية :

١. أوبنهايم : ماكس فريهيرفون وآخرون : البدو ، ٤ ج ، دار الوراق للنشر والتوزيع – لندن ط ١ ٢٠٠٤م ، ج ٣ ، ترجمة محمود كيببو ، وتحقيق ماجد شير .
٢. ايفانوف : نقولاي ، الفتح العثماني للأقطار العربية ، ط ١ ترجمة يوسف عطا الله ، راجعه مسعود ظاهر ، دار الفارابي ، بيروت ١٩٨٨م .
٣. جب : هاملتون ، وبوون : هارولد، المجتمع الاسلامي والغرب ٢ ج ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف مصر ١٩٧١م .
٤. حتي : فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق دار الثقافة ، بيروت ، ط ٣ .
٥. خورشيد : إبراهيم زكي وآخرون ، دائرة المعارف الاسلامية ، مجموعة من العلماء (انكلترا ، وفرنسا ، وألمانيا) ، ١٦ ج د ط ، دن .
٦. ريمون : اندريه ، المدن العربية الكبرى في العهد العثماني ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للنشر والتوزيع القاهرة – باريس ط ١ ، ١٩٩١م .
٧. لايبديوس : إيرا مارفين ، مدن الشام في عصر المماليك ، ترجمة سهيل زكار ، دار حسان ، دمشق ١٩٨٥م .

الأبحاث :

١. إبراهيم : عبد المجيد إبراهيم ، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الأيوبي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، إتحاد المؤرخين بغداد سنة ٢٠٠٠م .
٢. الحبازي : مشهور عبد الرحمن حسين الحبازي : الحسن البوريني أديباً ومؤرخاً مع تحقيق ديوانه ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعه القديس يوسف كلية الآداب واللغة العربية ، بيروت ١٩٩٨م ، مركز أيداع الرسائل الجامعية في الجامعة الأردنية .
٣. الفراني : عبد الحميد جمال ، الحياة العلمية في القدس من خلال كتاب الأنس الجليل للعلمي ، بحث مقدم إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مسابقه القدس الثقافية الأولى ، ٢٠١١م .
٤. نصار : أندريه طانيوس ، العامة بدمشق المملوكية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة اللبنانية ، كلية الآداب الفرع الثاني – الفنار .

الدوريات :

١. الدوري : عبد العزيز ، نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، مجلة الإجتهد بيروت لبنان ، العدد الأول خريف ١٩٨٨ م .
٢. رافق : عبد الكريم ، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني ، مجلة دراسات تاريخية عدد ٦ ذي الحجة ١٩٨٠ م .
٣. رشاد : عبد اللطيف ، تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الجامعة العربية ، مج ٤ ج ١ ، ١٩٥٨ م .
٤. السامرائي : أحمد محمود علو، والدليمي : محمد حمزة حسين ، الانكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة (١٨٢٦م) ، مجلة التربية والعلم ، مج ٧ ، ١ ، العدد ٢ ، ٢٠١٠ م .
٥. الشباب : إبراهيم أحمد ، جيش الامارة المعنية في عهد فخر الدين المعني الثاني (٩٩٩ هـ / ١٥٩٠م - ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م) ، مجلة دراسات ، العلوم الانسانية والاجتماعية مج ٣٨ ، العدد ٢ ، ٢٠١١ م .
٦. صافي : خالد ، حسين باش مكي ، مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية) مج ٣ ، ١ ، العدد ٢ يونيو ٢٠٠٥ م .
٧. عزب : خالد ، الأحياء السكنية ، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٢٧ .
٨. كرد علي : محمد ، تراجم الأعيان للبوريني (مخطوط نادر) مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٢٣ م ، ٤ مجلدات (٨ ج) .
٩. مبيضين : مهند أحمد ، مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر الميلادي : مجلة المنارة ، مج ٤ ، ١ ، العدد ٢ ، ٢٠٠٨ م .
١٠. ملحم : عدنان : أوضاع الطائفة السامرية في مدينة نابلس ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) مجلد ١٦ ، العدد الأول ٢٠٠٢ م .
١٠. أبو نحل : محمد ، جان بردي الغزالي المملوكي والدولة العثمانية (رؤية تاريخية) مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية) مجلد ١٧ العدد ١ سنة ٢٠٠٣ م .

Belad Al-Sham through the Biographies of Al-Hassan Al-Bourini
Biographies of the notables of the time (Tarajem Al-A'yan Min Abnaa'
Al-Zaman)

963 AH-1024 AH/1615 AD- 1556 AD

A Historical Study

Prepared By Asim Kareem Rummyd

Supervisor: Prof. Dr. Hind Ghassan Abu Al-Sha'ar

Abstract

The biographies of Al-Bourini (Tarajem Al-Bourini) , was chosen for this study because of its importance and value as an important source of historical studies.

The 10th and 11th centuries Ah/ 16th and 17th centuries that Al-Hassan Al-Bourini (963 AH-1024 AH/1615 AD- 1556 AD) had chronicled are considered to be critical in the history of the Belad Al-Sham, where during the two centuries, the Belad Al-Sham witnessed the transitional period of the fall of the second Mameluke and the advent of the Ottoman Empire, so it was natural for the Belad Al-Sham to get in the framework of the new state and to encounter deteriorations in its social and political life in spite of the activity of the intellectual movement.

The book Biographies of the notables (Tarajem Al-A'yan) dated this period by presenting biographies for the Belad Al-Sham scientists, notables , educational institutions and the great scientific and educational activities. These institutions included a large number of schools, mosques, various governmental institutions and a number of Qur'an and Hadith teaching centers that were established by the Mameluke who ruled in Egypt and the Belad Al-Sham. These institutions lasted and increased during the following era. In addition to these educational institutions there were many other religious institutions that were active in the field of teaching such

as The Umayyad mosque , Menjek Mosque and others. The teaching system in these institutions was based on assigning a specific number of teachers and teaching assistants identified by Al Waqef Document, which also identified the duration of study , the teachers and teaching assistants' salaries, and the students who receive a stipend to study. As for the study materials in the Belad Al-Sham during that period, they were diverse, including Qur'an sciences, Literature, Al Tafseer, Al Hadith, Astronomy, Mathematics and more.

The people of the Belad Al-Sham and the people who travelled to the Belad Al-Sham and settled in it excelled these sciences, some of them left the Belad Al-Sham and travelled to other Islamic cities and countries, and also some of the Belad Al-Shamine families were known for their inherited knowledge of sciences such as Al Ghazi family and others. And on the other side Al-Hassan Al-Bourini (963 AH-1024 AH/1615 AD- 1556 AD) was involved and active during that era and was well known for his work in different fields such as history and literature. He was interested in the political events that took place during that era which included the local powers such as Abd Al-Halim Al-Yaziji, Fakher Al-Deen Al-Ma'ni the 2nd movements, and the appearance of Al-Sokban who troubled the country. He also was a jurist in the Belad Al-Sham pilgrims' mission, although he was a Shafi'i which indicates that he was close to the ruling authority.

The first chapter of this study is about the general situation of the Belad Al-Sham in the late second Mameluke and the onset of the Ottoman Empire, and Deals with the administration of the Belad Al-Sham and the economic, social , health and political aspects. The second chapter deals with Al-Hassan Al-Bourini as a historian (His name, parentage, family , the elders who taught him, knowledge and culture, books, students, positions he occupied, his relation with the society , the resources he used in writing the Biographies (Al- Tarajem), his writing approach in his book and in recording the history of the era). The third chapter deals with the general situation of the Belad Al-Sham through Al-Hassan Al-Bourini's Biographies,

referring to the Belad Al-Sham and its subdivisions , the political and social life , the administrative , religious and military occupations and their effects on the society. It also presents the sanctions that were used in that era , the role of Al Sokban in the deterioration of the internal situations, the role of the administrative corruption , and the relations between the Belad Al-Sham and Constantinople. The fourth chapter discusses the social and educational life in the Belad Al-Sham as documented by Al-Bourini in the form of the Belad Al-Sham families , social classes , the relation between these categories and the relation between each of them with the ruling authority. It also discusses the education, schools, and the sciences which were taught in the Belad Al-Sham. It pinpoints the relations between scientists and with the ruling authority. The endowments role in education, the basis the schools considered for appointing teachers, their salaries and categories and the relation between teachers and the ruling authority. The judicature and its relation to the ruling authority, education and endowments, and then it displays the effect of these relations on the people, society and the social behaviors as recorded in the biographies, after that it shows how these relations affected clothing , foods and drinks and the social customs. Then it observes some of the excesses in the public behaviors and manners, the Mysticism, Al-Zawaya approach in Mysticism, Hospices, and different aspects of Mysticism.

This study also tracked the literature life through the poetry and the literature as mentioned in Al-Bourini Biographies, because of its importance in illustrating the real social life in that era and to assess the study with valuable and needed information about the desired period. The researcher concludes with the results and recommendations obtained, an appendix including the Belad Al-Sham maps and the references used in the study.